الحركة الوطنية الفلسطينية

من ثورة ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية

الدكتور عادل حسن غنيم

جامعة عين شمس وجامعة قطر

١٩٨٠

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر

الحركة الوطنية الفلسطينية

من ثورة ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية

الدكتور عادل حسن غنيم

جامعة عين شمس وجامعة قطر

١٩٨٠

الناشر

مكتبة الخانجي بمصر

اهـــداء

اهــدى هــذه الدراســة الى روح الشــهيد الشــيخ عز الدين القسام أول من نظــم وقاد العمل الفـــدائى فى فلســطين ..

المــؤلف

المقدمة

كان موضوع رسالتى للماجستير هو « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ثورة ١٩٣٦ » وكان طبيعيا أن أتابع دراسة تلك الحركة فى المرحلة التالية، فاخترت لدراستى للدكتوراه موضوع « الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية » .

وأهمية هذه الدراسة — اضافة الى بعدها القومى — أنها تتناول فترة ذات أبعاد هامة فى تاريخ فلسطين الحديث ، بل فى تاريخ الأمة العربية كلها ، فقد شهدت هذه الفترة قيام ثورة عربية كبيرة ، كما شهدت بداية اهتمام العالم العربى بالقضية ، واقترح خلالها أول مشروع للتقسيم ، كما اكتمل خلال نفس الفترة بناء الوطن القومى اليهودى .

وقد نصحنى أستاذى الدكتور / محمد أحمد أنيس وأنا أعد خطتى ان أعطى اهتماما لكل جوانب الموضوع بحيث لا أركز على الثورة وتطورها وقواعدها وقياداتها ، وانما أعطى اهتماما لأوضاع القوى الاجتماعية ومواقفها من الثورة ، وللعالم العربى ومواقف دوله منها ، ثم لأوضاع الوطن القومى اليهودى فى تلك الفترة .

وقد قمت بدراسة التقارير السنوية لحكومة الانتداب وتقارير اللجان الرسمية المختلفة من بداية الادارة المدنية فى عام ١٩٢٠ حتى الثورة ، واطلعت على وثائق وزارة الخارجية البريطانية فى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، وبعض محاضر مجلس العموم البريطانى ومحاضر مجلس الوزراء المصرى ومجموعة من وثائق وزارة الخارجية المصرية وبعض مضابط مجلسى النواب والشيوخ المصريين ، كما اطلعت على الوثائق العربية الرئيسية ، وعلى المراجع العربية والأجنبية والصهيونية الرئيسية ، بالاضافة الى عدد من الدوريات يربو على الأربعين دورية ، وعلى بعض الأوراق الخاصة بعونى عبد الهادى عميد حزب الاستقلال الفلسطينى ،

وراسلت عددا من الشخصيات الفلسطينية البارزة (امين الحسينى وكامل الدجانى ومحمد عزة دروزة) ، وأتيح لى منذ سنوات أن اطلع بمكتبة الهيئة العربية العليـــا على عدد كبير من البيانات والتقارير والمذكرات والمنشورات المتعلقة بتلك الفترة .

وتتضمن هذه الدراسة عددا من الايجابيات :

أولا : أنها تعالج للمرة الأولى فى رسالة علمية دراســـة موقف القوى الاجتماعية فى فلسطين من الثورة .

ثانيـــا : انها تتضمن اضافات عديدة مثل الحديث عن ظروف وقف الاضراب العام فى أكتوبر ١٩٣٦ وموقف المملكة العربية السعودية ومصر والمغرب العربى من قضية فلسطين .

ثالثـــا : أنها تحسم عددا من المسائل التى ورد بشأنها تضارب فى بعض المراجع العربية مثل الحديث عن تشكيل أول لجنـــة قومية وما يتعلق بالقيادات العسكرية للثورة فى مرحلتها الأولى .

رابعـــا : أنها تضع بعض الشخصيات الفلسطينية فى موضعها الحقيقى خاصة فيما يتعلق بموقف راغب النشاشيبى من مشروع التقسيم

خامسا : أنها تعرض تطورات الثورة بطريقة أمينة خاليـــة من المبالغات والمجـــاملات .

لـــكنه يعتقد أن كل جهد بذل ليس سوى محاولة متواضعة لخـــدمة التاريخ العربى وابراز الحقائق الأساسية لمسار الحـــركة الوطنيـــة فى فلسطين مع عرض وتحليل دوافع الثورة وأهدافها ونتائجها بما يوضح تلك الظروف التى كان يعيش فيها هذا الشعب العربى الذى واجه اقسى ظروف عرفها وطن عربى فى عالمنا الحديث والمعاصر .

وختاما فانى أقدم خالص شكرى لاستاذى الدكتور محمد احمد انيس الذى يرجع اليه الفضل فى توجيه طلابه وتلامذته الى دراسة تاريخ الحركات الوطنية فى العالم العربى ، واذا كنت قد وفقت فى تقديم هـــذه الرسالة فاليه أدين بالـــكثير .

والله ولى التوفيق ..

أغسطس ١٩٧٦ — المـــؤلف

الفهرس

الصفحة

الصفحة

خلفية سياسية

خلفية سياسية

كان المجتمع العربى بعد الحرب العالمية الأولى فى حالة شبه اقطاعية على رأسه فئة من الأفندية كانوا جزءا من الطبقة الحاكمة فى الدولة العثمانية ، وكان معظمهم من أصحاب الثروة والنفوذ ومن الذين اكتسبوا المظاهر الخارجية للثقافة الأوربية ، وكان كثير منهم ينتمى الى أسر معروفة مثل اسرتى الحسينى والنشاشيبى أو يدور فى فلكها ، وكان هناك تنافس تقليدى بين تلك الأسر ترك آثاره على مسار الحركة الوطنية فيما بعد ، وكان يلى هذه الطبقة من الناحية الاجتماعية الطبقة الوسطى التى كانت تضم أصحاب الحرف والصناعات القليلة فى المدن وبعض أصحاب الأملاك الزراعية من خارج المدن . أما الطبقة الدنيا فكانت تشكل الأغلبية العظمى من عرب البلاد وتتكون أساسا من الفلاحين والبدو الرحل الذين كان معظمهم يرعون الماشية ، وكانت هذه الطبقة تعيش فى ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة ومتدهورة (١) .

وكانت العلاقات الاجتماعية فى فلسطين تعتمد الى حد كبير على العلاقات بين الأسر والعائلات المتنافسة ذات النفوذ والتى يدين لها بالولاء قطاعات من عرب فلسطين . ولم يكن هذا الأمر بخاف على السلطة المنتدبة والحركة الصهيونية ، فقد عملت كل جهدها على استغلال هذا الوضع واثارة التنافس بين العائلات الكبيرة . وقد شهدنا مظاهر ذلك فى مجالس البلديات وفى منصب الافتاء وفى المجلس الاسلامى الأعلى .

فلقد تدخلت فى نسج بناء المجتمع عوامل عديدة : تراث التنظيم القبلى القديم ، غياب التضامن القومى فى عهد الحكم العثمانى ، قيام علاقات الانتاج على أسس شبه اقطاعية ، ضعف الثقافة والأمية والاعتقاد الدينى البدائى . وقد أنشأت هذه العوامل نظاما اجتماعيا وحدته العائلة ، ووجهت ولاء الفرد نحو تلك الوحدة ، وكانت قوة العائلة وتفوقها السياسى تنبع من وضعها الاقتصادى أو من عراقة نسبها أو من مكانتها الدينية . وكانت

العائلات الضعيفة ترتبط مع العائلات القوية برابطة ولاء تدعمها العلاقات والمصالح المختلفة .

وكانت القيادة منذ البدء فى يد أبنـــاء العائلات القوية من الذين اتيح لهم حظ معين من الثقافة ، أو من الذين تقلدوا المسئولية فى الوظائف المدنية او الدينية الرئيسية . فموسى كاظم الحسينى مثلا — وهو أول زعيم للحركة الوطنية فى فلسطين — كان يشغل منصب متصرف القدس ثم رئيس بلديتها . والحاج امين الحسينى كان خلفا لأخيه فى منصب مفتى القدس ، وراغب النشاشيبى كان نائبا فى مجلس المبعوثان ثم خلفا لموسى كاظم الحسينى فى رياسة بلدية القدس (٢) .

وعندما احتلت القوات البريطانية فلسطين خلال الحــرب العالميـة الاولى لم يكن لعرب فلسطين جهاز سياسى وطنى ، فقد كان عرب فلسطين جزءا من الشعوب التى كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية ، فانضوى رجالهم تحت الوية الأحزاب والجمعيات العثمانية التى كانت قائمة حينذاك ، وعندما نمت الروح القومية عقب خلاف العرب مع الأتراك وتأسست احزاب وجمعيات عربية تعمل فى خدمة القضية العربيــة شارك الفلسطينيون فى تلك الأحزاب والجمعيات (٣) .

وشعر عرب فلسطين بضرورة وجود ممثلين لهم يتفاهمون مع السلطة العسكرية فى تسهيل أمورهم الداخلية وصيانة حقوقهم ومطالبهم . فتألفت فى بعض مدن فلسطين الرئيسية مثل القدس ويافا جمعيات صغيرة من بعض أعيـــان تلك المـــدن ، لكن تلك الجمعيـــات لم يكن لهـــا نظـــام أو قانون ، ولم يكن هنـــاك صلة بينها وبين الجمعيات المماثلة فى المـــدن الأخرى ، فهى جمعيات تكونت بحكم الضرورة وفى ظروف الحرب العـــامة لتنظيم العـــلاقات بين السلطة العسكرية والأهالى فيما يتعلق بالمســـائل الداخلية البحتة .

لكن أمرا حدث فى فلسطين خلال عام ١٩١٨ نبه أهلها العرب الى ضرورة التجمع من أجل مواجهة ذلك الخطر الذى بدت مظاهره فى تلك البعثة الصهيونية التى ذهبت الى فلسطين فى ٤ ابريل ١٩١٨ برياســـة الدكتور وايزمان . هـــذا الحادث هو نقطة البداية فى طريق بناء تنظيم سياسى داخلى خاص بفلسطين بدأ تشكيله قبيل انتهاء احتلال بريطانيـــا

للبلاد وعرف باسم « الجمعيات الاسلامية المسيحية » التى قادت الحركة الوطنية ابان الادارة العسكرية دون انفصال عن الحركة العامة التى كانت متمركزة فى دمشق . وهكذا بدأت الحركة الوطنية نشاطها فى مواجهة الصهيونية متصورة انها عدوها الأول وأن بريطانيا ــ حليفة العرب فى ذلك الوقت ــ ستساعدها على التخلص من الصهيونية .

ومع أن عرب فلسطين لم يبلغوا رسميا بتصريح بالفور ــ الذى صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ــ الا فى ٢٠ فبراير ١٩٢٠ فى بيان أذاعه عليهم السير لويس بولز الحاكم العسكرى العام (٤) . الا انهم عرفوا به قبل ذلك عن طريق الصحف العربية والتركية (٥) . ولم يكن عرب فلسطين يتصورون فى ذلك الوقت أن يصبح هذا التصريح حجر الزاوية فى تحديد علاقة بريطانيا معهم ووسيلة للاضرار بمصالحهم ، ورغم ذلك فقد اعترضوا عليه ورفضوه حتى قبل أن يبلغوا به رسميا .

ورأت الحكومة البريطانية ــ بعد قرار مؤتمر سان ريمو فى ٢٥ أبريل ١٩٢٠ بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى مع تنفيذ تصريح بالفور ــ استبدال الادارة العسكرية بادارة مدنية تم انشاؤها فى أول يوليو ١٩٢٠ ، وحل محل المديرين العسكريين أشخاص مدنيون متعاطفون مع سياسة بريطانيا ، وكان السير هربرت صموئيل أول حاكم مدنى ، وكان يسمى المندوب السامى (٦) .

وقد اعترف هربرت صموئيل بأن الغرض من الادارة المدنية هو ادخال اليهود الى فلسطين حتى يتكون فى النهاية عدد كبير منهم يكفى لاقامة دولة يهودية . وكان ذلك يعنى أن الأغلبية العربية فى فلسطين يجب الا تقيم دولة عربية فى اى وقت ، وقد أخفيت هذه الحقيقة ، وافتعل جو من الانصاف التام بين العرب واليهود (٧) .

واقرت عصبة الأمم مشروع الانتداب على فلسطين فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ (٨) كما أصدر ملك بريطانيا فى ١٠ أغسطس من نفس العام دستور حكومة فلسطين (٩) وقد استقبل عرب فلسطين كلا من مشروع الانتداب والدستور بالاستنكار والاحتجاج (١٠) .

وقد أعطت الفقرة الأولى من الانتداب للمندوب السامى السلطة

الكاملة للتشريع والادارة وهـذا اختلاف أساسى عن جوهر الانتدابات فى سوريا والعراق التى اصبحت تحت ما يسمى بالانتداب من النوع أ حيث تقوم الدولة المنتدبة باعداد قانون نظامى يهيىء البلاد للحكم الذاتى . وقد كان من المسلم به من قبل بريطانيا الا يقوم حكم ذاتى ديمقراطى فورى فى فلسطين وان على المندوب السامى ألا يسمح للأغلبية العربية بمنع تنفيذ مواد الانتداب (١١) .

ذلك هو الاطـار الرسمى والقانونى لفلسطين فى تلك السـنوات المتقدمة التى شهدت بداية تكوين تنظيم وطنى خاص بعرب فلسطين غير منفصل عن الحركة العربية العامة التى كانت متمركزة فى دمشق .

فى ذلك الحين كانت الفكرة الرئيسية للنشاط السياسى العربى فى فلسطين تقوم على فكرة أن العرب هم أصحاب البـلاد الأصليين ، وأنهم يرفضون قبول أى مشروع يضعهم مع الصهيونيين الغرباء على قدم المساواه أو الاعتراف بأن لليهود حقوقا فى فلسطين غير حقوقهم كأفراد ، وحرص عرب فلسطين على أن يميزوا بين اليهود الأصليين الذين عاشوا معهم فى علاقات طيبة تحت الحكم العثمانى وبين اليهود الصهيونيين ، وبينما كان موقفهم العام هو عدم العداء لليهود كأفراد فقد رفضوا رفضا باتا الالتقـاء مع الصهيونيين كجماعة أو التفاوض معهم فى الشئون السياسية .

وأما بالنسبة لعلاقة عرب فلسطين ببريطانيا فى السنوات الأولى من الادارة المدنية ، فقد حافظ الزعماء العرب عموما على الموقف السلمى معها، وكانت خطتهم عدم اظهـار العـداء لها بل المعارضة بطريقة شرعيـة ، وعندما يضطرون الى عمل غير قانونى كما فى حالة الاضطرابات ، فقـد كانوا يقولون انه رد فعـل طبيعى بسبب مشاعر العداء للصهيونية (١٢) .

وفى الوقت الذى كان عرب فلسطين يشكون فيه من سياسة الحكومة البريطانية وتحيزها للصهيونية كان الكثير منهم يعتقد أن بريطانيا لن تجعل فلسطين يهودية ، ولن تسمح بقيام سيطرة يهودية عليها ، وانها لن تلبث أن تعدل عن موقفها فتراعى جانب العرب ، وكانت حجتهم فى ذلك أنه من غير المعقول أن الامبراطورية البريطانية تمكن الصهيونية من بلد مقدس عند المسلمين فتغضب ملايين المسلمين الذين تضمهم الامبراطورية البريطانية ، وأن بريطانيا بلد مسيحى فليس مما يتصوره العقل أن تجعل تلك الدولة

من فلسطين — بلد المسيح واقدس بقعة نصرانية — وطنا يهوديا . وكان هـذا الاعتقاد من العوامل التى حملت بعض العرب على الاعتقاد بأن خطة التعاون مع البريطانيين والاعتراف بما يريدون من سياسة أفضل من خطة مقاومتهم ، لذلك لم تتجه الحركة الوطنية فى فلسطين فى أول الأمر الى معاداة البريطانيين مباشرة (١٣) .

وقد تميز كفاح عرب فلسطين فى تلك السنوات الأولى باتجاهه نحو مقاومة تصريح بالفور وسياسة الوطن القومى اليهودى ، فقد كانت الفكرة الاستعمارية غير واضحة لدى جماهير الشعب العربى فى فلسطين ، وكان خطر الغزو الصهيونى هو الخطر المباشر الذى يحسه المواطن العـادى ، فعرب فلسطين لم ينالوا حظا كبيرا من العلم والمعرفة ، ولم يتح لغالبيتهم فرصة الاطلاع على التطورات السياسية والاجتماعية فى العـالم ، كما أن تظاهر بريطانيا بالوقوف موقف الحكم بين العرب واليهود وحرصها على حقوق العرب كان يضلل المواطنين ويصرفهم عن رؤية الخطر الحقيقى الذى يهددهم كما أن امكانات الحركة الوطنية قـد تأثرت كثيرا بعد القضـاء على الدولة العربية فى دمشق وانشـغال عـرب المشرق بمشـاكلهم المحليـة (١٤) .

وكانت المؤتمرات الوطنية فى فلسطين هى الظاهرة المميزة للنشـاط السياسى منذ الاحتلال حتى نهاية العشرينيات . وقد عقد فى تلك الفترة سبعة مؤتمرات سياسية كان كل مؤتمر منها يختار لجنة تنفيـذية تتولى تنفيذ مقرراته وتشرف على الحركة الوطنية حتى عقد مؤتمر آخـر . وكان موسى كاظم الحسـينى هو رئيس معظم تلك المؤتمرات ، وكانت هـذه المؤتمرات هى صوت الشعب المعبر باستثناء الفترات التى سادت فيها روح الحزبية ، وقـد استطاعت تلك المؤتمرات ان تجمع الشعب العربى حول اهدافه وتنبهه الى يحيط به من أخطار ، غير أن تلك المؤتمرات لم تستطع أن تقوم بدورها لأسباب عديدة أهمها ان تلك المؤتمرات لم تضـع خططا عملية للحفاظ على الكيان العربى أو للاحتفاظ بالأرض ، أو لتنفيذ المشروعات الاقتصادية المختلفة بل كانت مهمتها تنحصر فى اصدار القرارات ورفـع الاحتجاجات وتقديم المذكرات الى الهيئات السياسـية والصـحف واذاعة البيانات على عرب فلسطين فى المناسبات المختلفة .

وكانت اللجنة التنفيذية العربية تؤمن بالوسائل المشروعة فى تحقيق أهدافها ، وظل هـــذا الاتجاه سائدا حتى نهاية العشرينيـــات ، ولم يكن الشعب العربى راضيا عن استمرار اللجنة فى اتباع الوسائل السلمية ، وكان كثيرون يرغبون فى اتخاذ اجراءات أشد عنفا من تلك التدابير التى كانت تتخذها اللجنة التنفيـــذية (١٥) وكانت الأمة رغم تأييدها للجنــــة فى سياستها تطلب أن تعد اللجنة برنامجا عمليا واسعا يضمن للبـــلاد حياتها المـــادية (١٦) لكن اللجنة لم تعمل فى وقت مبكر على بناء القوة الاقتصادية لعرب فلسطين ولم تضع خططا طويلة المدى للوقف أمام المد الاستعمارى فى فلسطين ، بل كانت على الأغلب تترك الأمور لظروفها تعالجها فى وقتها طبقا لمـــا تقضى به الأحوال .

وكانت اللجنة التنفيذية مستعدة للتفاهم مع الصهيونيين بشرط أساسى وهو الغاء تصريح بالفور (١٧) لكن الصهيونيين لم يكونوا مستعدين للتخلى عن سياسة الوطن القومى بل كانوا يلجئون الى المـــاطلة وكسب الوقت تغريرا بالعرب وتمكينا لهم من تثبيت أقدامهم فى فلســـطين . ورغم أن اللجنة التنفيذية العربية كانت تفهم هـــذا الموقف وتؤكده دائما للجماهير ، الا أنها لم تستطع ان تضع موضع التنفيذ خطة ايجابية تدعم الكيان العربى وتمكنه من مواجهة هـــذا الزحف الاستيطانى .

وقد حدثت خـــلال العشرينيات ثلاثة اضطرابات هامة بين العـــرب والصهيونيين هى اضطرابات القدس فى ابريل ١٩٢٠ واضطرابات يافا فى مايو ١٩٢١ واضطرابات البراق فى أغسطس ١٩٢٩ ، وكانت الحـــكومة تشكل اثر كل اضطراب لجنة للتحقيق فى تلك الاضطرابات ، وقـــد ارجع تقرير الاضطرابات الأولى (لجنة بالين) السبب الرئيسى للاضطرابات الى خيبة أمل عرب فلسطين فى عدم تحقيق الوعـــود التى منحت لهم خـــلال الحرب واعتقادهم أن تصريح بالفور يتضمن انكارا لحقهم فى تقرير المصير وخوفهم من أن يؤدى انشاء الوطن القومى اليهودى الى خضوعهم اقتصاديا وسياسيا لليهود (١٨) وأرجع تقرير الاضطرابات الثانية (لجنة هيكرافت) أسباب اضطرابات يافا الى عديد من الأسباب أهمها اتخاذ الحكومة خطة موجهة أساسا الى تأسيس وطن قومى لليهود وليس لفائدة الفلسطينيين جميعهم وعدم اعترافها بالهيئات التى تمثل عرب فلسطين وسعى المهاجرين لاحداث نزاع اجتماعى واقتصادى فى فلسطين .

وأما تقرير اللجنة الثالثة (لجنة شو) فقد ارجــع السبب الرئيسى للاضــطرابات الى خيبــة امانى العــرب القومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادى والسياسى ، واوصت اللجنة بأن تصدر الحكومة تصريحا عن سياستها يحدد تفسيرها للفقرة التي وردت فى صك الانتداب بشأن حقوق الطوائف غير اليهودية ، وان تصدر الحكومة تصريحا واضحا بشأن الهجرة اليهودية وان تعيد النظر فى الادارة التى تراقب الهجرة وأن يعطى للمصالح غير اليهودية رأى فى المباحثات حول الهجرة ، كما أوصت باجراء تحقيق عن الزراعة وسكنى الأرض وأن يوقف طــرد المزارعين من أراضيهم الى أن يجرى ذلك التحقيق (١٩) .

ولم تبذل الحكومة البريطانية خــلال تلك المرحلة أى جهــد حقيقى لاصلاح الأوضاع الخاطئة التى أشارت اليها تقارير اللجان العديدة التى ارسلتها الى فلسطين ، وكأن هــذه اللجان كانت لجان تخدير وتهدئة ولم تكن لجان بحث واستقصاء ، بل ان أحد تقارير هــذه اللجان لم تسمح الحكومة بنشره فى حينه ولم تقدمه حتى للجنة شو التى ارادت الاطــلاع على هــذا التقرير ، ولم يكن ذلك الا لسبب واحد هو أن هــذا التقرير أدان الســاسة الصهيونية وانتقــد موقف الادارة البريطانيــة المتعاطف معهــا .

ولم تكن هــذه اللجان تتعرض للأسس التى قام عليها الانتداب وانما كانت مهمتها تنحصر فى التعرض للتطبيقات العملية لهــذه الأسس وفى الأسباب المباشرة للاضطرابات ، وفى تقديم توصــيات تكفل منع تكرار تلك الاضطرابات واعداد تقارير وتوصيات عن أوضاع البلاد الاقتصادية . وقد أخذت جميع هــذه اللجان موقف التأييد للحق العربى — ســواء كان ذلك صراحة أو ضمنا — ونبهت الحكومة البريطانيــة الى خطورة الأوضاع القائمة ، وقدمت توصيات كان الأخذ بها يدخل فى اطار المبادىء الأساسية للانتداب الذى تعهدت به بريطانيا ، وهو الحفاظ على المصــالح المختلفة للعرب واليهود ، لكن الحكومة البريطانية لم تكتف بتجاهل ما جاء بهــذه التقارير من توصيات بل انها عملت كثيرا ضد توصيات هــذه اللجــان بدفعها الى ذلك حرصها على العمل الحثيث من اجل توفير الجو المناسب لبناء الوطن القومى اليهودى دون اهتمام أو رعاية للمصالح العربية .

وأرسلت الحكومة البريطانية — تنفيذا لتوصيات لجنة شو — جون هوب سمبسون احد المختصين فى مسألة الأراضى لاعداد دراسة عن مسائل الهجرة والاستيطان والتحسين قبل أن تقوم الحكومة باصدار بيان عن السياسة التى تنوى اتباعها فى فلسطين وكان تقرير هذا الخبير مؤيدا لمطالب عرب فلسطين فيما يتعلق بالهجرة وبيع الأرض ، فاستقبلوه برضاء خاص واعلنوا انهم وجدوا فيه حلا للخطر الاقتصادى الذى كان يواجههم وازالة للسيادة الصهيونية على مقدراتهم (٢٠) .

وعندما قدم سمبسون تقريره وضعت الحكومة البريطانية فى أكتوبر ١٩٣٠ كتابا أبيض عن خطتها السياسية كان اول بصيص من النور يلوح لعرب فلسطين خلال اثنتى عشر سنة برغم ما فيه من تمسك بأسس السياسة البريطانية وتعزيزا لتصريح بالفور وصك الانتداب ، فقد اعترف بأن فلسطين لا تتسع لمهاجرين جدد واشار الى الاضرار الفادحة التى لحقت بالمزارعين العرب من جراء انتقال الأراضى اليهود ، وأوصى بتقييد انتقال الأراضى حفاظا على حقوق الفلاحين (٢١) .

ونظرا لما كان يقال حينئذ من وجوب اتباع سياسة ايجابية وتجربة التعاون مع الحكومة البريطانية ومع اقتناع الزعماء المسئولين بعدم صدق البريطانيين فى سياستهم ووعودهم ، فقد اعلن عرب فلسطين بوجه عام قبولهم للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ وأعربوا للحكومة البريطانية عن استعدادهم للتعاون على أساسه (٢٢) .

ومع أن هذا الكتاب لم يلق بالا لملاحظات شو الخاصة بالأحوال السياسية فى البلاد التى كانت سبب كل اضطراب ولا للمظالم التى حاقت بالعرب ، فقد استقبله الصهيونيون بعاصفة من الاحتجاج والاستنكار لما ورد فيه من اشارة الى تأمين العرب على مستقبلهم (٢٣) .

وأتت هذه الحملة أكلها ، ففى ٦ نوفمبر ١٩٣٠ كتب وزير المستعمرات اللورد باسفيلد الى التايمس مطمئنا نافيا عزم الحكومة على وضع تشريع يحظر على الوكالة اليهودية والجمعيات الصهيونية الاستمرار فى سياستها المعروفة فى مسألتى الأراضى والمهاجرة (٢٤) . ودعا رئيس الوزارة البريطانية الوكالة اليهودية الى تعيين لجنة تتشاور مع لجنة وزارية خاصة حول السياسة الفلسطينية (٢٥) .

وعقد مجلس العموم البربطانى جلسة صاخبة لمناقشة سياسة الحكومة ، وكانت هناك حملة من عدد كبير من أعضاء المجلس على سياسة الحكومة وعدم تعاطفها الكامل مع سياسة الوطن القومى اليهودى التى التزمت بها بريطانيا (٢٦) . وكان واضحا من نتيجة المناقشة أن الحكومة البريطانية لم تستطع أن تقف ولو مؤقتا موقفا منصفا من قضية فلسطين .

ونشرت نتيجة المداولة بين اللجنة الوزارية والوكالة اليهودية فى ١٣ فبراير ١٩٣١ ليس فى شكل بيان سياسى معدل وانما فى شكل خطاب من رئيس الوزارة البريطانية الى الدكتور وايزمان ، وهذا الخطاب لم يرفض السياسة التى وردت فى الكتاب الأبيض لكنه شرحها وفسرها ، وبالنسبة للنقاط الهامة مثل الانتفاع بأراضى الدولة للمستوطنين اليهود كان التفسير أكثر تعاطفا لمطالب اليهود مما بدا فى الكتاب الأبيض ، لكن الاختلاف الحقيقى الملفت للنظر لم يكن فى نقاط الرأى أو السياسة بل فى لهجة الكتاب (٢٧) . فلهجة الكتاب الأبيض لهجة حكومة واثقة من نفسها عازمة على تطبيق سياستها ، أما لهجة ماكدونالد فهى لهجة تستعطف ، وتهدف الى تهدئة الخواطر ووضع حد لضجيج يزعجه ويخيفه فهو يقبل مطالب الصهيونية زاعما أنه لم يقصد مخالفتها .

وقد اصطلح العرب على تسمية هذا الكتاب بالكتاب الأسود باعتباره صفحة سوداء فى تاريخ السياسة البريطانية (٢٨) . وكتب رئيس اللجنة التنفيذية العربية الى المندوب السامى معلنا أن الكتاب الأسود قد أوجد سياسة جديدة مناقضة تماما لما تضمنه الكتاب الأبيض ، وأعلنت صحيفة فلسطين أن العرب كانوا ضحية « نصب » (٢٩) .

وأثارت تلك السياسة عرب فلسطين ، لكن اللجنة التنفيذية العربية التى كانت تستيقظ أحيانا لتصدر البيانات كانت فى ذلك الوقت أضعف من أن تفعل شيئا ، وجرت محاولات للانقاذ كان منها انعقاد المؤتمر الاسلامى فى القدس فى ديسمبر ١٩٣١ (٣٠) والذى نشأت فكرة عقده بمناسبة ارسال لجنة البراق الدولية من قبل عصبة الأمم الى القدس فى مايو ١٩٣٠ للتحقيق فى قضية حائط البراق ودعاوى كل من العرب واليهود فى ملكيته .

ولم يكن عرب فلسطين راضين عن استمرار اللجنة التنفيذية فى اتباع تلك السياسه وكان كثيرون يطالبون بالتخلى عن سياسة التهدئة والوسائل السلمية (٢١) . بل ان بعض الشباب العربى الفلسطينى اتهم زعماء الحركة الوطنية بانهم يتعاونون مع الانجليز ويهادنونهم وانهم يوجهون الحركة الوطنية ضد الصهيونيين وحدهم بينما الانتداب هو الخطر الحقيقى ، ولم يسلم أمين الحسينى من توجيه مثل هذا الاتهام (٢٢) .

ومع بداية الثلاثينيات وازدياد الوعى العربى وادراك اللجنة التنفيذية العربية أن وسائلها لم تحقق للبلاد شيئا وان كل الجهود التى بذلتهسا لاقناع الحكومة البريطانية بتغيير سياستها ذهبت سدى ، وأن أراضى البلاد تنتقل رويدا رويدا الى اليهود ، وأن قوافل المهاجرين تتوالى على البلاد بالطرق المشروعة وغيرها ، وأن الأعوام تمضى دون أن يحصل العرب على حق من حقوقهم الأساسية ، بالاضافة الى الضغط الشعبى على اللجنة ، كل ذلك دفع اللجنة التنفيذية الى مزيد من الحركة والفعالية حتى لا تفقد ما بقى لها فى نفوس الجماهير . لكن اللجنة التنفيذية لم تقرر سياسة اللاتعاون دفعة واحدة ، بل رأت أن تبدأ البلاد بالمقاطعة الاجتماعية واقامة المظاهرات كبداية لسياسة التحدى . فتنظيم مظاهرات ١٩٣٣ كان يعنى فى حقيقة الأمر اعلام الحكومة البريطانية أن العرب تأكدوا أن الوطن القومى اليهودى هو وليد السياسة البريطانية وانهم سيوجهون كفاحهم ضد هذه السياسة بدلا من توجيهها ضد السياسة الصهيونية وحدها .

وقد أوضح تقرير حكومة الانتداب لعام ١٩٣٣ أن اضطرابات أكتوبر ونوفمبر من ذلك العام قد أوضحت تغير نظرة العرب الى حكومة الانتداب (٢٣) . ويؤكد هذه الحقيقة حرص العرب خلال تلك الانتفاضة على عدم اصابة أحد من اليهود (٢٤) . بعكس ما حدث فى كل الاضطرابات السابقة تأكيدا منهم لمعنى توجيه عدائهم الى الانتداب بشكل أساسى والى الحركة الصهيونية بشكل ثانوى .

ويرجع هذا التغير الى ثلاثة عوامل رئيسية :

الأول : ازدياد نضج الفلسطينيين سياسيا وفهمهم لحقيقة الانتداب وايمانهم بأن الاستعمار هو أصل الداء ، ولم يكن ذلك واضحا فى أذهانهم فى السنوات العشر الأولى من الانتداب فعرب فلسطين حديثو عهد

بالاستعمار الأوربى لأن علاقتهم المباشرة به بدأت منذ عام ١٩١٧ فهم ليسوا أصحاب تجارب سياسية ، ولا يمكن مقارنتهم بغيرهم ممن خبروا الاستعمار الأوربى سنوات طويلة . فقد ظلت هـذه المنطقة التى عرفت سياسيا فيما بعد باسم فلسطين عدة قرون تحت الحكم العثمانى فى ظروف متخلفة ، ومع انهم كانوا يشاركون فى حكم انفسهم وادارة شئونهم عن طريق بعض المجالس التمثيلية لكن تلك المجالس لم تؤثر كثيرا فى نضجهم السياسى .

وقد ترتب على عدم فهم عرب فلسطين لحقيقة العلاقة بين الاستعمار البريطانى والحركة الصهيونية فى بداية الأمر ان ظلوا طوال العشرينيات يحسنون الظن ببريطانيا ويتوقعون أن تغير سياستها وتتخلى عن فكرة الوطن القومى اليهودى وتساعدهم على تحقيق الاستقلال .

وخلال تلك الفترة كانت السياسة البريطانية تعمل على توجيه طاقات عرب فلسطين تجـاه اليهود ، وتستقطب غضبهم بارسال لجـان التحقيق او بالدخول فى مباحثات مع ممثلى العرب ، وعملت تلك السياسة من ناحية اخرى على اثارة الخلافات الشخصية بين اهـل البـلاد : مجلسيين ومعارضين ، مسلمين ومسيحيين ، وخلقت بعض الأحزاب المؤيدة لسياستها ودفعت أحزاب أخـرى الى أخذ مواقف معادية للحركة الوطنية .

ومع الازدياد النسبى فى عدد خريجى المدارس العالية وانشاء وحدات ومؤسسات اقتصادية ، وهجرة اعداد كبيرة من الفـلاحين الى المدن بدأت تظهر قوى اجتماعية جديدة ممثلة فى المثقفين وعمال الصناعة . وعنـدما لم يكن فى مقدور القيادة الوطنية أن ترفع شـعار المقاومة المسلحة بدأت قيادات أخـرى فى الظهور كان أبرزها قيـادة الشيخ عز الدين القسـام الذى رفع شـعار الثورة المسلحة وقاد رجاله فى أول معركة ليضرب المثل والقدوة الصالحة ويدل الجماهير على الطريق .

اما العـامل الثانى فى احداث ذلك التغير السـياسى ، فهو ازدياد الهجرة بمعدلات كبيرة فى السنوات الأولى من الثلاثينيات حتى أنها فاقت فى عام ١٩٣٣ ، كل ما هاجر الى فلسطين فى السنوات الست السـابقة لذلك العـام . وليس هنـاك شك فى أن هدوء العرب ــ النسبى ــ بعد عام ١٩٢١ مرتبط الى حد كبـير بضعف الهجرة اليهودية فى السـنوات

التالية (٣٥) . كما أن تعاظم نشاطهم السياسى ابتداء من عام ١٩٣٣ كان مرتبطا ، بازدياد الهجرة فى تلك السنوات (٣٦) .

وكان المؤتمر الصهيونى الثامن عشر الذى عقد فى براغ فى اغسطس ١٩٣٣ قد طالب بضرورة بناء الوطن القومى فى أسرع وقت ممكن وعلى اوسع نطاق واعلن المؤتمر عن رغبة اليهود فى ايجاد علاقات سلام وتعاون مع الشعب العربى فى فلسطين ومع الأقطار المجاورة على أساس عدم تقييد الهجرة أو الاستيطان فى فلسطين (٣٧) . وأعلن مؤتمر صهيونى آخر عقد عام ١٩٣٥ ، أن فلسطين هى « البلد الوحيد المفتوح اليوم للهجرة اليهودية على نطاق واسع » وطالب « بوجوب متابعة الهجرة والتوطين أسرع بكثير من أى وقت مضى » (٣٨) .

رأى عرب فلسطين كل ذلك وتمثلت أمام أعينهم علامات الخطر ، ورأوا حكومة بريطانيا تضرب عرض الحائط بتقارير الخبراء واللجان التى دعا بعضها الى استشارة عرب فلسطين فى أمر الهجرة واكد آخرون عدم مقدرة البلاد على استيعاب مهاجرين جديد ، فاضطربت نفوسهم وادركوا أن بريطانيا هى سبب كل ما نزل بهم من بلاء — فلولاها ما كانت الهجرة اليهودية ولولاها ما كان حرمان البلاد من حقوقها السياسية .

وأما العامل الثالث الذى كان له أثره فيما طرأ من تغير على استراتيجية الحركة الوطنية فى تلك الفترة ، فهو ازدياد مساحة الأراضى التى انتقلت لليهود ، فقد تبين من السجلات الرسمية أن مساحة الأراضى العربية التى انتقلت الى ملكية اليهود بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٢ ، (١١٨٤٥٣ دونما) بخلاف مساحة كبيرة أخرى انتقلت الى اليهود ولم يتم تسجيلها (٣٩) .

تلك هى العوامل الرئيسية الثلاث التى ساهمت فى استقامة الخط الوطنى خلال سنوات النصف الأول من الثلاثينيات : وهى ازدياد نضج عرب فلسطين سياسيا ، وتضخم الهجرة اليهودية اعتبارا من عام ١٩٣٣ ، وازدياد مساحة الأراضى التى انتقلت لليهود فى تلك الفترة .

ونظرا لأن اللجنة التنفيذية العربية لم تكن على مستوى التغير فى استراتيجية الحركة الوطنية ، فقد كانت وفاة موسى كاظم الحسينى فى

مارس ١٩٣٤ وعدم قدرة تلك اللجنة على قيـادة الحركة الوطنيـة بفكر جديد سببا فى انفراط عقدها فى أواخر ذلك العـام ودافعا للكتل الرئيسية التى كانت تنضوى تحت لواء تلك اللجنة الى تكوين أحـزاب سـياسية جديدة .

فقد تشكل فى تلك الفترة عدد من الأحزاب الفلسطينية هى : حزب الدفاع الوطنى (٢ ديسمبر ١٩٣٤) . الحزب العربى الفلسطينى (٢٤ مارس ١٩٣٥) ، حزب الاصلاح (يونيه ١٩٣٥) ، حزب الكتلة الوطنيـة (٤ اكتوبر ١٩٣٥) ، وكان قد سبق تشكيل هـذه الأحزاب تأسيس حزب الاستقلال العربى الفلسطينى (٤ أغسطس ١٩٣٢) .

ولم تكن تلك الأحزاب احزابا سياسية بالمفهوم الغربى ، فلم يكن بامكانها أن تقـدم للجمهور وعودا سياسية تحقق لهـا الفوز فى الانتخابات فلم يكن هنـاك حكومة عربية فى فلسطين أو مؤسسات للحكم الذاتى ، ولذا فقد كان هدف تلك الأحزاب أن تحقق هيمنتها على الحركة الوطنيـة — أو على جزء من نشاطها — وليس على أية حكومة . وكان الاعتـدال يقاس بدرجة التعاون مع حكومة فلسطين ، وبالأساليب التى تلتجىء اليها الجماعات السياسية فى تحقيق مطالبها . وكان أعضاء الأحزاب يخرجون من بين ظهرانى العائلات ذات النفوذ ومن الصفوة التى تعيش فى المدينة . ولم يكن يحدث فى الأحزاب أية انتخابات . فلم تكن الاجتماعات منتظمة . وكان الحزب يدعى للاجتماع عندما يريد قادته اصدار توصيات . وغالبـا ما كانت الأحزاب تثبت وجودها بفضل العائلات ذات النفوذ . وكان معظم تلك الأحزاب يعرف بالاسم الرسمى للجماعة أو باسم العائلة المسيطرة ، فالحزب العربى الفلسطينى كان يسمى بجماعة الحسينى أو الحسينيين . وحزب الدفاع الوطنى كان يسمى بجماعة النشاشيبى . وقد اخذ مظهـر الاحزاب السياسية بعض الوقت مظهر المشـادات الحزبيـة ، وشرعت الصحافة العربية فى عام ١٩٣٥ فى شن حملة ضد قادة الأحزاب متهمـة اياهم بوضع المصالح الشخصية فوق المصلحة الوطنية (٤٠) .

ولم تكن هنـاك فروق موضوعية واضحة فى برامج تلك الأحزاب . كلها كانت ترفع شعارات الاستقلال ومقاومة الصهيونية . كذلك لم يكن بينها فروق طبقية أو مذهبية ، فلم تكن هنـاك أحزاب عربية ذات نزعات

اجتماعية معينة اشتراكية أو عمالية أو محافظة فقد كانت كلها تركز على الأهداف الوطنية السياسية ، فاذا اثار اهتمامها شيء من الأهداف التقدمية، فانما يكون ذلك ثانويا أو باعتباره من الوسائل المحققة للأهداف الوطنية، لكن الفروق بين تلك الأحزاب كانت ترجع في الأكثر الى القائمين بها والى نوع العلاقة بينها وبين الشعب ، والى مواقفها من الأحداث وجهودها في خدمة القضية الوطنية (٤١) .

وفي خريف ذلك العام (١٩٣٥) كان الموقف يتدهور سريعا ففي اكتوبر ١٩٣٥ تم اكتشاف أسلحة وذخيرة حربية مخبأة في ارسالية اسمنت مرسلة لليهود من بلجيكا ، وقد قدم ذلك الدليل على أن اليهود كانوا يتسلحون بدرجة كبيرة وركزت الصحافة العربية على التشهير بالحكومة واليهود معا (٤٢) .

وشعرت الجماهير بضرورة قيام كيان قوى يعبر عن راى العرب في المواقف التى تقتضيها ظروف المصلحة والعمل القومي ، فتشكلت لجنة سميت « لجنة الأحزاب » ولم يوافق حزب الاستقلال على الاشتراك فيها . وكانت هذه اللجنة تعقد اجتماعات من آن لآخر لبحث الأمور الطارئة (٤٣) .

وقد تكونت هذه اللجنة على أثر اجتماع عقد في يافا يوم ١٨ اكتوبر ١٩٣٥ بعد حادثة تسلح اليهود ، وعقد اجتماع آخر في يافا يوم ٢١ اكتوبر تقرر فيه اعلان الاضراب في جميع المدن والقرى الفلسطينية يوم ٢٦ أكتوبر احتجاجا على تهاون الحكومة في مراقبة الأمور تهاونا مكن اليهود من جعل فلسطين مستودعا صهيونيا مسلحا (٤٤) .

وأذاعت لجنة الأحزاب بعد اجتماع يافا بيانا الى الأمة بمناسبة هذا الحادث نلمح فيه روحا جديدة غير تلك التى تعودنا رؤيتها في بيانات اللجنة التنفيذية العربية ، فلم يعد مقتصرا على اعلان الاضراب واتباع الوسائل السلمية ، بل أصبحت البيانات تدعو الى ما هو اكثر من ذلك « ولم يكن الاضراب كل ما تتوسل به الأمة لدفع الأذى ورد العدوان ، فان في عزيمتك المشحوذة من القوى الكامنة ما سوف يستمد منه المنافحون عن كيانك ومقدراتك ما يلهمهم وحي الجهاد واعلان حقك في الحياة » (٤٥) .

واجتمع مندوبو احزاب الاصلاح والدفاع الوطني والكتلة الوطنية

والحزب العربى الفلسطينى ولجنـــة مؤتمر الشباب فى أوائل نوفمبر ١٩٣٥ بالقدس لمناقشة اقتراح بالاضراب العـــام ، وتقرر ارجاء اتخاذ قرار فى هذا الشأن حتى عودة المندوب السامى من لندن ، وتقديم مذكرة من الاحزاب اليـــه متضمنة مطالب الأمة الصريحة ومعرفة رده عليها ، على أن يجتمع مندوبو الأحزاب بعد ذلك لتقرير الخطـــة الحـــازمة التى تصـــل بالبلاد الى آمالها (٤١) .

وابرقت لجنـــة اجتماع نابلس يوم ٢ نوفمبر الى رؤساء الأحـــزاب مستنكرة قرارهم بعدم الاضراب لأنها « تعلم انه لا يعبر عن ارداة الأمة العربية التى تعاون الظالمون على ابادتها ، وانمـــا هو دليل على ضعف المتزعمين وهوادتهم » ولم تنتظر مدن فلسطين موافقة قادة الأحزاب فشكلت فورا لجان اضراب ، وأصدرت بيانات تدعو اليـــه واشارت أخبار الصحف فى ١٣ نوفمبر الى اجماع البـــلاد على الاضراب وان كان هنـــاك اختلاف فى الرأى فى مدينة حيفا ، ونشرت الصحف فى نفس اليوم بيان مندوبى الأحزاب بضرورة تأجيل الاضراب ومنع هـــذا فقـــد أضربت البـــلاد اضرابا عاما شاملا (٤٢) .

ويحدث خلال النصف الثانى من نوفمبر حدث ثورى هام كان له اصداء بعيدة على مسار الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ذلك حتى انه يمكن اعتباره ارهاصة طبيعية لثورة ١٩٣٩/٣٦ ، ذلك هو ظهور تلك الحركة الثورية التى قادها الشيخ عز الدين القسام والتى رفعت راية المقاومة المسلحة ضـــد بريطانيا والصهيونية ، وخاضت أول معركة مباشرة ضد القوات البريطانية، وانتهـــت باســـتشهاد الشـــيخ القســـام وعـــدد من رجـــاله يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ .

ولم يكن نشاط الشـــيخ القسام فى هذا الوقت شيئا جديدا ، فتشير الوثائق البريطانية الى أنه كان هناك تدريبات مبكرة لرجال القسام ، وان القسام كان مسئولا بشكل أو آخر عن الهجمات والقـــاء القنابل فى الشمال والتى بلغت ذروتها فى حادثة استشهاده برغم عدم وجود دليل مؤكد يمكن ايراده لتحديد مسئوليته .

وقد احدثت الروايات التى قيلت حول استشهاده هيـــاجا كبيرا ، واعتبرته الطبقات الشعبية والجماهير بشكل عام شـــهيدا لتضيقى الدين

والوطن ، ووجد اسلوبه فى حرب العصابات استجابة شعبية كبيرة ، ورغم انه لم يحقق شيئا يذكر من الناحية العسكرية ، لكنه عبر بطريقة عمليـة عن فكرة معينة ، وضرب المثل لمواطنيه ، ونبه الى اسلوب جديد للنضـال السـياسى (٤٨) .

وقد قيـل بصدد تلك الحركة آراء كثيرة خاصة بالنسبة لتبعيتها لحزب او اتجـاه معين ، لكنه يعتقد من دراسة هـذه الحركة ومن تتبع مسارها انها لم تكن تابعة لأحد . وقد يكون للقسام علاقات مع الحـزب العـربى الفلسطينى أو حزب الاستقلال ، وقد يكون على صلات طيبة مع قيـادة الحركة الوطنية ، لكن ذلك لا يعنى ارتباطه بتلك الأحزاب او تبعيته لقيادة الحركة الوطنية . فحركة الشيخ القسام كانت تقوم على فكرة الجهـاد المسلح، وأن القوة وحدها هى التى تستطيع أن تمنع بريطانيا من الاستمرار فى سياسة اقامة الوطن القومى اليهودى . ولم تكن الأحزاب أو القيادات القائمة فى فلسطين فى ذلك الوقت تؤمن بهذه الفكرة أو تدعو الى انتهاجها . وقد يكون هنـاك تعاون بين الشيخ القسام وبعض القيادات الوطنية ، لكن يعتقد ان هـذه الحركة لم تكن نابعة من حزب معين بل كانت ،نبثقة من احساس دينى عميق لدى رجال القسام وكلهم — أو كل من عرف من شخصياتهم — من الفلاحين والعمال بالخطر الذى يهدد حياتهم من جـراء استمرار الهجرة اليهودية المتدفقة الى فلسطين ونشاط حركة بيع الأراضى لليهود ، وان الوسائل السلمية والطرق المشروعة لم تعد تجدى فتيلا ، وان العمل المسلح وحـده هـو الذى يسـتطيع ان يعيـد الأمـور الى نصـابها .

وقد كان للعامل الاقتصادى أثره من غير شك فى هـذه الحركة ، لكن العامل الدينى كان هو العامل الأساسى فى قيامها . ويظهر ذلك بشكل واضح من دراسة شخصية قائدها ، فهو رجل ذو مكانة دينية واجتماعية ووضع اقتصادى مستقر ، لكن تربيته الدينية وفهمه للاسلام جعلاه رافضا للظلم مستعدا لمقاومته ، ليس لمجرد المساهمة فى تحرير جزء من وطنه ، بل تنفيذا لـما أمر به الله سبحانه وتعالى من وجوب الجهاد فى سبيله ومقاومة الظلم والظالمين .

ثم نأتى الى رجال الشيخ القسام فنجدهم من الرجال الذين التقوا

حوله فى المسجد واستجابوا لتعاليمه وعظاته ، ورغم أوضاعهم الاقتصادية العادية فقد كان كل عضو يسلح نفسه على حسابه الخاص ويبذل شيئا مما يملك لعصبته لكنهم كانوا فى نفس الوقت يرون الخطر يهدد بلادهم ويشاهدون الهجرة اليهودية تتدفق على ميناء حيفا ، ويحسون بما ينتظر بلادهم من هلاك ودمار . وقد كان على شاكلتهم كثيرون لم يتحول الاحساس بالخطر لديهم الى تحرك ومقاومة مسلحة . فالعامل الدينى أساسا هو الذى ملأ قلوبهم بالايمان وهو الذى حرك فيهم كوامن الغضب ، وهو الذى جعلهم يتركون أولادهم وزوجاتهم جهاداً فى سبيل الله .

ومن ناحية أخرى فقد كان الجو السياسى العام فى فلسطين فى تلك الفترة لا يشجع على قيام تحركات ثورية من هذا النوع . فالقيادة السياسية تؤمن بالوسائل السلمية ، والأغلبية العظمى من عرب فلسطين تستجيب لهذه القيادة حتى وان لم يصادف ذلك ميولها ، لكن العامل الدينى هو الذى دفع رجال هذه العصبة الى الخروج عن هذا الاطار الذى كان يحدد مسار الأحداث السياسية فى فلسطين فى ذلك الوقت والى رفع شعار الثورة المسلحة ، تحريرا للبلاد ومقاومة للانتداب والصهيونية (٤٩) .

وبعد استشهاد القسام بخمسة أيام (٢٥ نوفمبر ١٩٣٥) قدم ممثلو أحزاب فلسطين الخمسة — باستثناء حزب الاستقلال — مذكرة الى المندوب السامى تضمنت المطالب التالية :

أولا : تأسيس حكومة ديمقراطية طبقا لميثاق عصبة الأمم وللمادة الثانية من صك الانتداب .

ثانيا : حظر انتقال الأرض العربية لليهود ، وسن قانون مماثل لقانون الخمسة أفدنة فى مصر .

ثالثا : وقف الهجرة اليهودية فورا وتشكيل لجنة متخصصة لتحديد مقدرة البلاد على الاستيعاب ووضع قاعدة للهجرة (٥٠) .

وكانت المجموعات الاستقلالية من الشباب فى تلك الفترة الذين يقودهم شخصيات مثل أكرم زعيتر (نابلس) وحمدى الحسينى (غزة) وهاشم

السبع (يافا) وعاطف نور الله (حيفا) قد استمرت فى الاثارة السياسية واستفادت من الشعور العام من أجل انتزاع القيادة من الأحزاب السياسية وتوجيه الأنظار الى النشـــاط المتطرف . وكان هنـــاك عوامل تركت فى الشعب العربى فى فلسطين آثارا بعيدة المدى وزادت من الشعور المعادى لبريطانيا منها بيـــان وزير المستعمرات فى لنـــدن وقضية طرد المستأجرين العرب فى طبعون ولهجة الصحافة العربية خاصة مقالات أكرم زعيتر فى الجامعة الاسلامية وما تنشره جريدة الدفاع ، واستشهاد الشيخ القســـام والأسلوب الذى سلكته عصبته والسمة الدينية التى أحاطت بها . كل ذلك قـــد زاد من الشعور المعادى لبريطانيا وتحولت العداوة التى كان العرب يضمرونها للصهيونية الى البريطانيين وحكومتهم .

وكان هنـــاك شعور عام بانه اذا لم تقم الحكومة بعمل شىء يرضى الآمال السياسية العربية فان تطورات أخرى ينتظر حدوثها وسيجد بعض قادة الأحزاب أنفسهم مضطرين لتبنى سياسة متطرفة ، ليس فقط من أجل استعادة هيبتهم والحيلولة دون خروج القيادة الوطنية من أيديهم ، ولكن أيضا من أجل اقناع الرأى العـــام ومحاولة اتباع خطة عملية جديدة بعد أن فشلت جهودهم السابقة فى الاحتجاج والمظاهرات والاجتماعات الشعبية . وكان هنـــاك ميل عام يتجه لصالح سياسة عدم التعاون شاملة الدعوة الى عدم دفع الضرائب والى استقالة الموظفين العرب والى تنظيم العصابات المسلحة (٥١) .

وقدم المندوب السامى واكهوب فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٥ مشروعا لمجلس تشريعى الى ممثلى الأحزاب العربية ، كما قدمه الى المنظمات الصهيونيـــة والوكالة اليهودية فى اليوم الثانى ، وأوضح عنـــد تقديمه للمشروع أنه سيتاح للمجلس مجال واسع للمناقشة ، لكن مداولاته ستفرض عليها بعض قيود جوهرية لتمكين المندوب السامى من القيام بمسئولياته لانجاز الالتزامات الدولية التى ألقيت على عاتق الحكومة البريطانية (٥٢) .

وكان هنـــاك تضارب كبير فى موقف القوى السياسية العربية من مشروع المجلس التشريعى ، فقد عارضت مجموعات الشباب الاستقلالية وقادة حزب الاستقلال والحزب العربى الفلسطينى هذا المشروع ، وأدرك عدد من السياسيين القدامى وشخصيات أخرى مزايا هذا المجلس ، لكن

كان من المتوقع أن يعلنوا معارضتهم للمجلس خوفا من هجمات الصحافة والسياسيين المتطرفين ، وكان آخرون يميلون الى طلب ادخال تعديلات على المشروع ، كما فضل البعض انتظار الرد على مطالب الأحزاب العربية فى المذكرة التى قدمت الى الحكومة ، واقترح آخرون أن يقسم العرب انفسهم الى قسمين : قسم يقبل المجلس بتحفظ أو بدون تحفظ ، بينما ينتظر القسم الآخر نتيجة البحث ويكون مستعدا لاستئناف الاثارة .

وتشير الوثائق البريطانية الى أن الهيئات التى كانت تحاول ابراز النقاط المفيدة فى المشروع هى مجموعات يعقوب الغصين وحزب الدفاع الوطنى ، وانهم ومعهم حزب الاصلاح كانوا أكثر ميلا الى قبوله من القوى السياسية الأخرى ، وان عبد اللطيف صلاح كان ينتظر أن يأخذ موقفا مماثلا لولا مجموعة المتطرفين الذين جمعهم حوله ، وأنه حتى نهاية ديسمبر ١٩٣٥ — أى بعد تقديم المشروع بعشرة أيام — لم تكن أية هيئة سياسية أو أية شخصية عربية مسئولة قد اتخذت قرارا نهائيا فى الموضوع ، وأن الأحزاب العربية الخمسة أظهرت نشاطا قليلا أو معدوما فى تلك الفترة انتظارا منها لرد الحكومة على مذكرة الأحزاب (٥٣) .

ولم تتمكن الأحزاب العربية من الوصول الى اتفاق حول المشروع خلال يناير ١٩٣٦ فقد عقد اجتماع للأحزاب فى بيت المقدس يوم ٧ يناير لمناقشة المشروع ، ثم عقد اجتماع آخر فى ١٧ يناير ، لكن لجنة الأحزاب اختلفت على مدى التعديل الذى يجب أن يطلب من الحكومة ادخاله على المشروع ، وكان راغب النشاشيبى واسحق البديرى يستحسنان طلب تعديلات أقل اندفاعا ، واتفق رؤساء الأحزاب الأربعة فى النهاية على أن يقدم كل حزب اجابة منفردة الى الحكومة وأن يلتقوا فيما بعد لتقدير موقفهم النهائى (٥٤) .

وفى ٢٩ يناير ١٩٣٦ سلم المندوب السامى رد الحكومة البريطانية على المذكره التى سبق أن قدمها ممثلو الأحزاب العربية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ ، وكانت خلاصة الرد كما يلى :

أولا : بالنسبة لمطلب اقامة حكومة ديمقراطية فى فلسطين فرد

الحكومة على ذلك يتمثل فى الاقتراحات الخاصة بانشاء مجلس تشريعى فى فلسطين .

ثانيا : بالنسبة لوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقفا تماما ، فان ذلك ليس محل بحث الحكومة البريطانية ، وان القاعدة الأساسية فى هذا الشأن هى ادخال المهاجرين الى فلسطين وفقا لمقدرة البلاد على الاستيعاب، وان الحكومة البريطانية لا تنوى النظر فى التحول عن هذا المبدأ .

ثالثا : ان وزارة المستعمرات توافق على مبدأ سن تشريع يمكن به الا يسمح لمـالك ببيع أى جزء من أرضه اذا لم يكن محتفظا بالحد الأدنى الذى يكفى لاعاشته هو وأسرته ، على أن يستثنى من ذلك قضاء بئر السبع ومناطق المدن والأراضى المزروعة بالحمضيات (٥٥) .

وكان بيـان المندوب السامى محل نقد فى الصحافة العربية ، وعبرت العناصر الاستقلالية عن عدم رضائها على البيـان ، وكان لهم ولبعض السياسيين وشخصيات بدوية من بئر السبع تعليقات مضادة بسبب السماح ببيع الأراضى فى منطقة بئر السبع (٥٦) .

واجتمعت الهيئة العامة لحزب الدفاع الوطنى فى ٢٩ مارس ١٩٣٦ حيث قررت « قبول مشروع المجلس التشريعى فى فلسطين كتجربة ، رغم انه لا يحقق جميع أمانى البلاد ولا رغبات أهلها ، وذلك لاعتقاد الهيئة بأنه يساعد على السير بالأمة نحو الحكم الذاتى » وأما الحزب العربى الفلسطينى فقد ظل موقفه الرسمى غير معروف حتى أصدر الحزب بيانا فى ١٤ ابريل ١٩٣٦ أعلن فيـه رفضه للمجلس التشريعى . وأما الأحزاب الأخرى التى اشتركت فى لجنة الأحزاب فقد وافقت على المشروع . وهكذا ظهر الحزب العربى امام الراى العـام بمظهر الحريص على الاستقلال التام (٥٧) . وأما حزب الاستقلال فقد رفض المشروع رفضا باتا لعـدم ايمـانه بسـياسة التعاون مع الحكومة (٥٨) .

ويعتقد نجيب صدقة أن الذى اغرى الأحزاب العربية لقبول المشروع هو حق المجلس فى بحث مسـالة الهجرة (٥٩) لكنى أختلف معـه تمـاما فلم تكن المسالة مسالة بحث فى موضوع الهجرة لكنها كانت بالدرجة الأولى تعبيرا عن عجز الأحزاب الفلسطينية فى ذلك الوقت وعدم قدرتهـا على

الاستمرار فى قيادة الحركة الوطنية وحرصها على الوصول الى أية تسوية مناسبة تغنيها عن النضال والمقاومة .

ولم تلبث نهاية المجلس التشريعى أن تحددت خارج فلسطين ، ففى ١٦ فبراير ١٩٣٦ نوقش المشروع فى مجلس اللوردات حيث أجمع عــدد من اللوردات يمثلون سائر الاحزاب البريطانية على معارضة المشروع وكان المتحدث باسم الحكومة هو المؤيد الوحيد للمشروع ، وفى ٢٤ مارس نوقش المشروع فى مجلس العموم ، وكانت النتيجة مماثلة لذلك الى حد كبير ، فقد قوطعت تمــاما كلمة المستر توماس وزير المستعمرات فى ذلك الوقت واحد اثنين أيدا المشروع .

واعتبر العرب هــذه النتيجة دليلا قاطعا على النفوذ الصهيونى فى لندن . فهذا المشروع الذى كان العــرب يعتبرونه وسيلة محدودة لتحقيق مطالبهم تبناه المندوب السامى فى فلسطين ووافقت عليــه الحكومة البريطانية ، ومع ذلك فقد رفض المشروع نتيجة للنفــوذ الصهيونى فى البرلمــان البريطانى . وكان محتما أن يقوى عداء العرب للانتداب ولكل ما يمثله ، كما تأكدت مخاوف العرب من أن الانتداب قد يؤدى بهم فى النهاية الى الخضوع للصهيونيين (٦٠) . ويذكر تقرير بريطانى دورى مرســل من فلسطين الى وزارة المستعمرات فى أول أبريل ١٩٣٦ أن العرب أصبحوا متشككين بشكل واضح فى نيات الحكومة بالنسبة للمجلس التشريعى ، وانهم بدأوا يتأكدون ان الأمل فى احراز شىء من التقدم أصــبح مستبعد التحقيق ، وأنه يوجد شك محدود فى أن أى تأخر أكثر من هــذا فى انشاء المجلس التشريعى سوف يترتب عليه اضطراب خطير (٦١) .

وأرادت الحكومة البريطانية أن تخفف من الأثر الذى تركه احبــاط مشروع المجلس التشريعى فى مجلسى العموم واللوردات ــ خاصــة وأن العرب لم يرفضوا المشروع ــ فأوعزت الى المندوب السامى فى فلسطين أن يبلغ قادة العرب أن وزير المستعمرات مستعد لاستقبالهم فى لندن لبحث الأمر معهم . واستقبل المندوب السامى يوم ٢ أبريل عددا من القادة العرب حيث أبلغهم أن وزير المستعمرات استقبل مؤخرا بعض ممثلى الصهيونية الذين قدموا اليــه اعتراضات شديدة بشأن المجلس التشريعى ، وأن وزير المستعمرات قــد فوضه فى دعوة وفد من زعماء العرب للسفر الى لندن

لابداء وجهة نظرهم ، وطلب منهم ان يخطروه عن أسماء أعضاء الوفد والموعد الذى سيصلون فيه الى لندن اذا كان فى نيتهم قبول دعوة وزير المستعمرات . ووجه احد أعضاء الوفد سؤالا الى المندوب السامى عما اذا كان الوفد يستطيع أن يعرض على وزير المستعمرات مسائل الهجرة وبيع الأراضى ، فأجاب المندوب السامى « أنه وان كانت المسألة الرئيسية التى يدور عليها البحث مع وزير المستعمرات هى مسألة المجلس التشريعى، فانه سيكون للوفد الحرية فى ابداء رأيه فيما يتعلق ببيع الأراضى والهجرة » وبعد مناقشة قصيرة اخبر الزعماء العرب المندوب السامى أن رغبتهم الاجماعية هى قبول الدعوة وأنهم يأملون أن يصلوا الى لندن خلال بضعة أسابيع (٦٢) .

وكانت هذه الدعوة مفاجأة طيبة للقادة العرب خاصة بعد تأكدهم أنه سيكون بامكانهم تقديم بيانات بشأن بيع الأراضى والهجرة ، وحدث تحسن فى الوضع السياسى الذى كانت قد افسدته المناقشة فى مجلس العموم ، لكن بعض العرب كانوا مرتابين فى سر هذه الدعوة المفاجئة ، كما أن البعض كان يشعر بعدم الارتياح لتشككهم فى قيام الوفد بمهمته ، وكان آخرون لا يرون فائدة فى هذه الدعوة (٦٣) .

وانتقدت الصحف العربية فى فلسطين تعجل رؤساء الأحزاب وقبولهم الدعوة دون رجوع الى احزابهم او الى الأمة لاستشارتها فى الموضوع ، واعلنت الصحف معارضتها لهذا الوفد اذا لم يتباحث مع الحكومة البريطانية فى القضية الفلسطينية كلها لا فى المسألة التشريعية فقط ، وطالب الرأى العام العربى رؤساء الأحزاب باتخاذ تدابير عاجلة لعقد مؤتر وطنى عام يبحث الموقف الناشىء عن توجيه الدعوة المذكورة ، وتقييد مهمة الوفد بمطالب الأمة الأساسية (٦٤) .

وخلال تلك الفترة كان هناك عاملان خارجيان قد تركا آثارا على الأوضاع الداخلية فى فلسطين . العامل الأول هو تأثير الأحداث فى الأقطار العربية المجاورة خاصة مصر وسوريا . ففى مصر ادت التطورات السياسية فى خريف ١٩٣٥ الى تكوين جبهة متحدة من الأحزاب السياسية طالبت بمعاهدة بين بريطانيا ومصر ، وتميزت الأسابيع الخمسة التى مضت قبل نشر الرد البريطانى بهياج مستمر واضطراب خطير خاصة ما قام به

الطلبة فى هذا الشأن ، وقد خف التوتر عندما اعلنت الحكومة البريطانية عن استعدادها للمفاوضة . وبدأت المفاوضات فى ٢ مارس ١٩٣٦ وانتهت بتوقيع معاهدة التحالف المصرية البريطانية فى ٢٦ اغسطس ١٩٣٦ .

وكان للتجربة المصرية اثر كبير على الراى العام فى سوريا ، ففى يناير ١٩٣٦ نشبت اضطرابات خطيرة واعلن قيام اضراب استمر خمسين يوما ، وفى مارس ١٩٣٦ أعلنت الحكومة الفرنسية عن قرارها بالتفاوض مع السوريين بهدف توقيع معاهدة تحالف (وتمت فى ٩ سبتمبر من نفس العام) .

وارتبطت هذه التطورات فى مصر وسوريا بعداء وطنى مثير فى فلسطين ، ودعت احدى الصحف العربية فى فلسطين قراءها الى اقتفاء اثر التجربة المصرية ، واثار افتتاح المفاوضات الفرنسية السورية عبارات التعاطف القوى مع عرب سوريا ، وكان طبيعيا أن ينظر عرب فلسطين الى تلك الانجازات التى تحققت لأشقائهم ، وأن يسعوا الى الاقتداء بما حققه زملاؤهم الوطنيون فى تلك الأقطار الكائنة علىحدودهم الشمالية والجنوبية. فحتى ذلك الوقت كان الشعب الفلسطينى هو الشعب العربى الوحيد فى المشرق العربى الذى لم يتحقق له أية مكاسب سياسية .

وأما العامل الخارجى الثانى الذى كان له اثره على الأوضاع الداخلية فى فلسطين فهو ذلك الصراع الذى كان دائرا بين ايطاليا وعصبة الأمم بشأن المسألة الحبشية ابتداء من سبتمبر ١٩٣٥ فصاعدا . وكان من الطبيعى أن تهتم الدعاية الايطالية فى تلك الفترة باضعاف الهيبة البريطانية فى المنطقة ، وكانت الاذاعة اللاسلكية فى بارى توجه باللغة العربية انتقادات للاستعمار البريطانى ، وكانت تنبه المستمعين الى ضعف الدور الذى قامت به الحكومة البريطانية من أجل تعليم العرب ، وأوعز الى بعض الوطنيين فى فلسطين أن فرصة قد سنحت للتشديد على مطالبهم (٦٥) .

لقد كان لهذين العاملين الخارجيين أثرهما على التطورات الداخلية فى فلسطين ، لكن العامل الأساسى فى تطور الأوضاع فى فلسطين كان نتاجا للتجربة الفلسطينية وحدها ، واحساسا من الشعب العربى فى فلسطين بالضياع الذى يهدده وبالمستقبل المظلم الذى ينتظره .

ثمانيـــة عشر عاما ظل العرب خلالها مؤمنين بامكان التفـــاوض مع الحكومة البريطانية ، ولم يفقدوا ثقتهم بها الا بشكل تدريجي وبطيء بعـــد ان شاهدوا البرلمان البريطانى يبخل عليهم بمجلس تشريعى مشوه ، ولمسوا نجاح الحركات العربية الشعبية فى البلدان العربية ، فأيقنوا أن لا أمل لهم فى تحقيق أهدافهم القومية الا بالتخلى عن سياسة الاحتجاجات وتقـــديم المذكرات وارسال الوفود (٦٦) .

لم يترك عرب فلسطين طيلة تلك السنوات وسيلة من وسائل الشكوى والاحتجاج ومراجعة الحكومة فى فلسطين ولندن وعصبة الأمم (٦٧) . ولم يكن هنـــاك وسائل قانونية يمكن لعرب فلسطين أن يلجئوا اليها ، لا لكى يتخلصوا من الدولة المنتـــدبة ، بل لكى يتهمـــوها بالتـــلاعب وباســـاءة استخدامها صك الانتداب .

وقد رفضت عصبة الأمم أن تستمع الى التماس من عرب فلسطين ضـــد طبيعة هـــذا الانتداب ، ولم يكن فى هـــذا العالم الرحب أية وسائل قانونية يمكن للعرب أن يلجئوا اليها (٦٨) .

وكانت هنـــاك بعض الأمور التى زادت الأمور تعقيدا وكشفت اللثام عن الوجه الحقيقى للانتداب . فتهريب اليهود للسلاح ، واجلاء عرب وادى الحوارث من أراضيهم ، وتشكيل حاميات يهودية ، واعتداء اليهـــود على أفراد الكشافة العرب الذين كانوا يحرسون الشواطىء لمنع الهجرة غير المشروعة وموقف الحكومة المتحيز من هـــذا الحادث ، وأخيرا موقفها من مشروع المجلس التشريعى . كل ذلك كان بمثابة مواد سريعة الاشتعال تنتظر اقتراب الشرارة منها كى تنفجر .

كان العرب يرون بأنفسهم تبدل وضعيتهم فى بلادهم وهبوط نسبتهم العددية وضياع أراضيهم ومزاحمة لغتهم ومصالحهم الاقتصادية فتنهـــار آمالهم تباعا . كان اليهود فى بدء الاحتلال نحو خمسين ألفا فأصبحوا الآن أكثر من ثمانية أضعاف هـــذا العدد ، ولم يكن لهم حينئذ من الأراضى الا نحو مائة ألف دونم فتضاعف اليوم نصيبهم الى نحو خمسة عشر ضعفا من أخصب الأراضى وأحسنها (٦٩) .

رأى العرب أن بلادهم التى استوطنوها عبر الأجيـــال ، ومرافقهم

الحيوية وتراثهم الديني والاجتماعي كل ذلك يسير سريعا الى التلاشي والعدم ، وخطر الفناء يلوح في المستقبل ، فانفجروا سخطا ، وآثروا أن يخوضوا ميدان الجهـــاد عن ان يحكم عليهم باعدام بطيء منظم (٧٠) . واندفعوا الى الثورة وقد غدا لديهم استمرار الصهيونية والموت سواء بسواء ، فشاءوا أن يموتوا كراما وآثروا أن يدافعوا عن أنفسهم — وان كان دفاع البائس — ولم يتصوروا أن تسلبهم الصهيونية — المستندة الى قوى أجنبية — أرضهم ودارهم ومستقبلهم (٧١) .

كانت القضية قد اصبحت بالنسبة للشعب العربي في فلسطين مسالة حياة او موت ، بقاء أو عدم ، عرب أو صهيونية ، ولم يكن منتظرا والحالة هكذا أن تظل الجماهير متمسكة بسياسة الوسائل السلمية وضبط النفس بعد أن ضاق صدرها ، ونفذ صبرها وفقدت الأمل . . . وفي تلك الظروف السياسية والاقتصادية والنفسية نشبت الثورة .

« المصــادر »

(١) وزارة المستعمرات : اللجنة الملكية لفلسطين ص ٥٩ ، ٦٠.

(٢) الثقافة العربية : آيار ــ حزيران ١٩٥٨ ص ٣٤ ، ٣٥ مقــال لطــاهر كنعان .

(٣) اميل الغورى : المؤامرة الكبرى . اغتيال فلسطين ومحق العرب ص ٥٥ .

(٤) نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ٧٦ .

(٥) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الكراسة الثانية ص ٧٨ .

(6) Bentwich : England in Palestine. p. 41.

(7) Jeffries : Palestine. The Reality. pp. 373, 374.

(٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٦٩ .

(٩) عمر أبو النصر : جهاد فلسطين العربية ص ٦٤ ، ٦٥ .

(١٠) الاستقلال : ١٥ يوليو ١٩٢٢ ص ٢ ، عمر أبو النصر : نهاية اسرائيل ص ١١٦ .

(11) Bentwich : Ibid., pp. 88, 89.

(12) Esco Foundation : Palestine. A Study of Jewish, Arab and British Policies. vol I. p. 470.

(١٣) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٦٩ ، ٧٠ .

(١٤) شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(١٥) حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التى وقعت فى شهر آب ١٩٢٩ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(١٦) فلسطين : ١ تموز ١٩٢٤ ص ٢ .

(١٧) الشورى : ٢٣ أكتوبر ١٩٢٩ ص ٢ .

(18) The Secretary of State for the Colonies : Palestine Royal Commission. Report. p. 50.

(١٩) حكومة فلسطين : التقرير السابق ص ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(20) Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the league of Nations on the Administration of Palestine and Trans-Jardon for the Year 1937. pp. 9, 10, 12.

(٢١) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٤٥ — ١٤٧ .

(٢٢) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ٦٨ ، اميل الغورى : المرجع السابق ص ٦٩ .

(٢٣) نجلاء عز الدين : اعالم العربى ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٢٤) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٤٧ ، ١٤٩ .

(25) Weizmann : Trial and Error. pp. 414, 415.

(26) House of Commons. Parliamentary Debates. Fifth Series. vol. 235. 17 November, 1930, pp. 77, 88 - 90, 96, 99, 104, 118, 208 - 210.

(27) The Secretary of State for the Colonies : Ibid, pp. 74, 75.

(٢٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٥٠ .

(29) Jeffries : Ibid., pp. 636, 637.

(٣٠) ناجى علوش : المقاومة العربية فى فلسطين (١٩١٧ — ١٩٤٨) ص ٦٩ .

(٣١) حكومة فلسطين : التقرير السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣٢) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٧٠ .

(33) Report by His Majesty's Government... for the Year 1933. p. 16.

(٣٤) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣٥) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٣٦) الحكومة البريطانية : تاريخ فلسطين السياسى تحت الادارة البريطانية ص ٣٠ .

(37) Esco : Ibid., vol II. pp. 769, 770.

(٣٨) جيفريز : فلسطين . اليكم الحقيقة . الجزء الرابع ص ١١٩ .

(٣٩) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ص ٢٢٤ — ٢٢٦ من مذكرة اللجنة التنفيذية العربية الى المندوب السامى فى اول كانون الأول ١٩٣٤ .

(40) Hurewitz : The Struggle for Palestine. pp. 60, 61, 63.

(٤١) كامل الدجانى : رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ٨ ينساير ١٩٦٤ .

(42) The Secretary of State for the Colonies : Ibid., p. 88.

(٤٣) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٤٤) الأهرام : ١٩ اكتوبر ١٩٣٥ ص ٤ ، ٢٢ اكتوبر ١٩٣٥ ص٦ .

(٤٥) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الكراسة الثانية . بيان تذيعه الاحزاب الوطنية على الأمة ص ١٢٣ .

(٤٦) مكتبة الهيئة العربية العليا : الكراسة الثالثة . قرار مندوبى الأحزاب بتأجيل الاضراب .

(٤٧) ناجى علوش : المرجع السابق ص ١٠٠ .

(48) F. O. 371/20018 : Periodical Appreciation Summary, No. 18/35.

(٤٩) شئون فلسطينية : دراسة لعادل غنيم عنوانها « ثورة الشيخ عز الدين القسام » يناير ١٩٧٢ ص ١٨١ — ١٩٢ .

(50) Report by His Majesty's Government... for the Year 1935. pp. 15, 16.

(51) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 18/35.

(52) Esco : Ibid., pp. 784, 785.

(53) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 19/35.

(54) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 1/36.

(55) Report by His Ma esty's Government... for the Year 1936. pp. 20, 21.

(56) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 2/36.

(٥٧) ناجى علوش : المرجع السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(58) Esco : Ibid., p. 787.

(٥٩) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٧٤ .

(60) The Secretary of State for the Colonies : Ibid., pp. 91, 92.

(61) F. O. 371/20018 : P. A. S. 7/36.

(٦٢) الأهرام : ٣ ابريل ١٩٣٦ ص ٧ . بلاغ رسمى من قلم المطبوعات فى فلسطين بشأن دعوة الأحزاب الفلسطينية للمفاوضة فى لنـدن ، عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(63) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 8/36.

(٦٤) الأهرام : ٨ أبريل ١٩٣٦ ص ٤ .

(65) The Secretary of State for the Colonies. Ibid., p. 92 - 94.

(٦٦) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٦٧) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ١٨٢ — ١٩٠ — خطاب أمين الحسينى أمام اللجنة الملكية .

(٦٨) جيفريز : فلسطين . اليكم الحقيقة ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٦٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٢٥٩ ، وخطـاب أمين الحسينى أمام اللجنة الملكية ص ١٨٢ — ١٩٠ .

(٧٠) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ص ١٣١ .

(٧١) عصبة العمل القومى : مذكرة العصبة ردا على تقرير اللجنـة الملكية ص ١١ .

الباب الأول

ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩

الباب الأول

ثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩

الفصل الأول

المرحلة الأولى للثورة

« ابريل ١٩٣٦ — اكتوبر ١٩٣٦ »

المرحلة الأولى للثورة

تعتبر ثورة* الشيخ عزالدين القسام البداية الطبيعية لثورة ١٩٣٩/٣٦ فمنذ استشهاد الشيخ القسام كانت هناك عصابات دينية سياسية مماثلة حتى ابريل ١٩٣٦ (١) وقد أكدت جهود الشرطة لتقديم ثوار معركة الشيخ القسام الى المحاكمة وجود محاولات أخرى من هذا النوع فى أواخر عام ١٩٣٥ (٢) . كما أن تقارير بريطانية أشارت فى تلك الفترة الى زيادة شراء الأسلحة من شرقى الأردن بواسطة عرب فلسطين والى ان أعمال العنف المعادية للحكومة أصبحت قريبة الوقوع (٣) .

وأما عن احداث الثورة المباشرة فتتفق المراجع العربيـــة والأجنبية الرئيسية مع الوثائق البريطانية بالنسبة لها حيثتذكر أن بداية تلكالأحداث كانت حادثة سطو عادية قامت بها احدى العصابات العربية مساء الأربعاء ١٥ ابريل على طريق نابلس ــ طولــكرم حيث أطلقت النيران على ركاب عدد من السيارات وقتل يهودى وسلبت العصـــابة ركاب السيارات الذين كان معظمهم من العرب (٤) . ويذكر مصدر آخر ان بداية الأحداث المباشرة كانت هجمات مفاجئة قام بها العـــرب على اليهود فى نفس الطريق خلال النصف الأول من ابريل ١٩٣٦ تبعتها حادثة ١٥ أبريل، وان الحكومة اهتمت بالأمر فأخرجت قوة مسلحة لتعقب هذه العصابة ، ثم ظهرت عصابة ثانية بعد ذلك ، وفى منتصف ابريل ظهرت العصابة الثالثة (٥) التى تسببت فى تلك الحادثة التى اعتبرتها معظم المصادر بداية الأحداث المبـــاشرة للثورة حيث أخذت الأحداث بعدها تتلاحق وتتصاعد حتى تحولت الى ثورةشعبية مسلحة . وقد أكد هذه الحقيقة المجاهد سليم عبد الرحمن فى رسالة منه الى مجلة الرابطة العربية نشرت فى ٢٢ يوليو ١٩٣٦ (٦) .

ولم تكن تلك الأحداث المبـــاشرة مفاجئة للقريبين من النشاط الوطنى فى البـــلاد . بل كان هناك توقع فى أوائل أبريل لمـــا حدث خلال الأيام التالية . فهذه مجلة الشباب القاهرية تنشر فى ٦ أبريل ١٩٣٦ رسالة من فلسطين ورد فيها أن أنبـــاء المناقشات فى البرلمان البريطانى واجمـــاع

اللوردات والنواب على تأييد السياسة الصهيونية قــد مكن اليــأس من النفوس « واذا تمكن اليأس فى النفوس جاز لنــا أن نترقب الحين الذى يجد فيــه سبيله الى التمرد » « فماذا تلده الأيام المقبلة فى فلسطين ؟هذا ما لا نجيب عليه ونترك للقارىء أن يستنبط مانعنى » (٧) .

لــكن تلك الحادثة لم تكن مجرد حادثة سطو . فقد حدث كما يذكر التقرير السنوى لحكومة الانتــداب لعــام ١٩٣٦ وكذلك مصدر صهيونى هام أن العصابة اختــارت ثلاثة من اليهود من ركاب السيارات ووضعتهم معا فى عربة نقل ثم اطلقت النار عليهم عمدا ، فقتلت واحدا وتوفى الثانى بعد ذلك متأثرا بجراحه (٨) مما يؤكد أن الحادثة لم تكن حادثة سطو عادية، بل كانت عملا من اعمال الثأر الوطنى .

ويؤكد هذا المعنى مانشر فى احدى المجلات فى ٢٧ ابريل ١٩٣٦ من انه تألفت فى فلسطين منذ ايام عصابة للثأر للقسام ، وانها استولت على الطريق العــام بين نابلس وطولــكرم واضطرت السيارات الى الوقوف ، وتقدم رئيس العصابة الى المسافرين يطلب اليهم أن يجودوا بشىء من المال لشراء اسلحــة وذخيرة وأخــذ يســأل الراكبين عما اذا كان بينهم جنود بريطانيون أو صهيونيون ، فوجد خمسة يرتدون القبعة فأمرهم بمغــادرة السيارات ثم تحقق من شخصياتهم فتبين له أن ثلاثة منهم صهيونيون فأمر بقتلهمفورا، واطلقتالنيران عليهموأفراد العصابةيصيحون «بالثأرات القسام» وتبين أن الشخص الرابع مسيحى وطنى فأخلى سبيله بعــد أن أسمعه القائد كلمات عنيفة للبسه القبعة ، واما الخامس فكانالمانيا قيل له « انطلق فقد تركناك حيــا اكراما لخاطر هتلر » ثم ســارع أفراد العصــابة الى الاختفــاء (٩) . وهذه الرواية ـــ خاصة ماورد عن وجود ثلاثة من اليهود ضمن الركاب واطلاق النــار عليهم ـــ تتفق مع الرواية التى أشار اليها المصــدر الصهيونى السابق والتقرير السنوى للحكومة لعام ١٩٣٦ .

بل ان البلاغ الرسمى عن هذا الحادث يشير الى « عصابة جديدة » استوقفت عددا من السيارات وسلبت ركابها ما يحملون من دراهم (١٠). فرغم ان الحادث تخللته عملية استيلاء على أموال المسافرين ، لــكن الذين قاموا بالحادث لم يكونوا عصابة من عصابات النهب أو السرقة ، بل كانوا عصابة من الثوار العرب .

وفى فجر ١٧ أبريل وجد اثنـــان من العرب مقتولين فى كوخهما قرب قرية بتاح تكفا على طريق ملبس ـــ كفر سابا . أحدهمـــا فلسطينى هو حسن أبو راس والآخر مصرى هو سليم المصرى الذى كان ضيفا عند صديقه الفلسطينى فى تلك الليلة . وقـــد قرر احد الضحايا قبل موته أن المهاجمين كانا يهودا وأدلى بأوصافهما (١١) .

وتصعيدا للموقف حول اليهـــود فى تل أبيب فى ١٧ أبريل جنـــازة اليهودى فى حادثة ١٥ ابريل الى مظاهره صـــاخبة رددوا فيها هتـــافات معاديه للعرب والحكومة ، واعتدوا على العرب المـــارين ، واشتبكوا مع قوات الشرطة كما اعتدى اليهود فى نفس اليوم على كثير من باعة الخضر العرب فى تل أبيب ، وهتفوا منـــادين بمقاطعـــة العرب ، وبدأت هجمات متتابعة على العرب فى منطقة تل أبيب (١٢) .

ويشير التقرير السنوى لحكومة الانتداب عن عام ١٩٣٦ الى استمرار الاعتـــداءات اليهودية على العرب يوم ١٨ ابريـــل فى تل أبيب وفى حى المنشية بيـــافا القديمة ، ويؤكد أنه فى يومى ١٧ ، ١٨ أبريل لم تبلغ الى الشرطة أى حالة من حالات الانتقام من جانب العرب (١٣) .

وتوفى الجريح اليهودى فى حادث اليوم الخـــامس عشر من أبريل يوم السبت ١٨ أبريل ، وشيعت جنازته فى اليوم التـــالى فى مظـــاهرة صاخبة ، واخذ يهود المـــدينة يعتدون على من يرونه من العرب ، وحاولوا معاودة الهجوم على يافا ، لكن رجال الشرطة حالوا بينهم وبين ذلك (١٤).

وسرت شائعة صباح ١٩ أبريل بأن اليهود قتلوا رجلين وامرأة من العرب فأحدث ذلك هيـــاجا فى أهل يافا ، وذهبت جموع الناس الى دار الحكومة حيث أبلغوا بعدم صحة الخبر ، ووصل الى يافا حينئذ عدد من المصابين العرب فزاد ذلك من ثورة الجمهور ، وأخذوا يضربون ويقتلون من يشاهدونه من اليهود ، وانتشرت الفـــوضى فى يافا ، وأغلقت المتـــاجر والمخـــازن ، وتعطلت الأعمـــال فى الميـــناء ، وحدث صـــدام بين العرب واليهود فى كثير من الأماكن خاصـــة تلك الـــكائنة فى ضواحى يافا وتل أبيب حتى اضطر العرب واليهود فى عـــدد من الضواحى والأحيـــاء الى النزوح عنها الى اماكن أخرى ، وقتل فى هذا اليوم طبقـــا للبلاغ الرسمى ٩ أشخاص سبعة منهم من اليهود ، كما جرح ٣٩ يهوديا وخمســـة عشر

عربيا ، واعترف البيان أن وفاة العربيين كانت ناتجة من طلقات الشرطة (١٥) . وقد شاركت جماعة القسام فى أحداث ذلك اليوم ، فقد خرج فرحان السعدى أحد رجال القسام وقتل ثلاثة من اليهود (١٦) .

وفرض حظر التجول فى يافا وتل أبيب مساء ١٩ أبريل ، كما نفذ فورا فى جميع أنحاء فلسطين قانونا الدفاع والطوارىء (وقد أدخلت فيما بعد اضافات متعددة على قوانين الطوارىء) (١٧) وكان ذلك يحدث كلما احتاج الموقف الى مزيد من الاجراءات أو السلطات أو التفويضات طبقا لأحداث الثورة ووسائلها ، مما يوضح أن الثورة كانت تتطور بطريقة سريعة غير متوقعة ، وأنها كانت تجدد فى أساليبها مما يضطر الحكومة الى اضافة تعديلات مختلفة لمواجهة تلك التحديات الجديدة .

وبدأ فى نفس اليوم تشكيل اللجان القومية التى كانت قاعدة النشاط الوطنى أثناء الثورة (١٨) . وهناك اختلاف بين المراجع العربية الهامة عن أول لجنة قومية تشكلت فى فلسطين فى أبريل ١٩٣٦ ، فتذكر بعض هذه المصادر أن أول لجنة قومية شكلت فى مدينة يافا (١٩) بينما يؤكد مصدر آخر أن أول لجنة قومية شكلت فى القدس ويافا (٢٠) لكن معظم المصادر العربية الهامة والمعاصرة تشير الى أن أول لجنة قومية شكلت فى مدينة نابلس (٢١) وتتفق الوثائق البريطانية وبعض المصادر الصهيونية والأجنبية الهامة مع الرأى الأخير (٢٢) .

وتؤكد احدى الوثائق العربية أن مدينة نابلس لم تكن فقط أول مدينة تشكل لجنة قومية ، بل كانت أيضا أول مدينة تعلن الاضراب العام وتدعو المدن الأخرى اليه . فقد عقد اجتماع بمدينة نابلس مساء الأحد ١٩ أبريل حضره عدد من رجالات المدينة لبحث الحالة فى البلاد . وتكلم أكرم زعيتر عن أسباب عقد الاجتماع فأوضح أن حوادث هجوم اليهود من تل أبيب على عرب يافا تستلزم العمل على انقاذ البلاد، واقترح المبادىء التالية أساسا للحركة الجديدة :

أولا : أن تتولى مدينة نابلس قيادة الحركة الوطنية على أساس قومى لا حزبى ، وأن تكون هذه الحركة مستقلة عن الأحزاب القائمة وأن تتجه ضد البريطانيين أولا باعتبارهم أس البلاء وليس الى مقاومة الصهيونية وحدها .

ثانيا : أن تتولى نابلس الاتصال الفورى بسائر المدن لتوحى اليها بالاجراءات المطلوبة ، دون انتظار لموقف الأحزاب .

ثالثا : الا تهدأ الحركة الجديدة مالم تحقق هدفا من أهدافها ، وأن يكون الهدف الملح للحركة هو وقف الهجرة اليهودية .

رابعا : أن تقوم الحركة على التنظيم ، وأن تكون بادرة ذلك تأليف لجنة تتمتع بصلاحيات مطلقة لتنظيم الحركة الوطنية فى نابلس، وأن يشترك الفلاحون مع أبناء المدينة فى تنظيم هذه الحركة .

وعندما أقر المجتمعون هذه المبادىء اقترح أكرم زعيتر أن يعلن الاضراب العام فى نابلس ، وأن تدعى سائر المدن الى الاضراب حتى تجاب مطالب البلاد . فووفق على تلك المقترحات ، وجرى انتخاب اللجنة القومية الأولى ، واعلن أكرم زعيتر هذه القرارات على الجماهير فى المدينة ، واخذ عليهم العهد بتنفيذها ، وعقدت اللجنة أول اجتماعاتها مساء نفس اليوم ، ونشر فى الصحف الفلسطينية صباح يوم ٢٠ ابريل بيان من اللجنة الى الأمة تدعو فيه المدن الفلسطينية الى تاليف لجان مماثلة واستمرار الاضراب حتى يتم اجتماع اللجان القومية بعد تاليفها ، فتبحث فى الموقف وتحدد وسائل الكفاح المقبلة (٢٣) .

وكانت يافا قد أضربت عن بكرة أبيها منذ صباح ٢٠ ابريل وتعطلت الحركة فى الميناء وشبت الحرائق فى أماكن كثيرة ، واجتمع صباح نفس اليوم بمكتب لجنة مؤتمر الشباب بيافا فريق كبير من أهالى يافا يمثل مختلف طبقاتها ، ورأوا أن هذه الحالة السيئة هى نتيجة طبيعية للاحوال الشاذة والسياسة الغاشمة وقرروا مبدئيا اعلان الاضراب العام فى يافا « اعلانا لسخط العرب عن هذه الخطط الفاسدة التى يقصد منها ابادة العربى فى بلده العربى » وانتخبوا لجنة لتنظيم الاضراب ، واصدروا بيانا دعوا فيه الأمة العربية فى سائر الجهات الى العمل بهذا القرار (٢٤) .

وتصاعد الموقف شيئا فشيئا ، فقد حدثت فى نفس اليوم مصادمات خطيرة على الحدود بين يافا وتل أبيب ، وسرت شائعات ترتب عليها تجمع عدد كبير من الأهالى العرب واليهود وقتل خلال ذلك عربيان ويهوديان كما جرح ٣٢ عربيا و٢٦ يهوديا (٢٥) .

وعندما اضربت مدينتا نابلس ويافا منذ صباح ٢٠ أبريل لم يكن هناك وجود فعلى للجنة الأحزاب التى سبق تكوينها فى ١٨ اكتوبر ١٩٣٥ وهكذا كانت حركة الجماهير أسبق من قيادتها ، واعطى الشعب العربى فى فلسطين لقيادته اشارة البدء لاعلان الاضراب العام .

وكانت تجربة الاضراب الناجح فى يافا مثلا يحتذى أمام المدن العربية الأخرى التى اخذت تعلن الاضراب حتى لم يمض بضعة أيام الا وعم الاضراب جميع مدن فلسطين (٢٦) . وقامت اللجان القومية فى كل مدينة بالاشراف على حركة الاضراب وتنظيم شئون المدينة وجمع الاعانات (٢٧) .

ويتضح من بيان للجنة القومية من حيفا (٢٨) ان هذه اللجان شكلت سريعا فى مدن فلسطين ، وان مدن فلسطين لم تضرب جميعها فى وقت واحد حيث ان البيان يدعو الشعب العربى فى حيفا الى الاضراب اعتبارا من ٢٢ ابريل .

وسارعت بعض الأحزاب الفلسطينية الى التجاوب مع فكرة تشكيل اللجان القومية وتاييد الأضراب ، فقد تكونت بعض اللجان القومية بقيادة الاستقلاليين ومؤتمر الشباب وارتبطت الكتلة الوطنية ببعض اللجان الأخرى (٢٩) وما ان حل آخر شهر ابريل حتى كانت اللجان القومية قد شكلت فى جميع مدن فلسطين التى يتركز فيها العرب وفى بعض القرى الكبرى (٣٠) .

وحرص الحزب العربى على تأييد الاضراب اعتبارا من ٢١ أبريل ١٩٣٦ « وكان المعتدلون ممثلين بحزب الدفاع الوطنى بزعامة راغب النشاشيبى وفئات التجار ـ الذينهم اشد الفئات تعرضا للخسارة ـ ميالين لتحديد مدة معينة للاضراب » وان كانوا يرون ضرورة القيام ببعض المبادرات الوطنية القوية (٣١) .

ومحاولة من المندوب السامى لامتصاص موجة الغضب العربى البادية فى الأفق استقبل فى ٢ ابريل ١٩٣٦ بعض الزعماء العرب ، واوضح لهم انهم يشعر ان كل واحد قد اسف للاضطرابات والخسائر المتلاحقة فى الأرواح ، وأنه يعتمد على استخدام نفوذهم لتهدئة الحالة ، وطلب منهم أن يوضحوا لكل من يخضع لتأثيرهم أن رجال الشرطة لن

يترددوا فى اخماد اية اضطرابات ، كما حثهم على بذل جهودهم بين طلبة المدارس لاقناعهم بالعودة الى دراستهم (٣٢) وقد ارجع الزعماء ماحدث الى السياسة التى سارت عليها الحكومة ، وذكروا له الأساليب التى يتبعها رجال الشرطة مع العرب ، وطالبوا بوقف تدفق الهجرة . وأجابهم المندوب السامى بأن مسألة الهجرة من المسائل المتعلقة بالسياسة العليا التى سيبحثها الوفد العربى فى لندن (٣٣) .

وكان المندوب السامى يأمل بواسطة الزعماء العرب الذين استقبلهم اتاحة الفرصة للدبلوماسية البريطانية كى تمارس سياستها التقليدية فى تهدئة الأمور ، وتهيئة الجو المناسب للادارة المنتدبة كى تعالج الموقف الداخلى ، لكن قبول ارسال وفد عربى الى لندن فى تلك الظروف دون اتفاق على النقاط التى سيتم بحثها أو دون ايقاف مؤقت للهجرة اليهودية كان مسألة متعذرة بالنسبة لزعماء فلسطين ، والا فقدوا ماكان قد بقى لهم فى نفوس الجماهير .

وحرصا على مسايرة الاتجاه الشعبى عقد ممثلو الأحزاب العربية اجتماعا صباح يوم ٢٢ أبريل بمكتب حزب الدفاع الوطنى للبحث فى الحالة الحاضرة وارسال الوفد الى لندن ، واحتشد فى فناء المبنى اثناء الاجتماع عدد كبير من تجار المدينة وأعضاء النوادى وتلاميذ كلية الروضة ، ووضعوا كتابا قدموه لممثلى الأحزاب تضمن طلب استمرار الاضراب الى أن تقرر الحكومة وقف الهجرة وبيوع الأراضى على الا يتقرر ارسال وفد الى لندن قبل اجابة هذين المطلبين . وبعد ان اتخذ ممثلو الأحزاب قراراتهم تلاها جمال الحسينى على المحتشدين فى المبنى ، وكانت تخلص فيما يلى :

أولا : ان ممثلى الأحزاب مع موافقتهم على مبدأ ارسال وفد الى لندن فانهم يرون من المصلحة تأجيل ارسال هذا الوفد .

ثانيا : الرجاء الى الأمة الكريمة أن تستمر فى اضرابها الحالى لحين اشعار آخر ، ويستثنى من هذا الاضراب مؤقتا المطاحن والأفران وأماكن المعاينة الطبية والصيدليات .

ثالثا : يجتمع اتحاد الأحزاب صباح ٢٥ ابريل للبحث فى الحالة العامة .

ووقع على هذا البيان راغب النشاشيبى رئيس حزب الدفاع الوطنى وجمال الحسينى رئيس الحزب العربى الفلسطينى وعبد اللطيف صلاح رئيس حزب الكتلة الوطنية وشبلى الجمل عن حزب الاصلاح ، ويعقوب الغصين رئيس لجنة مؤتمر الشباب (٢٤) .

ومع أن راغب النشاشيبى كان احد الموقعين على البيان ، لكنه لم يكن مستحسنا له . وان لم يكن قادرا على معارضته بسبب التاييد الشعبى الكبير للقرار (٢٥) . ومع أن رؤساء الاحزاب كانوا يأملون أن يكون الاضراب اضرابا مؤقتا يستمر اياما أو اسابيع ، لكن هذه القرارات كانت محل رضاء الشعب العربى والصحف العربية فى فلسطين على اختلاف اتجاهاتها والتى طالبت بعد وقوع أحداث يافا بالغاء سفر الوفد وتحويل وجهة العمل من تلبية دعوة وزير المستعمرات الى تعضيد الاضراب وتقويته (٢٦) .

تشكيل اللجنة العربية العليا

وخطر لبعض العاملين فى الحقل الوطنى ان تاليف لجنة عليا تمثل فيها الأحزاب جميعها هو ضرورة وطنية ، فذهب الى القدس وفد من حيفا مؤلف من محمد على التميمى ورشيد الحاج ابراهيم ومعين الماضى وتحدثوا فى الموضوع مع رجالات القدس ، ورؤى أن الفكرة لا تتحقق الا باشتراك رؤساء الأحزاب جميعهم ومعهم الحاج أمين الحسينى ، وبذلت المساعى لتنفيذ هذه الفكرة (٢٧) .

ونتيجة للضغط الشعبى المتواصل اجتمع قادة الأحزاب العربية فى القدس يوم ٢٥ أبريل وقرروا تشكيل لجنة عربية عليا للاشراف على الحركة الوطنية . واتخذت اللجنة قرارا بالاستمرار فى الاضراب العام الى أن تبدل الحكومة البريطانية من سياستها تبديلا اساسيا تظهر بوادره فى وقف الهجرة اليهودية ، وأوضحوا مطالبهم فى رسالة بعثوا بها الى المندوب السامى فى فلسطين .

أولا : منع الهجرة اليهودية منعا باتا .
ثانيا : منع انتقال الأراضى العربية لليهود .
ثالثا : تشكيل حكومة وطنية تكون مسئولة أمام مجلس نيابى (٢٨) .

وأذاعت اللجنة بعد تأليفها بيــانا تدعو فيــه عرب فلســطين الى وقف أعمالهم وتجارتهم والاقتصـــار على لقمة الخبز ليضمنوا بقاء بلادهم. وكان واضحا فى البيان ماتعتقده اللجنة من أن استمرار الاضراب سيقصم ظهور الأعداء ويحفظ البلاد المقدسة من الضياع (٣٩) .

ورحب الشعب العربى فى فلسطين بتكوين اللجنة ، وكان الشعور الوطنى غامرا حتى أن الشعب كان يود أن تعلن اللجنة العصيان المــدنى والامتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة الحكومة مقاطعة تامة حتى تنال البلاد حريتها واستقلالها (٤٠) . فالشعب كان أكثر اندفاعا وحماسا من اللجنــة حتى أنه يمكن أن يقال ان اللجنة كانت مقادة أكثر مالنت قائدة ، ومع ذلك فان اندماج رؤســاء الأحزاب فى اللجنــة جعل لها مركــزا قويا فى نظر الجمــاهير .

وتوقف النشاط الحزبى بعد تأليف اللجــان القومية واللجنة العربية العليــا (٤١) . لــكن الأغراض الحزبيــة ظلت قائمة فى اللجنة ، فقــد كان الحسينيون والاســتقلاليون يعملان معــا ، وكان راغب النشاشيبى ومؤيدوه يميلون الى اقتراح عــدم التعــاون واتخاذ اجراءات متطرفــة أخرى ، ولا يستبعد أن يكــون ذلك بهــدف توريط الحاج أمين الحسينى والدكتور الخــالدى الذى فاز على راغب النشاشيبى فى رياســة بلدية القــدس (٤٢) .

أما بالنسبة لعــلاقة اللجنة باللجان القومية ، فقد اعتبرت اللجنــة العربية العليا مركزا لها ترتبط به تلك اللجان وناطقا باسم الأمة فى مرحلتها الــكفاحية الجديدة (٤٣) . كما أن تلك اللجان كانت تعمل بتوجيه من اللجنة العربية العليا (٤٤) .

وكانت السلطة المنتدبة تفهم حقيقــة الدور الذى تقوم به اللجــان القومية فى تلك المرحلة ، حتى أنها أمرت حكامها بالاتصال باللجان القومية لاقناعها بوقف الاضرا ب، فكان موقف هذه اللجــان قويا حيث رفضــت الموافقة على انهاء الاضراب مالم تثبت السياسة البريطانيــة حسن نيتها، وأعلنت تلك اللجــان تفويضها الأمر للجنــة العربية العليا (٤٥) . ولعل هذا يوضح أن اللجان القومية رغم ما كان بينهــا وبين اللجنــة العربيــة العليــا من اختلاف فى المواقف أو فى الأســاليب أحيانا كانت تعترف بتلك

ألّلجنــة قائدة للأمة فى هذه المرحلة، وتحترم ماتصــدره من قــرارات ويلتزم بتنفيذها رغم أن تلك القرارات لم تكن تعبر احيــانا عن مشــاعر الجماهير وآمالها .

وعمت المظاهرات المدن الــكبيرة وخرجت الجماهير تهتف بشعارات مســاعدة النجدة ضــد بريطانيا والصهيونية ، وزادت حوادث الاصطدام بالشرطة من شعور العرب بالمرارة (٤٦) وتشــمل الاضراب جميع مرافــق الحيــاة الاقتصــادية والاجتماعية العربيه ، فاغلقت المخــازن والمصــانع والمقاهى والملاهى (٤٧) . وتوقفت عمليا كل الفعاليات التجارية والصناعية وكل الحرف والمهن والخدمات باستثناء المرافق العامة والصحة (٤٨) .

وخلال الايام الباقية من شهر أبريل استمرت المظاهرات والاضطرابات فى مدينــة يافا ، كما أطلقت النيــران على ســيارات الركاب اليهود ، وحدثت عدة حرائق متعمده تشــملت الممتلكات اليهــودية ، وكان هنــاك اعتداءات هامة على الخطوط التليفونيــة ، وتعرضــت المستعمرات فى المنطقــة الشمالية لحالات الاحراق المتواصــل فى المبانى وتدمير الأشجار والمحاصيل ، وأما فى القــدس فقد كان هنــاك عدد قليل من الضــحايا اليهود ، بينما اغلق عــدد كبير من المتــاجر اليهودية فى القدس القديمة وبدا بعض اليهود المقيمين فيها فى الرحيل ، ومع نهاية أبريل كان الاضراب عاما فى كل انحاء فلسطين باستثناء حيفا (٤٩) .

وقامت اللجنة العربية العليــا بالطواف فى مختلف المنــاطق فكانت تستقبل استقبالات رائعة تدل على قوة حمــاس الشعب وتصميمه (٥٠) . وتلقت اللجنــة عرائض كثير من مختلف أنحاء البــلاد تطالب بالامتناع عن دفع الضرائب ودعوة الموظفين العرب لمشاركة الأمة فى اضرابها ، كمــا أن الصحف العربيــة جعلت تطالب اللجنــة بأن تخطو نحو بحث هذين المطلبين وتنفيــذهما ، وعقدت اللجنــة اجتماعين يوم ٢ مايو لبحث هاتين المسألتين وقررت الــكتابة الى اللجان القومية فى أنحاء البلاد لاستشارتها بشأن مسألة الامتناع عن دفع الضرائب (٥١) .

ورأت اللجنــة أن تحاول تحقيق أهــدافها بالطرق السلمية فرفعت مذكرة الى المندوب السامى انتقدت فيها السياســة التى اتبعتها الحكومة البريطانية فى فلسطين وأوضحت بها مطالب البــلاد ، ودعا المنــدوب

السامى اللجنـــة بكامل هيئتهـــا لمقـــابلته ، وتمت المقـــابلة فى اليوم الخامس من مايو حيث القى المندوب على اعضاء اللجنة بيـــانا اوضح فيه انه رفع المـــذكرة التى قـــدمتها اللجنة اليه الى وزارة المستعمرات لأنها تنـــاولت مسائل تتعلق بالسياسة العليـــا . وانه اطلع على البيان الموقع من حسن صـــدقى الدجانى وصـــالح عبده بشأن ضرورة الامتناع عن دفع الضرائب ووجوب اضراب موظفى الحكومة ، وان الحكومة ستتخذ الاجراءات القانونية مع موقعى البيـــان ، وانه لن يوافق على عقد اجتماعات عامة قـــد تنقلب الى مظاهرات وطلب منهم أن يعلنوا للجمهور عدم اشتراكهم فى اية اعمال غير قانونيـــة ، ودعاهم الى ارسال الوفد الى لندن ووقف الاضراب لأنه يضر بالطبقات الفقيرة ويلحق الضرر بالطلاب وأن يساعدوا الحكومة فيما تتخذه من اجراءات لاعادة الأمن والنظام الى البلاد .

وردت اللجنة على بيان المندوب السامى بمذكرة أوضحت بها السياسة التى اتبعتها الحكومة البريطانيـــة فى فلسطين منذ البـــدء وعدم انصافها للعرب واهمالها لتقـــارير اللجان وللـــكتاب الأبيض الذى اعترف بخطـــأ السياسة المتبعـــة فى فلسطين بالنسبة للهجرة والأراضى ، وازدياد خطر الهجرة اليهودية وتهريب اليهود للسلاح . كل تلك العوامل دفعت الشعب العربى فى فلسطين الى التوسل بالاضراب السلمى على امل أن تعـــدل الحكومة عن خطتها . فتوقف الهجرة اليهودية ، وأن فكرة الامتناع عن دفع الضرائب ليس ســـوى تعبير عن شـــعور الأمة وارادتها ، وأن وســـائل اللجنة سلمية محضة ، وانها مستعدة لارسال الوفد الى لنـــدن فى حالة ايقاف الحكومة للهجرة اليهودية .

وبناء على طلب اللجنة القومية بيافا (٥٢) وبدعوة من اللجنة العربية العليـــا (٥٣) عقد بمدينـــة القدس فى اليوم السابع من مايو ١٩٣٦ مؤتمر للجان القومية رأسه أمين الحسينى وحضره اعضـــاء اللجنة العربية العليا ونحو ١٥٠ مندوبا يمثلون اللجان القومية فى فلســـطين ، وكانت الروح الوطنيـــة تسود جو المؤتمر ، وتنزه المؤتمرون عن الأغراض الحزبيـــة والشخصية ، ولم يشأ المؤتمر أن يدرس موضـــوعات اخرى غير الامتناع عن دفع الضرائب . وقرر المضى فى الاضراب حتى تجاب المطالب الوطنية وأن يكون الانتقـــال الى الخطة السلبية متدرجا وأن يكون الامتناع عن دفع الضرائب هو فاتحة هذه الخطة . وكان نص قرار المؤتمـــر كمـــا يلى :

« قرر المؤتمر بالاجماع اعلان الامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٣٦ اذا لم تغير الحكومة البريطانية سياستها تغييرا أساسيا تظهر بوادره بتوقيف الهجرة الصهيونية » (٥٤) .

وكان هناك دلائل موثوق بها لدى الادارة البريطانية فى فلسطين على أن قادة معينين خاصة أمين الحسينى وجمال الحسينى كانوا ضد هذا الاقتراح ، لكنهم ايدوه لأن المعارضة كانت عديمة الجدوى . كما كان هناك شك قليل فى أن تبنى الاقتراح كان يرجع الى حد كبير الى نشاط راغب النشاشيبى وانصاره .

لقد كان راغب النشاشيبى متلهفا على توريط المفتى والدكتور الخالدى فقد صمم على ضرورة حضورهما شخصيا اجتماعات اللجنة العربية العليا بدلا من ارسال ممثلين لهما ، وكان راغب النشاشيبى يهدف من ذلك الى دفع المفتى والدكتور الخالدى الى صراع مع الحكومة أو اضعاف ثقة الجماهير بهما (٥٥) .

ومن يتابع تطورات الاضراب يلاحظ أن المبادرات كانت تأتى غالبا من الجماهير أو من التشكيلات الشعبية التى تمخضت عن الاضراب . فقرار الامتناع عن الضرائب لم تتخذه اللجنة العربية العليا بل كان صادرا من مؤتمر اللجان القومية . بل انه صدر فى جنين — عندما كان المندوب السامى يحاول اقناع أعضاء اللجنة العربية العليا بوقف الاضراب وارسال وفد عربى الى لندن — بيان يعلن انه لا حق لأى حزب أو لجنة فى مفاوضة الحكومة ، أو اتخاذ اية خطوة هامة تتعلق بمصير البلاد قبل اجراء استشارات مسبقة عن طريق مؤتمر وطنى (٥٦) وهكذا كان الموقف قد خرج من يد أية محاولة لتهدئة الجماهير أو السيطرة على تحركاتها بعد أن يئست تماما من عدالة بريطانيا ، وادركت أن السياسة البريطانية مصممة على تهويد البلاد ، وان مقاومة هذه السياسة أصبحت هى الوسيلة الناجحة لتحقيق مطالب البلاد .

وعلى اثر ابلاغ قرار الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة دعا المندوب السامى اللجنة العربية العليا لمقابلته ، واشار الى ما يمكن أن يحدثه هذا القرار من اثر سىء ، ولم يخل الحديث من بعض التهديد، لكن اللجنة أصرت على موقفها وطلبت تغيير السياسة القائمة (٥٧) .

وزادت الحكومة من احتياطاتها العسكرية لمواجهة الموقف ، فمنذ بداية الأسبوع الثانى من مايو دعمت الحاميات العسكرية فى فلسطين بقوات من مصر ومالطة ، كما حدث توسع فى القسم البريطانى من شرطة فلسطين (٥٨) .

واذاعت الحكومة فى ١٣ مايو بلاغا رسميا باعلان حالة الطوارىء بالقدس (٥٩) واذاعت اللجنة العربية العليا فى ١٤ مايو نداء دعت فيه الشعب الى الامتناع عن دفع الضرائب اعتبارا من اليوم التالى نظرا لأن بريطانيا لم تجر أى تغيير فى سياستها وقد استجاب الشعب لهذا النداء (٦٠) . لكن الادارة البريطانية كانت تتشكك فى أن يكون لهذا القرار اثر كبير بسبب قلة الضرائب المباشرة التى كانت مستحقة التحصيل فى المستقبل القريب ، واعتماد الحكومة — الى حد كبير — فى دخلها على الضرائب غير المباشرة (٦١) . كما أن مارلو لم ير فى هذا القرار سوى اشارة الى تحدى السلطة (٦٢) .

وكان يوم الجمعة ١٥ مايو — وهو بداية تنفيذ قرار العصيان المدنى — يوما من تلك الأيام المثيرة التى عاشتها فلسطين . فقد قامت مظاهرات كبيرة فى هذا اليوم فى جميع مدن فلسطين سقط خلالها قتلى وجرحى كثيرون (٦٣) . ومع تنفيذ قرار العصيان المدنى تطورت الأمور من الاكتفاء بتنظيم المظاهرات والاحتكاك بقوات الشرطة الى القاء القنابل على دوائر الحكومة (٦٤) .

وفى ١٨ مايو أجاب وزير المستعمرات على سؤال لأحد أعضاء مجلس العموم عن الخطوات التى اتخذتها الحكومة لافهام القادة العرب أن الحكومة البريطانية لن تتخلى عن مسئولياتها فى فلسطين نتيجة للعنف أو التهديد به ، بأن المندوب السامى قد أوضح الموقف للقادة العرب وأنه تقرر بعد استعادة النظام تقديم النصح لجلالته لتعين لجنة ملكية لبحث اسباب الاضطرابات ومظالم العرب واليهود (٦٥) .

وفى ٢٩ مايو اجاب وزير المستعمرات على سؤال لعضو بالمجلس عما اذا كان المندوب السامى قد قدم جدول الهجرة اليهودية لشهر مايو وعن عدد الشهادات التى تمت الموافقة عليها بأن جدول شهادات الهجرة العمالية يغطى ستة اشهر (من أبريل الى سبتمبر ١٩٣٦) وأن المندوب

السامى قد رخص بمنح شهادات عمل عددها ٤٥٠٠ شهادة خلال هذه الفترة (٦٦) .

وزاد ذلك من حدة المرارة لدى الراى العام العربى فى فلسطين الذى تعاهد على ابداء مزيد من التحدى للبريطانيين ، كما ان اثارة موضوع تعيين لجنة ملكية لم يترك اثرا طيبا ، فقد ظل العرب متمسكين بمواصلة الاضراب لحين ايقاف الحكومة للهجرة اليهودية (٦٧) .

وكانت القيادة السياسية متلهفة على التراجع لو كان بامكانها أن تفعل ذلك دون ان تفقد هيبتها ، وكانت تتعرض لضغط من مؤيديها لتبنى اجراءات اكثر ايجابية ، كما كانت تجد صعوبة فى السيطرة على كثير من مؤيديها . ومن هنا فان قبول ايقاف الاضراب كشرط سابق لتعيين اللجنة الملكية كان امرا غير مقبول بالنسبة لها ، وكان يهمها فى نفس الوقت ان ترى اللجنة الملكية البلاد فى تلك الأوضاع القائمة بهدف التاثير فى اعضائها بصمود الشعب العربى حتى توصى بضرورة ايقاف الهجرة ، كما كانت القيادة السياسية تشعر بأنه من الصعوبة بمكان استعادة ذلك الحماس الشعبى ، وكان أى استسلام من جانب تلك القيادة يعنى فقدان تلك السيطرة التى كانت تمارسها وفقدان قيمتها فى نفس الوقت (٦٨) .

وكانت القيادة حريصة ايضا على استمرار الوسائل السلمية وتجنب اعمال العنف . فقد اذاعت فى ١٩ مايو بيانا عقب محادثاتها مع المندوب السامى طلبت فيه من الشعب العربى « أن يستمر على الاضراب متذرعا بالوسائل السلمية متجنبا العنف صابرا على الأذى والخسائر المادية الى أن يحق الله الحق ويزهق الباطل » كما أشار البيان بطريقة خفية الى ان العنف لن يحقق نتيجة مع بريطانيا ، والى أن اللجنة أخطرت المندوب السامى ان الشعب قام باضرابه السلمى برضى من نفسه وانه ليس للزعماء العرب اى تاثير مباشر فى ذلك (٦٩) . ومع ان ذلك صحيح فعلا ، لكن حرص اللجنة على اخطار المندوب السامى بذلك كان ابراء لذمتها مما يمكن ان تتطور اليه الأمور .

الاضراب يتحول الى ثورة

وكان تحول الاضراب الى ثورة شعبية مسلحة مسألة منطقية وطبيعية نتيجة تطور احداث الاضراب وتلاحقها . فقد اشتدت المظاهرات العدائية وكثرت مهاجمة المستعمرات اليهودية، وامتد العصيان فى سائر انحاء فلسطين وخاصة فى طولكرم ونابلس ويافا وجنين ، وقامت فى طولكرم مظاهرات مسلحة اشترك فيها الوف من العرب وحمل بعضهم السلاح وأطلقوا النار فى الهواء ونظموا مظاهرات مسلحة فى جبال بنى صعب .

وكما بدأ الاضراب من القاعدة الشعبية ، فقد بدأت الثورة الشعبية المسلحة من القاعدة أيضا على يد اهالى طولكرم دون قرار من اللجنة العربية العليا بل وحتى دون استئذان من تلك اللجنة أو اخطار لها بما سيتم . فقد بلغ أهالى طولكرم صباح يوم ٢٣ مايو ١٩٣٦ أن الحكومة اعتقلت اعضاء اللجنة القومية بها . فثاروا وتقلدوا سلاحهم متجهين الى طولكرم ، والتقوا مصادفة بقوة عسكرية كانت الحكومة قد أحضرتها من قاعدتها الحربية فى مصر ، فحدث اشتباك بين القوتين فى عطفة بلعا واستمر تبادل اطلاق النار حتى المساء .

وفى مساء نفس اليوم قام أهالى نابلس بمظاهرة كبرى احتجاجا على اعتقال أكرم زعيتر وأطلقت النيران على المتظاهرين فقتل أربعة منهم وانتشر خبر هذا الصدام فى القرى فسارع أهلها لنجدة اخوانهم وانتشرت جموعهم فى الوديان وفوق الجبال وعلى مفارق الطرق مسلحة بالبنادق وغيرها من أنواع السلاح ، ووزعت منشورات تدعو الى الثورة والاستمرار فى الكفاح الى النهاية ، وكتبت فى رأس كل منشور عبارة « الثورة العربية الثانية » اشارة الى الثورة العربية ضد الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى ، وأرسل أهالى جبال نابلس الى أهالى جبال الخليل رغيفا من الخبز مغموسا بالدم ، وكان هذا يعنى دعوتهم الى الاشتراك فى الثورة ، وهكذا سادت روح الثورة فى البلاد وشكلت العصابات المسلحة (٧٠) .

ويشير تقرير بريطانى الى ان الروح الثورية كانت معبأة بدرجة كبيرة ، وانه بعد قيام الأعمال المسلحة بيومين فقط ـ أي في ٢٥ مايو ـ

هاجم حوالى مائتى عربى معظمهم مسلحون جماعة من رجال الشرطة فى اقليم الناصرة ، ولم ينسحبوا الا بعد وصول تعزيزات عسكرية (٧١).

وبدأت العصابات المسلحة تعمل فى التلال ، وعززت بالشباب الوطنى المتحفز وبالوطنيين العرب من الاقطار العربية المجاورة ، وتطور الاضراب الى حالة دائمة ، وكان هناك مظاهرات محلية وهجمات على اليهود ، لكن الهجمات الرئيسية كانت ضد القوات البريطانية (٧٢).

وكانت العصابات فى تلك الفترة تتكون من مجموعات مستقلة تماما ضعيفة التسليح وغير منظمة ، لكنها كانت تمتلىء حماسة ووطنية وتتحلى بشجاعة يائسة لرجال لا يملكون مايخشون على ضياعه سوى أرواحهم (٧٣) .

ويروى التقرير السنوى لحكومة الانتداب انه خلال شهرى مايو ويونية كان هناك قدر متزايد من التمرد والاضطراب فى كل انحاء القدس ، وهجمات على الممتلكات اليهودية فى الاقاليم الشمالية والجنوبية وتدمير للسكك الحديدية والاتصالات التلغرافية والتليفونية ووضع للحواجز والعوائق فى الطرق، وان القناصة اعطوا اهتماما كبيرا لاصطياد افراد من قوات الجيش ودوريات الشرطة وقوات حراسة الطرق ، لكن نوعية العمل الثورى كانت تختلف فى شمال فلسطين عنها فى جنوبها . ففى الشمال تناقصت أعمال الثورة فى المدن وبدأ النشاط يتركز فى الريف ، وكان أهم الأعمال الثورية فى تلك المنطقة اتلاف الأشجار وبساتين الفاكهة وزرع الألغام فى القناطر والقنوات وشن الهجمات العنيفة على القوات العسكرية وقوات الشرطة .

واما فى المنطقة الجنوبية من فلسطين فقد تركزت الأعمال المسلحة فى تدمير السكك الحديدية وخطوط التلغرافات والتليفونات وكثافة فى اطلاق النيران على الدوريات والكتائب العسكرية وهجوم منظم على المطار المدنى باللد وتزايد للهجمات المتقطعة على المستعمرات اليهودية وتدمير كبير للاشجار والمحاصيل (٧٤) .

ويشير مسئول بريطانى فى تقريره عن اعمال العصابات فى شهر يونية الى تزايد عدد الثوار والى أن « العصابات المسلحة التي كانت في السابق

تتــألف من مجموعات يتراوح عدد الواحدة منها بين ١٥ رجلا ، ٢٠ قــد أصبحت تتواجد فى مجموعات يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠ رجلا و ٧٠ وهى ليست عصابات للنهب ، بل هى تمارس ماتعتقد أنه حرب وطنيــة تدافع بهــا عن بلادها فى وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية » (٧٥).

ويشير تقرير دورى بريطانى آخر مرسل الى لندن فى أواخر يونية ١٩٣٦ الى اتساع عمليات الثوار والى أن العصابات أصــبحت جسورة بالقدر الذى يجعلها تستطيع مقاومة الشرطــة وقوات الجيش بأعــداد كبيرة ، وانها أزعجت القوات العسكرية فى نابلس بغارات ليلية متكررة، وانه فى ليلة ٢١/٢٠ يونية أحاط سكان الهضاب بمجموعة من رجال القوات العسكرية حيث قاموا بقتلهم او أسرهم فجرا ، وانه فى اليوم التــالى قام عدد يتراوح بين ٦٠ ، ٨٠ ثائرا عربيــا بهجمة على قوة عسكرية تحرس القطارات على طريق طولــكرم — نابلس وأن ذلك ادى الى تدخل قوات عسكرية كبيرة تشاركها احدى الطائرات والى استعمال الشرطة للغــاز المسيل للدموع للمساعدة فى أسر الثوار الذين تبقوا بعد المعركة (٧٦) .

وهكذا تطورت الأمور سريعا ، وتحول جو فلسطين الى جو حربى نتيجة كثرة تنقلات القوات البريطانية . وما كان يرافق ذلك من مطــاردة العرب وتفتيش منازلهم وقمع مظاهراتهم، واصبح حظر التجول من الغروب الى الشروق من الأمور العادية فى المدن والقرى ، وكان هذا الحظر يستمر أحيانا اثنين وعشرين ساعة فى اليوم (٧٧) .

ولم يكن من الممكن للجنة العربية العليا فى مثل هــذه الظروف غير أن تتــابع الاحداث وتلهث وراءها وتتخذ مايتيسر من القرارات التى تتجاوب مع مسار الثورة الشعبية ، محاولة الاستفادة من تلك التطورات لاقنــاع السلطة باعادة النظر فى موقفها حتى يمكن دعوة الجمــاهير الى ايقــاف الثورة .

ويتبين من تقرير رسمى مرسل من فلسطين فى ٢٣ يونية — أى بعد مرور شهر على بداية الثورة الشعبية — ان السيطرة الفعلية على الثورة لم تكن فى يد اللجنة العربية العليــا كما لم تكن فى يد أية جماعة سياسية وانما كانت السيطرة للرأى العــام ومشاعره ، وأن هنــاك نقصــا فى

القدرات التنظيمية للحركة العــامة ، وان اللجنة العربية كانت تقــاسى من الخلافات ، كما انها ضعفت نتيجة سفر جمــال الحسينى الى لنــدن واعتقال عونى عبد الهادى ، وان الرأى العــام فقد ثقته فى اللجنةالعربية الى مدى معين ، وان عملا اكثر تطرفا يتحفز للظهور (٧٨) .

ولم يحدث تغيير فى الموقف العام خلال شهرى يوليو واغسطس ، فقد استمر الاضراب والاضطرابات فى كامل جذوتها باســتثناء الهــدوء المؤقت خلال محاولتى التوسط التى قام بهما الأمير عبدالله ونورىالسعيد وتفشت اعمال العنف فى يافا وحيفا والمنطقــة الجنوبيــة عموما وزادت العصابات المسلحة فى التلال من أعدادها وأسلحتها (٧٩) .

ونظرا لوجود اعداد كبيرة من الثوار فى تلال نابلس والرملة وعلى مرمى سهل شارون فقد قامت القوات البريطانية ابتداء من ٥ يوليو باجراء مناورات كبيرة ورغم مفاجأة الثوار بتلك المنــاورات والأعــداد الــكبيرة فان الشجاعة التى أبداها كثير منهم — طبقا لمــا ذكره التقــرير الدورى الرسمى — لا يمكن انكارها .

وقــد مارس الثوار ضــغطا على بعض القرى التى لم تقدم للثورة ماتحتاجه من المــال أو الرجال ، فقد طلب الثوار من المختارين فى بعض القرى تقديم أموال محددة ، كما ظل نشاطهم فى الطرق منتشرا ومتقدا (٨٠)

ويشير تقرير دورى مؤرخ فى ٢٦ يوليو ١٩٣٦ عن أعمال الأسبوعين السابقين الى تعدد اعمال العنف والتخريب والى تصيد الثوار لليهود فى مستعمرات معينة واطلاق النــار المستمر على القوات العســكرية والى هجمات على السكك الحديدية والاتصالات التليفونية وخط انابيب الميــاه وخط شركة البترول العراقية (٨١) .

فمع تنبــه الثوار الى خطوط البترول الممتــدة فى اراضى فلسطين وشرقى الأردن أخذوا يخربون فيها ويشعلون النــار فيما يتــدفق منها ، وتكرر ذلك مرارا دون أن تستطيع الشركة او السلطة مواجهتــه (٨٢) . حتى انه تم تدمير أحد الخطوط خلال شهر يوليو وحده سبع مرات فيسهل جزريل ووادي بيسان (٨٣) .

وكان يوم ٢٧ يوليو ١٩٣٦ هو اليوم المائة للاضراب العام ، وقد بدأ فى هذا اليوم اصرار الأمة على مواصلة الإضراب الى أن تجاب مطالبها، وشرعت الصحف تؤرخ اعدادها بعد هذا اليوم بقولها « اليوم الأول من المائة الثانية للاضراب العام » (٨٤) .

واحتفلت فلسطين بهذا اليوم ، وقامت المظاهرات الشعبية فى المدن ، وبينما تذكر بعض المصادر العربية ان الثوار نشطوا فى الجبال واشتبكوا مع القوات البريطانية فى معارك عديدة سميت معارك المائة يوم ، ونسفت أنابيب البترول فى منطقة اربد وغيرها كما نسفت انابيب مياه القدس (٨٥) ، يشير تقرير بريطانى الى أن الاحتفالات المذكورة قد مرت دون حدث خطير ، وارجع التقرير ذلك الى الاحتياطات الشديدةالتى اتخذتها الشرطة والقوات العسكرية .

ويضيف التقرير انه خلال الأسابيع الثلاثة التالية بذلت جهود عربية ضخمة لاحداث اضراب عام فى حيفا ، كما كان هناك حملة مكثفة لارهاب باقى القوى التى لم تشارك فى الاضراب حتى ذلك الوقت ، وتصاعدت عمليات الثوار فى التلال (٨٦) .

ويذكر مصدر عربى معاصر أن الثوار كانوا يتخذون الجبال حصونا لهم يغيرون منها على القوات البريطانية والمستعمرات اليهودية ، وأنهم اتبعوا فى قتالهم أسلوب حرب العصابات ، وقد مكنهم ذلك من الوقوف أمام القوات البريطانية رغم تفوقها عليهم فى العدد والعدة ، وأن الثوار كانوا يتبعون خطة عامة فى بعض مواقعهم خاصة فى جبال الخليل ، فكانوا يقطعون الطرق بأحجار وصخور كبيرة تمنع السيارات من مواصلةالسير، ثم ينقسمون الى ثلاثة أقسام أو أربعة يتحصن كل منها فى ناحية ، وعندما تشتبك احداها مع القوات البريطانية تتدخل باقى المجموعات فى الوقت المناسب لتفاجىء القوات البريطانية التى كانت تضطر الى بعثرة قواتها والقتال فى اكثر من موقع فى منطقة واحدة (٨٧) .

وكثيرا ما أخذت هذه المعارك شكل معارك حربية واسعة تشترك فيها الطائرات والمصفحات والمدافع ويستمر بعضها عدة ساعات ،ويذكر السفرى أن أهم المعارك التى حدثت خلال شهر يونية ١٩٣٦ معارك عين

جارود ونور شمس ووادى عزون ، واشهر المعـارك التى حـدثت فى شهر يوليو معركة باب الواد ، واشهر المعارك التى حدثت خلال شـهر اغسطس معركة بلعا الأولى وعصيرة الشمالية ووادى عرعرة وعين‌دور(٨٨)

ويؤكد التقرير السنوى لحكومة الانتداب حدوث تلك المعارك فيذكر انه خلال شهر يوليو كان هنـاك معارك رئيسية متعددة فى مناطق جنين وصفد ، وانه خلال شهر أغسطس اشتبك الثوار مع القوات البريطانيـة فى ست معارك على الأقل نحمل فيها الثوار خسائر فادحة (٨٩) .

وبعد نحو شهر ونصـف من الثورة الشعبية المسلحة أخذ يتسرب الى فلسطين مجاهدون من عرب البلدان العربية المجاورة ويقـاتلون مع اخوانهم عرب فلسطين (٩٠) .

ودخلت الثورة مرحلة جديدة من‌تاريخها بوصول فوزى الدين‌القاوقجى الى فلسطين خلال الأسبوع الأخير من شهر أغسطس ١٩٣٦ على رأس مجموعة مسلحة (٩١) والشيخ محمد الأسمر وسعيد العاص خلال الأسبوع الأول من سبتمبر على رأس مجاهدين من سوريا (٩٢) وعدد من المجاهدين من شرقى الأردن وانضمامهم الى الثوار الفلسطينيين وتولى القـاوقجى قيـادة الثورة .

وتختلف المراجع الرئيسـية فى ذكر عـدد المجاهدين الذين صحبوا القاوقجى الى فلسطين فيقـدرهم احد هذه المراجع بنحو ثمانين مجاهدا(٩٣) ويقدرهم مصدر آخر بمائة مجاهد (٩٤) . ويقدرهم مصدران بنحو خمسمائة مجاهد (٩٥) بينما يشير تقرير بريطانى دورى الى أن التقديرات الموثوق بها تقدر هؤلاء الثوار بما يتراوح بين‌خمسين وثلاثمائة ثائر (٩٦) . لكن القاوقجى لايشير فى مذكراته التى نشرت مؤخرا الى اعداد القوات التى صحبته أو سبقته الى فلسطين .

وأصدر القاوقجى يوم وصوله الى فلسطين منشورا دعا فيه شباب العرب فى فلسطين وسوريا والعراق وشرقى الأردن الى حمل السـلاح والالتحاق بالثورة ، وأعلن أن ميثاقه هو « الاستمرار فى النضال الى أن تتحرر فلسطين وتستقل وتلتحق بقافلة البلاد العربية المحررة » مما انعش آمال عرب فلسطين وزاد من حماسهم .

وقام القادة العرب الثلاثة بقيادة ثلاث مناطق من فلسطين . فاتخذت مجموعة القاوقجى مثلث نابلس طولكرم جنين ــ خاصة منطقة جنين ــ ساحة لنشاطها ، واتخذت مجموعة الشيخ الأسمر منطقة طولكرم مركزا لعملها ، وكانت منطقة سعيد العاص الخليل ــ بيت لحم ــ القدس . وقد التف حولهم ثوار من فلسطين وغيرها ، وكان يتعاون معهم تشكيلات من الفلسطينيين انتظمت فى فصائل مستقلة تحت قيادة ثوار فلسطينيين(٩٧)

ويذكر القاوقجى انه قسم ميدان الثورة الرئيسى الى ثلاث مناطق أيضا كان يقود الأولى فخرى عبد الهادى والثانية عبد الرحيم أبو كمال يساعده عارف عبد الرازق والثالثة سلمان السعدى الصافورى، وأنه كان هناك مناطق صغيرة مستقلة فى عملياتها لكنها كانت مرتبطة بالقيادة العامة للثورة ، وان هذه المناطق هى صفد والقدس والجليل وعكا وحيفا والمزار (٩٨) .

وكان قادة العصابات يختارون مركز قيادتهم قريبا من الحدود حتى تسهل عليهم الحركة وتلقى الجنود وشحنات الأسلحة . فالقاوقجى مثلا كانت قاعدته قرية فى شمال نابلس مختارة بعناية لتلقى الأسلحة من سوريا عن طريق سمخ المجاورة أو من شرقى الأردن . وكان كل من هؤلاء القادة يسيطر على عدد محدد من القرى قسمت بشكل دقيق كمراكز لتجمع الأسلحة (٩٩) .

وتتميز تلك المرحلة التى قاد فيها القاوقجى الثورة بعدد من المميزات الهامة :

اولا : دخول الثورة دورها التنظيمى واتباعها للاساليب الحربية الحديثة، مثل خطط الهجوم والانسحاب والاستدراج وحرب الخنادق وزرع الألغام فى الطرق وتنفيذ تلك الخطط حسب تعليمات القيادة وطبقا لخرائط حربية خاصة .

ثانيا : انشاء دائرة للمخابرات تنبىء قيادة الثورة بتحركات القوات البريطانية ومراكزها وخططها .

ثالثا : موالاة اصدار البلاغات العسكرية فى أعقاب المعارك متضمنة وصف المعركة ومقدار الخسائر فى قوات الطرفين .

رابعا : تشكيل محكمة للثورة مهمتها « تأمين الأمن ونشر العدل والنظام في البلاد وقطع دابر الخيانة والتجسس والفساد » .

خامسا : تحسين مالدى الثوار من سلاح باضافة المدافع الرشاشة وبنادق من قاذفات القنابل وغيرها .

سادسا : تشكيل لجان خاصة للاعاشة والتموين والمالية وارتباطها رأسا بالقاوقجي مما وضع حدا لشكاوى الأهالي من طلبات الثوار المنفردة (١٠٠) .

وتجمع المصادر المختلفة على ذلك التطور الهام الذى أحدثه القاوقجى فى عمليات الثورة ، فقد كتب بيرس بعد تسلم القاوقجى قيادة الثورة بقليل « لقد طرا تحسن على تكتيك الثوار وظهرت على العصابات دلائل تشير الى وجود قيادة وتنظيم فعالين فيها ، فهى الآن مزودة تزويدا جيدا بالأسلحة والذخائر ، كما أن امتداد عملياتها الى مناطق خارج المناطق التى اعتادت النضال المسلح من قبل يدل على أن عدد افراد هذه العصابات قد ازداد ازديادا كبيرا » (١٠١) .

ويذكر مصدر عربى أنه كان لخبرة القاوقجى واخلاصه أثر كبير فى اشتداد فعالية الثورة ، فقد علم الثوار الانبطاح أرضا اذا اقبلت طائرة عسكرية وكانوا يقفون لها وقفة البسالة ، وعلمهم كيف ومتى ومن أين تطلق النيران على الطائرات وعلمهم كيف تنسف الجسور وتقلب القطارات وتهاجم السيارات المصفحة ، وكانوا يكرهون الانسحاب فعلمهم انه غير الهروب (١٠٢) .

ويذكر وايزمان ان القاوقجى كان مقاتلا ماهرا وانه قاد قواته القليلة بطريقة طيبة ودربها بشكل خاص على التشتت والاختفاء فى القرى ثم التجمع من جديد(١٠٣) كما يشير تقرير بريطانى دورى الى القاوقجى باعتباره القائد البارع لحرب العصابات (١٠٤) .

وخاضت الثرة فى هذه المرحلة معارك عديدة كان اهمها معركة نور شمس وعنبتا او بلعا الثانية (٣ سبتمبر ١٩٣٦) التى تشير الوثائق البريطانية الى انها كانت أعظم معارك الثورة مكانة (١٠٥) فقد قدر عدد

الجنود الذين اشتركوا فيها بخمسة آلاف جندى كان يقودهم الجنرال ويفل القائد البريطانى الشهير واشتركت فيها خمسة عشر طائرة ومجموعة من الدبابات والمدفعية (١٠٦) وقد أسفرت عن اسقاط طائرتين وحرق اثنتين أخرتين واستشهد من الثوار عشرة طبقا لبلاغ الحكومة وتسعة طبقا لبيان قيادة الثورة وقد تمثلت فى هذه المعركة وحدة التضامن العربى حيث كان المستشهدون عراقيان وسوريان ودرزيان وثلاثة من شرقى الأردن (١٠٧) .

ويقدر القاوقجى خسائر القوات البريطانية فى هذه المعركة بمائة وخمسين قتيلا ، ويضيف القاوقجى ان آثار هذه المعركة كانت كبيرة على المستويين المحلى والعربى وان القوات البريطانية تجنبت بعد هذه المعركة دخول معارك مباشرة مع الثوار انتظارا لوصول تعزيزات من خارج البلاد (١٠٨) .

وكانت هناك معارك أخرى فى ترشيحا من قضاء عكا (٩ سبتمبر) ومعركة جمع من قضاء جنين (٢٤ سبتمبر) التى هاجم الثوار بعدها مراكز القوات العسكرية فى مدينة نابلس ، ومعركة بالقرب من حلحول قرب مدينة الخليل (٢٤ سبتمبر) ومعركة ـ بيت أمرين من قرى نابلس (٢٩ سبتمبر) والتى سقطت فيها طائرتان ، ومعركة الخضر (٤ـ٦ اكتوبر) التى استشهد فيها القائد سعيد العاص ، ومعركة كفر صور التابعة لقضاء طولكرم (٨ أكتوبر) التى غنم فيها الثوار وعطلوا عددا من الدبابات (١٠٩) .

ويشير التقرير السنوى للحكومة لعام ١٩٣٦ الى أن ابرز نشاط للثوار خلال شهر سبتمبر يتمثل فى تنظيم فعال لتدمير الاتصالات التليفونية والتلغرافية وفى تدمير خط انابيب شركة البترول العراقية ثلاثة عشر مرة وتجدد العنف فى طبريا واستمرار اطلاق النيران على القوات العسكرية فى اقاليم طولكرم ونابلس وعكا وصفد والى حدوث ست معارك رئيسية بين الثوار وقوات الحكومة تحمل فيها الثوار خسائر فادحة (١١٠) .

وقد بلغت سيطرة الثوار وبراعتهم أوجها خلال شهر سبتمبر ١٩٣٦ حيث يشير تقرير دورى بريطانى الى أن الثوار اظهروا كثيرا من الاصرار والمهارة وقاموا بفرض جباية منتظمة على عربات السكك الحديدية

المحملة بالبضائع ، وان هذه الجباية كانت تسدد للجان المالية للثورة، كما اصدروا قرارا بفرض ضريبة ثلاثة مليمات على كل صندوق ثمار يصدر خلال الموسم التالى (١١١) .

وقد روى القاوقجى فى مذكراته تفاصيل المعارك التى قادها وخططها (١١٢) . كما وصف عدد من الكتاب المعاصرين للثورة — عيسى السفرى ومحمد عزة دروزة ويوسف هيكل — أبرز المعارك الحربية .وقد أوحى هذا الوصف بنمو الروح العسكرية بين المواطنين ، كما أوحى بكثافة القتال وشدته حيث اشترك فى تلك المعارك آلاف من الجنود البريطانيين تؤازرهم الدبابات والمدفعية والطائرات (١١٣) .

ويذكر تقرير اللجنة الملكية أنه فى أواخر سبتمبر كان عدد القوات البريطانية فى فلسطين قد بلغ عشرين الف جندى (١١٤) . ومعنى ذلك أن جنديا واحدا قد اخذ من بين ستة جنود تقريبا من القوات التى كانت تتألف منها قوات بريطانيا العظمى فى ذلك الوقت (١١٥) .

ومما يؤكد خطورة تلك المعارك واتساع نطاقها خلال المرحلة الأولى من الثورة ما أشارت اليه التقارير الدورية البريطانية المختلفة من اشتراك الطائرات البريطانية فى تلك المعارك وكثرة خسائر الثوار العرب (١١٦) .

لكن هذه القوات العسكرية الضخمة وهذه الأسلحة المتقدمة لم تستطع أن تخمد نار الثورة ، فقد قامت القوات البريطانية فجر ٩ أكتوبر — أى قبيل توقف الثورة بثلاثة أيام بتطويق مراكز الثوار بقوة قيل أن عددها عشرة آلاف جندى ، اشتبكوا مع الثوار لعدة ساعات لكنهم عادوا بعد المعركة إلى مراكزهم دون أن يحققوا هدفهم (١١٧) .

محاولات لقمع الثورة

وقد بذلت القوات البريطانية جهدا كبيرا لقمع الثورة . فكانت تطوق الجبال وتفتش القرى وتنسف المنازل وتشرد الأهالى ، وتلقى القبض على الكثيرين ، وتطلق الرصاص على الأهالى وتسلب اثاث البيوت أو تتلفه وتفرض الغرامات والعقوبات المشتركة على القرى والمناطق ، لكن ذلك كله لم يجد فتيلا فلم تخمد نار الثورة بل اشتدت جذوتها كلما تزايدت

محاولات القمع . وترتب على تلك المحاولات انضمام مزيد من الثوار الى العصابات المرابطة فى الجبال (١١٨) .

ويذكر السفرى أن النسف والغـرامات قـد جـرت فى مدن اللد والخليل ونابلس وغزة وصفد والمجدل وبيت لحم وخان يونس وقلقيلية وفى عشائر بئر السبع ووادى القبـانى ووادى الحوارث . وان هنـاك قرى يقرب عددها من (٢٥٠ قرية) فرضت عليها غرامات نقدية وعينية وعملية . وحين امتنع أهالى تلك القرى عن دفع الغرامة كانت السلطة تصادر مافى القرية من حبوب وطيور وحيوانات (١١٩) .

ويبدو أن سكان المدن كانوا يفضلون دفع الغرامات تجنبا لاجراءات السلطة ، فيشير أحد التقارير الرسمية المرسلة من فلسطين فى ٣١يوليو ١٩٣٦ الى أن نسبة كبيرة من الغرامات المفروضة على مدن اللد والخليل وغزة وغيرها قد دفعت أو جمعت (١٢٠) .

وقد حدث فى ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ يونية ١٩٣٦ حادث لم يسجل كمـا يجب . فقد نسف المهندسون العسكريون قطاعا كبيرا من المبانى القديمة فى يافا . وكانت هذه المنطقة تتكون من طرق ومسالك يصعب على الانسان أن يعرف طريقـه فيها ، فهى بالتالى مكان مناسب لاختفاء الثوار وعرقلة القوات العسكرية ، وحدث أن أطلقت بعض الأعيرة النـارية من هـذه المنطقة لم يشارك فيها بالطبع معظم الذين يقطنون هذه المنطقة . وكان المندوب السامى يستطيع تخويل السلطة العسكرية تدمير أية مبان بغرض الدفاع عن البـلاد ، لـكن الشىء الذى ميز هـذا التدمير أن أحـدا من الذين قاموا به لم يكن يتمتع بصـلاحيات تسمح له بالاقـدام على هـذا العمل . فقد أصـدر موظف ظل اسمه مجهولا بيـانا طبع فى مطـابع الحكومة أعلن فيه أن الحكومة على وشـك أن تشرع فى تنفيـذ مشروع التوسع وتحسين مدينة يافا القديمة ، وان أولى الخطوات اللازمة ستكون تقويض وازالة مبـان معينة مكتظة وغير صحية ، واخطر سـكان هـذه المبانى لاخلائها خلال يومين ، وكان من المستحيل عليهم خلال تلك المـدة القصيرة أن ينقلوا حاجياتهم . ونسفت البيوت بين هتـافات الصهيونيين الذين احتشدوا على شاطىء تل أبيب (١٢١) وكانت جمـلة المنـازل التى هدمت ٢٣٧ منزلا (١٢٢) يسكنها ٤٥٠ عائلة ، وقدر عدد الذين أصبحوا بلا

مأوى بستة آلاف نسمة ولم تكتف الحكومة بهدم تلك المنطقة بل أمرت بهدم البيوت الخشبية فى عدد من المناطق بحجة مخالفة قانون تنظيم المدن ، مما ترتب عليه أن اصبح مايزيد على أربعة آلاف نسمة أيضا بلا مأوى كما هدمت أجزاء أخرى من المدينة (١٢٣) .

وتؤكد المصادر الرسمية المتعددة أن الهدف من تلك العملية لم يكن كما زعم بيان الهدم توسيع المدينة وتحصينها ، فيشير مصدر أجنبى هام الى أنه كان هناك صعوبة فى السيطرة على المدينة أو الاقتراب منها وانها كانت مأوى طبيعيا لتصيد الجنود ، وان الهدف من الهدم كان تمكين القوات العسكرية من المحافظة على النظام وتنظيم الدوريات بشكل دائم (١٢٤) كما يفهم من تقريرين بريطانيين مرسلين فى ذلك الوقت أن الهدف من التدمير كان توفير الظروف المناسبة للسيطرة على هذه المنطقة (١٢٥) بالاضافة الى ماأشار اليه التقرير السنوى لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٦ — ان الأمن العام قد تحسن الى حد كبير نتيجة لهذه العملية (١٢٦) .

وقد رفع أحد العرب الذين هدمت منازلهم فى يافا دعوى فى المحكمة العليا أمام قاضى القضاة البريطانى السر فرانس ميخائيل مكدونل الذى أصدر حكما فى هذه القضية يعتبر قرار ادانة للسلطات البريطانية « ولا شك أنه كان مما يشرف الحكومة اكثر لو انها بدلا من ان تذر الرماد فى عيون الشعب بادعائها ان الموحى لعملية الهدم هو التحسين والتجميل والعمل لتنظيم المدينة او رعاية الصحة العامة ، قالت بصدق وبساطة أن الهدم المنوى اجراؤه كان المقصود الأساسى منه الدفاع عن فلسطين . . » « ولا شك أن محكمة العدل تكون قد قصرت بواجبها وجرحت العدالة اذا لم تبد رأيها بصراحة تامة فى مسألة ظاهرة علنا كهذه ثابت فيها التنصل والابهام من قبل الحكومة » « ويجب على الحكومة عندما تقوم بتنفيذ السلطات المخولة لها فى أى وقت كان أن تكون صريحة وصادقة فى كل ماتفعل » (١٢٧) .

ولم يكن هذا الحكم وحده هو الذى اصدره هذا القاضى الشجاع فقد أصدر فى ٣١ يوليو ١٩٣٦ قرارا آخر بابطال أمر صادر من مساعدحاكم اللواء الجنوبى بفرض عقوبة مشتركة على مدينة غزة قدرها الف جنيه بسبب اتلاف أسلاك تلغراف وغيرها ومحاولة تخريب بالسكك الحديدية

« ومتى جاوزت الحكومة حد سلطتها القانونية اصبحت المسألة تجاوزا على القوانين كما نرى اليوم فى القضية التى نحكم فيها. ومتى تجاوزت السلطة باحكامها القوانين انسلت اليها عناصر التحول الى حكومة جائرة . فينشأ عن هذا خطر عظيم على الدستور والمجموع » (١٢٨) .

وخلال بضعة اشهر من صـدور الحكم فى قضية نسف يافا القديمة استقال قاضى القضاة ، واستقر فى اذهان الناس فى ذلك الوقت انه قد ارغم على الاستقالة نتيجة للحكم الذى اصـدره فى تلك القضـية (١٢٩) ويؤكد مصدر اجنبى هام انه قـد اجبر فعـلا على الاسـتقالة ومغـادرة فلسطين (١٣٠) كما نشرت وزارة الدعاية الألمانية اثنـاء الحرب العالميـة الثانية تقارير بريطانية رسمية سرية تثبت ان زعماء الصهيونية قابلوا وزير المستعمرات البريطانى بعد صـدور هذا الحكم وطلبوا عزل قاضى القضاة من وظيفته ، فاذعن وزير المستعمرات البريطانى وترك مكدونل وظيفتـه فى ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦ (١٣١) .

واضافة الى ذلك فقد ادخلت السلطة تعديلات على قانون الطوارىء كان يحكم بمقتضاها بالاعدام او الحبس المؤبد على كل من يطلق النار على الجنود البريطانيين او رجال الشرطة او يعطل استعمال اى ميناء او سكك حديدية او طريق عام او يخرب ويعطل اى خط تليفونى او تلغرافى . كما تضمن القـانون جواز فرض غرامة مشتركة اما نقدا او باخـذ دواب او اغنام او محصولات زراعية على اى بلدة او قرية او منطقة يعتقـد حاكم اللواء ان سكانها ارتكبوا جريمة أو تسببوا فى ايقاع الخسارة أو تستروا او حرضوا او امتنعوا عن تقديم المساعدة الممكنة .

وقد صدرت بموجب هذا القانون احكام عديدة على المواطنين ، منها مثلا حكم بالسجن ست سنوات لحيازة مسدس ، وخمس سنوات لحيازة ١٢ رصاصـة ، وسنتان لحمل مدية واسبوعان لحيازة عصا ، مما يوحى بالعنف وجو الارهاب الذى كان سائدا فى البلاد (١٣٢) .

الوساطة العربية لايقاف الثورة

وحاولت الحكومة البريطانية خلال اشهر الصـيف الحصـول على مساعدة الحكام العرب لتهدئة الاحوال فى فلسطين . ففى ١٦ يونية ثم فى اوائل اغسطس تقابل الامير عبد الله مع اعضاء اللجنة العربية العليا

فى عمان وحاول اقناعهم بانهاء الاضراب وقبول فكرة اللجنة الملكية ولكنه لم يوفق فى مسعاه (١٢٣) .

وكان أمير شرقى الأردن قد صرح لأعضاء اللجنة انه أخذ وعدا من المندوب السامى بوقف الهجرة اذا توقف الاضراب فبادر المندوب الى نفى ذلك نفيا باتا دون أن يراعى موقف الأمير ، ثم عاد المندوب السامى الى سعيه ووسط الأمير الذى قام بالوساطة ، لكن اللجنة العربية العليا ظلت متمسكة برأيها (١٢٤) .

ويروى تقرير بريطانى أن الأمير عبد الله قال لأعضاء اللجنة العربية العليا الذين حضروا اجتماع ٥ اغسطس انه فى امكانهم اذا كانوا راغبين فى قيامه بالوساطة وضع نهاية لأعمال العنف حتى يكون قادرا على مفاتحة الحكومة البريطانية فى الموضوع وتقديم طلبات اللجنة . ويدلنا على ضعف موقف القيادة الرسمية فى ذلك الاجتماع أن المطالب العربية التى ذكرت انحصرت فيما يلى :

— ايقاف الهجرة اليهودية .

— التحقيق مع المسجونين السياسيين .

— العفو عن المسجونين الذين أدينوا بتهم ناشئة عن الثورة .

— التغاضى عن تحصيل الغرامات الجماعية التى فرضت على القرى .

وقد طولب الأمير بتقديم ضمانات مكتوبة من الحكومة بالنسبة للتنازلات التى ستقدم لايقاف الثورة ، لكنه لم يكن قادرا على أن يفعل ذلك مما دفع المؤتمرين الى ترك المؤتمر غير راضين لكن الأمير واصل جهوده للتأثير على مختلف أعضاء اللجنة العربية العليا والوطنيين الآخرين للمساعدة فى استعادة النظام حتى يمكن للجنة الملكية أن تسافر الى فلسطين (١٢٥)

وكان قد سبق توسط الأمير وساطة اخرى ثانوية قام بها المستر دانيال أوليفر وهو رجل انجليزى من طائفة « الفرندز » أى الأصدقاء اقام فى لبنان مدة طويلة واحسن التحدث باللغة العربية ، وقد ذهب الى القدس والتقى بأعضاء اللجنة العربية العليا وقابل الأمير عبد الله لكنه لم يوفق فى وساطته .

ومن ناحية أخرى فقد تقدم الملك عبد العزيز بن سعود والملك غازى والامام يحيى بمذكرة مشتركة الى ملك بريطانيا ابدوا فيها رأيهم فىالقضية وأعربوا عن رغبتهم فى أن تجد الحكومة البريطانية حلا سريعا لهذه القضية (١٣٦)

وفى الوقت الذى كان المندوب السامى ووزير المستعمرات يأملان أن تنجح محاولات القمع فى سحق الثورة كانا يبحثان عن وسائل سياسة لانهاء الاضراب فأجريت بالفعل اتصالات مع المملكة العربية السعودية والعراق .

وكان القادة السياسيون فى فلسطين على الرغم من استمرار الاضراب العام وتزايد قوة الثورة فى تلك المرحلة متلهفين على التوصل الى تسوية مع الحكومة فقد كتب عونى عبد الهادى خلال النصف الثانى من اغسطس رسالة الى المندوب السامى فحواها أن القادة العرب مستعدون لايقاف الثورة اذا ترتب على ذلك وقف الهجرة وقفا تاما .(١٣٧)

واستمرار لمحاولات التوسط عقد اجتماع فى بغداد فى ١٨ أغسطس برياسة الملك غازى وحضور ياسين الهاشمى رئيس الوزارة العراقية والسفير البريطانى فى العراق حيث بحثت المسألة الفلسطينية ، وتوجه نورى السعيد وزير خارجية العراق الى القدس بعد ذلك بيومين حيث حل ضيفا على الحكومة وعرض خدماته كوسيط غير رسمى . وكان النطاق المحدد له على مابدا أن تتقبل اللجنة العربية فكرة الوساطة مقابل وعود غير مشروطة واستمرت المباحثات عدة أيام مع أعضاء اللجنة والمعتقلين العرب فى صرفند والمندوب السامى والأمير عبد الله وتمخضت عن موافقة اللجنة العربية العليا فى أجتماع عقد فى ٢٦ أغسطس على قبول وساطة الوزير العراقى على الأسس التالية :

أولا : أن تصدر اللجنة العربية العليا بيانا الى الشعب بوقف الاضراب والثورة .

ثانيا : ان توقف الحكومة الهجرة اليهودية حتى تضع اللجنة الملكية تقريرها .

ثالثا : ان تقوم حكومة العراق بالسعى لدى بريطانيا لانجاز مطالب العرب المشروعة .

رابعا : ان تلغى الغرامات وتوقف عمليات التفتيش ويطلق سراح المعتقلين ويتم العفو عن المتهمين فى احداث الثورة .

وارسلت اللجنة العربية العليا الى نورى السعيد تستدعيه من الاسكندرية للسفر الى القدس لوضع الصيغة النهائية لأسس الوساطة وتم بحث الموقف فى اجتماعين عقدتهما اللجنة فى ٢٩ ، ٣٠ اغسطس بحضور نورى السعيد حيث أصدرت اللجنة بيانا فى ٣١ اغسطس توافق فيه على قبولها لوساطة الحكومة العراقية وملوك العرب وأمرائهم (١٣٨) .

وقد وافقت اللجنة على قبول وساطة نورى السعيد بعد ان رفضت وساطة الأمير عبد الله مرتين لاعتقادها بأن وساطة عربية تشترك فيها العواصم العربية كفيلة بدعم كفاح عرب فلسطين ولحماسة رجال حزب الدفاع لقبول تلك الوساطة (١٣٩) . وتفاديا لحدوث انشقاق داخل اللجنة العربية العليا (١٤٠) .

ورغم موافقة اللجنة العربية رسميا على الوساطة ، لكن يبدو أن أمين الحسينى شخصيا لم يكن حريصا فى تلك الفترة على سرعة الوصول الى قرار فى هذا الشأن . ويفسر القاوقجى فى مذكراته هذه النقطة حيث يشير الى انه بعد وصوله الى فلسطين فى أواخر اغسطس ١٩٣٦ اخبره محمد اسحق درويش — احد رجالات أمين الحسينى المقربين عن الحالة المؤسفة التى وصلت اليها البلاد واستعداد اللجنة العربية لقبول اقتراح بتفويض نورى السعيد فى الأمر ووقف الثورة . لكن القاوقجى نصحه بأن تتمهل اللجنة العربية العليا اسبوعا واحدا تماطل خلاله فى المفاوضة حتى يقوم بعملية عسكرية قد يعزز بها موقف اللجنة فى تلك المباحثات (١٤١) .

وتؤكد احدى الوثائق البريطانية انه رغم ظروف الجماهير القاسية فى هذا الوقت لكنها كانت تحث القيادة الرسمية على الثبات على

موقفها حتى يستجاب للمطالب الوطنية التى بذلت فى سبيلها كثير من التضحيات (١٤٢) .

وغادر نورى السعيد فلسطين لاتمام مساعيه ، وانتعشت آمال العرب الذين راوا فى تدخل الحكام العرب تطورا عظيما يعيد قضيتهم الى وضعها الطبيعى كجزء من الحركة العربية العامة بعد ان كادت تصبح قضية محلية .

وراى الانجليز فى ذلك الانتعاش خطورة يلزم ايقافها ، فاغتنموا فرصة كتاب ارسله وايزمان الى وزير المستعمرات بشأن مانشر فى صحيفة يهودية عن موافقة الانجليز على شروط العرب لايقاف الثورة(١٤٣) فارسل الوزير خطابا الى وايزمان فى ٢ سبتمبر يوضح فيه ان المندوب السامى لم يوافق على شروط معينة لتسوية الموقف وانه ليس هناك تفويض لنورى السعيد لاعطاء مثل هذه الوعود (١٤٤) .

واذاعت الحكومة البريطانية بيانا فى ٧ سبتمبر ١٩٣٦ اوضحت فيه تطور الامور منذ بدء الاضراب مما اعتبرته تحديا مباشرا للسلطة ، وانه يجب اعادة النظام الى البلاد قبل قيام اللجنة الملكية بمهمتها وان الملوك والامراء العرب هم الذين اعربوا من حين لاخر عن رغبتهم فى التوسط ، وان الاحداث الجسيمة استمرت فى الوقوع رغم قيام الوساطة وانه لا يمكن السماح باستمرار العنف والتهديد به ، وانه وجد من الضرورى ارسال نجدات كبرى جديدة الى فلسطين ، ووقع الاختيار على اللفتننت جنرال دل — رئيس هيئة اركان حرب الامبراطورية البريطانية فيما بعد — لقيادة القوات العسكرية فى فلسطين (١٤٥) .

واستقبل المندوب السامى بعد صدور البيان امين الحسينى وراغب النشاشيبى وعونى عبد الهادى كلا على انفراد قبل اجتماع اللجنة العربية العليا لبحث الموقف البريطانى الاخير ، ويستفاد من تقرير للمندوب السامى ان هؤلاء الزعماء ابدوا استعدادهم « للحث على وقف الاضطرابات وانهاء الاضراب دون شرط مسبق اذا طلب منهم ذلك الملوك العرب » .

وتوجه وفد من اللجنة العربية العليا فى اواخر سبتمبر للاجتماع بالملك ابن سعود كما توجه عونى عبد الهادى فى التاسع والعشرين من

الشهر نفسه الى شرقى الأردن ، ونتيجة لهذه الاتصالات وطبقا لاستشارات مع الحكومة البريطانية وجه الملك عبد العزيز والملك غازى والأمير عبدالله نداءات الى عرب فلسطين دعوهم فيها الى انهاء الاضراب وقف الثورة(١٤٦) وقد صدر النداء الأول فى ٨ أكتوبر بتوقيع « عبدالعزيز » وصدر النداءان الآخران فى اليوم التالى وكانت كلها ذات نص واحد « الى أبنائنا عرب فلسطين — لقد تألمنا كثيرا للحالة — السائدة فى فلسطين . فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للاخلاد الى السكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأنها ستواصل السعى فى سبيل مساعدتكم » .

وعلى اثر وصول هذا النداء اذاعت اللجنة العربية العليا على الأمة البيان التالى : « قررت اللجنة العربية العليا بالاجماع وبعد استشارة مندوبى اللجان القومية والحصول على موافقتهم باتفاق الآراء أن تلبى نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المنشور اعلاه ، وأن تدعو الأمة العربية الكبيرة فى فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح يوم الاثنين المبارك الواقع فى ٢٦ رجب ١٣٥٥ وفق ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ ، وأن يبكر أفراد الأمة الكريمة فى صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ورفع الشكر لله تعالى على ما الهمهم من صبر وجلد ، ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة والله ولى التوفيق » (١٤٧) .

وعلى ضوء ماورد فى المصادر المختلفة وما اكدته الوثائق البريطانية يمكن تحديد عدة نقاط هامة بشأن الوساطة العربية لايقاف الثورة .

اولا : ان عملية الوساطة فى بدايتها سواء تلك التى قام بها الأمير عبد الله أو التى قام بها نورى السعيد كانت بتوجيه من الحكومة البريطانية وكان هدفها تهدئة الأحوال فى فلسطين وليس القيام بدور حقيقى لتسوية الموقف .

فبالنسبة للامير عبد الله تتضح هذه الحقيقة من خطاب القاه الأمير فى وفد من رجالات فلسطين فى تلك الفترة « ومهمتى تنحصر فى التمهيد

بينكم وبين الحكومة لتتقابلوا واياها عند نقطة يسهل عليكما فيها البدء فى المفاوضات . والحكومة على استعداد للتقدم خطوة الى الأمام اذا قبل العرب التقدم خطوة من جهتهم » (١٤٨) وليس من المعقول أن يتحدث الأمير باسم الحكومة البريطانية ويقدم شروطا لاعادة النظر فى الموقف دون أن يكون قد كلف بالقيام بهذا الدور .

وعندما وصل نورى السعيد الى القدس حل ضيفا على المندوب السامى ، فهو اذن يقوم بمهمة تريدها أو تهتم بها الادارة المنتدبة اهتماما خاصا يجعلها تستضيفه خلال اقامته فى القدس . لكن نورى السعيد لم يقم بهذه المهمة كوسيط رسمى حرصا على ان يبقى زمام الموقف دائما فى يد بريطانية ، وحتى لا تبدو بمظهر المتراجع او المستسلم أمام تلك الثورة العربيـــة .

واضافة الى ذلك فان المصادر الصهيونية تذكر أن الادارة المنتدبة فى فلسطين — التى كانت تعمل من غير شك بناء على تعليمات من لندن — شجعت تدخل الدول العربية للقيام بهذا الدور . فدعت وزير خارجية العراق الى التفاوض مع اللجنة العربية العليا (١٤٩) . كما يشير مارلو الى أنه كان واضحا ان كلا من المحاولتين اللتين قام بهما كل من الأمير عبد الله ونورى السعيد قد تمتا بموافقة ضمنية من تلك الادارة (١٥٠) . كما يروى مصدر بريطانى أن الأمير عبد الله كان حريصا على القيام بدوره دون توريط لحكومة فلسطين (١٥١) .

ثانيا : ان فكرة تدخل الحكام العرب متضامنين لايقاف الثورة بتوجيه البيان المشترك الى عرب فلسطين كانت نابعة من اللجنة العربية العليا ولم تكن صادرة من هؤلاء الحكام ، وانها تمت بناء على رغبة اللجنة . فعندما اعترضت اللجنة العربية العليا فى بداية الوساطة على ايقاف الثورة مقابل وعود غير مضمونة التنفيذ وطالبت نورى السعيد بضمانات فى هذا الشأن اقترحت ان يكون التوسط باسم الملوك العرب وأمير شرقى الأردن ضمانا للتنفيذ خاصة وأن الملك عبد العزيز آل سعود كان قد عرض توسطه على اللجنة قبل شهر مضى على الأساس الذى عرضه نورى السعيد فرحب نورى السعيد بأن تكون الوساطة باسم ملوك

العرب والأمير لكنه اخبر أعضاء اللجنة انه لايمكن قبول تحفظات لقيام الوساطة ، واصدرت اللجنة بيانا فى ٣١ اغسطس ١٩٣٦ أوضحت فيه موافقتها على وساطة الحكومة العراقية وملوك العرب وأمرائهم (١٥٢) .

وتلقى الوثائق البريطانية أضواء هامة على موضوع الوساطة التى قام بها الملكان والأمير العربى فتذكر ان اللجنة قررت فى اجتماع لها فى ١٣ سبتمبر حتمية البحث عن وسائل تحصل بها اللجنة على تأييد مماثل لذلك الذى قدمه نورى السعيد قبل اسبوعين ، واقترح بشكل عام الاستجابة للحكام العرب على اساس أن قيامهم بتمثيل عرب فلسطين لدى الحكومة البريطانية سوف ينقذ اعضاء اللجنة العربية العليا من حراجة موقفهم الى درجة كبيرة . وكانت الصعوبة الرئيسية انه بدون امكانية ارضاء الجماهير العربية ببعض التنازلات فان اللجنة ستجد نفسها غير قادرة على مواجهة الجماهير بعد اكثر من خمسة اشهر من المعاناة (١٥٣).

كما تؤكد الوثائق أن اللجنة كانت متلهفة على تدخل الملوك العرب، حتى أن جميع أعضائها وقعوا على مسودة للبيان الذى سيذاع على عرب فلسطين لدعوتهم الى انهاء الاضراب وايقاف الثورة قبل وصول نداء الملوك العرب بخمسة أيام ، وان الملك عبد العزيز آل سعود لم يعداللجنة بشىء قبل صدور البيان وانه ترك لهم حرية تحديد موقفهم على ضوء مصلحة البلاد الوطنية ، وان كان قد حذرهم من خطورة الموقف وأن اللجنة العربية العليا وافقت على صدور نداء الملوك دون شروط .

ففى اجتماع طارىء عقدته اللجنة العربية يوم ٢٢ سبتمبر عرض موضوع الرسالة التى حملها الشيخ كامل القصاب كمبعوث خاص للملك عبد العزيز ، وعبر القصاب لأعضاء اللجنة عن اهتمام الحكام العرب بقضية عرب فلسطين موضحا أن ابن سعود يرغب فى تلقى تأكيد باستعداد الزعماء العرب فى فلسطين لقبول نصيحته ووقف الثورة ، وأنه يعتقد أن الحكومة البريطانية ستكون فى مثل هذه الظروف عادلة مع العرب عندما تنظر فى النهاية فى توصيات اللجنة الملكية . وأرسلت اللجنة الى ابن سعود تخبره أنها مستعدة لقبول نصيحته وانتظار ندائه واوامره بشرط أن يكون مقتنعا بحسن نية الحكومة البريطانية فى النظر الى مطالب العرب

والتى يجب أن نبرهن عليها بتحقيق بعض المطالب فور استعادة النظام كدليل على حسن نيتها (١٥٤) .

وعاد الشيخ كامل القصاب الى اللجنة يحمل رسالة من ابن سعود فحواها أنه وحكام العراق واليمن قد تشاوروا مع الحكومة البريطانية التى وافقت على قيامهم بدور الوساطة ، لكنه لم يكن مستعدا لأن يعد بشىء قبل استعادة النظام ، وان اهتماما سيعطى بعد ذلك لمطالب العرب، وانه مستعد لأن يبعث الى اللجنة نداء مشتركا من الحكام العرب لايقاف الثورة .

وبعد مداولات عديدة أرسلت اللجنة العربية العليا ردا الى الملك عبد العزيز تشكره والحكام العرب مساعدتهم ومقاصدهم النبيلة ، وأوضح هذا الرد انه فور تسلم النداء فان اللجنة مستعدة لاعلان نهاية الاضراب وضمان استعادة النظام ، واشير الى اهمية صدور عفو عام عن الثوار والافراج عن اشخاص ادينوا بموجب قوانين الطوارىء ، لكن الشيخ كامل القصاب أكد لأعضاء اللجنة أنه لا يمكن اضافة شروط الى النداء .

وعقد اجتماع للجنة العربية العليا يوم ٣ اكتوبر ، وفى هذا الاجتماع قرا القنصل العراقى فى حيفا على أعضاء اللجنة برقية أرسلتها حكومته، وطلب القنصل من اعضاء اللجنة صورة البيان الذى يقترحون نشره لدعوة الجماهير الى ايقاف الثورة بعد استلام نداء الحكام ، وأعدت اللجنة البيان ووقع عليه جميع اعضاء اللجنة باستثناء عبد اللطيف صلاح الذى كان غائبا . وأرسل القنصل العراقى هذه الوثيقة الى حكومته .

وفى اجتماع طارىء للجنة العربية العليا قام الشيخ كامل القصاب بقراءة رسالة من ابن سعود كان نصها كما يلى :

« لم يكن من الممكن لحكومة جلالته أن تعطى اية وعود . وقد قمت حتى الآن بثلاثة اتصالات مع تلك الحكومة ولست مستعدا لأن افعل ذلك مرة أخرى . فاذا كان تقديركم أنكم تستطيعون الاستمرار فى نضالكم مع تحقيق نتائج طيبة فهذا شأنكم وعلينا فى هذه الحالة أن نقدم اليكم أية مساعدة ممكنة ومن الناحية الأخرى اذا كنتم ترغبون أن نرسل اليكم نداء لايتضمن قيودا فنحن مستعدون للاستجابة . وعلى أى حال فانى أنصحكم

أن تفكروا بجدية فى أفضل المواقف لمصلحة بلدكم وأن تضعوا نصب أعينكم النتائج الصعبة المحتلة لاستمرار نضالكم الذى لايمكن أن يستمر دون خسائر كبيرة يترتب عليها هزيمتكم فى النهاية . ولعل الله يحول دون أن تكون مثل هذه النتيجة هى نهاية نضالكم لأن ذلك سوف يؤثر على الوطن العربى كله وليس عليكم وحدكم . ولذلك فانى انصحكم بقبول النداء الذى نرسله اليكم . ويمكنكم أن تتأكدوا أنى وأولادى سوف نقدم اليكم اية مساعدة نستطيعها مهما كانت » .

وقد زود أعضاء اللجنة فى هذا الاجتماع بمشروع الوثيقة التى سترسل اليهم من الحكام العرب لانهاء الاضراب وايقاف الثورة . كما فهم أن الأمير عبد الله قد تلقى نسخة من نداء الحكام العرب (١٥٥) .

فاللجنة العربية العليا هى التى حاولت أن تحمل الحكام العرب مسئولية الدعوة لايقاف الاضراب والثورة ادراكا منها لخطورة ايقاف الاضراب بمبادرة مباشرة منها بسبب عدم ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وادراكا منها ايضا لاستحالة استمرار الاضراب وقتا طويلا آخر (١٥٦). فليس صحيحا اذن مايقال فى بعض المصادر من أن الرؤساء العرب هم الذين تسببوا فى ايقاف الثورة وانه لولا قيامهم بدور الوساطة لاستمرت الثورة ، فقد تم ارسال النداء بناء على طلب اللجنة العربية العليا وبموافقة منها ودون التزام محدد من جانب الرؤساء العرب سوى الوعد باعطاء اهتمام لمطالب عرب فلسطين .

توقف الثورة

وتوقف الاضراب والثورة اعتبارا من صباح ١٢ أكتوبر ، وسمح للعصابات أن تحل نفسها ، كما سمح للثوار القادمين من الدول العربية المجاورة باجتياز الحدود تدريجيا والعودة الى الاقطار التى جاءوا منها ، واخذ الجو العام يميل الى الهدوء (١٥٢) .

وكان الشيخ الأسمر قد عاد الى سوريا بعد توقف القتال مع من كان معه من المجاهدين السوريين ، وأما فوزى القاوقجى فقد بقى فى منطقة جنين نحو عشرة أيام يستقبل الوفود التى اتجهت اليه تبارك جهاده .

وخشيت السلطة أن يبقى القاوقجى بفلسطين فحاولت تطويقه ، فزحف النـــاس من كل ناحيـــة — مسلحين وغير مسلحين — الى المنطقة التى كان بهـــا ، واتصلت اللجنـــة العربيـــة العليـــا بالسلطة ، وتمكن القاوقجى ومن معه من الانسحاب الى شرقى الأردن بعد أن أذاع بيـــانه الأخير الى أهل فلسطين مشيرا الى بســـالتهم النـــادرة منبها الســـلطة البريطانية الى أنه توقف عن القتال استجابة لنداء الملوك وأنه والمجاهدون العرب مستعدون لاستئناف الثـــورة بعزم أقـــوى اذا لم تتحقق مطالب العرب .

واغتبط عرب فلسطين للنتيجة التى خرجوا بها بعد اضرابهم الطويل فقد عادت قضيتهم الى نطاق القضية العربيـــة ، وكان شعورهم أن وقف الثورة هو بمثابة هـــدنة وأنهم كانوا الطرف المنتصر فى الجولة الأولى ، وأعطاهم جهادهم شحنة قوية من الحيوية والكرامة والاستعلاء (١٥٨) .

ويؤكد أحد التقارير البريطانية الدورية هذا المعنى حيث يشـــير الى انه كان لدى العرب انطبـــاع فى أجزاء كثيرة من البـــلاد بأنهم قـــد حققوا نجـــاحا بصمودهم فى ذلك الاضراب الطويل وأن الصهيونيـــة قـــد كبح جماحها (١٥٩) .

وكانت حكومة فلســـطين تذيع خلال المرحلة الأولى من الثورة بلاغات رسمية عن تطورات الحالة ، وقد صدر يوم توقف الاضراب البـــلاغ رقم ٢٨٦ وهو خاص بما حدث ليلة توقف الثورة ، وقـــد تضمن حدوث بعض الضرر لأنابيب البترول واشعال النار فى البترول ، وقتل أحد جنود الشرطة الاضافيين اليهود (١٦٠) . ويعنى رقم البلاغ اذا قارناه بعدد أيام الاضراب. وقدرها ١٧٧ يوما أن بلاغات الحكومة لم تنقطع فى تلك المرحـــلة ، وان أحداث الثورة كانت متلاحقة ومنتظمة .

أسباب توقف الثورة

وتتضارب المراجع المختلفـــة عند حديثها عن الأسباب الحقيقية لوقف الثورة ، فيرى الدكتور عبـــد الوهاب الـــكيالى أن الأســـباب التى حملت اللجنة العربية العليـــا على ذلك تتصل على الأرجح بتقديرها لمدى خطورة ماتطورت اليه الحالة العسكرية بعد وصول الفرقة البريطانية الجديدة ،

وإلى انتشار البطالة بسبب الثورة ، واقتراب موسم الحمضيات الذى يمس مصالح الكثيرين من الوجهاء السياسيين ، الأمر الذى جعل استمرار الاضراب محل خلاف (١٦١) .

ويرى محمد عزة دروزه ان ما اصاب المصالح الاقتصادية قد يكون من الأسباب الضاغطة لوقف الاضراب الطويل (١٦٢) .

واما الدكتور اميل توما فيرجع اسباب اندفاع الملوك العرب وامير شرقى الأردن الى الميدان الى عدد من العوامل أبرزها استنجاد أصحاب البيارات بهم لانقاذ موسم البرتقال الذى يمثل « ثروة البلاد الكبرى » ثم ايحاء بريطانيا للملوك لانهاء الاضراب لأن الثورة أصبحت تحرج الادارة البريطانية عسكريا وسياسيا فى ظروف تميزت باحتدام الوضع الدولى ، وان مصلحة الامبراطورية البريطانية تلاقت مع مصالح الملوك والأمراء العرب ، لأن الثورة لا يمكن أن تقف عند حد أو يقتصر تفاعلها على اقليم واحد (١٦٣) .

وأما جيفريز فيرجع ذلك الى عاملين : التعزيزات العسكرية التى ارسلت الى فلسطين ، والبيان الذى وجهه ملكا الحجاز والعراق وامير شرقى الأردن (١٦٤) .

وأما وليمز فيضيف الى هذين العاملين عاملين آخرين ، وهما الضيق الذى سببه الاضراب الطويل لدى الفلسطينيين العاديين وبدء موسم الموالح (١٦٥) .

أما روبرت جون وسامى هداوى فيرجعان توقف الثورة الى عدم استطاعة الثوار الصمود الطويل أمام القوات البريطانية الكبيرة العدد، ، والى أن كثيرا من العرب قد أرهقوا من النزاع الطويل وعدم الاستقرار الشخصى والتضحية المالية التى يتطلبها الموقف والى اقتراب موسم جمع الثمار (١٦٦) .

وأما نيفيل باربور فيشير الى عاملين فى هذا الشأن وهما : وصول التعزيزات العسكرية وما تحمله أهل المدن من معاناة وخسائر كبيرة (١٦٧) .

أما مارلو فيرى ان اقتراب موسم شحن الثمار كان بداية التأثير فى

الاجماع العربى لمواصلة الاضراب ، وانه عندما بدأ الاضراب فى أبريل ١٩٣٦ كان معظم العرب يفكرون بلغة اضراب الخمسين يوما كما حدث فى سوريا ، وأن قليلين جدا كانوا يتوقعون استمراره حتى الخريف التالى حيث يبدأ موسم الثمار فى نوفمبر ، وان استمرار الاضراب خلال موسم جمع الثمار كان يعنى افلاسا اقتصاديا لمئات كثيرة من العرب وشبه مجاعة لآلاف آخرين ووصولا بالاجماع العربى الى نقطة التفسخ (١٦٨) .

اما تقرير اللجنة الملكية فيرى انه لم يعد باستطاعة الثوار أن يصمدوا طويلا امام القوة العسكرية الكبيرة ، كما أن كثيرا من العرب كانوا قد سئموا الصراع ، بالاضافة الى خشية الجماهير من احتمال خسارة موسم البرتقال (١٦٩) .

لكن يعتقد ان العامل الحاسم فى وقف الثورة يرجع بالدرجة الأولى الى تدهور الاوضاع الاقتصادية فى البلاد الى درجة لم تعد تسمح بمزيد من الصمود او المقاومة . فوساطة الملوك العرب رغم أهميتها لم تكن سوى وسيلة مشرفة لايقاف الثورة ، ولو لم يتدخل الملوك العرب لبحث الزعماء الفلسطينيون عن وسيلة اخرى لتسوية الموقف . وأما عن تعاظم القوة العسكرية فقد ازدادت اهميتها نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية ، ولو كانت تلك الأوضاع تسمح بمزيد من الصمود ما كان للقوة العسكرية أن تتسبب فى اخماد الثورة .

فلقد كانت النفوس مهيأة تماما ، وكانت غالبية الجماهير ترى فى استمرار عملية تهويد البلاد موتا بطيئا لا محالة ، وتصر على رفع راية العصيان والمقاومة حتى النهاية . وترى فى الصمود أملا ربما أسفر فى النهاية عن شيء من الحفاظ على النوع ، ومن هنا كانت الجماهير رغم ظروفها الاقتصادية السيئة مستعدة للاستمرار اليائس ، وكانت فى حاجة ماسة لالتقاط أنفاسها ، لكنها لم تطالب بذلك ولم تدع اليه تاركة للقيادة السياسية اتخاذ ماتراه من قرارات .

ويعطى احد المصادر الوطنية صورة عن أحوال الناس خلال تلك الفترة « وقد ضربت المجاعة أطنابها فى فلسطين كلها ، وأصبح أغنى الأغنياء يشتهى القرش فى يده ، وأما الفقراء فلا يعلم بحالهم الا الله » ويضيف نفس المصدر أن عدد المنكوبين الذين كانوا يتناولون الخبز من لجان

ألاعانة فى فلسطين بلغ ثلاثمائة الف نسمة منهم أربعون الفا فى يافا وحدها (١٧٠) .

لقد كانت الخسارة الاقتصادية التى حدثت للعرب جسيمة جدا ، وكانت مدينة يافا أكثر المدن معاناة . فحوالى ثلثى الحركة التجارية التى كانت تمر بيافا قد تحولت اما الى حيفا أو تل أبيب ، كما أن كثيرين من الوكلاء العرب فى يافا فقدوا ارتباطاتهم مع الوكالات الاقتصادية والبنوك ، كما أن كل الأعمال والمحلات اليهودية انسحبت من يافا الى تل أبيب ، وأما باقى البلاد — باستثناء حيفا — فقد عانت كثيرا لكن بدرجة أقل من يافا (١٧١) فقد ارتفعت البطالة بشكل خطير فى كل المدن العربية (١٧٢) وكان هناك شك قليل فى أن نابلس تتجه نحو افلاس اقتصادى ، واقتربت موارد العرب من الاستنزاف (١٧٣) .

لقد استمرت المرحلة الأولى من الثورة ستة أشهر توقفت فيهما كل المصالح والأعمال الرئيسية العربية . فالعمال توقفوا عن أعمالهم ، والتجار أغلقوا متاجرهم ، وتوقفت حركة الاستيراد والتصدير بالنسبة للعرب بسبب امتناع البحارة العرب عن استقبال البواخر وشلت حركة المواصلات الداخلية ، وترك الفلاح ثمار حقله بعد نضجها ولم يعرضها للبيع . وكان من نتائج هذا كله أن تدهورت الأوضاع الاقتصادية وتعطلت موارد الرزق ونضب مالدى الناس . وشارك الكثيرون فى تحمل ضريبة الجهاد . فصاحب العمارة توقف عن المطالبة بايجار عمارته ، وصاحب الأرض امتنع عن المطالبة بايجارها ، والدائنون أوقفوا مالهم من ديون ، وقد أضر ذلك كله بأحوال البلاد ضررا بالغا (١٧٤) .

واذا أضفنا الى ذلك كله ماحدث من فقد للانفس واتلاف للأملاك وهدم للمساكن وتدمير للمقتنيات وخسائر فى كل مرفق من مرافق البلاد ، أدركنا كيف قام هذا الشعب بثورته فى ظروف قاسية وكم تحمل دفاعا عن حياته ووجوده وتصورنا تلك الظروف الاقتصادية التى عملت فيهما القيادة السياسية على ايقاف الثورة .

أسـباب الثورة

فما الذى دفع شعبا عربيا الى القيام باضراب كبير لعله اطول اضراب شعبى عرفه التـاريخ ؟ ما الذى جعل هـذا الاضراب شـاملا كل مظاهر الحيـاة فى فلسطين ودفع مئـات من عرب فلسطين الى حمل السـلاح ومقاومة قوات بريطانيـا العظمى تلك الامبراطـورية التى كانت لا تغيب عنها الشمس ؟

لقد تحدث أعضاء اللجنة العربية العليا أمام اللجنة الملـكية وذكروا اسبابا عديدة للثورة اختلفت من شخص الى آخر . فجمال الحسينى رئيس الحزب العربى الفلسطينى يرجع اهم أسـباب الثورة الى فرض الانتداب وتصريح بالفور وعدم انشاء حكومة وطنيـة ، ويضيف عوامل أخرى اقل اهميـة هى تحيز الحكومة لليهود ثم سياسة الحكومة فيما يتعلق بالأراضى والهجرة (١٧٥) .

ومحمد عزة دروزة يرجع الأسـباب الرئيسية للثورة الى عدم معالجة القضية العربية كقضية قومية واعتراف الحكومة بصـلة اليهود القـديمة بفلسطين التى انقطعت منذ الفى سنة ، وتجاهل الحكومة جهود العـرب وتضحياتهم فى الثورة العربيـة ، واهمالها احتجاجات العرب ومطـالبهم طيلة سبعة عشر عاما ثم التهوين دائما من مخاوف العرب (١٧٦) .

والدكتور حسين الخالدى يرجع ذلك الى عدم قيام الانتداب بمهمته فى تنمية الحكم الذاتى ومؤسساته (١٧٧) . وعبد اللطيف صـلاح يرجع السبب الأساسى للثورة الى خيبة آمال العرب المعقودة على بريطانيا لنيل حقوقهم واستقلالهم (١٧٨) . وفؤاد سابا يرجع أسباب عدم الاستقرار ليس الى عوامل سياسية فقط بل الى أسـباب اقتصـادية أيضـا والى حـد كبير (١٧٩) . بينما ركزا عونى عبد الهـادى على محـاباة الحكومة لليهود واعطائها لعمالهم أجورا أعلى مما يتقاضاه العمال العرب ، وتمكين اليهود من الاستيلاء على جميع المرافق الحيوية فى البلاد ووضع الحكومة كلمـة « أرض اسرائيل » بالعبرية على النقود والطوابع الفلسطينية (١٨٠) .

وأما امين الحسينى رئيس اللجنـة فقـد أرجع سـبب الثورة الى

حرمان عرب فلسطين من التمتع بحقوقهم الطبيعية والسياسية واصرار الحكومة البريطانية على اتباع سياسة ترمى الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين (١٨١) .

واما بالنسبة للمراجع العربية فقد أرجع احدهما سبب الثورة الى تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين (١٨٢) وارجعها مصدر ثان الى عده أسباب اساسية هى الهجرة والأراضى والحكم الذاتى وتسلح اليهود والاستهانة بمشاعر العرب (١٨٣) . واعتبر مصدر ثالث محاولة الحكومة سحب مشروع المجلس التشريعى الهزيل من العوامل التى دفعت عرب فلسطين الى التوثب (١٨٤) . وأرجع مصدر رابع تعميق شعور اليأس فى الجماهير العربية الى عاملين : ارتفاع الهجرة اليهودية الى رقم قياسى عام ١٩٣٥ (٦١٫٨٥٤) وتجميد الادارة البريطانية لمشروع المجلس التشريعى (١٨٥) . واعتبر مصدر خامس أن الأسباب الحقيقية للثورة تكمن فى وصول حدة التناقض ذروتها فى عملية انتقال المجتمع الفلسطينى من الاقتصاد الزراعى الاقطاعى العربى الى الاقتصاد الصناعى البرجوازى (١٨٦) .

وكان تقدير احدى المجلات الفلسطينية الاقتصادية المعاصرة للثورة أن العوامل الاقتصادية لم تكن أقل أثرا فى غليان النفوس وثورتها من العمل السياسى : فالهجرة الجارفة واستئثار اليهود بموارد البلاد الرئيسية وتهافت العمال الغرباء على قوت العمال الوطنيين واقبال اليهود على شراء الأرض العربية وحماية السلطة لبعض الصناعات اليهودية الجديدة التى لم تنشأ عن حاجة حقيقية . كل تلك العوامل الاقتصادية جعلت الحياة فى فلسطين لاتطاق ولا يمكن احتمالها (١٨٧) واعتبر مصدر أجنبى أن سبب الانفجار يرجع الى الزيادة المفاجئة فى نسبة الهجرة اليهودية التى اعقبت وصول هتلر الى السلطة (١٨٨) . وقد سئل وزير المستعمرات فى ٦ مايو ١٩٣٦ فى مجلس العموم البريطانى عن الأسباب الأساسية للاضطرابات فأرجع ذلك الى سخط العرب وتصميمهم على ايقاف الهجرة اليهودية (١٨٩) .

واما تقرير اللجنة الملكية التى ذهبت الى فلسطين بعد المرحلة الأولى من الثورة لبحث الأسباب الأساسية للثورة ، فقد أرجع ذلك الى سببين رئيسيين وحيدين هما : رغبة العرب فى الاستقلال القومى وكرههم لانشاء

الوطن القومى اليهودى وتخوفهم منه . أما باقى العوامل الأخـرى فقـد اعتبرتها اللجنة ثانوية أو متممة لهذين السببين (١٩٠) .

تلك هى الأسباب التى عرضتها المصادر المختلفة عن اسباب الثورة. وقـد يكون منطقيـا عند الحـديث عن ثورة شعبية أن نعدد أمثال تلك الأسباب أو نرتبها حسب اهميتها واولوياتها . ومع التسليم بأن الأسباب المختلفـة التى أشير اليها ساهمت جميعها بدرجات متفـاوتة فى تهيئـة المنـاخ الطبيعى للثورة فان هـذه الثورة تختلف عن غيرها من الثورات .

فعندما تحركت الجماهير وقامت بثورتها لم تكن تطالب بتحقيق مطلب معين ، بل كانت ترفع راية العصـيان فى وجـه السلطة المنتدبة بعد أن بات مصـيرها مهددا بالفنـاء . وهـذا بيان اللجنة القومية فى حيفا فى الأيام الأولى للاضراب يوضح هـذا المعنى « ولم تكن الغاية من الاضراب الا أن تحمل السلطة الجـائرة على تغيير خطتها التى ثارت عليها الى الآن متجاهلة وجودك وحقك الطبيعى فى بلادك » (١٩١) .

وهذه برقية مرسلة من اللجنة العربية العليـا الى لجنة الانتدابات فى جنيف نلمح فيها تعبيرا عن تلك الحـالة النفسـية التى كانت تسيطر على عرب فلسطين « وان عرب فلسطين ليفضلون الموت فى هذا الاضراب على الرجـوع الى الحـالات السـابقة التى كانت تـدفع بهم الى الفناء » (١٩٢) .

وتلقفت القيادة الوطنية هذا السخط الثورى المتفجر لتقـدم مطالبها التقليدية : ايقاف الهجرة وقفـا تاما ومنع انتقـال الأراضى العربية لليهود وتشكيل حكومة وطنيـة تكون مسـئولة امام مجلس نيـابى . لـكن الجماهير عنـدما قامت بالثورة لم تكن تهـدف الا الى شىء واحـد هو ايقاف المـد الاستعمارى ومقاومة السياسة البريطانية التى أوصلتهم الى تلك الحـالة اليـائسة والتى وفرت الظروف المنـاسبة لاتمام بناء الوطن القومى اليهودى حتى على حساب الشعب العربى ومصالحه وحقوقه . وهذا هو تقرير اللجنـة الملـكية يشير الى شىء من هـذا المعنى عندما يقول « ان العرب وان كانوا يرون أن لهم ظلامات ناشـئة عن الطريقـة التى اتبعت فى تطبيق الانتـداب ، لـكنهم لايبنون قضـيتهم على هـذه الظلامات . بل أن أصل المصيبة عندهم هو الانتداب نفسه » (١٩٣) .

لقد وضعت بريطانيا كل امكاناتها وخبراتها منذ وجودها فى فلسطين فى خدمة سياستها التى كانت ترمى الى خدمة مصالحها الاستراتيجية . فقد وضعت تصريح بالفور موضع التنفيذ حتى قبل أن تكلف رسميا بالانتداب من قبل عصبة الأمم . ووجدت فى سياسة التضليل والخداع والتمويه وامتصاص غضب الجماهير العربية والتصريحات المطمئنة وادعاء النزاهة والحيدة وارسال اللجان واللجوء احيانا الى القوة والعنف — وسائل مختلفة توصل جميعها الى متابعة سياستها المرسومة فى بناء الوطن القومى اليهودى .

لقد ظل الشعب العربى فى فلسطين رافعا شعارات السلام طوال العشرينيات سواء مع اليهود أو البريطانيين . وكان الزعماء العرب مستعدين للتفاهم مع اليهود اذا تخلى هؤلاء عن سياسة تصريح بالفور، كما كانوا يحسنون الظن ببريطانيا ولا يتصورون أن تظل بريطانيا متمسكة بسياستها حتى لو ترتب على ذلك افناءهم والقضاء على مصالحهم .

ومع تنبههم فى السنوات الأولى من الثلاثينيات الى أن الاستعمار البريطانى هو سبب كل هذا البلاء وانه لولاه ما كان هناك وطن قومى يهودى ، بدءوا يوجهون عداءهم الى الانتداب البريطانى بشكل اساسى ويغيرون من نظرتهم الى بريطانيا ويأخذون مواقف منها ظلت تتطور من الاضراب والمظاهرات الى المقاطعة الاجتماعية الى تحرك ثورى متمثل فى حركة الشيخ القسام ، ثم الى اضراب طويل وشامل تخللته ثورة شعبية مسلحة معادية للانتداب البريطانى ولكل مايمثله من قوى وسياسات ومخططات . فلقد وجد الشعب العربى فى فلسطين نفسه بعد مايقرب من عشرين عاما من الوجود البريطانى فى فلسطين وقد فقد كثيرا من ارضه وغمرته جحافل اليهود من انحاء العالم وحرم من اى شكل من اشكال الحكم الدستورى ، وتأكد هذا الشعب أن هناك نية مبيتة لتصفية وجوده والقضاء على كيانه ، وفقد الأمل فى امكان تراجع بريطانيا من تلك السياسة .

وتتضح هذه المعانى كلها فى بيانات اللجنة العربية العليا وتصريحات بعض القيادات العربية وتعليقاتها فى ذلك الوقت . فهذا هو يعقوب الغصين رئيس لجنة الشباب وعضو اللجنة العربية العليا يصرح خلال

الاضراب « والآن بعد ان لمس عرب فلسطين هـذه الأضرار كلهـا ورأوا شبح الموت يهددهم بالفنـاء العاجل ، وبعد ان اصمت السلطة آذانها عن سماع شكاواهم وضربت بمطالبهم عرض الحـائط . وبعد أن اسـتعمل العرب جميع الوسائل لحمل الحكومة على تعديل سياستها فلم تعـدل ، وبعد أن رفضت الحكومة أن تعمل حتى بتقـارير لجانها وخبرائها ، بعد هذا كله يجد العرب انفسهم مضطرين الى الدفاع عن حياتهم وعن وطنهم ومستقبلهم لأن قضيتهم قضـية موت أو حياة لهم . وهذه الحركة الأخيرة القائمة فى فلسطين ليست الا حركة دفاع عن الحياة » (١٩٤) .

وفى مقال للمجاهد الفلسطينى محمد على الطـاهر بعـد زيارة له لفلسطين خلال المرحلة الأولى للثورة يقول أن مايحدث فى فلسطين فى ذلك الوقت ليس سوى « حركة وطنيـة وثورة قومية هـدفهما الـدفاع عن الحياة ومقصدهما حفظ الوطن من الضياع » (١٩٥) .

وهذا بيان وطنى صـادر فى عام ١٩٣٧ يقول انه عندما تبين للشعب العربى فى فلسطين مصيره المحتوم « ثار ثورة اليـائس المستميت وهـو لا ينشد الا الحيـاة » (١٩٦) .

كانت المسألة اذن مسألة حيـاة أو موت ، مسألة وطن عـربى أو وطن قومى لليهود ، ولم يكن هنـاك طريق وسط بينهما . فقد كان العرب غير مستعدين للتفـاهم مع اليهود على أسـاس تصريح بالفـور . وكان اليهود بدورهم غير مستعدين للتفـاهم مع العرب الا على أساس هـذا التصريح ، وكانت السياسة البريطانية تلقى بكل ثقلها فى خدمة الصهيونية وان كانت تتظاهر بحيـادها بين العرب واليهود . وكان واضحا من كل المشروعات الدستورية التى مرت بالبـلاد منذ الانتداب ان بريطانيا ليست مستعدة لاعطاء البـلاد اى نوع من الاسـتقلال يكون الحكم فيه فى يد الأغلبية العربيـة ، بل انها لم تكن مستعدة الا لمعاملة العرب دستوريا على قدم المساواة مع اليهود .

كان كل ذلك يملأ نفوس العرب ضيقا واضطرابا ، ويزيد من كراهيتهم للانتـداب والصهيونيـة ويحفز قواهم للانطلاق فى أول فرصة مواتية ، ولم تكن القيـادات العربية القـائمة قبل الثورة قد تمكنت من الاستفادة

من تلك الطاقات بوضع خطة عمل تلتزم بها الجماهير أو فى بناء اقتصاديات البلاد أو فى تقدير سليم للموقف تتحرك الجماهير فى اطاره . وظل الأمر هكذا حتى انفجرت الجماهير فى ابريل ١٩٣٦ ساخطة غاضبة مندفعة الى اى طريق يحمل معنى الثورة على الانتداب ، مصممة على المقاومة والتحدى مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك . وجمعت القيادة العربية القائمة شملها وتناست خلافاتها — مرحليا — لتحافظ على مكانتها فى نفوس الجماهير وتبقى متصدرة للقيادة محاولة التعبير عن مطالب الجماهير التى كانت قد تجاوزت آمال تلك القيادة وتقديراتها .

فالثورة اذن ثورة شعبية عربية معادية للاستعمار والصهيونية تعمل على حفظ كيانها وتحاول الوقوف امام محاولات تصفيتها . ولم يكن هدفها تحقيق الاستقلال لكنه كان عملية دفاع عن النفس واستماتة من اجل البقاء ومواجهة لعمليات التصفية غير المباشرة واستعداد للتضحية بالنفس والمال من أجل تأكيد حق العرب فى الحياة وفى ادارة شئون وطنهم وفق مايرغبون . ولا يعنى ذلك بطبيعة الحال ان الثورة لم تكن تريد الاستقلال فهذا مطلب الجماهير وأملها ، لكن الجماهير عندما انفجرت ثائرة لم تكن رافعة شعار الاستقلال الوطنى رغم انه غايتها ، لكنها كانت ثائرة كما قلت دفاعا عن حياتها وحفاظا على وطنها ومصالحها .

القيادة السياسية

كنت القيادة السياسية خلال المرحلة الأولى للثورة ممثلة فى اللجنة العربية العليا تلك اللجنة التى تكونت من ممثلى الأحزاب والجماعات المختلفة القائمة فى فلسطين ، والتى كانت فى حقيقة امرها قيادة بورجوازية رغم وجود عدد محدود من ممثلى المثقفين فيها مثل عونى عبد الهادى أو من ممثلى البورجوازية الصغيرة مثل محمد عزة دروزة ، لكن الطابع العام لتلك القيادة انها ممثلة البورجوازية الكبيرة والنامية . ومن هنا يمكن تفهم كثير من مواقف تلك القيادة فى هذه المرحلة . فهى قيادة وطنية تعمل على تحقيق المطالب العربية بوسائلها السلمية والمشروعة ، كما تحرص على الحفاظ على مصالحها وتاكيدها ، لكنها ليست قيادة ثورية بطبيعة الحال ، فليس التطرف من سماتها وليس العمل الثورى

من وسائلها ، وليس الصـدام العنيف مع السلطة ضمن مشروعاتها لكنها مستعدة لمسايرة اية تطورات ثورية شـعبية ـ بدرجات متفاوتة بالنسبة لـكل عضـو من أعضائها ـ حرصا منها على استمرار القيام بدورها فى قيـادة الجماهير لـكن بالقدر الذى لا يفجر الموقف الى صـدام مبـاشر مع السلطة او يؤدى الى فقدان تلك القيادة لمصالحها .

فقد كان الاعتـدال احد ملامح تلك القيـادة رغم التـأييد الشعبى الـكبير الذى كان يلتف حولها ويؤازرها . فيلاحظ من قراءة الرسالة التى ارسلتها اللجنة العربية العليـا الى المنـدوب السامى يوم تشكيلها (٢٥ أبريل ١٩٣٦) محددة فيها مطالب الأمة انه لم يرد ضمنها أية اشارة الى الاستقلال الوطنى ، مما يوضح ان القيـادة العربية فى تلك المرحـلة لم تكن تطمع فى اكثر من حكومة وطنيـة مسئولة أمام مجلس نيابى فى اطار الانتداب نفسه .

ويتضح هذا السلوك المعتـدل لاعضـاء اللجنة العربية العليا من سؤال وجه فى مجلس العموم البريطانى فى ٢٦ مايو اى بعد اكثر من شهر على بداية الاضراب عن نشاط اللجنـة العربية العليـا أجاب عليه المستر ماكدونلد بأن اللجنـة حتى ذلك الوقت قـد حاولت أن تكبح جماح العناصر المتطرفة وأن تعلن عن عدم موافقتها على تشجيع اجراءات العنف (١٩٧) .

ولم تحاول تلك القيادة أن تستفيد من طـاقات الجمـاهير وحركتها للتأكيد على مطلب الاستقلال الوطنى . فقـد طرحت اللجنة العربية العليا فى بداية الاضراب ثلاثة مطالب : ايقـاف الهجرة وقفا تاما ، ومنع انتقال الأراضى العربيـة لليهود منعا باتا ، وقيـام حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيـابى . وقـد بقيت اللجنـة متمسكة بهذه المطالب حتى بعـد قيـام الثورة الشعبية المسلحة (١٩٨) . فلم يطرح مطلب الاسـتقلال حتى مع اشتداد الأزمة وتطور الأعمـال الثورية ، واذا وردت هـذه الـكلمة فى بيـانات اللجنـة فعلى سـبيل التعميم والأهـداف العـامة دون ادخالها فى مطالب الأمة المقـدمة رسميا الى السلطة « فالاستقلال التـام هو هـدف الأمة العربية الأول ، وهو الذى نرمى اليه ونعمل له وللوحدة العربيـة » (١٩٩) « ... وفى سبيل تحقيق أهـدافها القوميـة والظفر بحريتهم واستقلالهم ووحدتهم وسيادتهم » (٢٠٠) .

وقد نبهت الجماهير قيادتها بعد تبين موقف بريطانيا فى نهاية الاضراب واصرارها على استمرار الهجرة الى ضرورة تغيير مطالبها التى أعلنتها فى بداية الاضراب والمطالبة بالاستقلال . فهؤلاء هم المعتقلون السياسيون بالمعتقل رقم ١ بصرفند — وعددهم حوالى مائتين — يعبرون عن رأيهم فى الحالة فى تلك المرحلة « ولا ينقص هذه الأمة الا صلابة القيادة ، فهى فى فلسطين دائما فى المؤخرة ، مندفعة لا دافعة ومسوقة لا سائقة وكابحة لا جامحة ، ولو كانت غيرها لقطعنا اشواطا » ثم يطالب البيان اللجنة العربية العليا بأن تعلن ارادة الأمة برفض الانتداب البريطانى وأنتصر على نيل الاستقلال . وهؤلاء هم المعتقلون السياسيون بالمعتقل رقم ٢ بصرفند يعبرون عن موقفهم « فلا يسعنا بعد هذا الا أن نمضى فى جهادنا الى النهاية ، وللقوة الظالمة أن تصنع ماتشاء واننا نرجو من اللجنة الفلسطينية بمصر ان تبلغ اللجنة العربية العليا بالقدس امام العالم اجمع أن الواجب عليها ترك التردد ، وان تعلن تغيير المطالب التى تنادى بها والأسس التى تمشى عليها ، فتصر على طلب استقلال البلاد ، لأن السكوت على الانتداب يعتبر جريمة الآن . وبذلك تتجه الحركةالوطنية اتجاها صحيحا ، وتكون اللجنة قد ادت الأمانة . والا فلتعتزل ولتترك الانكليز يقتلون ويدمرون .. » (٢٠١) .

ولا نجد فى بيانات اللجنة العربية العليا فى تلك المرحلة مايشير الى أن الاستعمار البريطانى هو الخطر الأساسى الذى تواجهه البلاد بل اننا نجد فى بعض بيانات اللجنة عدم فهم لحقيقة تلك العلاقة العضوية بين الاستعمار والصهيونية . وقد يكون ذلك طبيعيا فى السنوات الأولى من الانتداب ، لكن بعد مرور مايقرب من عشرين عاما على الاحتلال ، فشىء يشير الى عدم تفهم كامل لهذه الحقيقة . فقد ورد فى بيان للجنة موجه الى الأمة خلال الاضراب « واستمرت الحكومة على مناصرة السياسة الصهيونية التى ترمى الى تأسيس المملكة اليهودية فى هذا الوطن العربى » (٢٠٢) فلم يكن الأمر أمر مناصرة للسياسة الصهيونية كما يصورها البيان ، بل كان قضية ارتباط وتعهد التزمت به الحكومة البريطانية واخذته على عاتقها وتحملت مسئوليتها فى تنفيذه .

لكننا نجد فى بيانات اللجنة حديثا كثيرا عن التضحية والروح الفياضة والعزيمة الصادقة واستنكار السياسة الخاطئة والوضع الجائر

الذى وضعتهم فيه السياسة بريطانية (٢٠٣) بينما نجد فى بيانات الحرس الوطنى واللجان القومية قاعدة الحركة الوطنية فى تلك المرحلة ذلك المعنى الذى اشير اليه وهو اعتبار الاستعمار البريطانى أصل الداء . ففى بيان للحرس الوطنى نلمس ذلك الخط الوطنى الذى استقامت عليه الحركة الوطنية « هم الأصل فى قضيتنا واليهود الفرع . هم الذين رمونا بالصهيونية وهم الذين يهدرون دماء ابنائنا دفاعا عن هذه الحركة الآثمة » (٢٠٤) وفى بيان اللجنة القومية فى حيفا أرجعت اللجنة جذور الشر كلها الى السياسة البريطانية (٢٠٥) . لكن ذلك لا يعنى أن اللجان القومية كانت جميعها متفقة فى مطالبها أو متشددة عن اللجنة العربية العليا .

ويلاحظ ايضا من مراجعة عدد من بيانات اللجنة التى صدرت فى تواريخ مختلفة ان شعار الاضراب السلمى ظل مطروحا حتى بعد قيام الثورة الشعبية المسلحة . مما يوضح أن اللجنة كانت حريصة على استمرار الاضراب السلمى . ففى البيان الذى أذاعته اللجنة فى ٢٣ مايو ١٩٣٦ — وهو نفس التاريخ الذى بدأت فيه الأعمال المسلحة ترد ثلاث اشارات فى البيان الى هذا المعنى (٢٠٦) . وفى ١٤ يونية — اى بعد قيام الأعمال المسلحة — نقرأ هذه العبارة فى برقية مرسلة من امين الحسينى الى رئيس الوزارة البريطانية « ان العرب يعتقدون ان هذه السياسة مؤدية حتما الى فنائهم القومى ، ومصممون على المضى فى اضرابهم السلمى حتى الموت اذا لزم الأمر » (٢٠٧) وفى بيان للجنة العربية العليا فى ١٩ يوليو بمناسبة مرور مائة يوم على الاضراب « مضى على نهوضك المبارك واضرابك السلمى مائة يوم كاملة . . . » (٢٠٨) .

ولم يكن الأمر مجرد حرص على رفع شعار الوسائل السلمية . بل ان اللجنة كانت تدعو الأمة الى التريث والاتزان حتى فى الوقت الذى قد يحتاج فيه العمل الوطنى الى مزيد من ضغط الجماهير على السلطة . ففى الوقت الذى كان نورى السعيد يقوم فيه بدور الوساطة ولم يكن الموقف قد تحددت معالمه بعد اذاعت اللجنة بيانا على الأمة جاء فيه « وستستمر الأمة على اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما رافعة الرأس راسخة الايمان متريثة رزينة ، الى أن تصل هذه المفاوضات الى النتيجة المرغوبة » (٢٠٩) .

ولعل ذلك يفسر عدم قيام السلطة خلال الاضراب باتخاذ مواقف عنيفة ضد اعضاء اللجنة كاعتقالهم أو نفيهم ، حتى انه لم يلق القبض خلال المرحلة الأولى الا على واحد فقط من اعضاء اللجنة هو عونى عبد الهادى بالنظر لما أسماه المندوب السامى واكهوب بقدراته التنظيمية كما لاقى خليفته فى المنصب محمد عزة دروزة — نفس المصير (٢١٠) .

ويلاحظ أن اللجنة كانت متفائلة أكثر مما يجب رغم عدم وجود أية بوادر أو تطورات موضوعية تؤدى الى مثل هذا التفاؤل « انك موقن بأن يوم الفوز آت لا ريب فيه » « واللجنة العليا ... واثقة كل الثقة ببلوغ الغاية المنشودة » .

ونجد فى بعض بيانات اللجنة العربية العليا او برقياتها خلال المرحلة الأولى من الثورة شيئا من التعالى الطبقى فقد ورد فى بيان اللجنة الى المندوب السامى فى ١٥ يونية ١٩٣٦ اشارتين الى هذا المعنى ، الأولى عند التحدث عن ارغام الشرطة للمارة من الناس على تنظيف الشوارع من المسامير وغيرها « دون تفريق بين المقامات » والثانية عند الاشارة الى ان السلطة تعتقل من تشاء ومن تريد وتعاملهم معاملة سيئة لا تتفق والقوانين المرعية « وبينهم العلماء والزعماء والشيوخ » (٢١١) وفى برقية مرسلة من اللجنة العربية العليا الى وزير المستعمرات فى ٢١ يونية ١٩٣٦ احتجاجا على سياسة الابعاد والتشريد « ان السلطات الحكومية فى فلسطين اخذت تتوسع فى سياسة الابعاد والتشريد حتى شملت كثيرا من الرجال المثقفين ذوى المكانة الاجتماعية العالية » (٢١٢) .

لكن رغم تلك التناقضات بين القاعدة الشعبية والقيادة الوطنية ، فقد بقى موقف اللجان القومية من اللجنة العربية العليا خلال المرحلة الأولى من الثورة كما هو : تلتزم بقيادتها وتقدم لها ماتشاء من اقتراحات وتدفعها الى مزيد من القرارات الثورية ، ولا تسمح لنفسها بالخروج على قراراتها . كما بقى موقف اللجنة العربية العليا من اللجان القومية كما هو : تعتبرها قاعدة العمل الوطنى وتستجيب لمطالبها وترجع اليها عندما تريد أن تصدر قرارا هاما . فقد حدث عندما وافقت اللجنة العربية العليا على قبول وساطة الرؤساء العرب أن أعلنت فى بيان اذاعته على الأمة فى ٣١

أغسطس أن اللجنة ستعرض الأمر على الأمة بواسطة لجانها القوميةلأخذ رأيها والحصول على موافقتها (٢١٣) الى غير ذلك من الأمثلة .

وبشكل عام فان الشعب العربى فى فلسطين كان يمنح اللجنة العربية ثقته ويستجيب لقراراتها وتعليماتها حتى فى احلك الظروف التى مرت بها الثورة ، وهذا تقرير بريطانى يؤكد هذه الحقيقة « فبالرغم من المخاوف الكبيرة من جانب منتجى الثمار الحمضية الذين تعتمد أرزاقهم ومستقبلهم على استعادة النظام فى أقرب وقت ممكن ، فليس هناك دلائل عى أن الحياة الطبيعية سوف تستأنف فى البلاد مالم تطلب اللجنة العربية العليا ذلك رسميا » (٢١٤) .

كان هناك اذن حرص من الجماهير وقيادتها الوطنية على أن يظل الارتباط قائما وقويا بينهما ، وكانت العلاقات الاجتماعية والمفاهيم الدينية السائدة وعدم وجود تشكيلات حزبية أو عمالية قوية تساعد على استمرار هيمنة تلك القيادة حتى ان اختلفت طبيعة المرحلة . وكانت القيادة من ناحيتها حريصة على محاولة التجاوب مع حركة الجماهير وعدم ترك الأمور تفلت من يديها . ولعل هذا يفسر معنى استمرار تلك القيادة فى تولى أمور القيادة السياسية والى حد ما القيادة العسكرية فى تلك المرحلة (٢١٥) .

ورغم أن عبارة « القيادة السياسية » فى تلك المرحلة تعنى « اللجنة العربية العليا » التى كانت تقود العمل السياسى رسميا ، لكن الحقيقة أن أمين الحسينى كان يتحمل المسئولية الرئيسية فى ادارة كافة الشئون وفى توجيه مختلف الأجهزة واللجان بل وفى اتخاذ كثير من القرارات الهامة سواء صدرت منه مباشرة أو عن طريق اللجان القومية . فلم تكن « اللجنة العربية العليا » فى حقيقة الأمر سوى واجهة رسمية لتلك الوحدة الوطنية التى كان عرب فلسطين حريصين على وجودها منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى .

ولقد كان أمين الحسينى مدركا لتلك التناقضات المتمثلة فى تشكيل تلك اللجنة . لكنه كان حريصا على أن يظهر اللجنة بمظهر القائد الفعلى للحركة الوطنية حتى يدفع الجميع الى تحمل المسئولية وحتىيستفيد من تلك الواجهة فى دعم الأوضاع السياسية لعرب فلسطين ، وكان بعض أعضاء اللجنة فى نفس الوقت حريصين على دفع اللجنة الى اتخاذ

قرارات معادية لبريطانيا رغبة منهم فى توريط أمين الحسينى شخصيا وفى تأزيم العلاقات بينه وبين السلطه وفى اظهاره امام الجماهير بمظهر الرجل المعتدل الحريص على علاقته الطيبة مع بريطانيا غير المستعد للنضال أو المقاومة . لكن الرجل كان يضيع على خصومه كثيرا من تلك المواقف وكان يحاول السيطرة على كل المواقع المؤثرة فى حركة الثورة ، محتكما الى اللجان القومية كلما أراد اتخاذ قرار هام تلتزم به اللجنةالعربية العليا . وكان أمين الحسينى يحقق بهذا الالتجاء التى تلك اللجان هدفين هامين : أولهما أنه يعطى للقرار قوة سايسية مؤثرة بصدوره من تلكالقاعدة الشعبية العريضة التى تثق فى قيادته وتلتف حوله ، وثانيهما أنه يواجه به اية تحركات أو تجمعات جانبية داخل اللجنة نفسها ويضع هؤلاء الذين يناصبونه العداء فى مواجهة ذلك التأييد الشعبى الكبير . وقد كان الرجل بارعا فى اكتساب ثقة الجماهير وفى احراج خصومه واظهارهم بمظهر المناوىء للحركة الوطنية .

ومن ناحية اخرى فقد كان أمين الحسينى حريصا على القيام بدور مزدوج فى قيادته للعمل السياسى . كان يظهر استعداده للتفاهم مع بريطانيا ويرفع شعارات الوسائل السلمية ولا يأخذ مواقف عنيفة ضد السلطة لكنه كان فى نفس الوقت يشجع الأعمال الثورية ويقف من وراء ستار مؤيدا تلك الثورة الشعبية المسلحة التى نشبت فى فلسطين واستمرت تحمل سلاحها حتى قيام الحرب العالمية الثانية . ومن هنا كان حرصه فى بداية الثورة على تجنب تحمل مسئولية القيادة الرسمية للثورة استمرارا لقيامه بذلك الدور المزدوج بعيدا عن السلطة السياسية الرسمية .

ويروى دروزه انه عندما اثيرت فكرة تشكيل لجنة عربية عليا يقودها الحاج أمين الحسينى للاشراف على الحركة الوطنية تردد الحاج امين فى فى بداية الأمر فى الاشتراك فى اللجنة نظرا لحرصه على القيام بدوره الوطنى دون تبوأ مركز علنى فى قيادة الحركة الوطنية ، وخشى الا يتضامن معه الآخرون الى النهاية ، لكن رجال حزب الاستقلال شجعوه علىتنفيذ الفكرة مما ساهم فى ازالة تردده ولم يكن وحده هو الذى تلقى الفكرة فى غير حماس ، فقد تردد راغب النشاشيبى رئيس حزب دفاع أيضا بسبب رياسة الحاج أمين للجنة ، لكن أمكن اقناعه بقبول الفكرة (٢١٦) .

ومن يتابع الحركة الوطنية فى فلسطين منذ بداية العشرينيات يلاحظ ان الحاج أمين كان حريصا منذ توليه منصب الافتاء فى ٨ مايو ١٩٢١ ثم رياسة المجلس الاسلامى الأعلى فى العام التالى على عدم اخذ مواقف عنيفة ضد السلطة وعلى عدم المشاركة فى الأحداث السياسية بطريقة علنية اذ كان يفضل أن يساهم بدوره الوطنى من وراء ستار ويوجه رجاله الى ماينبغى عمله ، لكنه كان يتجنب طوال المرحلةالسابقة لعام ١٩٣٦ ومنذ توليه منذين المنصبين الاصطدام بالسلطة . ولعل ذلك يرجع الى حرصه على الحفاظ على مكانته الدينية الكبيرة وعدم حدوث ما يمكن أن يخدش هذه المكانة بعد أن توطدت مكانته فى نفوس الجماهير وأحيط بهالة من القدسية كان حريصا على استمرارها .

لم يكن الحاج امين منذ بداية الانتداب وحتى عام ١٩٣٦ يأخذ مواقف معادية لبريطانيا لكنه فى نفس الوقت لم يكن متعاونا معها أو منفذا لسياستها أو مستعدا لقبول مشاريعها . كان معارضا للصهيونية وأساليبها ومخططاتها لكنه لم يأخذ هذه المواقف بشكل علنى ضد الانتداب . كان يؤمن بسياسة السلام مع بريطانيا ومحاولة تحقيق مطالب البلاد بالطرق السلمية . ويوجه جهود عرب فلسطين ضد تصريح بالفور والأهداف الصهيونية لا ضد بريطانيا والسلطة المنتدبة ، أحدث شعورا عاما معاديا للصهيونية لكنه لم بوجه الجماهير الى الخطر الحقيقى الذىكانت تواجهه البلاد وهو الاستعمار البريطانى لاعتقاده أن عرب فلسطين لا قبل لهم بانجلترا ، وان الجهود ينبغى أن توجه ضد اليهود . لم يكن تردد الحاج امين فى الاشتراك فى اللجنة العربية العليا راجعا الىخشيته من تضامن الآخرين الى النهاية ، وانما من حرصه على تجنب الصدام مع بريطانيا ، لأن عدم تضامن بعض أعضاء اللجنة لا يبرر عدم تحمل القيادة لمسئولياتها فى فترة حرجة من تاريخ الوطن . ويميل الدكتور عبد الوهاب الكيالى الى ترجيح هذا التفسير (٢١٧) كما يرى ناجى علوش ان الخشية من عدم التضامن كان تعللا (٢١٨) . ويتضح حرص الحاج أمين على تجنب الصدام مع بريطانيا حتى بعد بدء الاضراب فى أن دوائر المجلس الاسلامى الأعلى الذى يرأسه الحاج أمين الحسينى لم تشارك فى الاضراب الا فى ١١ يونية ١٩٣٦ (٢١٩) . أى بعد ٥٢ يوما من الاضراب كما انه لمدة اسبوعين او ثلاثة من بدء الاضراب لم يخرج خطباء المساجد

ـ الذين يخضعون لسيطرة المفتى ـ عن حد الاعتدال فى خطبهم (٢٢٠) .

ويبـدو أن مشاركة المجلس الاسـلامى الأعلى فى الاضراب لم تكن مشاركة جادة حيث يشير تقرير بريطانى مؤرخ فى ٢٣ يونية ١٩٣٦ الى أن خصوم الحـاج أمين كانوا يحاولون ارغامه على اعلان الاضراب تشجيعا لموظفى الحكومة على الاقـدام على هذه الخطوة ، وانه يحتمل أن يضطر الحاج أمين الى اعلان توقف العمل مؤقتا فى بعض وظائف المجلس (٢٢١) .

ولم يكن هذا الاتجاه مقتصرا على الحاج أمين الحسينى . بل اننـا نجده أيضا عند بعض الزعماء الحسينين . فهذا جمـال الحسينى رئيس الحزب العربى يشكو الى المندوب السامى واكهوب عند لقـاء الزعمـاء العرب به يوم ٢١ أبريل ١٩٣٦ من « موقف البوليس الذى أعطى للشعب انطباعا بأن العدو الحقيقى هم البريطانيون » (٢٢٢) ويوضح هذه الخلفية السياسية أحد رجالات فلسطين المقربين من الحاج امين فيذكر « أن عددا من زعماء البـلاد الوطنيين ومنهم المفتى الأكبر نفسه كانوا يبذلون جهودا صـادقة لحمل الانجليز على تعديل سياستهم والوصول الى تفاهم معهم لمصلحة العرب والبريطانيين أنفسهم ... بل انهم حاولوا ـ ولا نقـول حالوا ـ أيضا منع تطور حركة الشباب العربية الوطنيـة الجـديدة الى خصومة سافرة للانجليز ـ كل ذلك فى سبيل تحقيق فـكرة التعاون مع الحسينى قـد طولب باعلان الجهاد المقدس ، لـكن ليس من المحتمل أن

ويشير تقرير بريطـانى مؤرخ فى ٢٣ يونيـة الى أن الحـاج أمين الحسينى قـد طولب باعلان الجهاد المقدس ، لـكن ليس من المحتمل أن يفعل ذلك بشكل صريح لأنه ليس مستعدا لأن يخاطر بكل شىء ، وأن يحمل على عاتقـه كل المسئولية ، وأنه يحتمل أن يعطى اهتماما لابراز أية حادثة ذا صفة دينية أو علاقة بالمساجد أو الشعائر الدينية (٢٢٤) .

كان هنـاك حرص اذن من أمين الحسينى على عدم تأزم الموقف مع بريطانيـا وعلى تجنب قطع كل خيوط التفـاهم ، لـكنه كان منـذ فترة يسيرة وبعد تجربة تزيد على خمسة عشر عاما مع بريطانيا قـد بدأ يتجه الى التفكير فى النضـال المسلح كوسـيلة تدعم موقف العرب السياسى وتضغط على بريطانيا لتغير من سياستها فى فلسطين . لـكن تفكير أمين

الحسينى فى هـــذا الشأن كان سريا بدرجة كبيرة حتى أنه لم يتح لذلك الجانب حتى الآن قـــدر كبير من البيـــانات المؤيدة بالوثائق والتى تجلعنا نقيم دوره غير المعلن تقويما متكاملا .

ومن هنـــا فمن الصعب تحديد بداية اقتنـــاع أمين الحسينى بأهمية العمل المسلح خدمة للقضـــية الفلسطينية وهل كان قبل حركة القسام أم بعـــدها . لـــكنه يعتقد أنه حتى وان ثبت أن هـــذا التفكير كان ســـابقا لحركة القسام ، فلا شك أن تلك الحركة الناجحة وذلك المثل الرائد الذى ضربه الشيخ عز الدين القسام قـــد ترك بدوره آثارا فى زيادة اتجاه أمين الحسينى نحو الاستفادة بالنضال الشعبى المسلح .

ويعطينا القـــاوقجى فى مذكراته بعض اشـــارات يسيرة عن هـــذا الجانب حيث يذكر أنه اقترح عام ١٩٢٩ وهو فى الحجاز اعـــداد خطة للدفاع المسلح عن فلسطين وانه طلب لتنفيذها لـــكن حال دون ذلك طلب الانجليز ارسال وفد فلسطينى الى لندن للمفاوضة وأنه دعى الى فلسطين فى عامى ٣٤ ، ١٩٣٥ من قبل المفتى حيث تقرر نهائيا تنفيذ فكرة القيـــام بحملة على شرقى الأردن باعتبارها قاعدة للاعمـــال الثورية اللازمة فى سوريا وفلسطين على أن تبدأ هذه الحملة بعد اضطرابات بسيطة تقوم فى فلسطين ، ويكون هـــدف تلك الحملة ازالة نظام الأمير عبد الله وتكوين قوة عربية فى المنطقة تساعد فلسطين فى ثورتها وتوحد العمل الثورى فى فلسطين وشرقى الأردن (٢٢٥) كان أمين الحسينى اذن يريد أن ينظم شيئا من العمل المسلح قبيل ثورة ١٩٣٦ ومن الجائز أن يكون له دور فى تنظيم بعض العمليات المحدودة التى اشـــارت اليها بعض التقارير البريطانيـــة خلال الأشهر السابقة على ثورة ١٩٣٦ وان كان لم يثبت حتى الآن شىء من ذلك ، لـــكن الاضراب كان فرصة مواتيـــة لأمين الحسينى كى ينظم ويشجع النضال المسلح لكن بطريقة سرية ومن وراء ستار .

وتشير بعض المصادر الأجنبيـــة الى ذلك الدور المزدوج الذى كان يؤديه أمين الحسينى فهو يساعد من ناحيـــة فى توجيـــه وتنظيم الاضراب وحركة العصيان المدنى كما أنه من ناحية أخرى ينظم الثورة المسلحة فى التلال والتى كانت تدار بواسطته ومن يدور فى فلكه وليس بواسطة اللجنة العربية العليا كقيادة رسمية لعرب فلسطين .

وفى نفس الوقت فان الاضراب كان له فوائده بالنسبة للمفتى ، فقد استخدم كستار حتى تنظم عصابات الثورة نفسـها ، كمـا خلق ظروف الاضطراب التى تستطيع فيها عصابات الثورة أن تؤدى دورا افضل ، كما حول انتباه الشعب العربى الى ضرورة معارضة البريطانيين أيضا وليس الصهيونيين وحدهم (٢٢٦) .

ومع أن جماهير الشعب العربى فى فلسطين هى التى حملت السلاح تلقائيا خلال الاضراب لـكن امين الحسينى هو الذى قام بدور رئيسى فى تنظيم العمل المسلح وتشجيعه وتوفير الظروف المناسبة له .

ويذكر القاوقجى فى موضع آخر من مذكراته انه سافر الى القدس فى عام ١٩٣٥ ووضع خطتين لثورتين فى سوريا وفلسطين على أن تنفذ فى سورية أولا ، ثم سافر الى فلسطين فى أبريل ١٩٣٦ حيث تم التفاهم على كل شيء دون أن يوضح مع من كان تفاهمه ، وأنه شرع فى الاعداد للثورة فى سوريا لـكن الثورة قامت فى فلسطين ، فقرر عندئذ البدء فى تنفيذ الثورة فى فلسطين وبدأت الاستعدادات لذلك فى أوائل يونيـة ، واتجهت قـوافل المجاهـدين الى فلسطين فى ٢١ اغسطس حيث لحق القاوقجى بها بعد ذلك بأربعة أيام (٢٢٧) .

وبغض النظر عما ورد فى مذكرات القاوقجى من تضـارب بالنسبة لخطة الثورة التى كان يزمع القيـام بها حيث ذكر فى موضع انه دعى الى فلسطين عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ لتنفيذ فـكرة القيـام بحمـلة على شرق الأردن ثم يذكر فى موضـع آخر أنه وضـع فى عام ١٩٣٥ خطتين لثورتين فى سوريا وفلسطين ، ومع أنه يؤكد أنه هو الذى قرر تنفيذالثورة فى فلسطين بعد نشوبها ويوحى بأن دوره فى ذلك كان رئيسيا ، لـكن بعض المصادر الهامة تشير الى أن مشاركة الثوار العرب فى ثورةفلسطين كانت نتيجة لاتصالات بين بعض القادة العرب — وعلى رأسهم المفتى — وبين هؤلاء الثوار .

فيذكر دروزة أن حملة القاوقجى تمت بمساعى الحاج أمين الحسينى ومعين الماضى وعادل العظمة ومساعدة ياسين الهاشمى الذى كان يرأس الحكومة العراقية (٢٢٨) كما يذكر الدكتور عبد الوهاب الـكيالى أن سعيد العـاص والشيخ محمد الأشمر ذهبـا الى فلسطين نتيجة مساعى الحاج

أمين الحسينى كما يرجح (٢٢٩) كما يشير محمد اسحق درويش فى ذكرياته الى أن اللجنةالعربية العليا أرسلت الىالقاوقجى بعد قيام الثورة تستطلعه فى امكان اشتراكه فى المعركة فرحب بذلك ، لـكنه ذكر انه فى حاجة الى المـال لشراء الأسلحة واعداد المتطوعين ، فأرسلت اليه اللجنة العربية العليا بعض الأموال ، فأعد الحملة وجهزها بالأسلحةاللازمة والعربات(٢٣٠) ويؤكد مصدر أجنبى هام أن القيادة السياسية كانت على اتصـال قريب بالثورة وان هنـاك من الأسـباب الـكافية للاعتقاد أنها كانت منظمة الى حد كبير بواسطة أمين الحسينى (٢٣١) .

ويعتقد فى صدق تلك الروايات ، فليس من المتصـور أن يشارك ثوار من خارج فلسطين فى عمليات الثورة دون ترتيب وتفـاهم مع القيادة الوطنيـة للبلاد ، كما أن قيـام العصابات المختلفة بعملياتها كان يحتـاج بطبيعة الحال الى نفقـات وتيسيرات كانت القيـادة السياسية أقدر من غيرها على أدائها ، وان كان ذلك لا يقلل اطلاقا من أهمية الدور الذى قام به القاوقجى كثائر قومى ، ولا ينفى وجود نية لديه فى أية مرحلة لتنظيم ثورة مسلحة هنـا أو هناك ، ولا ينقص من قيمة الاسـتجابة الفـورية والشجاعة للقاوقجى واستعداده لتلبية نداء أمته العربية حينما كانت هناك حاجة الى جهده وخبرته .

ورغم ذلك السلوك العـام للقيـادة السياسية الذى يغلب عليـه الاتزان والتعقل ، ورغم عدم أخذها مواقف عنيفة أو متشددة مباشرة ضد السلطة ، لـكن كان من الطبيعى مع تطور أحداث الثورة ومع الحاجـة الى مزيد من تحديد المواقف على الجانبين ، ومع اسـتمرار السلطة فى تدعيم الوطن القومى اليهودى أن تسوء العلاقات بين السلطة والقيادة وأن تتجه الى نقطة اللاعودة . لـكن ذلك كان يحـدث بشكل بطىء وان كان مؤكدا . فمع نهـاية المرحلة الأولى من الثورة كان البريطـانيون يشعرون بالقلق من مساندة المفتى القوية للاضراب وتقديمه المساعدات المالية لتأمين نفقـات الثورة المسلحة ، لـكن المندوب السامى واكهوب كان يحـذر حكومته من الاعتقاد بأن الاطاحة بالمفتى أو بأعضـاء اللجنة سيترتب عليه القضاء على الثورة (٢٣٢) .

فالقيادة السياسية ممثلة فى أمين الحسينى بالذات كان لهـا دور

أساسي وهام فى تنظيم النضـــال المسلح وتشجيعه ضد بريطانيا ، لكنها كانت تقوم بذلك فى صمت ، بل انها كانت تتظاهر بعدم مسئوليتها عن تلك الأعمال الثورية حرصـــا منها على استمرار أداء دورها فى قيـــادة العمل الوطنى وتجنبـــا لأى صـــدام مباشر مع السلطة . ولعل ذلك الغموض فى موقف القيـــادة الوطنيـــة وتلك الازدواجية فى القيام بمسئولياتها هى التى دفعت كثيرا من الـــكتابات والدراسات التـــاريخية الى انتقاد موقف القيادة الوطنيـــة واتهامها بالسلبية والضـــعف بل واتهامها بالانفصــــال عن القاعدة الوطنيـــة . لـــكن الحقيقـــة ان أمين الحسينى لم يتخل عن أداء دوره الوطنى ، وحاول قدر ما سمحت به ظروفه وظروف فلسطين أن يقوم بواجبـــه وأن يحرك خطوط العمل الثورى لـــكن دون اعلان متجنبا الظهور بمظهر التـــأييد لهذا النضـــال المسلح ، مركزا نشاطه الظاهرى على الاضراب وما يتصـــل به ، رافعـــا شعار الوسائل السلمية ، حريصا تماما على تجنب صـــدام مبـــاشر مع السلطة متمسكا بالمطالب الوطنيـــة مستعدا للتفاهم مع السلطة اذا بدا منها ولو مؤقتـــا تغييرا فى مواقفها ، رافضا فى نفس الوقت أى مساومة على حقوق البلاد الأساسية .

القيـــادة العسكرية

وأما عن القيادة العسكرية للمرحلة الأولى للثورة فيشير عـــدد من المصـــادر الى أن فخرى عبد الهادى كان يقود الثورة قبل فوزى القاوقجى وانه انضوى تحت لواء القاوقجى بعد تحمله قيادة الثورة (٢٣٣) . لـــكن القاوقجى يتحدث فى مذكراته عن فخرى عبدالهادى كأحد القواد الفلسطينيين المبرزين لا باعتبـــاره القـــائد الفلسطينى الأول . فيـــذكر أنه بعد وصوله الى فلسطين فى أواخر أغسطس ١٩٣٦ اتصل بالمجاهـــدين الفلسطينيين وارسل فى طلب بعض الزعمـــاء وانه وصل اليه ليلة ٢٩ اغسطس فخرى عبد الهـــادى وعبد الرحيم ابو كمال والشـــيخ توفيق رئيس مجاهـــدى (علار) وانه تحدث اليهم واستوضح منهم حقيقة الأعمال الثورية فى ذلك الوقت كما أوضح لهم ماينوى عمله بشكل مختصر (٢٣٤) .

وتشير مصادر اخرى وثيقـــة الصلة بالهيئة العربيـــة العليـــا فى بيروت الى أن الشهيد عبد القادر الحسينى هو الذى أعلن الثورة المسلحة ويضيف أحد هذه المصـــادر أنه فى الأســـبوع الأخير من مايو افتقد أهل

القدس عبد القادر الحسينى وانه اعلن الثورة المسلحة بعد اسبوع من اختفائه فى ٢٩ مايو ١٩٣٦ واطلق على قواتها ا سم « الجهاد المقدس » وانه كان القائد العام لهذه الثورة (٢٣٥) .

تلك هى الاشارات التى وردت فى المصادر العربية الى القائد العسكرى لتلك المرحلة قبل القاوقجى . لكن القرائن تؤكد أن عبدالقادر الحسينى لم يكن قائد تلك المرحلة كما لم يكن هو الذى أعلن الثورة .

اولا : لأن الثورة قد بدأت على يد أهالى طولكرم فى الثالث والعشرين من مايو وليس فى ٢٩ مايو كما ذكر المصدر المشار اليه .

ثانيا : ان عبد القادر الحسينى قد اعتقل يوم ٢ يوليو ولم يخرج من المعتقل الا فى شهر سبتمبر ١٩٣٦ ، أى بعد وصول القاوقجى الى فلسطين .

ثالثا : ان مصدرا من مصادر المقاومة وآخر من مصادر الهيئة العربية العليا يشيران الى عبد القادر الحسينى باعتباره قائد المجاهدين فى منطقة القدس وليس قائد الثورة الفلسطينية (٢٣٦) .

ويعتقد ان فخرى عبد الهادى كان القائد العسكرى غير المتوج لمرحلة ماقبل وصول القاوقجى الى فلسطين خاصة وأن أحد المراجع التى اشارت الى ذلك مصدر معاصر وأساسى من مصادر الثورة الفلسطينية ، كما ان ذلك المصدر أشار الى فخرى عبد الهادى بعد وصول القاوقجى باعتباره قائد الفرقة الفلسطينية (٢٣٧) مما يشير الى أن فخرى عبد الهادى ظل قائد الثوار الفلسطينيين بعد انضمام القواد العرب لكن فى اطار القيادة العامة للثورة التى تولاها فوزى القاوقجى . وان كان أحد التقارير البريطانية قد اشار الى أن فخرى عبد الهادى كان منافسا لفوزى القاوقجى على القيادة (٢٣٨) . لكن القاوقجى لايشير فى مذكراته الى شيء من ذلك بل يذكر فى اماكن مختلفة الى تعاون فخري عبد الهادى معه مما يعنى قبول فخرى عبد الهادى واعترافه بالقاوقجى قائدا عاما للثورة .

وتشير المصادر المختلفة الى عدد من القيادات العسكرية الفلسطينية

الأخرى التى ظهرت ابان المرحلة الأولى للثورة مثل عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق ويوسف ابودرة وفرحان السعدى والشيخ عطية احمد والشيخ محمد الصالح ابو خالد وعبد الفتاح ابو عبد الله وحسن سلامه (٢٣٩) .

وقد تولى القاوقجى بعد وصوله الى فلسطين قيادة الثورة العربية، لكن ذلك لم يكن نتيجة قرار من القيادة السياسية وانما هو الذى اعلن نفسه قائدا عاما للثورة العربية فى سورية الجنوبية (فلسطين) (٢٤٠) .

ويذكر مصدر عربى أن قيادة القاوقجى لم تشمل كل انحاء فلسطين وانه كان هناك قيادات مستقلة عن بعضها فى عدد من المناطق (٢٤١) كما يشير مصدر اجنبى الى أنه من الناحية العملية لم يكن هناك قيادة مركزية للثورة فى تلك المرحلة ، وانه كان هناك عدة قيادات غير القاوقجى — مثل عبد الرحيم الحاج محمد — تنتحل هذا اللقب (٢٤٢).

وكان اهم القواد العرب غير الفلسطينيين — الذين عملوا مع القاوقجى — جاسم على قائد المجموعة الدرزية وحمد صعب قائد المجموعة العراقية والشيخ محمد الأشمر المسئول عن احدى المجموعات السورية، وسعيد العاص (من سوريا) الذى كان يقود مجموعة من عرب شرقى الأردن ومحمود أبو يحيى (من جبل العرب) (٢٤٣) .

ويذكر القاوقجى فى مذكراته — فى حديثه عن الثوار العرب الذين سئموا حياة الثورة القاسية وتركوا ميدان القتال — ان الشيخ محمد الاشمر استأذن فى الانسحاب الى شرقى الأردن مما يوحى بأن الشيخ الأشمر كان ضمن هؤلاء المنسحبين (٢٤٤) لكن تقريرا بريطانيا مؤرخا فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٦ يشير الى الاعتقاد بانه قد جرح خلال معارك الثورة (٢٤٥) .

وأما عن علاقة القيادات العسكرية بالقيادة السياسية اثناء الثورة، فيذكر مصدر قريب من أمين الحسينى أن القيادات العسكرية المختلفة كانت جميعها مرتبطة بالهيئة العربية العليا (٢٤٦) بينما يذكر مصدر أجنبى أن العلاقة بين اللجنة العربية العليا والثورة المسلحة فى الثلاثينات ليست

واضحة تماما ، وان الموقف الرسمى للجنة كان فحواه أنها ثورة تلقائيــة وأن القيادة السياسية ليست مسئولة عنها (٢٤٧) .

لكن مصدرا اجنبيا آخر يذكر أنه كقاعدة عامة فان القواد العسكريين كانوا مستقلين فى مناطقهم عن القيادة السياسية ، لكن كان هناك استثناءات بالنسبة للقــادة المشايعين للمفتى مثل عارف عبد الرازق الذى يشير اليه المصدر باعتباره رجل المفتى ، بينما يتحدث المصدر عن عبد الرحيم الحاج محمد باعتباره رجلا مستقلا عن المفتى يستمد سلطته من امكاناته الشخصية وصموده فى المعارك . ويضيف هذا المصدر أن أوامر القاوقجى كقائد عام للثورة لم تكن تتجاهل فقط ،، بل انه على الأغلب فان السياسة العــامة للقيادة السياسية لم تكن تبلغ اليه بصورة دائمة (٢٤٨) .

ومع أن القاوقجى يتجنب التحدث فى مذكراته عن تلك العلاقة التى كانت قائمة بينه وبين اللجنة العربية العليا أثناء الثورة ، لــكن من الممكن أن نتصور طبيعــة تلك العــلاقة فرغم أن القيادة السياسية ممثلة فى الحاج أمين الحسينى شخصيا هى التى اتت بالقــاوقجى الى فلســطين ووفرت له الامكانات اللازمة لعمله ، ورغم مايذكره وايزمان من أن الارتباط بين اللجنة العربية العليا والثورة كان واضحا للغاية وان القاوقجى كان صديقا قديما للمفتى(٢٤٩) . الا انه على ضوء ماتبين لى من دراسة شخصية كل من الرجلين وتتبع مرحلة من حيــاتهما فان كلا منهما من ذلك النوع الذى يصعب قيادته أو توجيهه أو اخضاعه لآخرين ، وأنه مهما كان نوع العلاقة القديمة بينهما فقد كان من الطبيعى أن تترك شخصية كل منهما وأفــكاره ومطامحه آثارها على حركته وأعمــاله ، والا يسمح المفتى لأى انســان يتعامل معه الا بالتحرك من خلاله وعدم تجاوز الحدود التى يرسمها له . كما أن القاوقجى من ناحيته رغم حرصه على المظهر الملتزم للجندى وعدم استعداده لشق عصــا الطاعة على القيادة السياسية كان من ذلك النوع من الرجال الذين يعملون وفق مايريدون لا وفق مايريد الآخرون ، وأنه اذا كان قــد رحب بالتوجه الى فلسطين لأداء واجبــه القــومى فان ذلك لايعنى خضــوعه لأحد أو تحركه من خلال قيادة أخرى ، وهو ماكان أمين الحسينى بطبيعتــه غير مستعد لقبوله وان كان حريصا على الاستفادة بخبرة القــاوقجى العسكرية من أجل قضــية بلده ، وهو ماتتضح آثاره

فى تجاهل القاوقجى عند اتخاذه للقرارات الهـــامة مثل موضـــوع ايقاف الاضراب أو انسحاب الثوار العرب بعد توقف الثورة .

ويتأكد لنـــا هذا المعنى من قراءة مذكرات القاوقجى حيث يذكر فى حديثه عن واقعـــة توقف الثورة ان اللجنة العربية العليا أخذت تسمعه فى ابهام عن امكانية عقـــد هـــدنة مع الانجليز ثم فوجىء باعلان الهدنة من جانب الانجليز وباذاعة نداء الملوك بالمـــذياع دون أن يكون له سابق اطلاع ، كما يذكر القاوقجي فى واقعـــة اخرى انه عندما ابلغ برغبةالقيادة السياسية فى انسحابه من فلسطين بعد توقف الثـــورة طلب أن يعطى وثيقة رسمية من القيـــادة السياسية تبين أن الانسحاب بطلب منها وأنه قام بواجبه وانهى مهمته ، لـــكنه أبلغ بعد ذلك بأن القيادة السياسية تقر جميع مايطلبه وتتعهد بتـــدبير احتياجاته لعملية الانسحاب وما بعـــدها ، اما الوثيقة التى يطلبها فانها تعتذر عن اعطائها له قبل انسحابه ، ومن الجائز أن تمنح له بعد حين (٢٥٠) .

وتعطينا هذه الأمثلة قـــدرا من التصور عن طبيعة تلك العـــلاقات التى كانت قائمة بين أمين الحسينى والقاوقجى خلال المرحلة الاولى من الثورة والتى كانت تبدو وكأنها علاقة طبيعيـــة ومباشرة وملتزمة لـــكنها فى حقيقة الأمر لم تكن سوى علاقة رسمية بين قيادتين وطنيتين لايجمعهما سوى وحدة المشاعر لـــكنهما يختلفان فى نظرتهما وفى اهدافهما . فبينما كان أمين الحسينى يقود الاضراب والثورة من أجل تحقيق هـــدف عاجل يتمثل فى ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ويطالب بعقد معاهدة مع بريطانيا ، كان القاوقجى يدعو فى بعض بيـــاناته الى النضـــال حتى انسحاب الجيوش البريطانية من فلسطين . ومن الممكن أن يكون ذلك بهدف دعائى للتعبير عن قوة الثورة وجسارتها . لـــكن ما اريد أن اوضحه هنا انه لم يكن هنـــاك اتفاق على الهـــدف المرحلى للثورة ، فلم يكن هنـــاك ارتبـــاط وتنسيق دائم بين القيـــادتين يتيح لهما اهـــدافا محددة تلتزم الجماهير بها ولم يكن هناك شعار معلن للثورة يربط بين الجماهير والثوار ويناضل الجميع من أجل تحقيقه .

ومع أن أمين الحسينى كان حريصا على تجنب الظهور بمظهر المؤيد للثورة ، لـــكننا لانجد فى مذكراته التى نشرت فى السنوات الأخيرة شيئا

عن ذلك الارتباط القوى مع القيادة العسكرية ، كما لانجـد فى مذكرات القاوقجى اشارة الى ذلك التنسيق باستثناء واقعة أو اخرى .

وكان القائد العـام للثورة يصـدر بلاغات منتظمة عن سير المعارك وخسائر الثوار والسلطة وما غنمه الثوار أو حققوه من انتصارات ،وقد اذاع القاوقجى ثمانية عشر بلاغا خلال وجوده بفلسطين ، كما اذاع بعد عودته الى بغداد رسالة يودع فيها فلسطين ويجـدد العهد لها ، ويشيد بشجاعة رجالها ويشبه فيها وقائع بلعا وجبع وبيت مربن بوقائع اليرموك والقادسية (٢٥١) .

ويتبين من قراءة البـلاغات التى أصـدرها القـائد العـام ، عدة ملاحظات :

اولا : ان البلاغات لم تكن مقتصرة على الناحية العسكرية فقط ، فهناك بلاغ موجه الى الجنرال ديل قائد القوات البريطانية يدعوه فيه الى التفاوض فربما نجح فيما فشل فيـه السـياسيون (٢٥٢) وهنـاك بلاغات سـياسية يقصد بها القـائد أن يعبىء الجماهير ويبصرها بما يخدم معركته العسكرية « لقد صبرت خمسة أشهر كاملة وانت تجاهد جهاد المستميت فى سبيل حريتـك واسـتقلال بلادك ، فحـذار الحذار أن توهن هـذه الأحكام العرفيـة من قوتك » (٢٥٣) . ويطلب الى جميع السكان فى البـلاغ الثـانى الخضوع التـام لأحكام محكمة الثورة التى الفتها القيادة ويطلب من الأهالى أن يتقدموا اليها بأية خلافات تنشأ بينهم(٢٥٤) . وفى بلاغ آخر يدعو القائد رجاله — بعد نداءات الملوك والأمراء العرب — الى ايقاف أعمـال العنف تماما وعدم القيـام بأى عمل من شأنه أن يفسد جو المباحثات الدائرة (*) كما يدعو الشعب العربى فى بلاغ آخـر الى عـدم مقـابلة تحرش اليهود بمثله خلال مرحلة المباحثات ، وعلى المداومة على مقاطعة اليهود وعـدم التعـامل معهم أو مع من يتعامل معهم من العرب ، وان يحرص أهل القرى على حل مشاكلهم الثانوية كما كانوا يفعلون ، وأن يحرصوا على سلامة الأسلحة الموجودة فى قراهم (٢٥٥) .

ثانيا : ان احدى وسائل هذا القائد كانت عملية الحرب النفسية مع جنود القوات البريطانيـــة ، فقد اصـــدر نشرة باللغـــة الانجليزية الى الجنود البريطانيين وزعت بمعرفة الثوار على الثكنات العسكرية البريطانية ، واراد القـــائد بها ان يقنعهم بعدالة القضية العربية ويثير شكوكهم فيما يحاربون من أجله (٢٥٦) كما يوحى فى بلاغ آخر بأن لديه كمية وافرة من الذخائر « وليعرف كل من يهمه الأمر ان ذخيرة الثوار عظيمة اذ تكفى مدة ثلاثة سنوات اذا استمر القتال سجالا بين الطرفين » (٢٥٧) .

ثالثا : ان تلك البلاغات كانت توحى بالثقة فيما تضمنته من بيانات « ربما ان الظلام كان دامسا لم نتمكن من معرفة قتلى هذه المستعمرات »

رابعا : ان تلك البلاغات كانت ناطقة بروح التصميم وقوة الارادة « ونكرر ماقلنا سابقا بأننا سنجاهد الى النهاية » (٢٥٨) .

خامسا : ان القيادة العسكرية كانت تتجاوز أحيـــانا فى بيـــاناتها مطالب القيادة السياسية ، فبينما كانت القيادة السياسية تطالب بمعاهدة مع فلسطين فى اطار الانتـــداب ، دعا بيـــان عام لقـــائد الثورة اشبال العرب الى حمل السلاح حتى تنسحب القوات البريطانية من فلسطين (٢٥٩) .

وقد ورد فى بيان صادر من قيادة الثورة ردا على البلاغ الذى اذاعته الحكومة البريطانية فى ٧ سبتمبر ١٩٣٦ اشارات الى وجود مجلس للثورة العربية وحكومة للثورة العربيـــة فى ســـوريا الجنوبية (٢٦٠) ولم اتبين من دراستى للمصـــادر المختلفـــة وجود مجلس للثورة من اعضاء معينين ،او حكومة للثورة تضم وزراء يتولون مسئولية ادارة المرافق المختلفة ، ويعتقد أن المقصود من ذلك مساعدى القائد العام الذين كانوا يتولون مسئوليات محددة ، أو أن القاوقجى كان يهدف من ذلك الى الايحـــاء بوجود مجلس وحكومة للثورة تنبثق من تنظيم قوى للثوار بهدف بث الرعب فى نفـــوس القوات المعادية .

مناطق الثورة

كانت اعمال الثورة فى البداية مقتصرة على الجليل لقربها من الحدود السورية حيث يتم تهريب الأسلحة والمتطوعين ، لكن نشاط الثوار سرعان ما امتد جنوبا الى السامرة (٢٦١) .

ويشير مصدر صهيونى الى ان حرب العصابات قد نظمت بشكل خاص فى مناطق التلال الريفية فى جنوب فلسطين ووسطها (٢٦٢) . كما يوضح تقرير بريطانى مؤرخ فى ١٨ اغسطس ١٩٣٦ ان اعمال العصابات المسلحة فى التلال كانت مثيرة خاصة فى مناطق نابلس يليها طبريا وصفد وبيسان (٢٦٣) .

ويمكن تحديد مناطق الثورة فى مرحلتها الأولى فى ثلاثة مناطق : الأولى فى الجليل الشمالى حيث القتال كان كثيفا احيانا وكان يأخذ على الأغلب شكل الحرب المحدودة كما انه كان أعظم اصرارا وتنظيما . والمنطقة الثانية فى الجليل الجنوبى واقليم السامرة حيث كانت الحرب اقل حدة والعصابات اقل عددا رغم نشاط الثوار فى تلك المنطقة ، واما المنطقة الثالثة فكانت تتكون من نواحى بيت المقدس والخليل وبئر السبع وغزة ويافا وكانت أقل عنفا من سابقتيها (٢٦٤) .

قوات الثورة

من الصعب تقدير عدد قوات الثورة فى تلك المرحلة لأن القوات كانت تتضخم وتتقلص طبقا لظروف الثورة وتوفر السلاح ، لكن يمكن القول أن كل قروى كان يتحول الى ثائر حين تثيره موقعة قريبة فيهب لنجدة اخوانه الثوار (٢٦٥) . كما أن قيام السلطة بعمليات النسف والهدم والتدمير كان يضيف أعدادا جديدة الى الثوار (٢٦٦) .

ويوحى أحد بلاغات القيادة العسكرية العربية بأن عدد الثوار كان يقدر بعدة آلاف ، فقد أشار البلاغ الى أن الفرقتين الحادية عشرة والسادسة عشرة للثوار قد قامتا بهجوم عنيف على سبع مستعمرات يهودية شمال فلسطين (٢٦٧) .

ويقدر دروزة عدد حملة السلاح من العرب بما يتراوح بين ستة آلاف وثمانية آلاف كان اكثرهم يستخدمونه للمرة الأولى ، فلم يكن هناك اى

نوع من التدريب قبل الانخـراط فى سلك الثـوار . وكان كثير من غير المسلحين — من المساعدين والممونين والمتحمسين — يضعون أنفسهم تحت امر القيادة فى كل معركة (٢٦٨) .

ويقدر أحد المصـادر الأجنبية الهامة عدد الثوار فى نهـاية المرحلة الأولى بحوالى خمسة آلاف رجل (٢٦٩) بينما يذكر مصـدر اجنبى آخر أنه فى وقت غير محدد من تلك المرحلة كان عدد الثـوار الدائمين — الـذين يشكلون العمود الفقرى للثورة — يزيد عن معـدل بين ١٠٠٠ ، ١٥٠٠ ثائر موزعين على عصـابات صـغيرة ، وأن تلك العصابات كانت تتدعم فى اية معركة بمجموعة من الفلاحين المسلحين الـذين يأتون غالبـا من القرى القريبـة من موقع المعركة ، ويضـيف ذلك المصـدر أن العصابات كانت تتكون فى بداية الثورة من فرق مشتركة من الفلسطينيين والسوريين والعراقيين والدروز والاردنيين بلغ عدد كل منها حوالى خمسين ثائرا ، ثم تطورت بعد ذلك فى شكل مجموعات محددة مكنتها من الحركة وتجنب الصـدام المبـاشر مع قوات السلطة ، ومع انضمام كثير من الفلاحين الى الثورة نمت أعداد تلك المجموعات وبدأت عصـابات متعددة فى الالتحـام والعمل كوحدات كبيرة مما جعلها هـدفا سهلا لقوات السلطة وقد دفعها ذلك الى التفتت الى عصابات صغيرة من جديد حيث يتكرر انضمام مجموعات من الفلاحين اليها (٢٧٠) .

تشكيلات الثوار

يقسم أحد المصـادر الأجنبية الثوار العرب الى مجموعتين : ثوار دائمون وثوار مؤقتون . فالمجموعة الأولى تقاتل ضد القوات البريطانيـة وتتكون الثانية من الثوار غير المنتظمين الذين كانت واجبـاتهم تنحصر فى التدمير وتصيد الأعداء (٢٧١) .

لـكن مصدرا عربيا يقسم تك التشكيلات تقسيما اكثر دقة وتحديدا فهو يقسمها الى ثلاث تشكيلات .

الأول يتـألف من المجاهدين المتفرغين فى التلال الذين يخوضـون المعارك وينسفون خطوط البترول وغيرها .

والثانى يتألف من الفدائيين فى المدن الذين يعيشون حياتهم العادية لكنهم يقومون بتنفيذ أعمال عسكرية محددة بناء على طلب قيادتهم مثل اغتيال الضباط البريطانيين وارهاب العرب المتعاونين مع السلطة .

والثالث يتألف من المجموعات الاحتياطية الكبيرة التى كان معظمها من الفلاحين فى القرى والتى كانت تحمل سلاحها وتهب للنجدة عند حدوث معركة قريبة من قريتها (٢٧٢) .

السلاح

كان بيع السلاح ممنوعا اثناء الثورة ، لكن يبدو أن العرب كانوا يحصلون على البنادق التى كانت تستعمل قبل الحرب العالمية واثناءها والتى لم تكن قد سلمت للسلطة (٢٧٣) . كما كان بعض الأسلحة يهرب عبر الحدود من الدول المجاورة (٢٧٤) . وتمكن العرب أيضا من شراء بعض الأسلحة مما كان يهربه اليهود الى فلسطين (٢٧٥) كما غنموا بعض الأسلحة والذخائر من مخافر السلطة ومن القوات البريطانية أثناء هجمات الثوار عليهم أو خلال معارك الثورة (٢٧٦) وتشير بعض بلاغات قيادة الثورة الى شىء من تلك الأسلحة أو الذخيرة التى غنمها الثوار من القوات البريطانية (٢٧٧) .

وتؤكد التقارير البريطانية المختلفة أن معظم الأسلحة المستعملة كان موجودا بالبلاد منذ الحرب العالمية الأولى ، وأنه اشتريت كميات من سوريا وشرقى الأردن لكنها كانت ذات قيمة محدودة ، وأن الذخيرة لم تكن بكميات وافرة كما أن عبوة معظمها كانت من مواد قديمة ، وانه لم يثبت أن أيا من الأسلحة والذخائر التى ضبطت قد صنعت حديثا (٢٧٨) بل انه فى حالة واحدة اكتشفت قوات الأمن بندقية برتغالية ترجع الى القرن الثامن عشر لكنها كانت لاتزال تستعمل بطريقة طيبة ، كما يبدو أن عديدا من الأسلحة كان يعاد تركيبها بطريقة غريبة ، وكانت الذخيرة تصنع لتناسب تلك الأسلحة (٢٧٩) .

ولعل مما يؤكد قلة الذخيرة خلال المرحلة الأولى من الثورة ماذكره القاوقجى فى مذكراته من أنه بعد معركة بلعا (٣سبتمبر ١٩٣٦) ـ وهى أول المعارك التى قادها القاوقجى فى فلسطين ـ نفذت آخر طلقة كان

الثوار يحملونها ، وان النقص الكبير في العتاد قد لازم الثوار في كل معاركهم (٢٨٠) .

لجان الثورة المساعدة

وكان يقوم الى جانب اللجنة العربية العليا لجنة اعانة مركزية تكونت بعد أيام من تشكيل اللجنة العربية العليا وكان يرأسها أيضا أمين الحسيني ويشارك في عضويتها بعض أعضاء اللجنة . وقامت هذه اللجنة بجمع الأعانات من داخل فلسطين كما تلقت المساعدات من الأقطار العربية وغيرها ، وقد ساعدت هذه الاعانات بعض الشيء في التخفيف من حدة الأزمة التي كانت آخذة بنواصي الطبقة العاملة والفقراء ، وفي اعانة الجرحى والأرامل والمتهمين والمحكوم عليهم ، وفي تغطية النفقات الادارية والدعائية للثورة وظلت اللجنة مستمرة طوال مرحلتي الثورة (٢٨١) .

ويشير تقرير بريطاني مؤرخ في اواخر سبتمبر ١٩٣٦ الى ذلك الدور الهام الذي كانت تقوم به تلك اللجنة رغم الضغوط الواقعة عليها بسبب الطلبات المستمرة التي كانت تتلقاها من مختلف الأقضية وبشكل خاص من منطقتي حيفا ويافا (٢٨٢) .

وشكلت في البلاد أيضا لجان اسعاف مستقلة عن اللجان القومية لكنها كانت تنسق أعمالها معها كما كانت على اتصال بلجنة الاعانة المركزية بالقدس . وكانت مهمتها جمع الاعانات (غالبا الاعانات العينية) وتوزيع الدقيق على المحتاجين (٢٨٣) . وكان للجان الاسعاف دور كبير في توزيع المؤن حتى أن لجنة يافا مثلا كانت تتولى اعالة اربعين الفا من سكان المدينة خلال الاضراب (٢٨٤) . بل ان الثوار كانوا يعتمدون داخل المدن والقرى على تلك اللجان المحلية لتزويدهم بالطعام والرجال والمأوى والمعلومات (٢٨٥) . وكان هناك أعضاء احتياطيون منتخبون للجان الاسعاف يحلون محل الأعضاء الأصليين عند اعتقالهم (٢٨٦) .

الخسائر في الأرواح

اما بالنسبة للخسائر في الأرواح نتيجة للمعارك أو المصادمات بين الثوار وقوات السلطة ، فان القيادة البريطانية كانت تذيع عقب كل معركة بيانا عن خسائرها فلا تذكر شيئا أو تذكر شيئا طفيفا ، وكان

الثــوار يسحبون كثيرا من قتــلاهم وجــرحاهم فلم يكن بامكان السلطة احصاءهم ، وكان هناك دلائل كثيرة على اصابات عديدة فى قوى السلطة لم تكن البلاغات الرسمية تشير اليها ، ولذلك يعتقد أن الخسائر فى قوات السلطة كانت اكثر مما يرد فى تلك البيانات (٢٨٧) .

وتقدر بعض المصادر العربية والأجنبية عدد الشهداء العرب بحوالى الف شهيد استشهد معظمهم فى القتال ضد القوات البريطانيــة أو رجال الشرطــة (٢٨٨) .

ويرى تقرير اللجنة الملكية أن هذا التقدير لايخلو من الصــحة وان معظم الشهداء العرب ســقطوا فى المعــارك لأن حوادث الاغتيــال بين العرب كانت قليلة (٢٨٩) .

اما بيــانات الحكومة الرسمية ، فقــد نشر قلم المطبــوعات البيان التــالى (٢٩٠) من القتلى والجرحى فى الفترة بين ١٦ ابريل و٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ أى حتى ماقبل نهاية الاضراب باحدى عشر يوما :

	القتلى	الجرحى	المجموع
العرب	١٩٣	٨٠٣	٩٩٦
اليهود	٨٠	٢٨٨	٣٦٨
الجيش	٢٨	١٢٣	١٥١
الشرطة البريطانية	٧	٣٩	٤٦
الشرطة العربية	٧	٥٣	٦٠
الشرطــة اليهودية	—	٨	٨
المجموع	٣١٥	١٣١٤	١٦٢٩

ويتضح من هذا البيان ان نسبة الشهداء من الثوار العرب كانت تزيد أكثر من مرة ونصف عن عدد قتلى اليهود ، كما أن عدد جرحاهم حوالى ثلاثة أضــعاف جرحى اليهود ، وعدد قتلى قوات الجيش البريطانى أربعة اضعاف عدد قتلى الشرطة البريطانيين ، كما أن عدد جرحى قوات الجيش اكثر من ثلاثة أضعاف رجال الشرطة البريطــانيين . ويعنى ذلك انه كان يعتمد اعتمادا رئيسيا على القوات العسكرية وان الموقف كان من الخطورة

بحيث لايستطيع رجال الشرطة وحدهم معالجته . كما أن ارتفاع نسبة قتلى البريطانيين وجرحاهم بالنسبة لقتلى اليهود وجرحاهم تعتبر نسبة كبيرة اذا قورنت بعدد كل من البريطانيين واليهود فى فلسطين ، بل أن نابلس — أشد مناطق الثورة — لم يكن يوجد فيها يهودى واحد (٢٩١) مما يعنى أن قتال البريطانيين ومقاومتهم كان هو الهدف الرئيسى للثوار العرب .

ويقدر أحد المصادر العربية عدد الجرحى العرب بأكثر من الفين وخمسمائة جريح (٢٩٢) بينما يؤكد تقرير بريطانى دورى انه كان هناك عدد كبير من الجرحى العرب الذين يتم اخفاؤهم ، لأن هؤلاء الذين يجرحون ولا يتم أسرهم يتجنبون الذهاب الى المستشفيات تجنبا للقبض عليهم (٢٩٣)

وأما تقرير اللجنة الملكية فقد أوضح أن عدد الشهداء العرب أصبح فى نهاية الاضراب ١٩٥ وجرحاهم ٨٠٤ ، وعدد قتلى اليهود ٨٠ وجرحاهم ٨٠٤ ، وانه قتل من قوة شرطة فلسطين وقوة حدود شرقى الأردن ضابط واحد وخمسة عشر شخصا من الرتب الأخرى ، وجرح خمسة عشر ضابطا و٨٧ شخصا من الرتب الأخرى . وانه قتل من القوات العسكريةالبريطانية ضابطان ، ١٩ شخصا من الرتب الأخرى وجرح ١٧ ضابطا و ٨٧ شخصا من الرتب الأخرى (٢٩٤) .

ويتبين من مقارنة أرقام البيان الحكومى الرسمى واللجنة الملكية وأحد التقارير الرسمية البريطانية الأخرى (٢٩٥) أن هناك تضاربا فى عدد قتلى القوات البريطانية وجرحاها حيث كانت الأرقام كما يلى :

	تقدير البيان الرسمى	تقدير اللجنة الملكية	تقدير التقرير الرسمى
عدد القتلى	٢٨	٢١	٢١
عدد الجرحى	١٢٣	١٠٤	١٠٤

ومن الطبيعى أن تكون أرقام كل من اللجنة الملكية والتقرير الرسمى مساوية أو زائدة عن البيان الرسمى الذى يشمل الفترة من ١٩ أبريل — ٣٠ سبتمبر حيث أنه لا يشمل الأيام الأخيرة من تلك المرحلة والتى حدثت فيها بعض المعارك الهامة .

ويتضح أيضا من خبر نشرته جريدة الأهرام فى ١٠ أكتوبر ١٩٣٦ ان حكومة فلسطين كانت تنقص بياناتها الرسمية من عدد خسائرها . فقد اشار الخبر عن وصول سفينة عسكرية بريطانية الى ميناء الاسكندرية فى اليوم السابق تحمل ١٦٦ جنديا جريحا ومريضا تم نقلهم فى سيارات الصليب الأحمر البريطانية الى المستشفى العسكرى بالاسكندرية (٢٩٦) .

ونظرا لأن عدد جرحى القوات البريطانية طبقا لأعلى التقديرات الرسمية لم يتجاوز ١٢٣ شخصا ، فانه يتضح لنا عدم دقة تلك البيانات التى كانت تذيعها حكومة فلسطين عن خسائر قواتها . كما أنه من الطبيعى ايضا ان يكون الجرحى الذين وصلوا الى ميناء الاسكندرية يوم ٩ أكتوبر ليسوا جرحى المرحلة الأولى من الثورة جميعها وانما جرحى الفترة الأخيرة منها فقط أو الذين جرحوا منذ بدايتها ولم يتم شفاؤهم .

خسائر الحكومة المالية

يشير مصدر أجنبى الى أن الانفاق الاضافى كنتيجة مباشرة للثورة كان حوالى مليون ونصف جنيه ، وأن الخسائر فى الدخل بلغت حوالى مليون جنيه فيكون مجموع الخسائر المالية مليونين ونصف من الجنيهات أخذت من فائض مكدس لدى الحكومة بلغ حوالى ستة ملايين جنيه ، وبالاضافة الى ذلك فان خزانة فلسطين أصبحت مدينة بأكثر من مليون جنيه نصيبها فى تكاليف التعزيزات العسكرية (٢٩٧) . بينما قدرت اللجنة الملكية الخسارة المالية الناشئة مباشرة عن الثورة بما يزيد على مليون ونصف مليون جنيه والخسارة فى الايرادات بمبلغ تسعمائة الف جنيه (٢٩٨)

المعتقلون

اعتقل خلال المرحلة الأولى من الثورة أعداد كبيرة من الوطنيين وقد بدأ اعتقالهم منذ بداية الاضراب ، فقد أذاعت الحكومة بلاغا رسميا فى ١٩ مايو ١٩٣٦ أوضحت فيه أن عدد الذين اعتقلتهم من بداية الاضراب حتى ذلك التاريخ ـ أى خلال شهر واحد ـ قد بلغوا (٨١٤) عربيا ، (٥٣) يهوديا . وانه صدرت على بعضهم أحكام وكان الآخرون رهن المحاكمة (٢٩٩)

وفى ٢٣ مايو ١٩٣٦ وضعت الحكومة ٦٥ شخصية عربية تحت الرقابة وأبعدت معظمهم عن أماكن اقامتهم حيث وضعوا تحت الاقامة الجبرية ،

وفى الشهر التالى اعتقلت بعضهم ، وكان من بينهم عونى عبد الهادى ، وحسن صـــدقى الدجانى وصالح عبده رئيس ونائب رئيس نقابة أصحاب السيارات وسائقيها (٣٠٠) .

واختـــارت السلطة فى بادىء الأمر عوجة الحفير مركزا للمعتقلين وعندما ضـــاق هذا المعتقل بمن فيـــه أنشأت معتقلين آخرين فى صرفند، وكان الاعتقال يتم بقرار من الحاكم الادارى البريطانى بعد شهادة الشرطة ويعين له وقت قابل للتجديد ، وكان الاعتقال يقابل بالحماس على عكس ماكان عليه الحال قبل الاضراب .

ويقدر دروزة عدد الذين اعتقلوا خلال تلك المرحلة بنحو الف ومائتين وعدد الذين وجهت اليهم تهم معينة وسلموا للقضـــاء المـــدنى والعسكرى لمحاكمتهم بحوالى ثلاثة آلاف مواطن (٣٠١) . بينما يذكر السفرى أن مجموع الذين القى القبض عليهم حتى ٢٠ سبتمبر ١٩٣٦ (٢٦٤٣ عربيـــا) حكم بأحكام مختلفة على (١٦٤٦) وبرىء (٧١٠) وكان الباقون رهن التحقيق أو المحاكمة (٣٠٢) . بينما يشير تقرير بريطانى الى أن عدد المعتقلين فى ٩ اكتوبر بلغ ٤٢١ معتقلا (٣٠٣) .

ولم يحل الاعتقال بين هؤلاء وبين ممارسة نشاطهم الوطنى ، فقـــد الف المعتقلون فى عوجاء الحفير لجنـــة قومية كانت تجتمع وتصدر القرارات وتدلى برايها فى الموقف ، وكانت بيـــاناتها تتسم بالقوة والشجاعة (٣٠٤) .

الاغتيـــالات

قام العرب خـــلال المرحلة الأولى من الثورة بعـــدد من الاغتيـــالات السياسية أو محاولات الاغتيال . ويمكن تقسيم تلك العمليات الى نوعيات مختلفـــة :

أولا : محاولة اغتيال ضباط بريطانيين كان لهم دور فى مقاومة الاضراب أو الثورة ، كمحاولة اغتيال مفتش الشرطةالبريطانى «سيكرست» الذى اشتهر بشدته وقسوته فى معاملة العرب ، أو اطلاق النار على أفراد من قوة الطيران .

ثانيا : اغتيالات لضباط عرب أو رجال شرطـــة أو مواطنين عرب بسبب

تعاونهم مع السلطة ، أو محاولات اغتيال كما حدث للضابط حليم بسطة مساعد مدير شرطة اللواء الشمالى .

ثالثا : اغتيالات جماعية لمدنيين يهود .

رابعا : اغتيال شخصيات وطنيـــة مثل اغتيـــال ناصر الدين ناصر الدين رئيس اللجنة القومية فى الخليل واغتيال خليل طه رئيس اللجنة القومية فى حيفا (٣٠٥) .

ويبدو أن عملية الاغتيالات الفردية قد أثارت نوعا من الفزع لدى البريطانيين فى فلسطين حيث يتحدث تقرير بريطانى مؤرخ فى ١٨أغسطس عن زيادة الأعمـــال الارهابيـــة الفردية ويعبر عن تخوف السلطة من هذا التطور (٣٠٦) .

الموارد المـــالية

تحمل عرب فلسطين معظم نفقات الثورة من سلاح وعتاد ومؤونة ، وكذلك نفقات من أسرع الى نجدتهم من عرب الأقطار المجـــاورة ، وذلك فضلا عما تحملوه من خسائر نتيجة توقف اقتصـــادهم وفساد محاصيلهم وهـــدم منازلهم وتوقف أعمالهم ، مما يقدره أحد المراجع العربية بمليونين من الجنيهات (٣٠٧) . بينما يقدره مرجع آخر بعدة ملايين (٣٠٨) .

وقد جمعت تبرعات محلية كما فرضت مبالغ على مرتبات الموظفين بطريقة سرية ومبالغ محددة أخرى على ثروات الأفراد ، كما جمعت أموال من الأقطار العربية والاسلامية المختلفة لـــكنها لم تكن كافية لدعم الثورة. فحتى أواخر يونية ١٩٣٦ كانت نتائج جمع التبرعات فى العراق لاتذكر ، بينما كانت قليلة فى الهند وأكثر من مرضية فى مصر ، وأكثر نجـــاحا فى سورية أو بواسطتها (٣٠٩) .

ويشير تقرير بريطانى مؤرخ فى ١٢ يوليو ١٩٣٦ الى أن اســـتجابة الأقطار الاســـلامية لنـــداءات المساهمة المـــالية لم يترتب عليها فى جملتها أكثر من عدة آلاف من الجنيهات ، وان الأموال التى وردت من مصـــادر مختلفة من داخل فلسطين وخارجها كانت أقل مما توقعته القيادة الوطنية، لـــكنها كانت كافية لتلبية أكثر الاحتياجات الملحة (٣١٠) .

وتتدعم الموارد المالية فى الفترة التالية حيث يؤكد تقرير مؤرخ من١٨ أغسطس أن أموالا كافية دخلت البلاد ، وأن التبرعات التى جمعت من المهاجرين العرب فى القارة الأمريكية كانت وفيرة (٣١١) .

وقد لجأ العرب الى وسائل مختلفة لنقل تلك الأموال الى فلسطين لتخوفهم من مصـــادرة الحكومة للاموال التى ترسل عن طريق البنوك ، فـــكانت الأموال تنقل بواسطة أشخاص عاديين أو تجـــار أو فى شـــكل حوالات أو بواسطة القناصل (٣١٢) لكن بعض التبرعات أرسلت الى فروع البنك العربى بفلسطين (٣١٣) .

وكانت كل هذه التبرعات تحت يد المفتى ، وكان الانفـــاق منها يتم بمعرفته أو عن طريق اللجان القومية فى مختلف المناطق ، وكانت تبرعات الاغاثة تستخدم بكل وسيلة لمساعدة العصابات المسلحة (٣١٤)

علاقة الثورة بالقوى الخارجية

ويتعلق بموضوع الموارد المـــالية مازعمته بعض المصـــادر الأجنبيـــة من أن تشجيع دول المحور وأموالها كان يلعب دورا فى تلك الثورة (٣١٥) .

وأود ـــ باديء ذى بدء ـــ أن أوضح أن العوامل الخارجية ـــ سواء كانت عربية أم دولية ـــ كان لها بطبيعة الحال دور فى التأثير علىالأحداث والتطورات السياسية فى فلسطين وان كان أثر هذا الدور يختلف منفترة لأخرى ومن عامل الى آخر . لـــكن مايجب أن يقرر أن أيا من تلكالعوامل الخارجية لم يكن سببا مباشرا او رئيسيا فى قيام تلك الثورة أو استمرارها وما كان لعامل خارجى مهما كان أثره أن يدفع شعبا الى حمل الســـلاح والتضحية بالنفس والمال والمتاع دفاعا عن حياته ووجوده وكيانه .

ولعل خير مايدحض هذا الافتراء أن نعود الى محاضر مجلس العموم البريطانى ونعرف ما أشارت اليه الوثائق البريطانية لنتأكد بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الثورة كانت نابعة من تراب هذا الشعب ولم تكن نتيجة دفع خارجى أو اثارة أجنبية .

فقد أثير هـــذا الموضـــوع مرارا فى مجلس العموم البريطانى وكان موضع تساؤلات من بعض أعضاء المجلس ، وكان من تلك الجلسات التى

أشير فيها جلسات ٦ ، ١٣ مايو و١٨ يونية ١٩٣٦ . فقد كان هناك سؤالان فى جلسة ٦ مايو الأول خاص بدور الدعاية الايطالية أو أية مصادر خارجية أخرى فى قيام الثورة فى فلسطين . وكانت اجابة وزير المستعمرات أنه ليس لديه معلومات عن ذلك (٣١٦) والسؤال الثانى كان يتساءل عما اذا كانت الأموال الألمانية تقدم بأية طريقة الى الثورة وكان رد وزير المستعمرات لا يختلف عن رده السابق (٣١٧) .

واما فى جلسة ١٣ مايو فقد كان التساؤل خاصا بدور العملاء الايطاليين والألمان فى تشجيع الثورة . وقد رد وزير المستعمرات بأنه من الصعوبة بمكان أن يحدد من المسئول بأى شكل عن تلك الثورة وانه ليس من الحكمة أن يشير الى ذلك مالم يكن لديه برهان قاطع عن مصدر هذا الشىء المفترض (٣١٨) .

واما فى جلسة ١٨ يونية فقد كان هناك عدة تساؤلات حول نفس الموضوع تستفسر من وزير المستعمرات عما اذا كان لديه أى دليل يثبت أن الثورة تمول خارجيا بأية طريقة وعن طبيعة تلك المصادر ، وعما اذا كانت ايطاليا أو روسية لها دور فى هذا الشأن وكان الرد الذى ذكر أن الوزارة لم تتلق أى دليل محدد على مصدر معين (٣١٩) .

واما بالنسبة للوثائق البريطانية الدورية فهى تتضمن اشارات عديدة الى هذا الموضوع ، فقد أشار تقرير مؤرخ فى ١٨ فبراير ١٩٣٦ الى أن مصادر مختلفة تذكر أن اعانات مالية ايطالية قد قبلت من بعض القادة الاستقلاليين وانها قد سلمت فى القاهرة عن طريق مكتب محمد على الطاهر بشكل خاص ، ويضيف التقرير أنه لو كانت هذه المعلومات صحيحة فانها تظهر أن الدعاية الإيطالية تعتمد على قادة حرب الاستقلال لتشجيع الاثارة المعادية للبريطانيين (٣٢٠) .

ويشير تقرير مؤرخ ٢٣ يونية ١٩٣٦ الى وجود دلالات على أن بعض الحكومات الأجنبية تقدم العون المالى للثورة لكن لا يمكن اثبات ذلك ، وانه يوجد شك قليل فى أنه عند نشوب الحرب الايطالية الحبشية كانت هناك أموال ايطالية تنفق فى فلسطين — ويحتمل أيضا فى سوريا والعراق — لكن لايوجد دليل على أية مساعدة مالية فى الوقت الحاضر (٣٢١) .

وفى كتاب مرسل من المنـــدوب السامى فى يوليو ١٩٣٦ ردا على استفسار من الوزارة عما اذا كانت البرامج الإذاعية المتعددة قـــد أعدت لمقاومة أثر الاذاعات الايطالية من بارى أشار المندوب الســـامى الى تأثر العرب كثيرا بهذه الاذاعات لـــكنه أكد « أن انفعال الشعب العربى قوى جدا كما أن اقتناعهم بالمظالم راسخ فى أذهانهم » (٣٢٢) .

واكد تقـــرير مؤرخ ١٢ يوليو ١٩٣٦ أنه ليس هنـــــاك دليل يمكن الحصـــول عليه حتى ذلك الوقت على تلقى اعانات ماليـــة من أية حكومة أجنبية وان كان يوجد شك يسير فى ذلك (٣٢٣) .

ويشير تقرير مؤرخ فى ١٨ اغسطس ١٩٣٦ الى وجود دلالات على الاهتمام المتجـــدد من جانب الايطاليين بالنسبة لفلسطين ، وان الاذاعات العربيـــة مستمرة من بارى ومعبرة عن وجهة النظر العربيـــة لـــكنها غير منتشرة (٣٢٤) .

وفى رسالة من المنـــدوب السامى مؤرخة فى ٢٦ اكتوبر اوضح فيها ان العملاء والمهندسين الايطاليين قـــد بدعوا فى العودة الى فسطين وأنه يحتمل أن تقـــدم الشركات الايطالية عطاءات محددة للحكومة وتعاقـــدات عسكرية ربما بتمويل من الحكومة الايطاليـــة . وأرفق برسالتـــه تقريرا مفصلا عن النشاط الايطالى فى البـــلاد ورد به أن رجلا ايطاليا يزعم أنه مندوب تجارى متجول يزور حيفا كثيرا ويلتقى بالعرب المعروفين بنشاطهم الوطنى المعـــادى للحكومة وان معظم الشركات الهندسية الايطالية تتلقى اعانات مالية من الحكومة الايطاليـــة ، كما أن جميع تلك الشركات تتلقى تعليمات من روما (٣٢٥) .

تلك نماذج مختلفة على ماورد فى محاضر مجلس العموم وفى التقارير البريطانية الدورية بشأن النشـــاط الأجنبى فى فلسطين وعلاقته بقيـــام الثورة أو بتمويلها ، ومنه يتضح انه كانت هناك دعايات اجنبيـــة بطبيعـــة الحال كما أن هنـــاك احتمـــالا بتوزيع بعض الأموال الأجنبيـــة هنـــا أو هنـــاك أو نشاطا لبعض العملاء الايطاليين أو اتصالا ببعض الشخصيات العربية لـــكنه لم يثبت دليل واحد على ان الثورة قد تلقت اموالا من جهات اجنبية بهدف الثورة ضـــد بريطانيا أو بغرض تشجيع الثورة وتمويلها ، وأنه حتى لو ثبت ان أية شخصية عربية فى فلســـطين قـــد تلقت أموالا

أجنبية بهدف الثورة على بريطانيا فان ذلك لا يترتب عليه أن تكون الثورة قائمة بايعاز من تلك القوى الأجنبية. فالثوره في النهاية هي محصلة لعوامل داخلية بالدرجة الأولى تراكمت وتفاعلت وامتزجت لتفجر في النهاية طاقات الشعب ومعاناته ، وهـذا لا ينفي بطبيعة الحال وجود تأثيرات خارجية على الموقف الداخلي في فلسطين .

ايجابيات المرحلة الأولى وسلبياتها

فهل حققت المرحلة الأولى من الثورة شيئا من المكاسب لعرب فلسطين ، أو بمعنى آخر ماهي ايجابيات تلك المرحلة وسلبياتها ؟.

أولا : لقد كان أول ايجابيات هذه الثورة متمثلا في مشاركة جماهير الشعب العربي في فلسطين فيها . فهذه أول ثورة شعبية تقوم في فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى وتشارك فيها كل القوى الاجتماعية في البلاد مهما كانت قيمة ذلك الدور الذي ساهمت به كل منها . فالفلاح في الجبال يحمل سلاحه ويقاتل قوات السلطة ، والشباب والمثقفون وغيرهم يشكلون اللجان القومية وينظمون الاضراب والمقاطعة ويقومون ببعض الأعمال الثورية ، بل ويوجهون حركة الثورة ومسارها ويضغطون على القيادة السياسية ويشدون من أزرها ويشجعونها على عدم التراجع ويدفعونها الى اتخاذ قرارات حازمة ، بل ان معظم القرارات الأساسية للثورة صادرة من تلك اللجان ، فلم تكن اللجنة العربية العليا تتخذ أي قرار هام دون الرجوع الى تلك القاعدة الشعبية .

ولعل أكثر القوى الاجتماعية مساهمة في تلك الثورة هم الفلاحون والمثقفون . فلقد قام المثقفون بدور رائد فيها فهم الذين أداروا زمامها وكانوا فكر الثورة وروحها ، وأما الفلاحون فهم الذين تحملوا القسط الأكبر في العمل الثوري، وكانوا وقود الثورة وطلائعها ، أما البورجوازية الكبيرة التي تحملت وحدها أعباء القيادة الوطنية منذ بداية الانتداب فقد ظلت قائدة رسمية للثورة لكن دورها كان يتضاءل بينما بدأ دور الفلاحين والمثقفين في التعاظم بشكل واضح ومميزا .

ثانيا : لقد كان من ايجابيات هذه الثورة أنها رفعت راية العصيان ضد الاستعمار البريطاني واعتبرته الخطر الأساسي الذي ينبغي على العرب

مواجهته ، بل وحولت هذه الاستراتيجية الى واقع عملى بحملها للسلاح وقتالها ضد القوات البريطانية .

ومع أنه من المبالغة أن نردد مايذكره أحد المصادر العربية من أن هذه الثورة كادت تطيح بالاستعمار البريطانى وبالوطن القومى اليهودى ، وان بريطانيا كادت تنهزم عسكريا أمام جيش الثوار واقتصاديا واداريا أمام مقاطعة العرب واضرابهم الشامل (٣٢٦) أو مايذكره القاوقجى من انه أرغم الجيش الانجليزى على المهادنة وانه انتصر انتصارا خارقا بعد أن تمكن من تحطيم الجيش البريطانى تحت قيادة ويفل ، ثم هزم هذا الجيش تحت قيادة ديل على شكل لم يبق أمامه من مخرج الا طلب المهادنة ، وانه كان أمام الزعامة العربية فرصة لفرض شروط تضمن لفلسطين استقلالها (٣٢٧) لكنه من الأمانة والموضوعية أيضا أن نذكر أن هذه الثورة قد خاضت معارك بطولية فى ظروف غير مواتية وانها أحرجت العسكرية البرطيانية وواجهتها ، وانها اثبتت مقدرة الشعب العربى فى فلسطين على تحمل المسئولية اذا توفرت له ظروف طبيعية للعمل والنضال. ولقد حاولت بعض المصادر الأجنبية أن تهون من شأن هذه الثورة ،وأن ترجع استمرار الثورة الى عدم قيام السلطة باجراءات فعالة ضدها وعدم قيام القوات العسكرية بهجمات على العصابات المسلحة فى التلال وان واجباتها كانت مقتصرة على الاجراءات الدفاعية المحضة وان الادارة المدنية أظهرت قصورا فى السيطرة على الموقف (٣٢٨) .

لكنه مهما كان موقف الادارة فى هذا الشأن فان هذا لاينفى حدوث مواجهات ومعارك عديدة خاضتها العصابات العربية ضد القوات البريطانية واشارت اليها المصادر المختلفة عربية واجنبية واكدتها الوثائق البريطانية نفسها مما يدحض هذا التهوين بالثورة الذى تشير اليه بعض المصادر الأجنبية أو تلمح اليه . فهذا هو وايزمان يذكر أن القوات البريطانية مع معداتها الثقيلة لم تستطع أن تكافح بنجاح العرب قليلى التسلح ، وأن الجنرال ديل القائد العسكرى البريطانى كان مستاء من الوضع الحرج الذى وضع فيه (٣٢٩) .

وهذا تقرير اللجنة الملكية ينفى أن عمل القوات العسكرية كان مقتصرا على الواجبات الدفاعية ، حيث يذكر أن تلك القوات قامت بهجوم غير

واسع على العصابات فى الجبال (٣٣٠) . وتلك هى الوثائق البريطانية تشير فى اكثر من موقع الى اشتراك الطائرات فى بعض المعارك والى اصرار الثوار ومهارتهم مما يوضح أن الأمر كان خطيرا وان مهمة تلك القوات كانت هجومية ايضا ، بل انه من غير المتصور منطقيا أن يبلغ عدد القوات العسكرية فى فلسطين عشرين الفا كى تقوم بمهمة محدودة او واجب دفاعى أو نزهة حربية . بل ان احد المصادر الأجنبية الهامة يؤكد أن أحدا لم يستطع اعتبار نتيجة الثورة نصرا للقوات البريطانية وان عصابات الثوار بقيت فى التلال غير مهزومة وبكامل اسلحتها ومستمرة فى علاقاتها مع الأقطار العربية المجاورة (٣٣١) .

ثالثا : ان هذه المرحلة قد نقلت القضية الفلسطينية من قضية محلية الى قضية عربية اسلامية يهتم بها العالمان العربى والاسلامى وان اختلف شكل هذا الاهتمام وطبيعته من دولة الى اخرى طبقا لظروفها واوضاعها السياسية ، لكن العالم العربى بالذات بدأ يهتم بهذه القضية ويحس بخطورة الأوضاع فى فلسطين ، وقامت الجماهير العربية بالضغط على حكوماتها لتتخذ مواقف ايجابية من هذه القضية ، وكانت مشاركة الثوار العرب فى عمليات الثورة تعبيرا ايجابيا عن هذا الاهتمام وعن وحدة النضال ، كما كانت وساطة الحكام العرب شيئا من مظاهر هذا الاهتمام ، وان كان يعتقد ان دور الحكام العرب فى هذا الشأن قد اضر القضية الفلسطينية أكثر مما افادها ، فلم تكن أوضاع هذه البلدان تسمح بالضغط على بريطانيا لدفعها الى الاستجابة الىمطالب العرب ، كما أن بعض حكام هذه البلدان كان فى حقيقة الأمر مثبطا ومتآمرا اكثر منه مساعدا ومؤيدا . يضاف الى ذلك أن هذا التدخل كان وسيلة لامتصاص غضب الجماهير العربية فى فلسطين ، كما كان عاملا مضللا لتلك الجماهير التى تصورت أن الحكام العرب قادرون على تحقيق شىء من التقدم لهذه القضية .

وأما اهم سلبيات تلك المرحلة فكان متمثلا فيما يأتى :

أولا : ان الاضراب الكبير الذى استمر حوالى ستة أشهر وان كان تعبيرا من ناحية عن روح عرب فلسطين وتصميمهم ،، وانعكاسا لمدى نفاد صبرهم من بريطانيا وسياستها لكنه من ناحية أخرى أضر باقتصاديات

البلاد ضررا بالغا وتقلل من قـدرة الجمـاهير على المقـاومة . ولنـا أن نتصور شعبا يتوقف انتـاجه وجهده ستة اشهر كاملة . كيف يستطيع أن يواصل نضاله دون أن يكون هنـاك مايوفر له دعما اقتصـاديا مستمرا لثورته .

ورغم هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة فقد صبرت الجماهير العربية وتحملت وكان املها ان هـذا الصمود سيحقق لها مطالبها او شـيئا من تلك المطالب ، ولم تكن تتصـور أن تظل بريطانيا مصرة على سياستها غير مستجيبة لأى مطلب من مطالبها .

لـكن من الانصاف أن يقرر أيضا ان هذا الاضراب كان مطلبا شعبيا غير قابل للمساومة ، وأن الجماهير عندما اضربت كانت تتمثل أمام ناظريها الاضرابين النـاجحين فى مصر وسوريا اللذين حققا نتـائج طيبـة ، وانه كان يتعذر على القيادات العربية القائمة فى ذلك الوقت أن تحاول ايقاف الاضراب قبل موعده . ولو ان القيادة السياسية دعته فى وقت مبكر الى ايقاف الاضراب واستجابت الجماهير لها لوجه اليها اليوم كثير من الاتهامات لدعوتها الى ايقاف الاضراب قبل أن تجنى ثمرات النصر التى كان من الممكن أن يحققها الاضراب فى حالة استمراره .

ثانيا : وجود تناقض بين الجماهير العربية فى فلسطين وبين اللجنة العربية العليا كقيادة رسمية . فقد كانت الجماهير هى محركة الأحـداث وصانعتها ولم تكن القيادة تملك غير ان تستجيب لمبـادرات الجمـاهير ، لـكن هذه القيادة لم تستطع فى تلك المرحلة ان تستفيد من هـذه الثورة الشعبية باعداد خطة تحافظ بها على كيانها او تنظم اقتصادها أو تزيد من قدرتها على المقاومة ، لـكن تلك القيادة ممثلة فى أمين الحسينى وبعض اعضاء اللجنة العربيـة العليا مثل جمـال الحسينى ومحمـد عزة دروزة واحمد حلمى استطاعوا ان يتجاوبوا مع اصـداء الثورة ومطالب الجماهير وأن يرتفعوا الى مستوى الاحداث وبذلك خففوا مؤقتـا من اتساع هـذا التناقض ، وظلت زعامة الحركة الوطنية متمتعة بثقة الجماهير وتأييدها .

« مصـــادر الفصـــل الأول »

(1) F. O. 371/20018 : Periodical Appreciation Snmmary, No. 11/36.

(2) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 18/35.

(3) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 19/35.

(٤) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، الكتاب الثانى ص ١٠ ، ٢٤ .

يوسف هيكل : القضية الفلسطينية . تحليل ونقد ، ص ١٩٨ .

نجيب صدقة : قضية فلسطين ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، ص ٩٨ .

أمين سعيد : ثورات العرب فى القرن العشرين .

— Barbour : A Survey of the Palestine Controversy. p. 165.

— Marlowe : The Rebellion in Palestine. p. 150.

— John : The Palestine Diary. p. 259.

— Palestine Government : A Survey of Palestine. vol. I, p 35.

— F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 9/36.

(٥) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ، ص ١٦ .

(٦) الرابطة العربية : ٢٢ يوليو ١٩٣٦ ، ص ١٤ .

(٧) الشباب : ١٦ ابريل ١٩٣٦ ، ص ١٠ .

(8) Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Administration of Palestine and Trans-Jordan for the Year 1936. p. 7.

— Esco : Palestine. A Study of Jewish, Arab and British Policies. vol. II. p. 792.

(٩) الشباب : ٢٧ ابريل ١٩٣٦ ، ص ٧ .

(١٠) وثائق اكـــرم زعيـــتر : البـــلاغ الرسمى عن اول حادث من اضطرابات ١٩٣٦ .

* يذكر عمر أبو النصر فى كتابه «جهاد فلسطين العربية» ص ٢٧٨، ٢٧٩ ، وكذا صبحى ياسين فى كتابه « الثورة العربية فى فلسطين » ص ٣٠ ان الاسم هو سالم المصرى ، بينما أوضح يوسف هيكل فى كتابه « القضية الفلسطينية » ص ١٩٨ ، ان الاسم هو « سليم المصرى » .

(11) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 7.

(12) Esco : Ibid., p. 792.

(13) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 7.

(١٤) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٩٩ .
عيسى السفرى : المرجع السابق ص ١١ .

(١٥) عمر أبو النصر : جهاد فلسطين العربية ، ص ٢٨١ — ٢٨٣ .
يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٩٩ .
عيسى السفرى : المرجع السابق الكتاب الثانى ص ١١ ، ١٢ .
— F. O. 371/20018 : Ibid.,
— Esco : Ibid., p. 792.

(١٦) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٣٠٣ .

(17) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. pp. 9, 10.

(١٨) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٢٦ .

(١٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٦ .
الثقافة العربية : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٢٠) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية ، ص ٦ .

(٢١) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، الجـزء الثالث ، ص ١١٧ .
أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ص ٩٨ .
عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٣٠٣ .

(٢٢) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٢٦ .
— F. O. 371/20018 : Ibid.,
— Esco : Ibid., pp. 792, 793.
— Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 67.
— Barbour : Ibid., p. 166.
— Palestine Government : Ibid., p. 35.
— John : Ibid., p. 259.

(٢٣) وثائق أكرم زعيتر : محضر الاجتماع الذى عقد فى نابلس فى ١٩٣٦/٤/١٩ وتقرر فيه تاليف لجـان قومية ، أول اجتماع لأول لجنة قومية فى فلسطين ومقرراته .

— بيان الى الأمة الكريمة من اللجنة القومية بنابلس ١٩٣٦/٤/١٩ .

(٢٤) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧

(25) Report by His Majesty's Government.. for the Year 1936. p. 9.

(٢٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١١٧ .
الشباب : ٢٧ أبريل ١٩٣٦ ، ص ٨ .

Marlowe : Ibid., p. 153.

(٢٧) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢٨) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الكراسة الأولى ، ص ١١ بيان الى الشعب العربى الكريم .

(٢٩) محمد عزة دروزة : المرجع السابق .

(٣٠) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٢٦ .

— Hurewitz : Ibid., p. 67.
— Palestine Government : Ibid., p. 35.
— John : Ibid., p. 259.

(٣١) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(32) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. pp. 23, 24.

(٣٣) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٣٤) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : اتحاد الأحزاب يؤجل ارسال الوفد — ٢٢ أبريل ١٩٣٦ .

(35) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(٣٦) الأهرام : ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، ص ٥ .

(٣٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

* تكونت اللجنة العربية العليا من : الحاج أمين الحسينى رئيسا ، عونى عبد الهادى أمينا للسر ، أحمد حلمى عبد الباقى باشا مدير البنك العربى أمينا للمال ، راغب بك النشاشيبى رئيس حزب الدفاع ، جمال الحسينى رئيس الحزب العربى ، عبد اللطيف بك صلاح رئيس الكتلة الوطنية ، الدكتور حسين فخرى الخالدى رئيس بلدية القدس وأحمد سكرتيرى حزب الاصلاح ، يعقوب الفصين رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب ، يعقوب فراج نائب رئيس حزب الدفاع ، الفردروك نائب رئيس الحزب العربى الفلسطينى أعضاء .

(٣٨) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٢٥ — ٢٧ .

— Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 22, 23.

(٣٩) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤٠) يوسف هيكل : رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ١٠ أغسطس ١٩٦٥.

(٤١) كامل الدجانى : رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ١٠ أغسطس ١٩٦٥

(42) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(٤٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(44) F. O. 371/20018 : P. A. S. 14/36.

(٤٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٤٦) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٤٧) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٤٨) الثقافة العربية : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(49) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 12.

(٥٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٥١) وثائق أكرم زعيتر : رسالة من أمين سر اللجنة العربية العليا الى اللجان القومية — ٢ مايو ١٩٣٦ ، الأهرام : ٦ مايو ١٩٣٦ ، ص ٤

(٥٢) عمر أبو النصر : جهاد فلسطين العربية ، ص ٢٨٦ — ٢٨٩ ، الأهرام : ٦ مايو ١٩٣٦ ، ص ٤

(٥٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٥٤) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٣٩ — ٤١ ، ٤٧ ، الشباب : ٢٠ مايو ١٩٣٦ ، ص ١٥ .

(55) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 10/36.

(٥٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٥٧) عمر أبو النصر : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

(58) Hurewitz : Ibid., p. 69.

(٥٩) الأهرام : ١٤ مايو ١٩٣٦ ، ص ٤ .

(٦٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(61) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(62) Marlowe : Ibid., p. 154.

(٦٣) عيسى السفرى : المرجع السابق . الكتاب الثانى ص ٤٨ — ٥١

(64) Esco : Ibid., p. 793.

(65) House of Commons : vol. 312 - 18 May 1936. p. 837.

(66) House of Commons : vol. 312 - 29 May 1936. p. 2391.

(٦٧) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(68) F. O. 371/20018 : Ibid.,
F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 13/36.

(٦٩) الأهرام : ٢٠ مايو ١٩٣٦ ، ص ٤ ، بيان من اللجنة العربيــة العليا الى الأمة .

(70) Report by His Ma esty's Government . . . for the Year 1936. p. 24.

(٧٠) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٧٠ .
يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .
عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٠ .
الرابطة العربية : ٢٢ يوليو ١٩٣٦ ، ص ١٤ ، ١٥ رسالة من المجاهد سليم عبد الرحمن .

(71) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(72) John : Ibid., p. 260.

(73) Marlowe : Ibid., p. 156.

(74) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. pp. 12 - 14.

(٧٥) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(76) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(٧٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(78) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(79) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. pp. 15, 16.

(80) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(81) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 13/36.

(٨٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
الرابطة العربية : ٢٩ يوليو ١٩٣٦ ، ص ٣٦ ، ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ، ص ٣٨ .

(83) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 15.

(٨٤) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٨٥) نجيب صدقة : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٥ .
يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢١٠ — ٢١٢ .
الأهرام : ٢٨ يوليو ١٩٣٦ ، ص ٤ .

(86) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(٨٧) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٨٨) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(89) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. pp. 15, 16.

(٩٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

* ولد فوزى الدين القاوتجى فى مدينة طرابلس الشام وتلقى علومه العسكرية فى مدرسة استانبول الحربية ، وعمل بالجيش التركى خـلال الحرب العالمية الأولى ، وعاد الى بلده بعد الحرب حيث عمل مع الفرنسيين كضابط للمخابرات ، ثم قام بدور هام فى الثورة السورية عام ١٩٢٥ حيث كان قائدا للمنطقة الشمالية فيها ، ثم حكم عليه بالاعدام فسافر الى الحجاز حيث عمل كمستشار عسكرى للملك عبد العزيز آل سعود ، ثم سافر الى العراق حيث عمل مدرسا فى المدرسة الحربية ثم استقال عام ١٩٣٦ وتوجه الى فلسطين ، وقد اشترك بعد ذلك فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وكان قائد جيش الانقاذ وقائد اللواء الشمالى .

يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .
عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٤ .
عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٧ .
أحمد طربين : محاضرات فى تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨٦ .
— Esco : Ibid., p. 795.

(٩١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٩٢) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(٩٣) محمد اسحق درويش : ذكريات ، ص ١٣ .

(٩٤) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٩٥) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .
نجيب صدقة : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(96) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 15/36.

(٩٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٩٨) فلسطين فى مذكرات القاوقجى — الجزء الثانى ، ص ٢٧ ، ٢٨

(99) Middle Eastern Studies. vol. II. May 1975.
No. 2 , p. 157. The Politcs of the Arab Rebellion in Palestine 1936 - 1939. Tom Bowden.

(١٠٠) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

نجيب صدقة : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢١٢ — ٢١٤ .

فلسطين فى مذكرات القاوقجى : الجزء الثانى ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

— Esco : Ibid., p. 795.

— John : Ibid., p. 264.

(١٠١) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(١٠٢) وديع البستانى : ديوان الفلسطينيات ، ص ٢٤١ .

(103) Weizmann : Trial and Error p. 470.

(104) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(105) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(١٠٦) أمين سعيد : ثورات العرب فى القرن العشرين، ص ١٢٠ .

(١٠٧) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(١٠٨) فلسطين فى مذكرات القاوقجى — الجزء الثانى ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ .

(١٠٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٥٣ — ١٦٠ .

(110) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. pp. 16, 17.

(111) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(١١٢) فلسطين فى مذكرات القاوقجى — الجزء الثانى من ص ٢٣ .

(١١٣) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(١١٤) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٣٣

(١١٥) جيفريز : فلسطين — اليكم الحقيقة ، ص ١٣٢ .

(116) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(١١٧) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢١٤ — ٢١٨ .

(١١٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(١١٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٨٨ — ٩١ .

(120) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(١٢١) جيفريز : فلسطين — اليكم الحقيقة ، ص ١٢٩ — ١٣١ .

(122) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 14.

(١٢٣) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(124) Marlowe : Ibid., pp. 158, 159.
John : Ibid., p. 262.

(125) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11, 12/36.

(126) Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 14.

(١٢٧) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٩٧ — ١٠٣ .

(١٢٨) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٠٨ — ١١٠ .

(١٢٩) جيفريز : المرجع السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(130) Barbour : Ibid., p. 168.

(١٣١) نجيب صدقة : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(١٣٢) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٥٧ — ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٦

(133) Esco : Ibid., p. 796.

(١٣٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٤

(135) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(١٣٦) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥

(١٣٧) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٦ ، ٣١٨

(١٣٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥
عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦
عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٧
الأهرام : ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ أغسطس ١٩٣٦
ص ٤ ، ١ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ٤

(١٣٩) ناجى علوش : المرجع السابق ، ص ١١٣

(١٤٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٥

(١٤١) فلسطين فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ، ص ٢٢

(142) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 15/36.

(١٤٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧

(١٤٤) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٣٧

(١٤٥) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٣٧ — ١٤٢

(١٤٦) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١

(١٤٧) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، ١٧١

(١٤٨) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٣٤.

(149) Weizmann : Ibid., p. 469.
— Esco : Ibid., p. 796.

(150) Marlowe : Ibid., p. 162.

(151) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(١٥٢) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

(153) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(154) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(155) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 17/36.

(156) Marlowe : Ibid., p. 165.

(١٥٧) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٢١

(١٥٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٤١

(159) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(١٦٠) الأهرام : ١١ أكتوبر ١٩٣٦ ، ص ٧

(١٦١) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٢٢

(١٦٢) محمد عزة دروزة: رسالة الى الباحث مؤرخة فى ١٤/٨/١٩٦٤ ص ٣

(١٦٣) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١

(١٦٤) جيفريز : المرجع السابق ، ص ١٣٢

(١٦٥) وليمز : بريطانيا والدول العربية ، ص ١٥٠

(166) John : Ibid., p. 266.

(167) Barbour : Ibid., p. 171.

(168) Marlowe : Ibid., p. 164.

(١٦٩) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٣٣

(١٧٠) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ٦٤

(171) Marlowe : Ibid., p. 170.

(172) Hurewitz : Ibid., p. 71.

(173) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 15/36.

(١٧٤) محمد اسحق درويش : ذكريات ، ص ٢٠

(١٧٥) الشهادات العربية امام اللجنة الملكية فى فلسطين : شهادة جمال الحسينى ، ص ٧٥

(١٧٦) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين : شهادة محمد عزة دروزة ، ص ١٧٣ — ١٧٦

(١٧٧) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين : شهادة الدكتور حسين الخالدى ، ص ١٦٢ ، ١٦٣

(١٧٨) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين : من البيان المقدم من عبد اللطيف صلاح ، ص ٢٠١

(١٧٩) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين : من بيان فؤاد سابا ، ص ٢٥٢ — ٢٥٤

(١٨٠) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية فى فلســطين . من شهادة عونى عبد الهادى ، ص ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨

(١٨١) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٨٢ — ١٩٠

(١٨٢) كامل جابر : الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل ، ص ٥٥

(١٨٣) اكرم زعيتى : المرجع السابق ، ص ٩٥ — ٩٧

(١٨٤) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٠

(١٨٥) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، ص ٢٢٠

(١٨٦) غسان كنفانى : دراسة بشئون فلسطينية عنوانهـا « ثورة ٣٦/٣٩ فى فلسطين . خلفيات وتفاصيل وتحليل » يناير ١٩٧٢ ، ص ٦١

(١٨٧) الاقتصاديات العربيـة : تشرين الأول ١٩٣٦ ، ص ٣

(188) Safran : The United States and Israel. p. 30.

(189) House of Commons, Fifth Series - vol 311. 6 May 1936. pp. 1885 - 1886.

(١٩٠) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ص ١٤٥.

(١٩١) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : منشور ملصق بالكراسة الأولى ، ص ١٣.

(١٩٢) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : برقية اللجنة العربية العليا الى لجنة الانتدابات . بدون تاريخ .

(١٩٣) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ، ص ١٤٠

(١٩٤) الشباب : ١٥ يوليو ١٩٣٦ ، ص ١٦

(١٩٥) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلســطين ١٩٣٦ ، ص ١٧.

(١٩٦) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : بيـان عن فظـائع الاستعمار البريطانى فى فلسطين الشهيدة ، ص ٥

(197) House of Commons : 26 May 1936. pp. 1848, 1849.

(١٩٨) عمر أبو النصر : جهاد فلسطين العربية ، ص ٣٢٦ — ٣٢٨، بيـان اللجنة العربية الى المندوب السامى فى ١٥ يونيه ١٩٣٦

(١٩٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٤١ — ٤٧ . خطاب أمين الحسينى فى مؤتمر اللجان القومية فى ٧ آيار ١٩٣٦.

(٢٠٠) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : اللجنة العربية العليا . بيـان الى الأمة الكريمة رقم ١٠٦ — ١٩٣٦/١١/٢

(٢٠١) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة . عن ثورة فلســطين ١٩٣٦ ص ٦٧ بيان اللجنة فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٦

(٢٠٢) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : بيان اللجنة العربيـة العليا — ٢٣ آيار ١٩٣٦

(٢٠٣) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : بيان اللجنة العربية العليا ٨ مارس ١٩٣٦ ، مذكرة من اللجنة العربية للمندوب السامى — ١٨ تموز ١٩٣٦

(٢٠٤) عيسى السفرى : المرجع السابق . الكتاب الثانى ، ص ٣٤ — ٣٦

(٢٠٥) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤

(٢٠٦) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : بيان اللجنة العربية العليا — ٢٣ آيار ١٩٣٦

(٢٠٧) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : برقية من أمين الحسينى الى بلدوين رئيس الوزارة البريطانية ١٩٣٦/٦/١٤

(٢٠٨) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : بيان اللجنة العربية بمناسبة مرور مائة يوم على الاضراب — ١٩ تموز ١٩٣٦

(٢٠٩) عيسى السفرى : المرجع السابق . الكتاب الثانى ، ص ١٣٥ — ١٣٦

(٢١٠) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١١

(٢١١) عمر أبو النصر وآخران : المرجع السابق ، ص ٣٢٦ — ٣٢٨ بيان اللجنة العربية العليا الى المندوب السامى فى ١٥ حزيران ١٩٣٦

(٢١٢) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الاحتجاج على سياسة الابعاد والتشريد — ١٩٣٦/٦/٢١

(٢١٣) عيسى السفرى : المرجع السابق . الكتاب الثانى ، ص ١٣٥ ، ١٣٦

(214) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(٢١٥) أميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، ص ٢٣٥

(٢١٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١١٨

(٢١٧) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٠٥

(٢١٨) ناجى علوش : المرجع السابق ، ص ١١٠

(٢١٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٣٢

(٢٢٠) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ٢٣٦

(221) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(٢٢٢) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤

(٢٢٣) أميل الغورى : المرجع السابق ، ص ٧٠

(224) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(٢٢٥) فلسطين فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ، ص ٩ ، ٢٢

(226) Marlowe : Ibid., p. 157.

(٢٢٧) فلسطين في مذكرات القاوقجي ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ، ص ٩ ، ١٠.

(٢٢٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ، ١٣١.

(٢٢٩) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٨

(٢٣٠) محمد اسحق درويش : ذكريات ، ص ١٣

(231) Marlowe : Ibid., p. 157.

(٢٣٢) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦

(٢٣٣) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٤٢
وديع البستانى : ديوان الفلسطينيات ، ص ٢٤١
عيسى الناعورى : بطولات عربية من فلسطين ، ص ٥٠ ، ٥١

(٢٣٤) فلسطين فى مذكرات القاوقجى . الجزء الثانى ص ٢٠ ، ٢١.

(٢٣٥) اميل الغورى : المؤامرة الكبرى — اغتيال فلسطين ومحق العرب ، ص ٨١ ، فلسطين : ١٥ آيار ١٩٦١ ، ص ٣ ، أول نيسان ١٩٦٣ ص ٢٦

(٢٣٦) صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ٣٦ — ١٩٣٩ ، ص ١٧٩ ، محمد اسحق درويش : ذكريات ، ص ١٣

(٢٣٧) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٤٥

(238) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(٢٣٩) محمد عزة دروزة : من رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ١٩٦٤/٨/١٤
صبحى ياسين : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، ١٨٠
عيسى الناعورى : المرجع السابق ، ص ٥٣ — ٥٥
فلسطين : ١٥ يونيه ١٩٦١ ، ص ١٦ ، أول ايلول ١٩٦١ ، ص ١٥ ، ٣٦

(٢٤٠) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٣٢.
عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٧

— Report by His Majesty's Government . . . for the Year 1936. p. 16.
— Hurewitz : Ibid., p. 69.
— Esco : Ibid., p. 795.
— John : Ibid., p. 264.
— Middle Eastern Studies : Ibid., p. 156.

(٢٤١) محمد اسحق درويش : ذكريات ، ص ١٣

(242) Middle Eastern Studies : Ibid., p. 156.

(٢٤٣) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٤٥
عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٨
صبحى ياسين : المرجع السابق ، ص ١٢٧
وديع البستانى : المرجع السابق ، ص ٢٤١
— F. O. 371/20018 : P. A. S. Ni. 16/36.

(٢٤٤) فلسطين فى مذكرات القاوقجى . الجزء الثانى ، ص ٤٨
(245) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(٢٤٦) محمد اسحق درويش : المرجع السابق ، ص ١٣

(247) Marlowe : Ibid., p. 156, 157.

(248) Middle Eastern Studies : Ibid., pp. 156, 157.

(249) Weizmann : Ibid., p. 469.

(٢٥٠) فلسطين فى مذكرات القاوقجى . الجزء الثانى ص ٥١ ، ٥٥

(٢٥١) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : القائد العام . رسالته فى وداع فلسطين وأهبته للنداء فى ١٩٣٦/١١/١٠

(٢٥٢) الملف الخاص بعونى عبـد الهـادى : بلاغ رقم ٥٥/١٠ — ٣٦/١٠

(٢٥٣) الملف الخاص بعونى عبـد الهـادى : بلاغ رقم ٥٥/٧ — ٣٦/٧

(٢٥٤) جريدة الاخوان المسلمين : ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ٢٣
(*) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : البلاغ رقم ١٦
(٢٥٥) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : البلاغ رقم ١٧

(٢٥٦) الملف الخاص بعونى عبـد الهـادى : بلاغ رقم ٥٥/٩ — ٣٦/٩

(٢٥٧) الملف الخاص بعونى عبـد الهـادى : بلاغ رقم ٥٥/٨ — ٣٦/٨

(٢٥٨) الملف الخاص بعونى عبـد الهـادى : بلاغ رقم ٥٥/١١ — ٣٦/١١

(٢٥٩) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الكراسة الثانية ص ٣٤

(٢٦٠) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقـاهرة : الكراسة الأولى : ص ٢٣ ، ٢٤

(261) Marlowe : Ibid., p. 156.

(262) Hurewitz : Ibid., p. 69.

(263) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(264) Middle Eastern Studies : Ibid., p. 160.

(٢٦٥) الثقافة العربية : ايار — حزيران ١٩٥٨ ، ص ٣٩ ، ٤٠ . مقال بقلم طاهر كنعان .

(٢٦٦) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ، ص ٦٦ ، كتاب من اللجنة الى المندوب السامى .

(٢٦٧) الملف الخاص بعونى عبد الهادى : البلاغ رقم ٥٥/١١ — ٣٦/١١

(٢٦٨) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ص ١٢٧ ، ١٣١

(269) Marlowe : Ibid., p. 157.

(270) Middle Eastern Studies : Ibid., pp. 156 - 158.

(271) Marlowe : Ibid., p. 156.

(٢٧٢) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، ٣١٦

(273) Esco : Ibid., p. 794.

(274) Marlowe : Ibid., p. 157.

(٢٧٥) الجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق ص ٢٧

(٢٧٦) فلسطين فى مذكرات القاوقجى : المجلد الثانى ، ص ٣٥

— Report by His Majesty's Government .. for the Year 1936. pp. 16, 17.

— F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(٢٧٧) الملف العربى الخاص بعونى عبد الهادى : بلاغ رقم ٥٥/٦ — ٣٦/٦

(278) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11 - 15/36.

(279) Middle Eastern Studies : Ibid., p. 158.

(٢٨٠) فلسطين فى مذكرات القاوقجى : المرجع السابق ، ص ٢٧

(٢٨١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٣

(282) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(٢٨٣) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٧ ، ٣٤ — ٣٦

(٢٨٤) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٠٢

(٢٨٥) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ، ص ٣١٥

(٢٨٦) يوسف هيكل : المرجع السابق ، ص ٢٠٢

(٢٨٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٣١

(٢٨٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ، ص ٥

أكرم زعيتر : المرجع اسابق ، ص ١٠٥

شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ١٩٦

— F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

— Barbour : Ibid., p. 172.

— Palestine Government : Ibid., p. 38.

(٢٨٩) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص١٣٨
(٢٩٠) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٧٥
الأهرام : ٣ أكتوبر ١٩٣٦ ، ص ٤ احصاء حكومى .
(٢٩١) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق ص ٢٧
(٢٩٢) شفيق الرشيدات : المرجع السابق ، ص ١٩٦
(293) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.
(٢٩٤) وزارة المستعمرات : تقرير الجنة الملكية لفلسطين ص١٣٨ ، ١٣٩.
(295) Palestine Government : Ibid., p. 38.
(٢٩٦) الأهرام : ١٠ أكتوبر ١٩٣٦ ، ص ٨
(297) Marlowe : Ibid., p. 172.
(٢٩٨) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٣٩
(٢٩٩) الأهرام : ٢٠ مايو ١٩٣٦
(300) Report by His Majesty's Government .. for the Year 1936, p. 25.
(٣٠٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨
(٣٠٢) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ١٧٥.
(303) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 18/36.
(٣٠٤) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق — الملحق ٢ ، ص ١ — ٣
(٣٠٥) عيسى السفرى : المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٨٥
(306) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.
(٣٠٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ١٢٧
(٣٠٨) شفيق الرشيدات: فلسطين تاريخا وعبرةومصيرا ، ص ١٩٦.
(309) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.
(310) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.
(311) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.
(312) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.
(٣١٣) الشهادات الربية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين ، ص ٧
(314) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.
(315) Weizmann : Ibid., p. 470.
(316) House of Commons : Fifth Series vol 311 - 6 May 1936 p. 1685.
(317) House of Commens : Ibid., p. 1686.
(318) House of Commens : Fifth series - vol 312, 13 May 1936. p. 369.

(319) House of Commons : Fifth Series. vol 313 - 18 June 1936. p. 1173.

(320) F. O. 371/20018 . P. A. S. No. 2/36.

(321) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(322) F. O. 371/20018 : 24 th July, 1936.

(323) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(324) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(325) F. O. 371/20018 : P. A. S. E 4743.

(٣٢٦) شفيق الرشيدات : المرجع السابق ، ص ١٩٦

(٣٢٧) فلسطين فى مذكرات القاوقجي : المرجع السابق ص ٧١ ، ٧٣

(328) Marlowe : Ibid., p. 158.

(329) Weizmann : Ibid., p. 470.

(٣٣٠) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص١٢٩

(331) Marlowe : Ibid., p. 171.

الفصل الثانى

هدوء الثورة
وتقرير اللجنة الملكية

« اكتوبر ١٩٣٦ — اكتوبر ١٩٣٧ »

اللجنة الملكية

كان وزير المستعمرات قد أعلن فى مجلس العموم فى ١٨ مايو ١٩٣٦ أن الحكومة البريطانية قررت بعد عوة النظام الى نصابه أن تشير بتعيين لجنة ملكية للتحقيق فى أسباب الاضطراب دون تعرض لنصوص الانتداب ، ثم أعلن خلال المناقشة التى جرت يوم ١٩ يونيو أنه اذا استحسنت السياسة التى تقترحها اللجنة فان الحكومة تقوم بتنفيذها دون محاباة وأنه « لا يمكن التفكير فى احداث أى تغيير فى السياسة » قبل استلام التقرير ودرسه (١) .

وكان لدى عرب فلسطين شيء من الأمل فى تعاطف مجموعة من الرأى العام البريطانى مع وجهة نظرهم ، لكنهم أصيبوا بخيبة أمل عندما علموا بمضمون المناقشة البرلمانية وتأكدوا ان توصيات اللجنة ليست ملزمة للحكومة وان الضغط اليهودى على الحكومة البريطانية سوف يؤثر فى مسار القضية (٢) .

وأعلنت الحكومة فى ٢٩ يوليو ١٩٣٦ أسماء أعضاء اللجنة الملكية وشروط صلاحيتها ، ولم يكن لاعلان تشكيلها تأثير طيب على الرأى العام العربى فى فلسطين لأن صلاحية اللجنة تمنعها من التعرض لصك الانتداب نفسه .

ونتيجة لاستمرار الثورة فقد تأخر سفر اللجنة الى فلسطين حوالى ثلاثة أشهر حيث غادرت اللجنة بريطانيا فى ٥ نوفمبر ١٩٣٦ وأعلن وزير المستعمرات فى نفس اليوم قرار الحكومة بأن ايقاف الهجرة أثناء قيام اللجنة باجراء تحقيقها « ليس له مايبرره من الوجهة الاقتصادية ولا من أية وجهة أخرى » (٣) .

وكان لهذا البيان ايضا أسوأ وقع فى نفوس عرب فلسطين ، فاستقبلته الهيئات الوطنية بالامتعاض الشديد خاصة وان اللجنة العربية العليا كانت قد فهمت من نورى السعيد أن الهجرة ستتوقف ولو مؤقتا لكن الانجليز لايريدون أن يرتبطوا مقدما بشيء حفظا لكرامتهم .

وأرسلت اللجنة تلغى الموعد الذى كان قد تحدد لها لمقابلة المندوب السامى قبل صدور البيـــان فاعتبر المنـــدوب السامى ذلك اهانة له ،وأخذ يلح بضرورة تنفيذ المقابلة وتأجيل اعلان قرار المقاطعة وطلب من أمير شرقى الأردن مساعدته لاتمام المقـــابلة وأوضح أعضاء اللجنة للمنـــدوب خلالهـــا أن البيـــان كان تحديا لشعور العرب وكرامة ملوكهم وان ذلك سيؤدى الى استئناف جهادهم . ثم أذاعت اللجنـــة بيـــانا فى ٦ نوفمبر ١٩٣٦ أوضحت فيه هذه التطورات وشجبت موقف وزير المستعمرات وأعلنت قرارها بعدم التعاون مع اللجنـــة الملـــكية ، وقـــد ايدت الصحف العربيـــة واللجان القومية هذا القرار .

واتبـــاعا للاسلوب الذى أثبت نجاحـــه فيما سبق أرسل المسئولون البريطانيون بعض اصـــدقائهم العرب الى اللجنة العربية لاقناعها بالعدول عن القرار واخذت الصحف تنشر مايقال عن مراسلات تدور بين الحكومة البريطانية وملوك العرب من اجل ايجاد حل للموقف المتأزم (٤) .

وحاول الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازى والأمير عبد الله ان يدفعوا أعضاء اللجنة العربية العليا الى اعادة النظر فى قرارهم وعرض قضيتهم بلغة ايجابية ، وكانت العناصر المتطرفة وأغلبية اللجـــان القومية مستمرة فى تأييد عدم التعاون الذى كان يتزعمـــه أمين الحسينى وعونى عبد الهادى بينما كان هناك مؤيدون للتعـــاون مثل حـــزب الدفاع الوطنى وكبار الموظفين ، وكان هنـــاك اعتقاد لدى الأغلبية العربية أن أى عربى يظهر أمام اللجنة سوف ينبذ من المجتمع العربى ويتعرض للاغتيال (٥) .

ووصلت اللجنـــة الى فلسطين يوم ١١ نوفمبر ١٩٣٦ ، واستقبلها الانجليز واليهود وحدهم ، ولم يشارك العرب فى اســـتقبالها ، كمـــا لم يشاركوا فى حفل الافتتاح الذى أقيم فى اليوم الثانى ـــ باستثناء موظفان وأحد الوجهاء كما ذكر دروزة ـــ لـــكن اللجنة العربية العليا أرسلت كتابا الى اللورد بيل ـــ رحبت فيـــه به وأعضـــاء لجنته ، وأكدت لهم انه ليس لدى الشعب العربى فى فلسطين أى سبب يدعوه للشك فى نزاهتهم ،وأن بيان وزير المستعمرات الأخير هـــو الذى حال دون تعـــاون العـــرب مع اللجنـــة (٦) .

واستمرت مقاطعة العرب للجنة حتى تم سماع أكثر شهادات اليهود

والبريطانيين ، وحددت اللجنة تاريخ مغادرتها لفلسطين بعد انتهاء مهمتها، فعدل العرب عن مقاطعة اللجنة (٧) بعد أن تعرضت اللجنة لضغط شديد من بعض الشخصيات العربية كى تتراجع عن قرار المقاطعة ، واستخدم الأمير عبد الله كل وسائل الضغط مع اللجنة ، وجرت بينه وبينها مراسلات ولقاءات ، كما أخذت الرياض تمارس ضغطا مماثلا وشاركت بغداد فى تلك الضغوط ، فرأت اللجنة العربية ضرورة ارسال وفد الى بغداد والرياض لشرح موقفها من قرار المقاطعة (٨) .

وكان موقف الحكام العرب قد شجع حزب الدفاع على أن يسفر عن معارضته لقرار مقاطعة اللجنة ، ففى أواخر ديسمبر ١٩٣٦ انتقدت جريدة فلسطين — التى كانت قد اصبحت ناطقة باسم الحزب — قرار المقاطعة، وبعد بضعة أيام أعلن حسن صدقى الدجانى أحد زعماء الحزب اعتزامه المثول أمام اللجنة . وكان الحزب يستمد هذا الموقف من مخاوف الطبقة الموسرة فى البلاد من أن تؤدى مواقف المفتى والقوى المتطرفة الى تجدد المواجهة المسلحة مع البريطانيين ، وما يلحق بهم فى هذه الحالة من خسائر جسيمة . وهكذا وجدت اللجنة العربية نفسها تواجه الانشقاق داخلها والضغط من الحكام العرب (٩) .

وتوضح الوثائق البريطانية أن الملك عبد العزيز بن سعود بالذات كان له دور أساسى فى عدول اللجنة العربية العليا عن قرار المقاطعة وانه كان ينحرك بدافع عربى وليس نتيجة لضغوط بريطانية ، وتؤكد هذا المعنى برقية مرسلة من جده الى وزارة الخارجية البريطانية فى ٢ يناير ١٩٣٧(١٠)

ويتضح من رسالة مرسلة من مفوضية المملكة العربية السعودية بلندن ان الملك عبد العزيز آل سعود كان حريصا على الاستفادة من هذه الوساطة لاحداث تغيير فى موقف بريطانيا ، فقد أبلغت المفوضية وزارة الخارجية البريطانية فى نفس التاريخ ان الملك يشعر بالثقة أن هذا التغيير فى موقف عرب فلسطين سوف يوصل الى حل يتسم بروح العدل والانصاف يجعل أصدقاء بريطانيا فى السعودية يرتبطون ويتأثرون بالحكومة البريطانية (١١) . وترد وزارة الخارجية معبرة عن تقديرها للدور الذى قام به مؤكدة أن نصيحة الملك لعرب فلسطين سوف تسهم بشكل أساسى فى حل واضح وعادل للمسائل المختلف عليها (١٢) .

ونتيجة لجهود واتصالات عربية أرسل الملك عبد العزيز آل سعود خطابا الى رئيس اللجنة العربية العليا ، كما أرسل الملك غازى خطابا مماثلا يدعوان فيه عرب فلسطين الى عدم مقاطعة اللجنة الملكية (١٣) .

وعقدت اللجنة العربية العليا اجتماعا بعد عودة الوفد الفلسطينى من رحلته وبعد اطلاعها على كتابى الملكين حيث قررت « الاتصال باللجنة الملكية وبسط القضية العربية لها » . وأذاعت بيانا على الأمة بهذا المعنى طلبت فيه من كل من لديه معلومات أو بيانات تفيد القضية ان يبعث بها اليها والا يتقدم أحد للشهادة دون موافقة اللجنة (١٤) .

ويتبين من رسالة من المندوب السامى الى وزير المستعمرات فى ١٢ يناير ١٩٣٧ ابتهاج المسئولين البريطانيين لعدول اللجنة العربية العليا عن قرارها بمقاطعة اللجنة الملكية وذلك لأن هذه المشاركة بالاضافة الى تهدئتها للموقف ستؤجل بطبيعة الحال تجدد الثورة حتى معرفة قرارات الحكومة البريطانية مما يتيح للسلطة البريطانية فرصة كافية لتنظيم أمورها . ويشير المندوب السامى فى رسالته الى أنه كان يشجع هذا الموقف من البداية لكن الأمر احتاج الى نفوذ الملوك العرب لدفع القادة العرب فى فلسطين الى تغيير موقفهم السابق . ويأخذ المندوب السامى هذا المثال كدليل على صعوبة التعامل مع عرب فلسطين (١٥) .

وقد يكون معظم أعضاء اللجنة حريصين — كما اوضح المندوب السامى فى رسالته — على تجنب عرض المطالب الوطنية بالطريقة التى تنتظرها الجماهير ، لكن من المؤكد أن موقف اللجنة العربية العليا بمقاطعة اللجنة الملكية يرجع بالدرجة الأولى الى قرار الحكومة البريطانية باستمرار الهجرة خلال قيام اللجنة الملكية بعملها ، أما عن اشارة المندوب السامى الى تخوفهم من تفنيد حججهم أمام اللجنة فلا اظن ذلك صحيحا ، فما كان يحتاجه القادة العرب ليس قوة الحجة ولكن حسن الادراك للمواقف البريطانية والدولية وعرض تلك الحجج بالأساليب السليمة وتقديم البيانات اللازمة والاقتراحات البناءة لحل المشكلة .

وحضرت اللجنة العربية العليا بكامل هيئتها امام اللجنة الملكية يوم ١٢ يناير ١٩٣٧ فألقى رئيسها بيانا عاما حول قضية فلسطين ثم استمعت

اللجنـــة الى بعض الزعمـــاء العرب (١٦) . وكان استماع اللجنـــة الى بعض الشهادات العربية عن طريق ترجمة غير دقيقة تماما بينما كان الاستماع الى الشهادات اليهودية بطريقـــة وئيدة عقدت خلالها جلسات خاصة بين أعضـــاء اللجنـــة وعدد من الزعماء الصهاينة كان يتم الاعداد لها بطريقة طيبـــة (١٧) .

وعقدت اللجنـــة اثنـــاء وجودها فى فلسطين ثلاثين جلســـة علنية وأربعين جلسة سرية استمعت فيها الى مائة وثلاثة عشر شاهدا ، وكان الحـــديث يجرى باللغة الانجليزية كمـــا قامت اللجـــنة خلال وجودها فى فلسطين بزيارة بعض المدن والقرى العربية واليهودية والمؤسسات اليهودية وعددا من دوائر الحكومة ، واستقبلت عددا من المسئولين ، وقام ثلاثة من أعضاء اللجنة بزيارة شرقى الأردن يوم ٣ يناير ١٩٣٧ ، ودار بينهم وبين الأمير بحث طويل فى جلسة خاصة ، وعاد أعضاء اللجنة الى لندن حيث عقدت اللجنة جلسة علنية استمعت خلالها الى شاهدين وسبع جلسات سرية استمعت فيها الى ثمانية من الشهود الرسميين ونشر تقرير اللجنة فى يوليو ١٩٣٧ (١٨) .

وكان وزير المستعمرات قد طلب من رئيس اللجنة الملـكية موافاته بانطباعه العـــام عن هذه القضـــية ، فأرسل اليه رئيس اللجنة رســـالة مؤرخة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٣٦ — أى بعد وصوله الى فلســـطين بأربعين يومـا — وأهمية هذه الرسالة انها تعبر عن انطباعاته الحقيقية للموقف كما تؤكد من ناحية أخرى أن اللجنة كانت مهيئة من واقع مشاهداتها وانطباعاتها لفكرة التقسيم ومن المحتمل الا تكون الفكرة نتيجـــة توجيـــه من الحكومة البريطانية وان كان ذلك لا يعنى عـــدم موافقة الحكومة البريطانيـــة على هذه الفكرة .

وفيما يلى أهم ماورد فى تلك الرسالة من انطباعات :

١ — ان هناك شعورا غير ودى بين العرب واليهود وأن رئيس اللجنـــة لم يكن يدرك عمق وحدة الـكراهية التى يحملها العرب لليهود كما لم يكن يدرك العمق الذى ترتكز عليه مخاوف العرب من سيادة اليهود وسيطرتهم ، وأن هنـــاك فجوة واســـعة بين العـــرب واليهود — اجتماعيا ومعنويا وسياسيا .

٢ — ان التصور اليهودى للوطن القومى قد تطور خلال السنوات الأخيرة ، وانهم ينظرون الى فلسطين الآن كملاذ لليهود المهددين فى اوربا وانهم مصممون — سواء بوسائل قانونية أو غير قانونية — على ان يدفعوا الى فلسطين بعديد من هؤلاء المهاجرين ، وان فكرة المواطنة الفلسطينية هى مهزلة فاليهود يغرسون الولاء لليهود والعرب يغرسون الولاء للعرب ولا توجد اية اشارة الى عملية الاندماج بينهما .

٣ — انه لم تبذل أية محاولة لتدعيم العلاقة بين العرب واليهود كما أن الفقرة التى وردت فى صك الانتداب بشأن اللغات المستخدمة فى البلاد تستحق النقد نسبيا . فالعرب واليهود يتلقون تعليمهم فى مدارس منفصلة ولا يرون شيئا عن بعضهما كما يقوم بتعليمهم أشخاص لايفعلون شيئا من أجل خلق مشاعر طيبة .

٤ — ان من الواضح أنه توجد عدة حكومات فى فلسطين . فالوكالة اليهودية أكبر بكثير من أن تكون هيئة للتعاون أو مساعدة الحكومة. انها — بشكل كبير جدا — حكومة فى حد ذاتها كما أن بياناتها المقدمة الى الحكومة تأخذ كل شكل سياسى ممكن . كما أن هناك اللجنة العربيه العليا التى تعتبر كلمتها قانونا بالنسبة للعرب ، وقد كان لدى الجنة الملكية تلميحات من بعض الشخصيات العربية المستقلة بأن بعض الموظفين يرغبون فى اعطاء الشهادة لكن لم يجرؤ أى شخص على مقاومة تعليمات اللجنة العربية العليا . وأخيرا تأتى الادارة البريطانية التى تحاول أن تقيم توازنا صعبا بين العرب واليهود وتعمل فى ظروف معقدة للغاية .

٥ — وبالنسبة للامن فانه يشك كثيرا فيما اذا كان يمكن الاعتماد على رجال الشرطة العرب فى حالة حدوث ثورة أخرى ، ان اليهود يطالبون بشكل متزايد جدا بحمايتهم من العرب . انهم يطالبون (بكونستبلات) فى كل قرية يهودية ، وهم يعتقدون أنهم اذا حصلوا على نسبتهم العددية فى البلاد فسيكون بامكانهم حماية انفسهم ضد العرب ، وانه الى أن يتم ذلك فهناك سباق يائس بين الخصوبة العربية والهجرة اليهودية .

ويضيف رئيس اللجنة الملكية أنه من الصعوبة بمكان ان يصف ذلك الجو البغيض من الشك والسرية الذى يحيط به فليس لديه وسائل لمعرفة ما اذا كان هناك احتمال لقيام ثورة اخرى فى أبريل أو مايو ، لكن يبدو ان معظم الجماهير تتوقع ذلك وتتحدث عنها كما لو كانت مسألة وقت فقط. كما أن موظفى الحكومة لايستطيعون أن يدلوا بشهادتهم علانية لأنهم يعتقدون أنهم اذا قالوا كلمة الحق فان فائدتهم كموظفين سوف تنتهى .

وينهى رئيس اللجنة الملكية رسالته بقوله أنه لايبدو أن أى انسان يستطيع عندما أن يضع أية اقتراحات بناءة مالم يوافق على ابعاد اليهود وايقاف الهجرة ومنع بيع الأراضى وتأسيس مجلس تشريعى فورى (١٩) .

ويتضح من رسالة اخرى مرسلة من المندوب السامى الى وزير المستعمرات فى ٢٤ ديسمبر ذلك المعنى الذى أكده رئيس اللجنة الملكية فى رسالته السابقة من ان العلاقات العربيه اليهوديه لم تكن فى وقت من الاوقات اسوأ مما هى الان وانه ليس من الحكمه تسليح اى عرب اضافيين فى هذا الوقت كما انه لا يحبذ دعم ايه قوة امن مختلطه وأنه يريد أن يدعم قواته بجنود جدد وأن ينظمهم ويدربهم قبل حدوث خطر عربى داهم يتوقعه خلال الاشهر القليلة التالية (٢٠) .

وقد عرض وزير المستعمرات الرسالتين على مجلس الوزراء البريطانى ناقلا اليه تلك النظرة القاتمة موضحا لزملائه الوزراء أن المرحلة الحالية يجب أن ينظر اليها باعتبارها مرحلة انتقال ، وأن التوقعات لعام ١٩٣٧ مظلمة للغاية ، وأن لديه معلومات من مصادر مختلفة بأن المشاعر العنصرية بين العرب واليهود قد أصبحت سيئة بدرجة خطيرة ، وأن هناك ميلا متزايدا للافكار المتطرفة من كل من الجانبين وبشكل أخص من العرب ، وأن هناك استعدادا نشطا للقيام باضطرابات جديدة (٢١) .

الشهادات العربية امام اللجنة الملكية

ويتضح من شهادات رجال الحركة الوطنية أمام اللجنة الملكية وما قدموه من مذكرات أن هناك تنسيقا مسبقا فى كلماتهم ، فقد كرر الحاج أمين الحسينى وعدد من أعضاء اللجنة نفس المطالب الأربعة التى وردت فى مذكرة اللجنة العربية العليا (٢٢) .

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر عن تلك المذكرة التى قدمتها اللجنـة العربية العليا الى اللجنة الملـكية فى ١١ يناير ١٩٣٧ (٢٣) . فبعـد أن اوجزت المذكرة تاريخ القضية وتحدثت عن الأسباب الرئيسية للاضطرابات منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وكررت مطالبها التى أعلنتها فى بدايةثورة ١٩٣٦ ، وهى العدول عن تجربة الوطن القومى الفاشلة وايقاف الهجرة اليهودية وقفا تاما وفورا ومنع انتقـال الأراضى العربيـة لليهود منعا باتا وحالا ، أضـافت مطلبـا رابعا لم يكن مطروحا فى مطالبها منذ تكوينها، وهو المطالبة بانهاء الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانـيا وفلسطين تقوم بموجبها حكومة وطنية مستقلة ذات حكم دستورى تمثل فيها جميع العناصر الوطنية . ومع أن اللجنة كانت تشير فى بعض مذكراتها الى شىء من هذا المعنى لـكن هذه أول مذكرة — فيما يعتقد — تطالب فيها اللجنة صراحة بانهاء الانتداب ، مما يعنى أن أحداث الثورة فى مرحلتهـا الأولى وصمود الجماهير وتضحياتها قـد أعطت اللجنة جرعة منشطة دفعتها الى ممارسة شىء من الشجاعة والتعبير الصـادق عن آمال الجمـاهير وهو ما كانت اللجنة تفتقده خلال المرحلة السابقة رغم ضراوة الثورة وتعاظمها .

وقد حدثت مناقشة بين رئيس اللجنة الملكية وبين عونى عبد الهادى — عميد حزب الاستقلال العربى وعضو اللجنة العربية العليـا فى ذاك الوقت — تعطى انطباعا لمن يتأملها باستحالة التفاهم بين العرب واليهود اذا عاشوا فى منطقة واحدة ، مما قـد يكون عاملا فى تأكيد اقتناع اللجنة بضرورة تقسيم البلاد ، وأورد فيما يلى جزءا من تلك المناقشة :

اللورد بيل : وما رأيك بخصوص مائدة مستديرة تضم العرب واليهود والانجليز ؟.

عونى بك : العرب لايعترفون بشىء اسمه يهودى صهيونى .

اللورد بيل : حتى ولو كان الممثلون اليهود الذين عاشـوا فى هـذه البـلاد .

عونى بك : نرفض أن نجتمع ونبحث فى شىء يتعلق بحقوقنا مع شىء يدعى يهودى واذا كان هنـاك شىء يسمى مصالح يهودية ومصالح عربية

فهو موت لنـــا ككتلة عربية وككتلة يهودية فـــلا يمكن ابدا ان نقبـــل بأى اجتماع كان . واود ان اؤكد هذه الحقيقة . ان جميع اخوانـنـــا العرب فى سوريا والعراق وســـائر البلاد العربية يوافقون معى بانه لا يمكن انشاء اية صداقة او محبة بين العرب واليهود مادامت هنـــاك سياسة صهيونية، سياسة وطن قومى .

هاموند : اذن تعتقد انه ليس بالامكان ان يعيش العرب واليهود فى هذه البلاد بسلام .

عونى بك : قطعيا ، واذا ادعى اليهود بخـــلاف ذلك فهم مغالطون وذلك مادامت السياسة الصهيونية قائمة ، واعتقد ان هذا الشعور ليس فى عرب فلسطين فحسب بل فى العالم العربى أجمع ، ويتعداه الى العالم الأسلامى ايضا ، وكل عربى فى هذه البلاد ســـوف لا يألو جهدا فى دق الصهيونية ومحقها من الوجود لأن العربية والصهيونية لاتجتمعان .

اللورد بيل : تقولون انكم لاتقبلون اية مفاوضة او تسوية وانا اقول ان هذا يؤدى الى سفك الدماء وهذا غير مستحب .

عونى بك : اذا سئلنا ان نعطى جزءا من فلسطين باختيارنا ورضانا فلا تصدقوا ابدا ولـــكن اذا طلب منا تعهدات تحفظ مصالح جميع السكان فنحن لانريد مايريده اليهود من بقاء الانتداب ، بل نقول بأن تستقل فلسطين وتؤلف حكومة وطنية تعقد معاهدة مع بريطانيـــا تحفظ فيهـــا حقوق جميع السكان ويمكن ايجاد نص واضح لحفظ حق جميع السكان (٢٤) .

ومع ان موقف عونى عبد الهادى كان تعبيرا عن راى قيـــادة الحركة الوطنية فى فلسطين التى كانت ترى فى التفاهم مع الصهيونيـــة — على اساس الانتـــداب وتصريح بالفور — تفريطا فى حقوق البلاد ، لـــكنه بدا من بعض اجاباته وكأنه لا يفرق بين اليهود من سكان البلاد وبين الصهاينة الذين هاجروا الى فلسطين مؤخرا بهدف تنفيذ المخطط الصهيونى كما وضح من اجابته ايضا عدم استعداد قيادة الحركة الوطنية للتفاهم والتشاور حتى فى اطار المصلحة العربية العليا ومع ممثلين لليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين وقد حدثت مناقشة مماثلة بين رئيس اللجنة الملكية وأمين الحسينى، فقد ساله اللورد بيل :

س : هل تعتقدون سماحتكم أن هذه البلاد تقوى على ادماج وهضم الأربعمائة الف يهودى الذين هم فيها الآن ؟.

ج : لا أعتقد ذلك .

س : اذن لابد من اخراج البعض منهم اما بلطف واما بعنف حسب الأحوال .

ج : انترك ذلك للمستقبل .

وعلقت اللجنة على تلك الاجابة فى تقريرها بأنها لا تشك فى حسن نية المفتى وزملائه أو فى الروح الانسانيــة التى تختلج فى نفوسهم لـكنها لاتستطيع أن تنسى ماحدث مؤخرا للاقلية الآثورية فى العراق رغم نصوص المعاهــدة ولا تلك الـكراهية السياسية للوطن القومى اليهــودى التى عمت العرب جميعهم (٢٥) .

ويلاحظ على اجابة امين الحسينى أنها تنم عن عدم تفهم لحقيقــة العلاقة العضوية بين الاستعمار والحركة الصهيونية كما انها لاتحتوى على حل محدد . فهو لم يقل مثلا ان عرب فلسطين ويهودها سيعيشون فى دولة واحدة يشاركون فى أجهزتها ومؤسساتها حسب نسبتهم العــددية ، ولم يقل بشكل واضح أن العرب مستعدون لمنح اليهــود أى نوع من الضمان الذى يطلبونه أو ادارة ذاتيــة داخل نطاق فلسطين العربية ، ولم يقل ان العرب مستعدون لبحث الأمر مع الدولة المنتــدبة بما يحقق المصــلحة العامة لـــكل السكان ، أو بعبارة أخرى لم يكن أمين الحسينى وغيره من الزعماء العرب يقدمون لتلك اللجان حلولا محددة وواضحة . ولقد كان من الممكن أن تستمر السياسة البريطانية على ما سارت عليه حتى لو قــدمت القيادة العربيــة تلك الحلول ، لـــكن ذلك يوضح لنـــا حقيقة هامة وهى ان القيـــادة العربية الفلسطينية فى تلك الفترة لم تكن تتمتع بخبرة ورؤية سياسية عميقـــة ، ولم تكن قراراتها تعتمد على دراسات وأبحاث محددة ومدروسة .

ويشير المندوب السامى فى رسالة منه الى وزير المستعمرات فى ١٢ يناير ١٩٣٧ معلقا على شهادة العرب امام اللجنة الملــكية الى شيء من هذا

المعنى عندما يقول ان تلك الشهادة اخذت شكلا جافا ومتطرفا للغاية وانها كانت ترمى الى اثارة الجماهير أكثر منها الى اقناع اللجنة الملكية (٢٦) .

الأوضاع العامة فى فلسطين بعد توقف الثورة

عندما توقفت الثورة كان هناك اعتقاد عام لدى عرب فلسطين بأن الحكام العرب كانوا بشكل رئيسى مسئولين عن ايقاف الثورة وان هؤلاء الحكام قد تلقوا من الحكومة البريطانية شيئا من الضمان ، كما اعتقد العرب فى المناطق المختلفة من فلسطين أن جهودهم قد حققت شيئا من الانتصار .

وبرغم المشاعر العربية الكبيرة فقد اظهر العرب فى تلك الفترة ضبطا لأعصابهم الى درجة كبيرة فتوقفت هجمات الثوار على جنود الحراسة والقوات البريطانية والمستوطنات بينما اصدرت السلطات اليهودية بيانات بشجب الاضراب والثورة .

وكانت السلطة المنتدبة من ناحيتها حريصة فى تلك الفترة على تهدئة نفوس العرب . فبعد الثورة بدأ اطلاق سراح مجموعات كبيرة من المعتقلين حتى أصبح عددهم خلال النصف الأول من نوفمبر ٣٤ معتقلا .

وأما أمين الحسينى فقد خرج من المرحلة السابقة باعتباره الرجل القوى فى السياسة العربية فى فلسطين ، وأما راغب النشاشيبى فلم يفقد كثيرا من نفوذه ولم يكن هناك مايشغله سوى السلطة ، كما أنه كان حريصا على حل اللجنة العربية العليا لكن رغبته لم تتحقق .

وقد تركز نشاط التنظيم السياسى العربى فى تلك الفترة على عملين محددين :

الأول : اعداد قضية العرب أمام اللجنة الملكية . فقد بدأ جمع البيانات الضرورية واختارت اللجنة العربية العليا لجنة فرعية لهذا الغرض .

الثانى : تنظيم مقاطعة ضد اليهود مع جهود عربية لتنظيم الاقتصاد

الداخلى وتشجيع الانتـاج العربى مع الدعوة الى الاسـتغناء عن التجار اليهود (٢٧) .

ومع أنه لم تحدث منذ توقف الثورة أعمال ثورية منظمة أو منتظمة ، لكن الحالة ظلت متوترة ، تهدأ حيناً ثم يقطعها حادث أو اغتيال أو هجمة هنـا أو هناك (٢٨) .

ويشـير التقرير السنوى لحكومة الانتـداب لعـام ١٩٣٦ الى أن الاعتداءات الفردية منذ توقف الثورة حتى نهاية العام قد أخذت أشكالا عدة

(أ) اطلاق النيران على القوات العسكرية وقوات الشرطة .

(ب) هجمات من العرب على اليهود .

(جـ) سلب يصاحبه اثارة للرعب .

ويعزى التقرير عمليات السلب الى ذلك الضيق الاقتصـادى الذى انتاب الجماعات المسلحة كما يستبعد أن يكون لتلك الأعمـال أية دلالات سياسية ، كما يذكر أيضا انه بذلت خلال شهرى نوفمبر وديسمبر محاولات لتفتيت الوحدة الوطنية لعرب فلسطين بتوزيع نشرات من أشخاص مجهولين لـكنها لم تشـكل خطورة تذكر وتم ادانتهـا من القـادة الـدينيين فى فلسطين (٢٩) .

الأوضاع العامة خلال النصف الأول من عام ١٩٣٧

لم تكن الأحوال هادئة خلال النصـف الأول من عام ١٩٣٧ لـكنها كانت مقتصرة بشكل عام على اللواء الشمالى ومنطقة القدس واخذت فى معظمها شكل اعتداءات فردية أو اعتداءات محدودة متبـادلة بين العرب واليهود ، ففى اللواء الشمالى بذلت محاولة فى ينـاير لقتل عمدة حيفـا كما قتل أحد أعيان المدينة ، وفى فبراير كان هنـاك زيادة فى عمليـات الرعب المتسم بالعنف من جانب بعض العرب على عرب آخرين وكان هناك أيضا هجمات على أفراد من اليهود ، وخلال شهر مارس استمرت صـفد

والناصرة والمناطق الجنوبية فى حالة عدم استقرار ، وفى ١٣ ، ١٤مارس قتل خمسة من اليهود بواسطة عرب مسلحين ، وخلال النصف الأول من ابريل كان هناك نشاط متجدد لعمليات قتل فى بعض المناطق من حيفا وترتب عليها مقتل نائب العمدة العربى لطبريا والمساعد العربى لمدير الشرطة .

واما فى منطقة القدس فقد تميز شهر مارس ١٩٣٧ بانفجارين خطيرين . ففى ١٧ من هذا الشهر قذفت قنبلة فى طريق يافا وبعد ذلك بعدة ساعات حدثت ثلاث هجمات يهودية بالقنابل قذف بعضها على مقاهى عربية . وأما فى بعض أنحاء البلاد فقد استمر الاطلاق المتقطع للنيران على المستوطنات اليهودية وهجمات على الممتلكات العربية ، وفى ٣٠ يونية حدث هجوم على احد أفراد عائلة النشاشيبى فى يافا (٣٠) .

ووقعت خلال هذه الفترة احداث فردية من العرب ضد البريطانيين مثل محاولة اغتيال مدير الأمن العام البريطانى .

وقد أضربت بعض مدن فلسطين خلال مايو ١٩٣٧ لأسباب مختلفة فى اسبابها لكنها تتعلق جميعها بالأحوال العامة . فقد أضربت مدينة صفد بسبب فرض غرامة على التجار العرب نتيجة لحادث الاعتداء على احد اهالى القرى لشرائه بعض حاجاته من السوق اليهودية واضربتمدينة طولكرم لأن نظام منع التجول قد حرم الناس من مزاولة اعمالهم فى موسم الحصاد . وأما مدينتى حيفا وعكا فقد أضربتا بسبب استمرار القبض على المعتقلين دون محاكمة (٣١) .

وقد حدث خلال هذه الفترة مصادمات عديدة بعيدة المدى بين الشرطة والعصابات المسلحة ، كما كان هناك مصادمات قصيرة قليلة . وكان أبرز تلك المصادمات ماحدث أيام ٤ يناير قرب نابلس ، ٢٢ يناير علىطريق نابلس جنين .

وتلقى رسالة مرسلة من المندوب السامى فى ٢٧ مارس ١٩٣٧ اضواء كثيرة على الموقف فى فلسطين فى تلك الفترة كما تفسر بعض احداثها :

أولا : ان هناك نقصا عاما فى الشعور بالأمن بالنسبة للاشخاص

والمفاكات فى مناطق كبيرة من فلسطين خلال الأسابيع الستة الأخيرة ولا يرجع هذا الى تجدد نشاط العصابات المسلحة الكبيرة بل يرجع بالدرجة الأولى الى نشاط مجموعات صغيرة من المواطنين تطلق النيران او تقذف القنابل فى المدن او تهاجم آخرين فى مناطق مختلفة ، وان هذا الشعور يتزايد نتيجة للنمو المستمر لمشاعر العداء الذى ادى فى اماكن عديدة الى مقاطعة تامة بين العرب واليهود .

ثانيا : ان أحد عوامل هذا النقص فى الشعور بالأمن ترجع الى اخفاق رجال الشرطة فى كبح جماح الجماهير ، وان هذا الاخفاق يرجع الى عاملين رئيسيين : الأول هو صعوبة الامساك بمن يطلق نارا أو يقذف قنبلة فى شارع مكتظ بالجماهير مثلا . وتتضاعف هذه الصعوبة فى الريف حيث الفلاحون العرب فى تعاطف عام مع هذه الأنشطة . والسبب الثانى أن رجال الشرطة كانوا واقعين خلال الأشهر العشرة السابقة لمرحلة من التوتر الكبير المستمر كما ان المشاعر الوطنية القوية الموجودة لدى السكان العرب جميعهم كان لها تأثير حتمى على فعالية ونشاط رجال الشرطة العرب .

ثالثا : ان المناطق العربية الصرفة مثل مدن غزة وبئر السبع والرملة واللد ونابلس وعكا وما يحيط بها هادئة واما المناطق التى يعيش فيها اليهودى والعربى قريبين من بعضهما سواء فى المدينة او القرية فان القلاقل تكون خطيرة . وبناء على ذلك فان الشعور بعدم الامان هو اكثر مايكون وضوحا فى الجليل الذى يشمل مدن صفد وطبريا وبيسان والناصرة والمنطقة الريفية من عكا .

رابعا : ان نداء اللجنة العربية العليا بشجب أعمال العنف لمنافاتها لسياسة الملوك العرب واستبدال احكام الاعدام بالسجن مدى الحياة بالنسبة لسبع اشخاص ادينوا منذ حوالى خمسةاشهر واذاعة قانون الدفاع الجديد — اسهم كل ذلك فى تحسن الحالة.

خامسا : انه لا الادارة المدنية ولا الشرطة قادرة على بذل جهد اعظم مما تصنعه ، وان هناك شعورا بضرورة دعوة الجيش الى اعطاء مزيد من المساعدة ، ولذا فقد قرر المندوب السامى تنظيم

حراسة اضافية بواسطة القوات العسكرية ومساعدة الجيش فى كافة الجهات واتخاذ عدة اجراءات بهدف تعزيز الشرطة واحداث مزيد من التنسيق بينها وبين قوات الجيش (٣٢) .

وفيما يلى بيان احصائى بعدد حالات استخدام القنابل والأسلحة النارية خلال النصف الأول من عام ١٩٣٧ وهى الأشهر السابقة لصدور تقرير اللجنة الملكية (٣٣) .

	يناير—مارس	ابريل—يونية
ضد الشرطة والقوات العسكرية	٤	٣٥
ضد المستوطنات اليهودية	٣٩	١٦
ضد وسائل النقل اليهودية	١	٣
ضد وسائل النقل العربية	٥	..
ضد منازل البريطانيين	١	..
ضد منازل العرب	٢٩	٣٤
هجمات ضد الرعاة	٦	١
هجمات ضد حراث الأرض	١	١
المجموع	٨٦	٩٣

ويتضح من تتبع أحداث هذه الفترة أن اللجنة العربية العليا كانت حريصة على تهدئة الأمور وتجنب اثارة المشاكل لحين انتهاء اللجنة الملكية من اعداد تقريرها وان كان ذلك الأسلوب ليس غريبا على طبيعتها . فمعظم رجالاتها معتدلون فى مواقفهم حريصون على مصالحهم ، يتحركون فى اناة زائدة ولا يقدمون على خطوات ايجابية الا بعد تردد وتفكير عميقين، واذا اقدموا فقى تمهل لكنهم فى النهاية يتمسكون بمطالب البلاد الوطنية باستثناء رجال حزب الدفاع الوطنى (النشاشيبيين) الذينكانوا يفضلون سياسة التفاهم والتساهل والرضاء باية انجازات مع استعدادهم للتنازل عن بعض الحقوق حرصا على التقدم بالقضية الوطنية ولو خطوة الى الأمام — من وجهة نظرهم — ومن هنا يمكن تفسير المواقف المنفردة لاحدى المدن أو الاحداث الفردية من بعض العرب ، فلم يكن هناك تلك المظهر المتماسك للقيادة وذلك التنسيق الذى كان يميز

تحركات اللجنة العربية العليـــا خـــلال المرحلة الأولى من الثورة . أما بعد أن هدأت الأمور نسبيا وبدأ التفكير فى الحلول المنتظرة وتوقف الدفع الثورى مؤقتا فقد كان يظهر بين الحين والحين مواقف حزبيـــة أو فردية متعارضة مع اتجاهات الجماهير ومصالحها .

وكان من مظاهر سلبية اللجنة العربية العليا فى هذه الفترة عـــدم قيـــامها بالاستعداد لاحتمالات المستقبل أو تنظيم قواعدها بطريقة جـــديدة أو عقد مؤتمرات محلية لمراجعة تجربة المرحلة الأولى والاستفادة من دروسها بل ان اللجنـــة لم تعط اهتمـــاما حقيقيـــا لمســـائل ثانوية مثل رعاية أسر المعتقلين مثلا مما دفع المعتقلين فى سجن عكا الى ارسال كتابين الأول الى اللجنة العربيـــة يحتجون فيه على موقفها ويطالبونها فيه بالاهتمام بأمرهم ورعاية أسرهم ، وأما الكتاب الثانى فقد أرسله المعتقلون الى ملوك العرب وأمرائهم يطالبونهم فيـــه بالاهتمام بقضيتهم الفرعية لأن اللجنة العربيـــة العليا لم تقم بمسئوليتها ازاءهم (٣٤).

وكان من الواضح خلال هـــذه الفترة ان الادارة البريطانيـــة مهتمة بتصفية آثار الثورة وتطهير جيوب المقاومة واشاعة جو من الارهاق والعنف والارهاب ضد المواطنين العرب تحطيما لمعنـــوياتهم وتجـــريدا لهم من اية امكانات يمكن أن تشجعهم على استئناف الثورة . فقد كان من الاجراءات العادية تطويق القرى وجمع عدد كبير من الأهالى واعتقالهم أو معـــاملة سجناء الثورة معاملة سيئة رغم عدم صـــدور أحكام عليهم ، كاجبـــارهم على مزاولة الأعمال الشاقة مثل تقطيع الأحجار وتكسيرها ، أو تعقب آثار قاطعى الأشجار من البيـــارات وتفتيش جميع بيوت القرية التى ينتمون اليها وفرض غرامات على بعض القـــرى حتى أزمع سكان بعضها على الرحيـــل عنها مثلما حدث لقرية حطين ، أو محاكمة عـــرب عـــديدين بمقتضى قانون الطوارىء والحكم على أعداد كبيرة بأحكام مختلفة منها أن يثبتوا وجودهم يوميا بمركز الشرطة ، أو تفتيش الجالسين بالمقـــاهى والمـــارين بالطرقات وابعاد بعض المناضلين الى أماكن متفرقة من فلسطين ، أو معاقبة مدينـــة بأسرها من اجل حادث فردى مثلما حدث لمدينة خان يونس نتيجـــة لقطع مجهول بعض خطوط التليفون .

ولم تكن الادارة تكتفى بهذه الاجراءات بل كانت تعمد أحيانا الى اثارة

مشاعر العرب واستفزازهم ، فقد حدث أن اغتال الثوار العرب فى حيفا ضابط الشرطه العربى أحمد نايف الذى كان اداة من ادوات السلطه فامتنع المسلمون عن الصلاة عليه او دفنه فى مقابرهم لكن الاداره لم تكتف بالقيام بإجراءات الدفن العادية له بل دفنته بالقوه قرب ضريح القسام وصاحبيه وبنت له قبرا على طراز قبور الشهداء الثلاثة .

ومثلما تفعل بعض الشعوب عندما تشعر بارهاب السلطة وتعنتها وتجد نفسها عاجزة عن مواجهة تصرفاتها بطريقة مباشرة ، فتلجأ الى وسائل أخرى تعبر بها عن تبرمها وضيقها ، فقد قاطع عرب القدس حفلات التتويج لملك بريطانيا ولم يشتركوا فى مهرجاناتها وحولوا موالدهم الدينية الى مظاهرات ومواكب وطنية (٣٥) .

الحالة قبيل اذاعة تقرير اللجنة الملكية

كان موضوع التقسيم معروفا ومثارا فى الصحف قبل اذاعة تقرير اللجنة الملكيه بعدة أشهر ، وكان هناك بيانات للجنة العربية العليا خلال شهرى مايو ويونيو ١٩٣٧ حول مانشرته الصحف الأجنبية حول فكره التقسيم ، وقد أكدت اللجنة فى تلك البيانات ان مطالب العرب وحقوقهم معروفة وصريحة وأن العرب والمسلمين لن يقبلوا أى حل لا يتفق وتلك المطالب (٣٦) . لكن الباحث لا يشعر بقيادة تستعد لمواجهة الموقف ، فلا أعرف أن مؤتمرا واحدا عقد خلال هذه الفترة سواء على مستوى القيادات الوطنية أو على مستوى القواعد الشعبية لبحث الاحتمالات المنتظرة ووضع الخطط الكفيلة بمواجهتها ، لكنا نجد دعوة فردية من بعض الشخصيات الوطنية الى التنبه الى خطورة الموقف وتنظيم النشاط الوطنى على أسس فعالة ومواجهة حاسمة للانجليز « اننا نريد قيادة تقول للانكليز بصراحة أن العرب من الآن يحذرونكم اذا أقدمتم على عملية التقسيم . ان العرب سيقاومون كل قرار تصدره اللجنة الملكية لا يكون محققا لأمانيهم القومية ... » . « نريد قيادة تقول للشعب سلفا : لا تحسن الظن بالسياسة واستعد لمقاومة كل حل يقضى على كيانك ، نريد قيادة تنظم المدن والقرى تنظيما قائما على المبادىء لاعلى المصالح والاعتبارات الفردية أو الحزبية الشخصية ... » (٣٧) .

وكلما كانت الشائعات حول التقسيم تزداد انتشارا كان أمين الحسينى

يزداد تحولاً من الاعتدال الى التطرف فقد وصل الى دمشق فى أواخر يونية ١٩٣٧ حيث التقى بزعماء الحركة الوطنية فى سوريا ولبنان وبعض الشخصيات العراقية والسعودية وقام باجراء مباحثات تركزت حول الوضع السياسى العام فى البلاد العربية ومشروع تقسيم فلسطين كما عقد عدة اجتماعات مع بعض الشخصيات السورية والفلسطينية النضالية، وفهم أن المفتى قال فى مناسبات عديدة فى ذلك الوقت أنه « سيعلن الحرب على البريطانيين اثر اذاعة تقرير اللجنة الملكية » (٣٨) .

انسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا

وفى ٣ يونيو ١٩٣٧ وقبيل نشر تقرير اللجنة الملكيه قرر حزب الدفاع — خروجا على اجماع الأمة — انسحاب رئيسه راغب النشاشيبى ويعقوب فراج — أحد أعضاء الحزب — من اللجنة العربية العليا ، وأرجع الحزب اسباب ذلك الى ما يأتى : ان تشكيل اللجنة كما وافقت عليه لجنة الأحزاب قد أدخل عليه تعديل وان اجتماعات اللجنة كانت غير منتظمة ، وان أغلبية أعضاء اللجنة قد حجبت عنهم اجراءات عديدة، وان رئيس اللجنه قد ترك البلاد فى أيام حرجة دون اخطار زملائه فى اللجنة (٣٩) .

وكان واضحا للجماهير أن أسباب الانسحاب واهية ، وان الحزب كان يهدف من هذا الانسحاب الى أن يكون حرا فى تحديد موقفه من التقرير ، وأوضحت جريدة فلسطين هذا الموقف بصراحة ، واتصل أعضاء اللجنة العربية العليا براغب النشاشيبى وطلبوا منه العودة الى اللجنة حتى تبدو الأمة متضامنة لكنه لم يستجب لذلك وان كان قد أبدى استعداده لمجاراه اللجنة فى المواقف الهامة (٤٠) .

ويعتقد أمين الحسينى أن المبررات التى انتحلها الحزب للانسحاب من اللجنة لاتمت الى الحقيقة بصلة وأن الحزب « كان منسجما مع السياسة البريطانية فى فلسطين ، وكان كبار أعضائه على اطلاع على ماكانت تبيته السلطات البريطانية من ضربة قاصمة للجنة لتسهيل توجيه الضربة البريطانية اليها فى الوقت الذى يختاره البريطانيون وكان الأعضاء الذين يوجهون دفة هذا الحزب على تعاون وثيق مع السلطات البريطانية فى فلسطين قبل تأليف الحزب وبعده » (٤١) ويؤيد هذا الرأى عونى عبدالهادى

الذى كان عميدا لحزب الاستقلال العربى الفلسطينى فهو يرى أن انسحاب الحزب من اللجنة العربية العليا كان مبررا بأسباب غير صحيحة (٤٢) .

ومع أن هذا الانسحاب كان فى مظهره انشقاقا فى صفوف الأمة ، لـكنه كان فى حقيقة أمره تصفية لقيادة الحركة الوطنية من قوة متخلفة كانت تقف حجر عثرة فى طريق الحركة الوطنية وتشغلها عن أهدافها بمسائل جانبية أو فرعية .

ويتعلق بانسحاب الحزب من اللجنة العربية العليا نقطة أخرى هامة ، وهى العلاقة التى كانت قائمة بين الحزب والأمير عبد الله ، فقد كان ابراهيم هاشم رئيس الوزارة الأردنية ومحمد الأنسى رئيس الديوان يكثران فى تلك الفترة من التردد على فلسطين والاجتماع بأقطاع المعارضة .

ومع أن راغب النشاشيبى كذب فى حديث نشرته جريدة فلسطين ما أشيع عن اتفاق حزبه مع الأمير عبد الله أو مع غيره لقبول التقسيم وأن حزبه يرفض فكرة التقسيم رفضا باتا ولا يقبل بشأنها معارضة أو بحثا فان ماجرى قبل صدور تقرير اللجنة وما حدث من دلائل خلال رحلة الأمير الى لندن شواهد قوية على أن رجال المعارضة لم يفساجأوا بالتقسيم وأن مافوجئوا به هو نصيب اليهود الكبير فى المشروع (٤٣) .

وتؤكد بعض المصادر اليهودية أن الحزب كان على علاقات قوية مع الأمير عبد الله (٤٤) وان الحزب كان على استعداد لتأييد مطالبته بحكم فلسطين ، مقابل أن يكون لجماعة النشاشيبى نفوذ كبير فى تلك المملكة(٤٥)

تقرير اللجنة الملكية

ويتضمن تقرير اللجنة الملكية لمحة تاريخية عن فلسطين منذ الألف الثانى قبل الميلاد ، مع تركيز على الأوضاع فى فلسطين منذ بدء الادارة المدنية فى يوليو ١٩٢٠ حتى قيام اللجنة بعملها ، شاملة مسائل الادارة والأمن العام والمسائل المالية والأراضى والهجرة والمعارف والادارات المحلية وغيرها ، واحتمال ايجاد حل دائم للقضية .

وقد أوجزت اللجنة ظلامات العرب فى مجموعها فى رفض الانتداب وكل ماينطوى عليه ، وأشارت الى أن ظلاماتهم الأساسية تناولت التقصير

فى ترقيـــة مؤسسات الحكم الذاتى ، امتلاك اليهود للاراضى ، والهجرة اليهودية ، واستعمال اللغتين العبرية والانكليزية كلغتين رسميتين واقصاء العرب عن الوظائف العالية ، وايجـــاد طبقـــة كبيرة من العـــرب الذين لا ارض لهم وامتناع اليهود عن تشغيل العمال العرب ، وعدم كفاية الأموال المخصصة لتعليم العرب .

ومن الغريب أن اللجنة اعتبرت معظم تلك الظلامات غير مشروعـــة بمقتضى شروط صك الانتداب باستثناء الظلامة الخاصة بعدم كفاية الأموال المخصصة للتعليم ، كما وجدت فى مجرد تقديم الموظفين العرب مذكرة للحكومة يشاركون فيها شعبهم آلامه وآماله شيئا يحول دون التوسع فى ترقيتهم الى الوظائف الادارية العليا .

وعلى العكس من ذلك تماما كان موقف اللجنة من ظلامات اليهـــود الرئيسية وهى : اعاقة انشاء الوطن القومى اليهودى بسبب التراخى فى تنفيذ المقترحات الهامة وتعـــاطف الموظفين العرب مع اخوانهم وتقصيرهم فى تنفيذ صك الانتداب ، والتأخير الـــخطير الذى يحدث فى الفصـــل فى القضايا ، وتساهل الحكومة ازاء الأعمـــال التى يقوم بها المفتى وتقصير الحكومة فى ايجاد نظام للاراضى يلائم احتيـــاجات البلاد ، وعدم تقـــديم التسهيلات اللازمة لهجرة اليهود الى فلسطين . وعدم فتح أبواب شرقى الأردن لهجرتهم وعدم ازالة القيود الموضوعة على تصدير الثمار الحمضية الى الخارج أو التخفيف منها ، وفرض قيود على البلديات اليهـــودية تمنع نموها وتقدمها والتقصير فى توطيد الأمن العـــام . فقد اقتنعت اللجنـــة بجميع هذه الظلامات وتقبلتها بشكل أو آخر باستثناء المطالبة بفتح أبواب شرقى الأردن للهجرة اليهودية ، واقترحت اللجنة توصيات مختلفة لعلاج هذه التظلمات ولم تر مانعا حتى من اقتراح تعديل بعض مواد صك الانتداب بغية توفير الأراضى اللازمة لحشد اليهود عليها .

واعتبرت اللجنة هذه التوصيات مجرد مسكنات للداء الذى تعـــانى منه فلسطين ، قـــد تخفف من شدة الالتهاب أو تخفض من درجة الحرارة ولـــكنها لاتستطيع استئصال شأفة الداء الذى تمكن من المريض ، ممـــا يستلزم معه الأمر ضرورة اجراء عملية جراحية انقاذا لحياة المريض .

مبررات التقسيم

وتحدثت اللجنه عن الظروف القاهره التى تجعل اجراء هذه العمليه أمرا محتما فاشـــارت الى هذا النزاع المستعصى بين العرب واليهود الدى الدى لا يجمعهم دين أو لغه او رابطه مشتركه ، وتختلف حياتهم الثقافيــه والاجتماعيه وتباين امانيهم القوميه ، مما يســـتحيل معــه بنــاء قومية متسرخة لهما او اقامة دوله واحــدة يدينان لها بروح الولاء . وكان تقدير اللجنه ان فجوة هــذا النزاع ستزداد اتساعا ، وان العوامل الخارجيــه المتمثلة فى ازدياد تمتع الدول العربيه باستقلالها وســيادتها ، واستمرار الظروف التى يقــاسى منها اليهود فى أوربا ، واستمرار الرعايةالبريطانية للقضية اليهودية ستزيد الامور تعقيــدا وتدهورا . وانه ليس فى الامكان ايجاد شكل من أشكال الحكم الذاتى يقبل العرب واليهود الاشتراك فيــه وتتوفر فيــه العــدالة المطلوبة لكليهما ، وأنه لا يمكن التوفيق بينالتزامات بريطانيــا المزدوجة فى فلسطين أو توطيــد النظــام فيها الا باللجوء الى سياسة قمع شــديدة ، وانه ليس هنــاك أمل فى استتباب السلام فى فلسطين فى المستقبل تحت النظام البريطانى أو أى نظام آخر .

ومن هذا المنطق رأت اللجنــة اســتحالة حل المشكلة بمنح أى من العرب أو اليهود مطالبهم كاملة ، أو ترك أى منهما تحت حكم الآخر ، وما دام الامر كذلك فلابد من ايجاد مخرج من هذا المأزق الــذى يستفحل يوما بعد يوم ، ووجدت اللجنة هــذا المخرج فى فــكرة قيــام كل من العرب واليهود بحكم قسم معين من فلسطين ورأت أن تنفيذ تلك الفكرة يعطىأملا لتوطيد السلام فى النهاية .

نظــام المقاطعــات

وقبل أن تعرض اللجنة لمشروع التقسيم اشارت الى نظام آخر اقل حسما وشمولا من مشروع التقسيم . ويقضى هذا المشروع طبقا لمــا ذكره احد الداعين انيه وهو المستر أرثر كاست فى مقال نشره بمجلة الجمعية الآسيوية المركزية الملــكية تحت عنوان « نظــام المقاطعــات ـ مشروع لفلسطين » بأن تحدد بعض المنــاطق تحديدا رسميا ويسمح لليهود بامتلاك الأراضىوحشد السكان فيها ، وأن يشجعوا على ذلك عملا بالالتزامالايجابى الذى ينطوى عليه الانتــداب نحو الوطن القومى ، أما الأراضى الواقعــة خارج تلك المناطق فيحتفظ بها لسد احتياجات أبناء البلاد الأصليين .

ويهدف هذا المشروع الى تجزئة فلسطين الى مقاطعتين احداهما يهودية وتشمل المناطق التى يكثر ازدحام المستعمرات اليهودية فيها والثانية عربية ويمكن امتدادها الى شرقى الأردن لتشملها مقاطعة واحدة ويبقى الاماكن المقدسة وميناء حيفا تحت الاداره المنتدبة ، ويمكن تشكيل مقاطعة ثالثه مختلطه السكان فى المنطقة المحيطة بطبريا وصفد والحولة ـ ويكون لكل مقاطعة حكومتها ولغتها الخاصة وتتمتع بالاستقلال التام فى بعض الأمور مثل التعليم والصحة والهجرة ومراقبه بيع الأراضى ،بينما يكون لحكومة الانتداب المركزية حق الاشراف على المسائل الخارجية والدفاع والجمارك والسكك الحديدية ، وتقوم بجمع الايرادات الجمركية والبريدية وغيرها من مقاطعات الاتحاد ، وبذا تتمتع كل مقاطعة بالحكم الذاتى عدا النواحى الخاصة بالاتحاد . لكن هناك بطبيعة الحال صعوبات فى هذا النظام منها صعوبة وضع دستور للاتحاد ، أو تجاوز احدى المقاطعات لحدودها أو تنافسها مع غيرها ، أو المشاكل الخاصة بالناحية المالية عند حاجة الاتحاد الى أموال من المقاطعات أو عند توزيع ايراداته عليها ، ومنها معالجة الصعوبات التى تنشأ نتيجة للهجرة اليهودية أو حفظ النظام والأمن فى فلسطين ، ومنها عدم وضع تسوية نهائية لمسألة الحكم الذاتى ، فلا الروح القومية عند عرب فلسطين ولا الآمال الصهيونية تقبلان وضع حدود أمام آمالهما ومطامحهما . وأخيرا فان نظام المقاطعات يخلو من الميزة الرئيسية فى نظر اللجنة الملكية وهى امكان تحقيق السلم النهائى لسكان فلسطين والتى ترى اللجنة أن مشروعا لتقسيم فلسطين هو الذى يمكنه تحقيقه وهو الذى يستطيع وحده استئصال شأفة الداء من اساسها .

مشروع التقسيم

(١) نظام للمعاهدات

ينبغى انهاء اجل الانتداب على فلسطين واستبداله بنظام معاهدات يتفق مع ماتم فى معاهدتى العراق وسوريا ، على أن يوضع انتداب جديد للاماكن المقدسة ، وأن تتفاوض الدولة المنتدبة مع حكومة شرقى الأردن وممثلين لعرب فلسطين من جهة ومع الجمعية الصهيونية من الجهة الأخرى لعقد معاهدة تحالف مع كل من الفريقين ، وأن يعلن فى هاتين

المعاهدتين عن تشكيل دولتين مستقلتين ذات سيادة فى أقصر مدة تسمح بها الأحوال ، احداهما دولة عربية تتألف من شرقى الأردن متحدا مع ذلك القسم من فلسطين الواقع الى الشرق والجنوب من الحد الذى اقترحته اللجنة ، ودولة يهودية تتألف من القسم الواقع الى الشمال والغرب من ذلك الحد .

وتتعهد الدولة المنتدبة بتأييد الطلب الذى قد تتقدم به حكومتا الدولتين للانضمام الى عصبة الأمم ، كما تتضمن المعاهدتان ضمانات مشددة لحماية الأقليات فى كل من الدولتين ، وتلحق بالمعاهدتين مواثيق عسكرية تتعلق باقامة قوى بحرية وعسكرية وجوية وبصيانة الموانى والطرق والسكك الحديدية ووجوه استعمالها وبالمحافظة على سلامة خط أنابيب البترول .

(٢) الأماكن المقدسة

يحافظ على قداسة مدينتى القدس وبيت لحم ويؤمن الوصول اليهما بحرية واطمئنان لمن شاء من كافة أنحاء العالم ، وبوضع صك انتداب جديد تكون غايته الرئيسية حسن أداء هذه الأمانة المقدسة التى لا تنتهى الا اذا رغبت فى ذلك عصبة الأمم والولايات المتحدة الأمريكية . وليس هناك نية لأن يصبح سكان هذه المنطقة فى المستقبل شعبا يحكم نفسه بنفسه حكما ذاتيا تاما . ولا تنطبق على هذه المنطقة السياسة التى ينطوى عليها تصريح بالفور ، ويعامل كافة سكان هذه المنطقة على قدم المساواة ، وتكون اللغة الرسمية الوحيدة هى لغة الدولة المنتدبة ، ويوصى بأن يعهد للدولة المنتدبة ادارة الناصرة والمحافظة على قداسة مياه بحيرة طبريا وشواطئها . وتتولى الدولة المنتدبة المحافظة على الأوقاف الدينية والأبنية والمقامات والأماكن المقدسة لدى اليهود أو العرب فى أراضى الدولتين .

(٣) الحدود

ان المبدأ الطبيعى الذى ينبغى اتباعه فى تقسيم فلسطين هو فصل المناطق التى اشترى اليهود الأراضى فيها واستوطنوها عن المناطق التى كل سكانها أو معظمهم من العرب على أن يفسح مجال معقول ضمن حدود الدولة اليهودية لنمو السكان والمستعمرات وأن تعطى الدولة العربية تعويضا مناسبا عما تفقده من الأراضى والايرادات ، وتستلزم الحدود المقترحة ادخال أقضية عكا وصفد وطبريا والناصرة وحيفا وبعض أقسام

من اقضـــية جنين وطولـــكرم وبيسان ويافا والرملة فى المنطقة اليهودية، وادخال اقضية نابلس ورام الله والخليل وبئر السبع وبعض اقســـام من اقضية نابلس وجنين وطولـــكرم ويافا والرملة والقـــدس وبيت لحم فى المنطقـــة العربية .

(٤) الاعانة المـــالية بين الدولتين

ان مقدار مايدفعـــه الشخص الواحد من اليهـــود للايرادات يفوق مايدفعه الشخص الواحد من العرب مما مكن الحكومة من أن تنشىء مصالح عامة للعرب ماكانت تستطيع انشاءها فى غير هذه الحالة ، وعلى ذلك فان المنطقة العربية بعد التقسيم لن تستفيد من مقدرة المنطقة اليهودية على دفع الضرائب ، ولذلك يقترح أن تدفع الدولة اليهودية اعانة مالية للدولة العربية عند تنفيذ مشروع التقسيم ، ويجب تعيين لجنة مالية لدرس مقـــدار هـــذه الاعانة والنظر فى كيفية تقسيم ديون فلسطين العامة التى بلغت أربعـــة ملايين ونصف مليون جنيه بين الدولتين ، وتقسيم الالتزامات المالية الأخرى التى التزمت بها الادارة ، ومعالجة المسائل المتعلقة بادارة السكك الحديدية والبرق والتليفونات .

(٥) اعانة الحكومة البريطانية

نظرا لأن مشروع التقسيم يشتمل على ادخال شرقى الأردن فى الدولة العربيـــة ، ولـــا كانت قـــدرة شرقى الأردن على دفع الضرائب محدودة للغـــاية ولا تكفى ايراداتها لسد مصـــاريف الادارة ، وما زالت تتلقى اعانة ســـنوية من الحكومة البريطانيـــة من عام ١٩٢١ بمعـــدل ســـنوى قدره (٧٨,٠٠٠ الف جنيه) بالاضـــافة لبعض الاعانات والقروض ، يوصى فى حالة تنفيذ نظام المعاهدات بأن يطلب الى البرلمان الموافقة على دفع منحة للدولة العربية قدرها مليونان من الجنيهات .

(٦) التعريفة الجمركية والمرافىء

حرصا على تجنب حدوث تضارب فى مسألة التعريفـــة الجمركية فى الدولتين ، تتفق الدولتان على قبض رسوم جمركية واحدة على اكبر عدد ممكن من البضـــائع ، ويسهل تبـــادل البضائع بين المناطق الثلاث فى اطار

اتفاق تجارى ، وأن تقوم الحكومة المنتدبة لمدة من الزمن بجباية الرسوم الجمرية فى مرافىء فلسطين تسهيلا لتنفيذ مشروع التقسيم فى مراحله الأولى على أن تقوم الدولة المنتدبة بتسديد الرسوم المستوفاة الخاصة بكل دولة .

(٧) الجنسية

جميع الأشخاص القاطنين فى منطقة الانتداب يظلون متمتعين بالحماية البريطانية اما الفلسطينيون الآخرون فيصبحون من رعايا الدولة التى يقطنونها .

(٨) الخدمة المدنية

تضمن حقوق جميع الموظفين الذين يعملون فى الادارة المنتدبة فى حالة وقوع التقسيم .

(٩) الامتيازات الصناعية

تقوم حكومتا الدولتين العربية واليهودية بتنفيذ الاتفاقات المعقودة مع حكومة فلسطين بشأن ترقية وحماية الصناعات .

(١٠) تبادل الأراضى والسكان

اذا اريد التوصل الى تسوية دائمة نتيجة للتقسيم فيجب ان يشرع عاجلا أو آجلا فى تبادل الأراضى وتبادل السكان بقدر الامكان .

ويجب الزام الدولة المختصة بشراء الأراضى وما فيها من الأشجار والمحصولات اذا رغب فى بيعها شخص ينتمى الى الدولة الأخرى .

وقد اجرى تقدير تقريبى لعدد السكان تبين منه ان المنطقة المخصصة للدولة اليهودية باستثناء مناطق المدن التى ستبقى تحت الانتاب فترة من الوقت يقوم فيها الآن مايقرب من ٢٢٥٫٠٠٠ نسمة من العرب ، ويوجد نحو ١٢٥٫٠٠٠ من اليهود فى القدس وحيفا مقابل ٨٥٫٠٠٠ من العرب .

ويوجد ضمن الحدود المقترحة للدولة اليهودية مجال متسع لاسكان اليهود الموجودين فى المنطقة العربية ، بينما لا تتوفر ضمن الدولة العربية أراضى كافية لاسكان العرب الموجودين فى المنطقة اليهودية ، وقد يسفر القيام بمشاريع كبيرة للرى وخزن المياه وتعمير اراضى شرقى الأردن وبئر السبع ووادى الأردن عن اسكان عدد يفوق كثيرا عدد السكان الموجودين فى هذه المناطق ، والحاجة ماسة الى سرعة فحص هذه المناطق لمعرفة امكانية توفير مساحات كافية من الأرض لاسكان العرب المقيمين فى المنطقة اليهودية حتى يمكن فى حالة التأكد من ذلك بذل جهد لعقد اتفاق تبادل الأراضى والسكان .

ويجب أن تنص المعاهدتان على اللجوء الى التبادل الاجبارى فى السكان والأراضى فى السهول وفى جميع المستعمرات اليهودية الواقعة فى الدولة العربية اذا كان ذلك ضروريا .

ولابد من وجود فترة انتقال قبل أن يوضع الانتداب الجديد والمعاهدات موضع التنفيذ ، ويظل الانتداب قائما بمهمته حتى يتم ترتيب الأوضاع الجديدة .

ونظراً لأن النواحى السابق اقتراحها كانت مبنية على أساس استمرار الانتداب ولا تسرى جميعها فى حالة الأخذ بمشروع التقسيم ، فقد اقترحت اللجنة عدة توصيات متعلقة بالأرض والهجرة والتجارة والمجلس الاستشارى والحكومة المحلية والمعارف خلال فترة الانتقال .

وأنهت اللجنة تقريرها بالاشارة الى الفوائد التى يجنيها كل من العرب واليهود من مشروع التقسيم وأن الفريقين سيدركان بعد تدبر أن المشروع وان لم يحقق لكل منهما مايتمناه لكنه يحقق لهما هدفا اكبر وهو تحقيق السلام والحرية والطمأنينة .

فبالنسبة للعرب اعتقدت اللجنة ان المشروع يحقق لهم استقلالهم القومى ويزيل من نفوسهم احتمال خضوعهم فى النهاية او خضوع اماكنهم المقدسة لليهود ، كما أنهم سيتلقون اعانة مالية من الدولة اليهودية وهبة من الحكومة البريطانية قدرها مليونان من الجنيهات ، وقد يمنحون هبة أخرى من اليهود اذا تيسر الاتفاق على تبادل الأراضى والسكان .

أما بالنسبة لليهود فانهم يحققون بمشروع التقسيم فكرة وجود أمة يهودية ويتخلصون من حياة الأقلية ، واما بالنسبة للالتزامات البريطانية فقد رأت اللجنة أن التقسيم يضع حلا نهائيا للمشكلة التى طال عليها الأمد ويؤدى الى تنفيذ الالتزامات التى وردت فى صك الانتداب (٤٦) .

تلك خلاصة لأهم ماورد فى استنتاجات اللجنة وتواصيها . ولا شك أن هذا التقرير كان أشمل تقرير قدمته لجنة بريطانية رسمية عن قضية فلسطين منذ الاحتلال البريطانى لفلسطين خلال الحرب العالمية الأولى حتى ثورة ١٩٣٩/٣٦ . ويرجع ذلك أساسا الى أن مهمة اللجنة كانت تختلف عن باقى المهام التى كلفت بها لجان بريطانية سابقة ، فبينما كانت مهمة تلك اللجان مقتصرة على تحديد الأسباب المباشرة للاضطرابات كانت مهمة هذه اللجنة تحديد الأسباب الأساسية وليست المباشرة ، كما أن هذه اللجنة قد أتيح لها وقت للدراسة لم يتح لأية لجنة سابقة ، فقد ظلت تقوم بمهمتها مايقرب من العام ، فقد صدر قرار تشكيلها فى ٢٩ يوليو ١٩٣٦ وقدمت اللجنة تقريرها فى ٢٢ يونية ١٩٣٧ ، وقد تمكنت خلال هذه الفترة من استكشاف وجهات النظر المختلفة والاطلاع على عشرات الوثائق والمذكرات الرسمية والشعبية التى قدمت اليها أو وضعت تحت تصرفها .

وقد قيدت مهمة اللجنة أساسا بالتحقيق فى كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بعد تفسير نصوص الانتداب تفسيرا صحيحا ،فليس من مهمتها اذن الخروج على ذلك الاطار الذى تحدد لها ولم تر من حقها أن تعرض لمقترحات لا تتمشى مع التزامات بريطانيا المزدوجة تجاه العرب واليهود معا ، وهى الالتزامات التى عجزت بريطانيا عن الوفاء بها الا بالنسبة للجانب اليهودى ، لأنها التزامات متضاربة ولا يمكن الوفاء بشىء الا على حساب الجانب الآخر . فبناء الوطن القومى اليهودى يستلزم تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين وبيع الأرض لهم ووضع امكانات الدولة المنتدبة فى خدمة الوطن القومى اليهودى ، وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع مصالح العرب وحقوقهم .

ورغم ذلك فان هذا التقرير يكشف بعض المغالطات التى أقامت عليها الحكومات المتعاقبة أعمالها وبياناتها منذ بداية الانتداب ، ومع أن واضعيه

اتخذوا الحيطة الكافية تجنبا لازعاج الرسميين ، فان نقدهم القاسى بلغ قدرا من الاتهام الخطير لهؤلاء الرسميين .

اما تحليله للسياسة التى اتبعت فى انجاز الانتداب فقد كشف بدرجة كافية عدم تنفيذ الانتداب وقصوره عن تحقيق النتائج ، وهما حقيقتان لايمكن انكارهما . لكنهما اخفيتا عن العالم الخارجى خلف ستار من دخان الأساطير والدعاية . فالى هذا الحد يعتبر التقرير خطوة متقدمة نحو تبين الحقيقة ، فهو يكشف عن بطلان تلك التصريحات العديدة التى أكد فيهما رؤساء وزارات ووزراء فى مناسبات عديدة بين عامى ١٩١٨ ، ١٩٣٧ أن سياسة انشاء وطن قومى ليهود فى فلسطين ليست متعارضة مع التعهدات التى أعطيت للعرب (٤٧) .

كما اوضح التقرير عددا من الحقائق التى كانت الحكومة المنتدبة تدعى عكسها ، مثل ماورد فى التقرير من أن الانتداب كان يعمل على تثبيت الخلاف بين العرب واليهود ، وأن حكومة فلسطين من نوع الحكومات القائمة فى مستعمرات التاج وأنها غير صالحة « لحكم العرب المثقفين واليهود الديمقراطيين » وأن من الصعب التوفيق بين التزامات بريطانيا فى فلسطين لأنها التزامات متعارضة ومتضاربة .

ويلاحظ على الاستنتاجات التى توصلت اليها اللجنة انها تضمنت ادانة غير مباشرة للحكومة البريطانية ، فقد أوضحت اللجنة أن صك الانتداب نفذ تنفيذا تاما بالنسبة للهجرة اليهودية ، وأن المساعى التى بذلت لضبط انتقال الأراضى العربية لليهود لم يقدر لها النجاح ، وأن ترقية الاستقلال المحلى ومؤسسات الحكم الذاتى قد عرقل سيرها وأن المساعى التى بذلت لتشكيل هيئة تشريعية محلية لم تقترن بالنجاح (٤٨) .

ولا شك ان هذه النتائج السابقة التى توصلت اليها اللجنة صحيحة . لكن اللجنة لم تكن أمينة تماما فى تفسير الأسباب التى ادت الى تلك النتائج ولم يكن ينتظر منها ان تفعل غير ذلك ، فهى فى نهاية الأمر لجنة بريطانية مختارة بعناية من شخصيات رسمية تمرست فى خدمة بريطانيا ونالت أرفع الأوسمة تقديرا لخدماتها الممتازة للامبراطورية .

ورغم ما أعلنه المستر بلدوين رئيس الوزراء فى مجلس العموم من أن

اللجنة الملكية « هيئة تامة الاستقلال لا سيطرة لحكومة جلالته عليها ، وأن لها مطلق الحرية فى أن تضمن تقريرها ماتستحسنه من الأمور ضمن نطاق صلاحياتها » فهو فى الحقيقة لم يكن سوى مفسر للماء بعد الجهد بالماء ، فما دام هناك نطاق محدد للجنة مرتبط بالتزامات بريطانيا فلا ينتظر من اللجنة فى هذه الحالة مهما اشتطت أن تتجاوز حدوداً وضعت لها ، فلم يكن هناك تفويض لها باقتراح ماتراه مناسبا أو متفقا مع مصالح سكان فلسطين وانما كان كله مشروطا باطار الانتداب والالتزامات المزدوجة لبريطانيا .

ويذكر انطونيوس أن هناك قصورا فى الأصول التاريخية للتقرير يتعذر تفسيره . فهناك تعمق فى مسألة التعهدات التى يتضمنها تصريح بالفور ، لكن التقرير يدع هذا التعمق عمدا بالنسبة للتعهدات التى منحت للعرب ويقتبس ويحلل بعض أجزاء من مراسلات الحسين مكماهون ، لكنه لا يشير اطلاقا الى العهد الذى أعطى للملك حسين فى يناير ١٩١٨ ولا يشير أية اشارة الى « تصريح السبعة » فى يونية ١٩١٨ ، ويبرز الاشارة الى اتفاق فيصل وايزمان لكنه لا يذكر تحفظ فيصل — فى تلك الاتفاقية — حول حرية العرب السياسية والاقتصادية (٤٩) .

وتؤكد الوثائق البريطانية انه كان لوزارة الخارجية البريطانية دور هام فى تحديد المدى الذى تستفيد به اللجنة الملكية من مثل هذه التعهدات الهامة . فتوضح احدى هذه الوثائق ان وزارة الخارجية أعدت مذكرة فى هذا الشأن بشأن مراسلات الحسين مكماهون ابلغت الى أعضاء اللجنة الملكية بصفتهم الشخصية وبطريقة سرية تامة بشرط الا ينشر جزء من المراسلات أو المذكرة كوثيقة رسمية ، لكنه فى القسم التاريخى من التقرير وفى ذلك الجزء الذى يتعرض للاسباب الأساسية فان اللجنة لاتقتبس أو تلمح الى المراسلات الا بقدر مااقتبس أو شرح من تلك المراسلات فى الماضى فى تصريحات علنية بواسطة أعضاء الحكومة البريطانية أو أن يقتبس أو يلمح الى المذكرة بشكل عام ، بل ان وزارة الخارجية طلبت ان يعاد اليها فى الوقت المناسب النسخ الخمس من المذكرة التى أعدت لأعضاء اللجنة الملكية بالاضافة الى النسخة السابق ارسالها الى رئيس اللجنة الملكية لاستخدامه الشخصي (٥٠) .

ومع أن التقرير يغلب عليه الشكل الموضوعى البعيد عن التحيز لكنه فى حقيقة الأمر يمتلأ تعاطفا مع الوطن القومى اليهودى وتقديرا مفعما بالود للجهود الصهيونيـــة فى فلسطين . ونظرة حانيـــة الى اليهود ، وحرصا على ابراز الجوانب الايجابية التى ترى اللجنـــة ان الهجرة اليهودية قـــد جلبتها الى فلسطين ، والدعوة الى معاملتهم — وهى الأقليـــة — على قدم المساواة مع الاغلبية العربية .

فاللجنـــة توصى بالتخفف من المركزية الزائدة تجنبـــا للاجراءات التى تعوق انشاء الوطن القومى اليهودى ، وتعديل بعض مواد الدستور بهدف توفير الأراضى اللازمة لليهود ، وحصر اليهود واســـتيطانهم فى المنـــاطق الساحلية وعقد قرض كبير عاجل لبلدية تل أبيب، وغير ذلك من الاقتراحات التى توفر الظروف المنـــاسبة لتنفيذ المخططـــات الصهيونيـــة بينما تدعو بالنسبة للعرب الى كثير من الاجراءات الضيقة ، فهى تحض الحكومة على عدم التردد فى فصـــل أى موظف لايثبت ولاؤه للحكومة ، وتنتقد ســـياسة الاسترضاء التى سارت عليها الحكومة مع المجلس الاسلامى الأعلى وتدعو الى زيادة الاســـتعدادات لمقـــاومة اية اضـــطرابات تحدث فى المستقبل بالاعلان الفورى للاحكام العرفية تحت اشراف عسكرى وتجريد الأهـــالى من السلاح واقامة دوريات خاصة على الحدود لمنع تسرب السلاح وانشاء شرطة احتياطية مركزية ومحلية بالاضافة الى قوات كبيرة متحركة (٥١) .

ومع أن اللجنة تشير فى أكثر من مكان من تقريرها الى الفوائد التى جلبتها الهجرة اليهودية لعرب فلسطين (٥٢) على أساس أن الأموال اليهودية وما ترتب عليها من مشروعات قـــد أتاحت فرصة للاستفادة من الطاقات العربية ، الا أن اللجنـــة تغافلت عن حقيقة هامة ، وهى أن ضـــياع قطعة من أرض الوطن أ وحرمان أصحاب البـــلاد من حرياتهم لايعوضه أى فائدة مالية مهما عظمت ، وان كانت اللجنة لا تنكر أن هـــذا التقدم العمرانى لم يؤثر فى عرب فلسطين تأثيرا يحملهم على المسالمة .

لـــكن اهم ماتمخض عنه عمل اللجنـــة هو مشروع تقسيم فلسطين الذى تصور تحويل الوطن القومى المقترح الى دولة يهودية وامتداد منطقة الاستعمار والصهيونية الى منطقـــة متضاعفة فى مساحتها وتضم سكانا عربا مستقرين يبلغون حوالى ثلاثمائة الف نسمة يكونون خاضعين لسلطة

يهودية . وبعبـارة اخرى فان المشروع واجه اعتراضـات العرب على تصريح بالفور بالتوصية باعطاء الصهيونيين مساحة اكبر بكثير من تلك التى وعدوا بها فعلا فى اوسع تفسير ممكن للتصريح ، كما واجـه الصعوبات الناشئة من اجلاء السكان العرب بالتوصـية باجـلائهم بمقيـاس أوسع بكثير (٥٣) .

بل ان السكان العرب فى بعض مناطق الدولة اليهودية المقترحـة كانوا يبلغون ثلاثة اضـعاف السكان اليهود فى تلك المناطق ويملكون من الأراضى أربعة اضعاف مايملـكه اليهود فيها . كما أن الأراضى الصالحة للزراعة فى تلك الدولة كانت أربعة ملايين ونصف مليون دونم يملك اليهود منها ٠٠٠ر٢٥٠ر١ دونم ، فكأن اللجنة قـد أهدتهم ٠٠٠ر٢٥٠ر٣ دونم من الأراضى العربية . كما أن اقتراح اللجنة بتبادل السكان بين الدولتين كان يعنى أن يجرى التبـادل بين حوالى ثلاثمائة الف عربى فى الدولة اليهودية وبين ١٢٥٠ يهوديا فى الدولة العربية (٥٤) . نظرا لأن الأغلبية العظمى من اليهود الموجودين خارج الدولة اليهودية المقترحـة (١٤٢ الف يهودى) يدخلون داخل حدود المنطقة المنتدبة .

ولعل لواء الجليل هو أكثر المنـاطق التى تتضح فيها بشاعة مشروع التقسيم ، فهذا اللواء ينقسم الى أربعة اقضية هى عكا وطبريا والناصرة وصفد وتضم ٤٢٢ر١٤٠ نسمة طبقـا لاحصـاء ١٩٣١ منهـا حوالى ٠٠٠ر١٢٥ عربى ، ١٥ الف يهودى . وتصبح النسبة مذهلة حين يفصـل بين سكان القرى والمـدن . ففى المدن الأربعة وحدها كان هناك ٢٦ الف عربى وتسعة آلاف يهودى ، أى أن سكان القرى العرب كانوا حوالى مائة الف عربى يقابلهم حوالى ستة آلاف يهودى . ونظرا لأن مدن الجليل الأربع قـد وضعت فى مشروع التقسيم ضمن الدولة المنتدبة فمعنى ذلك أن يتم ترحيل مائة الف عربى من منطقة خالية تماما من أية قرى يهودية . فلقـد اقام اليهود عددا من القرى على أطراف الجليل ، لكن الجليل كله باستثناء عدد من القرى فى أطرافه — كان فى حوزة العرب ، وهكذا فان التفسير الوحيد الذى يمكن أن يفسر به اقتراح اللجنة الملكية هو انه يريد أن يسلم الجليل العربى برمته الى الدولة اليهودية .

ولقد كان العذر الذى ساقته اللجنة أسوأ من الذنب الذى اقترفته ، فقد برر التقرير ذلك بأن الجليل هو ذلك الجزء من فلسطين الذى احتفظ

اليهود بموطىء قـدم لهم فيـه منذ أيام الشتات . لـكن التقرير لم يذكر شيئا عن وضع هـذا الموطىء فى عام ١٩٣٦ ، بل اكتفى باعطـاء تلك المنطقة الى أصحاب الموطىء قديما بدلا من اعطائها الى أصحاب الجبـال نفسها . وكان الهـدف من ذلك بالدرجة الأولى هو تجريد الدولة العربية من حدود مشتركة مع لبنـان ، أى فصل اللبنانيين عن اخوانهم أهل الدولة العربية (٥٥) .

وقد أورد التقرير حججا بلغة تظهر فضلا كبيرا فى اهتمامهم الانسانى فى التوصل الى حل لمشكلة اليهود أكثر منها دليلا على نفاذ بصـيرتهم أو ادراكهم العملى . فقد ادعوا أن التقرير استهدف تحقيق ثلاث متطلبـات أساسية « أن يكون عمليا وأن يكون متفقا مع التزاماتنا وأن يحقق العدالة لليهود والعرب » لـكن المشروع لم يحقق أيا من تلك المتطلبات فهو ليس عمليا وليس متفقا وتعهدات بريطانيا ولا يحقق عـدالة متسـاوية للعرب واليهود (٥٦) .

وقـد اسـتهدف مشروع التقسيم بالدرجـة الأولى تحقيق المصلحة الاستراتيجية البريطانية . فمنطقة الانتداب الدائم لم يستند تخطيطها الى الاعتبارات الدينية والاقتصادية كما تزعم اللجنـة وانما الى الاعتبـارات الاستراتيجية لبريطانيا . فمطار اللد والرملة وميناء العقبة ذو الأهميـة فى السيطرة على البحر الأحمر وغيرها أدخلت كلها فى منطقة الانتداب الدائم ولا علاقة لها بالأماكن المقدسة (٥٧) . كما كان الهـدف من تحويل الوطن القومى اليهودى الى دولة يهودية تمكين تلك الدولة أن تكون فى ظروف افضـل لخدمة المصالح الاستعمارية . وكان الهدف من اقامة دولة عربية تضم قسما من فلسطين الى امارة شرقى الأردن تحت حكم الأمير عبد الله توطيد الـكيان الأردنى الذى كان خاضعا للسيطرة البريطانية (٥٨) .

ويذكر دروزة أن فكرة التقسيم قـد سبقت ذهاب اللجنة الملكية الى فلسطين وان نورى السعيد كان يتحـدث خلال المرحلة الأولى من الثورة عن بعض الحلول المقترحة ومنها منح اليهود حكما ذاتيا فى المثلث الـذى يتركزون فيـه فى نطاق دولة عربية تتـألف من فلسطين وشرقى الأردن والعراق أو من فلسطين وشرقى الأردن وأنه سمع بنفسه هذا الحديث من نورى السعيد عندما زار المعتقلين فى معتقل صرفند فى أغسطس ١٩٣٦ .

كما نشرت الصحف فى ذلك الحين تصريحا لوايزمان يفهم منه أن اللجنة الملكية فاتحته فى مشروع التقسيم قبل تقديمه باعتباره خطوة على طريق تحقيق الأمانى الصهيونية ، فأبرقت اللجنة العربية العليا الى لندن والى لجنة الانتدابات محتجة على هذه التصريحات التى تثبت تواطؤ اللجنة الملكية مع الحركة الصهيونية (٥٩) .

ومع أن واقعة مفاتحة اللجنة الملكية لوايزمان صحيحة لكن من الحق أن يقال ان رئيس اللجنة الملكية وأحد أعضائها على الأقل (رمبولد) كانا مهيأين نفسيا وذهنيا لمشروع التقسيم نتيجة لما ادركاه خلال وجود اللجنة الملكية فى فلسطين من عمق الكراهية بين العرب والصهيونيين واستحالة التوفيق بينهما طبقا لما أوضحته الرسالة المرسلة من رئيس اللجنة الى وزارة المستعمرات فى ٢٠ ديسمبر ١٩٣٦ (٦٠) .

صدى مشروع التقسيم فى فلسطين

وعندما نشر تقرير الجنة الملكية صدر معه بيان رسمى بريطانى خلاصته أن الحكومة على اتفاق مع اللجنة الملكية فيما انتهت اليه من الآراء، وأنها بعد اختبارات دامت سبعة عشر عاما أصبحت مقتنعة بأن هنالك تعارضا غير قابل للتوفيق بين أمانى العرب واليهود فى فلسطين . وان مشروع التقسيم يمثل افضل حل لهذه المعضلة المستعصية وانها تنوى القيام بما يلزم من الاجراءات لتنفيذ المشروع ، وترى أن يسمح بهجرة ثمانية آلاف يهودى خلال ثمانية أشهر من أغسطس ١٩٣٧ حتى مارس ١٩٣٨ ،

ولم يكد ينشر التقرير حتى عم فلسطين استياء كبير وأصيب عربها بخيبة أمل ومرارة كبيرتين (٦١) . فلم يكن هذا المشروع هو الحل الذى ينتظره العرب بعد ثورة شعبية دامت ستة أشهر تحمل فيها الشعب خسائر فادحة فى الأموال والأنفس والثمرات ، ولم يكن العرب يتوقعون أن تصبح الأوضاع العامة بعد ثورتهم أسوأ مما كانت عليه قبلها ويرون بلادهم على أبواب سياسة التمزق . وزاد الأمور سوءا فى ذلك الوقت تلك الاجراءات التى اتخذتها السلطة « احتياطا للطوارىء » وما كان اليهود يقومون به من أعمال التعدى والاستفزاز (٦٢) .

اجتمعت اللجنة العربية بعد اذاعة مشروع التقسيم وبحثت ما نشر

من تقرير اللجنة الملكية ، ثم أصدرت بيانا فى ٨ يوليو يتضح منه عدم قدرتها على المواجهة الفورية للموقف وقذفها بالمشكلة برمتها الى الملوك والأمراء العرب ، ولم تعلن اللجنة صراحة عن موقفها من مشروع التقسيم وهو المشروع الذى لم يكن مفاجئا لها بل اكتفى البيان بالاشارة الى أن سياسة التقسيم مناقضة لمطالب العرب وحقوقهم .

واتباعا للسياسة التى انتهجتها اللجنة والتى كانت استمرارا لموقف القيادة العربية فى فلسطين منذ بداية الانتداب البريطانى فقد دعت اللجنة فى بيانها الشعب العربى فى فلسطين الى « أن يظل محافظا على عهده وميثاقه الوطنى ورباطة جأشه ورزانته وسكينته » ، وارسلت خطابا الى الملوك والأمراء العرب والزعماء المسلمين ترجوهم « العضد والارشاد فى هذا الموقف التاريخى العصيب » كما قررت ارسال وفود من رجالات البلاد الى العراق والحجاز وجنيف وعقد مؤتمر وطنى بالقدس يوم ١٧ يوليو لبحث الحالة الحاضرة واعلان رفض مشروع التقسيم رسميا .

ووصلت يوم ٩ يوليو الى القدس وفود المناطق الشمالية للاجتماع بأعضاء اللجنة العربية العليا واخطارهم بخطورة الحالة فى تلك المناطق بعد أن علم أهلها بأنهم سيصبحون جزءا من القسم اليهودى وأوضحوا أن مجالسهم انقلبت الى مآتم بعد سماع خلاصة التقرير عن طريق الراديو، وأن أهل القرى توجهوا الى المدن صباح اليوم التالى (٨ يوليو) يستفسرون عن حقيقة الأمر .

وعمت مدن فلسطين وقراها اعتبارا من صباح ١٠ يوليو حركة شديدة ترمى الى مقاومة مشروع التقسيم ومتابعة الجهاد للاحتفاظ بوحدة التراب الوطنى ، وأرسلت البرقيات العديدة من سائر أنحاء البلاد الى الحكومة واللجنة العربية العليا، ووضع العلماء فتوى تنص على أن كل عربى يقبل فكرة تقسيم يعد كافرا ، كما أعلنت هيئات الشباب أنها تعد كل مؤيد لهذه الفكرة خائنا لوطنه وبلاده (٦٣) .

ويلاحظ أن بعض البيانات التى أصدرتها اللجان والجمعيات المحلية كانت تختلف عن ذلك البيان الذى أصدرته اللجنة العربية العليا ، فقد استنكرت سياسة التقسيم واحتجت على تقرير اللجنة الملكية وسياسة الحكومة داعية الجماهير الى المحافظة على حقوقها (٦٤) مما يؤكد استمرار

ذلك التناقض الذى كان قائما بين الجماهير وقيادتها الرسمية خلال المرحلة الأولى للثورة وعدم ارتفاعها الى مستوى الموقف حتى والبلاد عرضة للتقسيم .

وكان أشد المناطق فزعا وسخطا الجليلين الشرقى والغربى نظرا لوضعهما فى مشروع التقسيم فى اطار الدولة اليهودية المقترحة ، وكانت اللجنة الملكية قد زعمت أنهما كانا أقل من غيرهم انقيادا للتحريض السياسى وأكثر قابلية للتعاون مع اليهود .

واستدعى المندوب السامى أمين الحسينى وأعضاء اللجنة ونصحهم بالتروى قبل ابداء رأيهم ، واعتبرت نصيحة المندوب السامى بمثابة انذار نظرا لما تردد حينئذ من شائعات عن عزم السلطة اتخاذ تدابير شديدة للحيلولة دون حدوث هياج فى البلاد (٦٥) .

وقد ابلغت اللجنة العربية العليا عصبة الأمم برفضها تقسيم البلاد وطلبت من العصبة الغاء الانتداب البريطانى لتحل محله دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن مصالحها المقبولة ومصالح الأقلية اليهودية (٦٦) .

وتشير برقية مرسلة من المندوب السامى الى الوكيل الدائم لوزارة المستعمرات فى ١٩ يوليو ١٩٣٧ ان المفتى هو بطبيعة الحال ضد التقسيم لكن توجد أعداد كبيرة ضده بصرف النظر عن موقف المفتى (٦٧) .

وتشير برقية أخرى مرسلة من المندوب السامى الى وزير المستعمرات فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ ان المعارضة للتقسيم أصبحت واسعة الانتشار بدرجة تجعله يشك فيما اذا كان يوجد فى الحقيقة رأى معتدل كبير فى ذلك الوقت يمكن أن ينطق ببنت شفة عن هذا الموضوع ، وأن هناك تخوفا من عمليات الانتقام فى حالة تأييد مشروع التقسيم ، وان النقد والمناقشة كانت موجهة فى ذلك الوقت الى الحدود المقترحة للتقسيم أكثر منها الى مبدأ التقسيم الذى يعتقد الكثيرون فى فلسطين أنه مقضى عليه لا محالة (٦٨) .

حزب الدفاع والتقسيم

وكانت جريدة فلسطين قد كتبت مقالا على أثر نشر التقرير تطرى

فيـــه اللجنة المـــكية وما تضمنه تقريرها من انصـــاف للعرب ودعت الى السعى لتعديل الحدود والى التقدم بحل جديد للقضية لأن ماجاء بالمذكرات العربيـــة شيء عام . وقالت انه قـــد آن للزعماء أن ينهجوا منهجا جديدا يتيح سياسة الأخذ والرد .

وأما حزب الدفاع فقد نشر قرارا باستنكار التقسيم ثم أتبعه بمذكرة مطولة الى المندوب السامى احتوت تفنيدات لتوصيات اللجنة الملكية وتاكيدا بأن السلام لا يمكن تحقيقه الا بالاستجابة لمطالب العرب : بالغاء الانتداب وتشكيل حكومة ذات سيادة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة ويمثل فيها السكان جميعهم ويضمن للاقليـــات حقوقها وان تحفظ النسبة العددية بين العرب واليهود ، وأخذت جريدة فلسطين بعد ذلك تتراجع عن موقفها الســـابق وتنضم الى المستنكرين لقرار التقسيم (٦٩) .

لـــكن احدى الوثائق البريطانية تؤكد حقيقة هذا الحزب وتكشف زيف ادعائه مواقف الوطنية وتضليله للجماهير . ففى رسالة من المندوب السامى واكهوب الى السر كوزموباركنسون الوكيـــل الـــدائم لوزارة المستعمرات مؤرخة فى ١٤ يوليو ١٩٣٧ أوضح فيها أنه منذ أسبوع مضى أخبره راغب النشاشيبى ويعقوب فراج بصراحة ودون أن يسألهما أنهما يشـــكل محدد مؤيدان لمبـــدأ التقسيم ، ويعتقد المنـــدوب السامى أن البيـــان الخطير الذى أذاعه رئيس وزراء العراق بشأن مشروع اللجنـــة المـــكية كان من أكثر العوامل فعاليه فى تشجيع راغب النشاشيبى وحزب الدفاع على اعلان معارضتها بشكل علنى للتقسيم بعد ذلك . وأضـــافت الوثيقة أن القـــائد العـــام للقوات البريطانية فى فلسطين (دل) يرى ضرورة القيـــام بشيء أكثر من ذلك من أجل تأييد التقسيم ويقـــترح أن يعطى راغب النشاشيبى عشرة آلاف جنيه فى حالة اعلان تأييده للتقسيم ، وتضيف الرسالة أنه اذا وافقت وزارة المستعمرات على هذا الاقتراح فسوف لا يتم بطريقة مكشوفة حتى لايعزى الى الحكومة لـــكن المندوب السامى يعلق بأنه يوجد شك قليل فى امكان شراء راغب النشاشيبى بهذا المبلغ ويصفه بأنه شخص متقلب غير جدير بالثقة — بكل مافى الكلمة من معنى — لـــكنه فى الوقت الحاضر راغب فى أن يظل على علاقة ودية مع الحكومة، ثم يطلب المندوب السامى من وزارة المستعمرات افادته بالرأى فيما اذا كان يمكن النظر فى هـــذا الاقتراح (٧٠) .

وبدأت صحيفة التايمز — بعد نشر تقرير اللجنة الملكية بأسبوعين حملة على المفتى قائلة انه العقبة الكئود فى سبيل التفاهم وانه لولا الخوف منه لظهر الكثير من المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم وطلبت من الحكومة عدم تركه وشأنه ، وأخذت تحرض ضده وتطلب عزله ، وتابعتها فى حملتها بعض الصحف اليهودية والانجليزية .

واغتنم بعض يهود فلسطين هذه الحملات فأخذوا يتصلون ببعض رجال فلسطين ، خاصة الذين عرفوا بالاعتدال أو مناوأة المفتى ويبدون استعدادهم للتفاهم على حل مناسب ووجد ذلك استجابة لدى هؤلاء الرجال رغم ماكان يتردد فى ذلك الوقت من أصداء لقرارات مؤتمر زيوريخ المعبره عن مواقف اليهود واطماعهم . وتبين بعد ذلك أن بعض اليهود الذين اتصلوا بالعرب لايمثلون قوة وأن آخرين كانوا يرون أن يكون اعتراف العرب بالوطن القومى اليهودى وموافقتهم على استمرار الهجرة اليهودية من شروط هذه المفاوضات ، وانهم لم يكونوا حريصين حقيقه على التوصل الى تسوية للموقف وانما الى احداث بلبلة فى صفوف العرب (٧١) .

ويتبين من احدى البرقيات المرسلة من المندوب السامى الى وزير المستعمرات فى ٣١ يوليو ١٩٣٧ ان تلك الاتصالات لم تكن من جانب اليهود وحدهم بل من جانب العرب أيضا حيث تذكر البرقية أن المندوب السامى علم فى اليوم السابق من مصدر وحيد موثوق به أن مفاوضات قد بدىء فيها — بواسطة وسطاء — بمبادرة من أمين الحسينى بين شرتوك والمفتى ، وأن المندوب السامى بناء على تلك الظروف المتغيرة قد الغى مؤقتا أوامره السابقة بالقبض على المفتى وابعاده عن البلاد واعتباره اللجنة العربية هيئة غير قانونية . كما يتبين أيضا من تلك البرقية ان اليهود والعرب المناوئين للمفتى كانوا يطالبون الحكومة باتخاذ اجراء صريح معه ولذلك فقد توقع المندوب السامى — بعد سياسته المؤقته الجديدة — ان تجدد تلك العناصر نقدها للحكومة ، لكن المندوب السامى يؤكد أنه حتى فى ظل الظروف الجديدة فانه يؤيد اعتقال المفتى اذا كان بامكان الحكومة أن تفعل ذلك لكنه يرى من الحكمة ان تكف الحكومة مؤقتا عن فكرة اعتقاله حتى تعطيه فرصة لموازنة أموره (٧٢) . ويعتقد أن تلك المفاوضات كانت مناورة من المفتى حتى يوحى للادارة المنتدبة باستعداده للتراجع حتى تخفف السلطة من اجراءات مراقبته فتتيح له فرصة لمغادرة البلاد ،

ولا شك أنه قد نجح فى احداث الأثر المطلوب من تلك المفاوضات الوهمية حيث أوقف المندوب السامى تنفيذ أوامر القبض على المفتى وخفض عدد رجال الشرطة الذين يحرسون بوابات المدينة القديمة تمهيدا لانسحابهم وكتب الى وزارة المستعمرات يطلب موافقتها على هذا التغيير .

محاولة اعتقال المفتى

ونؤكد الوثائق البريطانية أن فكرة التخلص من مفتى فلسطين شخصيا سواء بابعاده من البلاد أو نفيه أو منعه من دخولها كانت مطروحة اثناء قيام اللجنة الملكية بعملها وانها كانت تناقش على كل المستويات البريطانية المسئولة . ففى ٢٧ فبراير ١٩٣٧ أرسل القائم بأعمال حكومة فلسطين رسالة الى المندوب السامى يعالج فيها اقتراحا مقدما من القائد العام للقوات البريطانية فى فلسطين باصدار أمر بمنع المفتى من دخول فلسطين بعد قيامه بأداء فريضة الحج فى تلك الفترة لأن عودته بعد موسم الحج ستكون ايذانا بانفجار متجدد معاد للحكومة ، وان القائد العام يرى أنه لا يمكن استعادة القانون والنظام تماما فى فلسطين حتى يتم تنحية المفتى ـ الذى يعتبره المحرض الرئيسى للثورة ـ عن وظيفته ، ومع أن القائم بأعمال الحكومة كان موافقا على خطورة استمرار ممارسة المفتى لنفوذه لكنه عارض ابعاده من فلسطين فى ذلك الوقت لاحتمال قيامه بتشجيع الاضطرابات فى ظروف تجد فيها الحكومة صعوبة فى تحمل مسئولياتها ولأن ابعاده والبلاد تمر بحال سلام سوف ينظر اليها كشاهد على خداع بريطانيا وخيانتها كما أن تركه مطلق السراح خارج البلاد سوف يتيح له تدبير المكائد ضد بريطانيا فى الأقطار العربية الأخرى .

وقد أيد وزير المستعمرات رأى القائم بأعمال الحكومة وكان يرى انه عندما يكون ممكنا التخلص من المفتى فان من المرغوب فيه ارساله الى مكان قاص مثل جزيرة سيشل ، وقد أيد وزير الخارجية البريطانية هذا الراى ووافق مجلس الوزراء البريطانى عى رأى الوزيرين (٧٣) .

وبناء على ذلك فقد أرسل وزير المستعمرات البرقية التالية الى القائم بأعمال حكومة فلسطين فى ٣ مارس ١٩٣٧ « انى فى اتفاق تام معكم فى التفكير فى أنه ليس من المرغوب فيه العمل وفق الاقتراح المقدم من القائد

العسكرى العام وانى لا أستطيع الموافقة على اصدار أمر بابعاد المفتى من فلسطين فى الظروف الراهنة » (٧٤) .

وبعد اذاعة تقرير اللجنة الملكية يقترح المندوب السامى فى رسالة مؤرخة فى ١٤ يوليو ١٩٣٧ الموافقة على اعتقال المفتى ونفيه فورا من البلاد ويطلب من وزارة المستعمرات الابراق فورا فى حالة عدم الموافقة مشيرا الى أن المفتى وعونى عبد الهادى يستخدمان كل نفوذهما ضد التقسيم ، وان المندوب السامى كان ينوى اعتقال المفتى فى اجتماع كان يزمع عقده دون موافقة الوزارة ، وان هناك تخوفا من لجوء المفتى الى المسجد الأقصى اذا تلقى اشارة حول فكرة اعتقاله .

وفى منتصف يوليو ١٩٣٧ تبنى مجلس الوزراء البريطانى سياسة ترمى الى اعتقال المفتى (٧٥) وتنفيذا لهذه السياسة فقد حاولت السلطة البريطانية اعتقال أمين الحسينى فى١٧ يوليو ١٩٣٧ . ويروى عجاج نويهض فى رسالة منه الى عونى عبد الهادى فى ٢١ يوليو ـ أى بعد اربعة أيام من مهاجمة مقر اللجنة العربية العليا ـ تفاصيل ماتم فى تلك الليلة . فقد اتجه المفتى فى السادسة مساء فى سيارته الخاصة الى دار اللجنة وأخبره احد رجاله أن هناك متابعة لتحركاته ، وعندما وصل المفتى الى مقر اللجنة مكث بضع دقائق ثم صعد الى الطابق العلوى للمبنى ، ثم خرج بعد ذلك من أحد الأبواب الخلفية وركب سيارة غير سيارته واتجه الى الحرم ، وبعد دقائق من خروجه من المبنى وصلت القوة بقيادة ضابطين حيث اعتقلت صبحى الخضرا . ومن تلك الساعة لم يذهب الحاج أمين الى دار اللجنة بل ظل محتميا بالحرم (٧٦) . ووضعت السلطة حراسة على جميع أبواب مدينة القدس ، كما كان الحرس الواقف عند باب الأسباط ـ قرب الحرم ـ يتحرى الداخلين والخارجين ـ خاصة المعممين ـ مما أكد أن السلطة كانت راغبة فى اعتقال المفتى ، ولكنها لم تكن مستعدة لاعتقاله داخل الحرم حتى لاتثير مشاعر المسلمين . وقد بقى المفتى ملتجئا بالحرم حوالى ثلاثة أشهر .

وكان لهذه الحركة رد فعل شديد فى فلسطين ، فأخذت أصوات الاستنكار ترتفع والنفوس تضطرب والأفكار تتجه الى استئناف الجهاد وازداد الموقف توترا بما صدر بعد ذلك من تصريحات خطيرة للصهيونيين

فى مؤتمر زوريخ ، وبما كان من اصرار البريطانيين على خطة التقسيم فى جنيف (٧٧) .

ويتضح من رسالة مرسلة من المندوب السامى الى الوكيل الدائم لوزارة المستعمرات فى ١٩ يوليو ان احدى ميزات اعتقال المفتى هى منعه من عمل نداءات أخرى وايقاف تأييده الى هؤلاء الذين يرغبون فى اثارة الاضطرابات وأن المفتى أصبح فى ذلك الوقت وبشكل أساسى هو الزعيم الذى يعمل ضد سياسة الحكومة وأن كل يوم يمضى دون اعتقاله هو خطر على الأمن فى فلسطين (٧٨) .

كما يتبين من برقية أخرى مرسلة من المندوب السامى الى وزير المستعمرات فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ أن المفتى مازال موجودا فى منزله فى الحرم حيث يعقد اجتماعات اللجنة العربية العليا بهدف التآمر ضد سياسة الحكومة ، وأن حريته فى العمل ونفوذه فى نشر الدعاية المخربة ضد الحكومة لم تضعف بوجوده فى الحرم ، ويوضح المندوب السامى أن عزل المفتى من وظيفته والسماح له بالبقاء فى البلاد لن يكون اجراء حاسما لأنه لن يمنعه من الاستمرار فى نشاطه ، وانه يرى أن خير أسلوب لمعالجة الموقف هو نفى المفتى الذى يعتقد أن هيبته قد ضعفت بسبب احتجابه المستمر فى منزله ، كما أن نقدا يثار بأن اختفاءه ليس عملا شجاعا ، لكن تأثير ذلك النقد ليس خطيرا (٧٩) .

ونتيجة لمهاجمة اللجنة العربية العليا ومحاولة القبض على أمين الحسينى فقد بدأ خلال النصف الثانى من يوليو بوادر استئناف الثورة حيث ألقيت قنبلة قرب اللد وهوجمت بعض المستعمرات الصهيونية وظهرت حركة غير عادية فى بئر السبع والخليل (٨٠) .

ويبدو أن عملية اعتقال المفتى كانت تشغل مجلس الوزراء البريطانى حيث اقترح على المجلس بجلسة ٢٩ يوليو ١٩٣٧ استمرار السياسة الرامية الى اعتقال المفتى مع تخفيف الاجراءات الخاصة بمراقبته حتى يمكنهم اعتقاله ، وقد وافق المجلس على الالتزام بسياسة القبض على المفتى وابعاده عندما تتاح الفرصة مع تجنب اثارة انتباهه (٨١) .

مشروع التقسيم فى البرلمان البريطانى ولجنة الانتدابات

وفى ٢٠ و٢١ يوليو ناقش مجلسا اللوردات والعموم بيان الحكومة عن سياستها بشأن فلسطين مع تقرير اللجنة الملكية ، وكان القرار الذى وافق عليه مجلس العموم كما يلى « ان الاقتراحات التى يتضمنها الكتاب الأبيض بشأن فلسطين ينبغى أن توضع أمام العصبة بهدف تمكين الحكومة البريطانية — بعد بحث كاف — من التقدم للبرلمان بمشروع محدد يأخذ بكل الاعتبار جميع التوصيات التى يتضمنها الكتاب الأبيض » (٨٢) .

وتنفيذا لما ارتآه البرلمان البريطانى سافر المستر أورمسبى غور وزير المستعمرات البريطانى الى جنيف فى الأسبوع الأول من شهر اغسطس ١٩٣٧ ، وشرح مشروع التقسيم لأعضاء لجنة الانتدابات بالعصبة ، وكما يذكر المستر جيفرز فان اللجنة كالعادة لم يبد منها أية بادرة تدل على انها تحاول القيام بواجبها الا بشأن نقطة واحدة وهى الخاصة بترحيل العرب من الدولة اليهودية المقترحة ، ولم يكن اعتراضها قائما على عدم أخلاقية ترحيل ٢٢٥ الف عربى من الجليل . بل بسبب الصعوبة العملية التى تكتنف مثل هذا الرحيل، عندئذ قال المستر أورمسبى غور ان الحكومة البريطانية قررت الا تنفذ هذه التوصية عن طريق الارغام ، فسألته اللجنة عن الطريقة التى سيخرج بها هذا العدد الكبير دون ارغام ، فكان جوابه « لقد كان من الممكن تماما أن يخرج العرب طوعا » ولم يكن من الممكن حتى لرئيس لجنة الانتدابات أن يجعل هذه الاجابة غير المفهومة وغير المنطقية تمر دون تعليق « انى رجل طاعن فى السن ، لكنى لم أسمع فى حياتى بشعب وبخاصة الفلاحين ينزح طوعا من أخصب جزء فى بلاده الى أجدب أجزائها » .

وكان قرار لجنة الانتدابات — بعد مناقشتها لوزير المستعمرات البريطانى — الموافقة من حيث المبدأ على مشروع التقسيم ، لكنها اعلنت عن معارضتها للانشاء الفورى لدولتين جديدتين مستقلتين (٨٣) .

وفى الشهر التالى (١٤ سبتمبر) تولى المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية الجديد عرض سياسة حكومته امام مجلس العصبة ، فأعلن عن قبولها مقترحات اللجنة الملكية ، واستعدادها لوضع خطة مفصلة لمشروع التقسيم وتخطيط الحدود ، فوافق مجلس العصبة على تلك السياسة فى

اجتماعه يوم ١٦ سبتمبر بعد مناقشة طويلة شارك فيها بدور هام ممثلا مصر والعراق فى العصبة (٨٤) .

ويرجع السبب الرئيسى فى تغير موقف الحكومة البريطانية واقتراحها ايفاد لجنة فنية الى فلسطين وعدم تصميمها نهائيا على التنفيذ الفورى لمشروع التقسيم الى عنف ردود الفعل العربية كما أوضح ايدن فى مذكرة منه الى مجلس الوزراء البريطانى (٨٥) .

التطورات التى أدت الى استئناف الثورة

أما عن الأوضاع العامة فى فلسطين فى الفترة التى أعقبت مهاجمة اللجنة العربية العليا ، فقد كانت شبه هادئة لكنه هدوء مشوب بتوتر شديد ، أو هدوء من ذلك النوع الذى يسبق العاصفة . فالجماهير منزعجة ومتحفزة لكنها تستجمع قواها وتداوى جراحها انتظارا لما تسفر عنه التطورات . والقيادة العربية ممثلة فى اللجنة العربية العليا فى موقف لا تحسد عليه ، فهى بطبيعتها لاتود استئناف الصدام مع السلطة المنتدبة ، كما أن انسحاب ممثلى حزب الدفاع من اللجنة قد بدأ وكأنه يهدد وحدتها ، وهى تدرس الأمور وتمعن فى دراستها لكنها لاتعبر صراحة عما تحس به وانما تستعمل ماليناسب تفكير قيادتها من عبارات ملطفة وهادئة ، وهى تحاول دفع بعض البلدان العربية الى مشاركتها شيئا من المسئولية كما أنها دائبة الاتصال برجالات العرب والمسلمين فى الأقطار المختلفة لاطلاعهم على حقيقة مايجرى فى فلسطين

ولعل مما يحسب لأمين الحسينى فى هذا الصدد انه لم يكتف فى تلك المرحلة بالاتصال بالدوائر العربية والاسلامية وحدها بل اتصل ايضا ببعض الشخصيات الأجنبية الرسمية فى محاولة منه لكسب أية فائدة يمكن تحقيقها لبلده أو لمقاومة التحركات الصهيونية التى كانت تهدف الى الاستفادة من أوضاع اليهود فى أوربا لدعم الوطن القومى اليهودى . فقد اتصل بنائب القنصل الألمانى بالقدس خلال الفترة التالية لنشر تقرير اللجنة الملكية وأبلغه أن عرب فلسطين يواجهون تهديدا شديدا من ناحية بولندة ووجه رسالة الى الحكومة البولندية اشار فيها الى ان قدرة استيعاب الدولة اليهودية المقترحة ستكون ضعيفة ولن تكون عاملا فى حل المشكلة

اليهودية فى بولندا ، وعبر عن أمله فى أن يبدى البولنديون — وهم الذين ناضلوا قوميا ضد تقسيم بلادهم — فهما لنضال العرب ضد انتزاع اجزاء من بلادهم (٨٦) .

ويفهم من رسالة خاصة ارسلها محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى يوم ٢٣ اغسطس ١٩٣٧ ان الأمور الداخلية لم تكن قد تطورت حتى ذلك التاريخ « سألتنى عن أخبار الاضطرابات فى فلسطين فالحقيقة انه لا يوجد اضطرابات وانما بعض حوادث فردية واعتيادية تكبرها الدعاية اليهودية لتضغط على السلطات هنا وتحملها على الارهاب ، وقد نجحت الى حد ما فاعتقل فى الأسبوعين الفائتين نحو (١٢) شخصا من القدس »(٨٧)

وفى أواخر اغسطس تبادل العرب واليهود اطلاق النار حتى بلغ عدد القتلى والجرحى حوالى العشرين شخصا كان معظمهم من العرب ، ونتيجة للحوادث المتتالية التى لم تستطع السلطة اكتشاف فاعليها عادت السلطة الى حركة الاعتقال والمطاردة والقمع فكانت تعتقل المشتبه فيهم ثم تطلق سراحهم أو سراح بعضهم بعد فترة وتعتقل غيرهم ، وزاد ذلك من توتر الموقف .

وكان هناك حرص من القيادة العربية فى فلسطين على تجنب العنف والتذرع بالصبر والحكمة ففى ٣١ اغسطس قتل اليهود أربعة من العرب ومع ذلك فقد طلبت اللجنة العربية العليا من العرب أن يحافظوا على هدوئهم ، وحرضت بعض صحف اليهودية يهود فلسطين على اللجوء الى العنف والارهاب فقتل فى اليوم الثانى خمسة من العرب ايضا ، واحدثت تلك الاعتداءات هياجا شديدا فى الرأى العام ، لكن الزعماء العرب تمكنوا من منع وقوع الصدام (٨٨) .

وتوضح رسالة خاصة أخرى من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى فى ٤ سبتمبر ١٩٣٧، أن اليهود يحاولون استفزاز العرب لكن العرب يفوتون عليهم الفرصة (٨٩) .

ويعتقد أن هذا الموقف العربى يعود بشكل أساسى الى ان اللجنة العربية العليا لم تكن قد انتهت بعد من تحديد موقفها وخطواتها التالية ، كما كان هناك حرص بالغ على خروج أمين الحسينى سالما من المسجد الأقصى .

وكان البريطانيون يقدرون أن أعمال العنف ستنفجر قريبا فاتخذوا اجراءات لحصر ردود الفعل العربية وقمعها ، وبدأ اتخاذ اجراءات عسكرية لسحق الثورة المنتظرة ، كما عين الليفتنانت جنرال ويفل خلفا لديل فى القيادة العامة للقوات البريطانية فى فلسطين (٩٠) . وأخذ منذ ذهابه الى فلسطين يطوف البلاد ويدرس مواقع الثورة (٩١) .

وفى ٢٦ سبتمبر قتل بالناصرة الضابط البريطانى اندروز حاكم لواء الجليل الذى كان ضابط الاتصال لدى اللجنة الملكية كما قتل معه رجل الشرطة الذى كان يتولى حراسته عندما كانا يخرجان من كنيسة الناصرة. وكانت الحكومة تعتمد بصورة خاصة على نشاط المستر اندروز — الذى كان من أعرف موظفيها بشئون العرب وأحسنهم اتقانا للغة العربية — لحمل العرب على قبول التقسيم ، فأسندت اليه وظيفة حاكم لواء فى المنطقة الشمالية ليتاح له أسباب العمل ، فسعى لاقناع العرب بفائدة التقسيم وبذل جهودا كبيرة فى هذا الصدد .

ووجدت السلطة فى هذا الحادث الفرصة التى كانت تنتظرها . فمع أن القتلة كانوا مجهولين ومع أن اللجنة العربية العليا استنكرت الحادث ، فقد أمرت السلطة قبل اجراء أى تحقيق بحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية فى جميع أنحاء البلاد ، واعتقال أعضاء اللجنة وغيرهم من القيادات المحلية ، وعزل أمين الحسينى من رياسة المجلس الاسلامى الأعلى . وعللت الحكومة هذه الاجراءات فى بلاغ رسمى بقولها أن القائم بادارة الحكومة رأى « ضرورة اتخاذ الاجراءات ضد بعض الأشخاص الذين كانت أعمالهم مضرة بالأمن العام فى البلاد والذين يجب اعتبارهم مسئولين أدبيا عن هذه الحوادث » (٩٢) .

وقد أشارت بعض المصادر العربية الى أن الوطنيين هم الذين اغتالوا المستر أندروز (٩٣) بينما يشير التقرير السنوى للحكومة الى أن العملية تمت من أشخاص غير معروفين (٩٤) لكن الحقيقة أن قاتل اندروز كان من ضباط الجيش البريطانى وقد اقدم على الجريمة خوفا من اكتشاف الرشوة التى حصل عليها (٩٥) .

فمقتل اندروز اذن لم يكن سوى فرصة استغلتها حكومة فلسطين لتصفية الموقف الوطنى مثلما فعلوا فى مصر بعد حادثة مقتل السردار عام

١٩٢٤ . ويعبر بيـــان للجنة العربية العليا صدر فى ذلك الوقت عن هذا المعنى « وما كان مقتل حاكمهم فى الجليل الا ذريعة اتخذوها وفرصة لو لم تسنح لخلقوها لتنفيذ خطة مدبرة ومكيدة مبيتـــة هدفها البطش بك والتمكن منك واخلاء الميدان من رجالك » (٩٦) . بل ان المجاهد الفلسطينى محمدعلى الطاهر يروى انه اثناء انعقاد مؤتمر بلودان (ســـبتمبر ١٩٣٧) كان من جملة مابحثه المجتمعون بصورة خاصة أن هنـــاك خططا للبطش بالشعب العربى فى فلسطين واعتقال رجاله ونفى قادته ، وأن السلطة البريطانية ستخلق فرصـــة لتنفيذ مخططها وانه بنـــاء على ذلك رأى بعض الوطنيين عدم العودة الى فلسطين ليتمكنـــوا من خـــدمة وطنهم وظلوا فى ســـوريا يرقبون الأحداث بينما قرر آخرون العودة (٩٧) .

ولم يكن بفلسطين عند حل اللجنـــة العربيـــة العليـــا سوى أمين الحسينى وخمسة من أعضـــاء اللجنة هم جمال الحسينى وأحمـــد حلمى عبد الباقى والدكتور حسين الخالدى وفؤاد سابا ويعقوب الغصين . وقد استطاع جمال الحسينى الاختفـــاء وتوجه بعد فترة الى ســـوريا واعتقلت السلطة الأعضـــاء الأربعة الآخرين ، أما عونى عبد الهادى وعبد اللطيف صـــلاح والفردروك فـــكانوا فى أوربا ، وكان محمد عزة دروزة فى بغداد يعمل على تأليف لجنة دفاع عن فلسطين وفقا لقرار مؤتمـــر بلودان (٩٨) واصدر القائم باعمال حكومة فلسطين أمرا بموجب قانون الدفاع عنفلسطين منع بموجبه عونى عبد الهادى وجمال الحسينى ومحمد عزة دروزة مندخول فلسطين ، أما جمال الحسينى فقد صدر أمر بالقبض عليه (٩٩) . وتم فى الأيام التالية مداهمة مدن القدس ونابلس وعكا وطولـــكرم وحيفا وصـــفد وجنين والناصرة واعتقال عشرات من الوطنيين من علماء وقضاة واطبـــاء ومحامين ووجهاء وشـــبان ومثقفين (١٠٠) كما عينت لجنة ثلاثية برياســـة بريطانى لادارة شئونالمجلس الاسلامىالأعلى (١٠١) تلكالمؤسسة الاسلامية الـــكبرى التى تأسست عام ١٩٢١ وكانت تتولى شئون الأوقاف الاسلامية والقضاء الشرعى والافتاء .

وارسل أمين الحسينى وهو ملتجىء للحرم كتابا الى حكومة فلسطين قال فيه انه لا يعترف مطلقا بصلاحية السلطات الأجنبية فى احداث تغيير فى وضـــع اســـلامى وأنه لايزال يعتبر نفســـه الرئيس الروحى لمسلمى فلسطين وأن له حق الولاية علىالأوقاف الاسلامية وادارة المجلسالاسلامى

الأعلى . واستمر أمين الحسينى يزاول عمله فى ادارة شئون المجلس داخل الحرم بعد أن نقلت أوراق ومستندات المجلس الى المسجد الأقصى (١٠٢) .

موقف حزب الدفاع الوطنى

وكان حزب الدفاع الوطنى قد اصدر بعد حل اللجنة العربية العليا واعتقال أعضائها بيانا استنكر فيه ماحدث من اجراءات وصفها بأنها « أكثر مما تقتضيه الحالة » واعلن الحزب استعداده للقيام بالواجب الوطنى بعد فراغ الميدان من اللجنة العربية العليا واللجان القومية ، لكن انسحاب حزب الدفاع من اللجنة بالطريقة التى تمت وفى التوقيت الذى حدثت فيه وما كان من حملة الصحف البريطانية واليهودية على المتطرفين العرب، ووجوب اخلاء الميدان منهم تمهيدا لظهور المعتدلين ، وعدم اعتقال احد من رجال الحزب أو المعارضة ، كل ذلك ترك اثرا سيئا فى نفوس الجماهير تجاه هذا الحزب ، ولم يتح لرجاله أن يقوموا بالدور الذى كانوا ينشدونه، وقد نشرت جريدة فلسطين تصريحات لبعض رجال الحزب يبررون بها جنوحهم الى السكوت والسلبية معلنين استعدادهم للخدمة الوطنية عندما تطلق الحريات ، لكن الجماهير رأت فى تلك التصريحات خروجا على تضامن الأمة وتبريرا غير مقبول من رجال هذا الحزب (١٠٣) .

أمين الحسينى يتجه الى لبنان

وفى اليوم الثانى من اكتوبر ١٩٣٧ أضربت مدينة القدس احتجاجا على اعتقال الزعماء ، وفى اليومين التاليين امتد الاضراب الى انحاء كثيرة من البلاد ، وبعد ذلك بيومين أصدر المفتى بيانا دعا فيه السكان العرب الى العودة الى اعمالهم (١٠٤) . ويعتقد على ضوء ماحدث بعد ذلك أن هذا البيان كان مناورة من أمين الحسينى لتضليل السلطة حتى يتمكن بعد عدة أيام من الخروج من المسجد الأقصى .

ففى مساء ١٣ أكتوبر ١٩٣٧ تمكن أمين الحسينى من الخروج من مدينة القدس متخفيا حيث ذهب الى يافا واستقل عند منتصف الليل زورقا صغيرا الى الساحل اللبنانى حيث صادفه زورق سواحل فرنسى اقتاده رجاله الى بيروت حيث سمحت له السلطات الفرنسية بالاقامة فى قرية الذوق بلبنان (١٠٥) .

وقـــد وجـــه الى امين الحسينى شيء من الاتهام بسبب اختفائه عن السلطة بعد محاولة اعتقاله ثم لجوئه الى المسجد الأقصى وخروجه بعد ذلك الى لبنان ، وفحوى هذا الاتهام انه لم يكن يجدر به كزعيم اسلامى وقائد للحركة الوطنيـــة فى فلسطين ان يختفى عن اعين السلطة ثم يفر بعد ذلك الى لبنـــان هاربا من ظروف المعركة وضراوتها محاولا النجاة بنفسه اولا وقبل كل شيء . لـــكن هذا الاتهام يجد له من يناقشه ، فيقال ردا على ذلك ان المفتى فعل مافعل نجاة من بطش الانجليز واحبـــاطا لمـــكائدهم وتمكينا له من مواصلة جهاده خارج البـــلاد وانه لو بقى المفتى بالمسجـــد الأقصى لحدثت معركة دموية فيما لو اقتحم الجند البريطانيون المسجد (١٠٦) .

ويضيف مصـــــدر آخر الى ذلك انه لـــا ضيق الانجليز الخناق حول مدينة القدس والمسجد الاقصى ومنعوا وصول المواد الغذائية الى المنـــازل التى يسكنها العرب حول المسجد حتى اصيبوا بضائقة شديدة ، كان طبيعيا ان يفكر المفتى فى وسيلة ينقذ بها المدينة القديمة والمنازل الـــكثيرة المحيطة بالمسجد من هذه الحالة مع استمرار وجوده بمدينة القدس ، لـــكن رجاله اقنعوه بأن وجوده خارج فلسطين حرا طليقا افضـــل من وجوده فى الحرم محاصرا وممنوعا من القيـــام بأية حركة ، وانه بنـــاء على ذلك قرر السفر الى سورية بطريق لبنان (١٠٧) .

تلك هما وجهتا النظر اللتـــان عرضتا عند مناقشة هـــذه النقطة ، ويعتقد ان عملية اللجوء الى المسجد الأقصى ثم الاتجاه بعد ذلك الى لبنان كان بشكل اساسى — وكيفما كانت المبررات والتفسيرات — تقديرا واعيا من المفتى للظروف القاسية التى كانت تمر بها فلسطين ، وايمانا منه بضرورة استمرار قيـــادته للثورة ، واعتقادا بأن اعتقاله لن يحقق مصـــلحة لعرب فلسطين . بل سيتيح للسياسة البريطانية ان تنفذ مخططاتها فى غيـــاب قيادته الوطنيـــة .

لكنه يضاف الى ذلك ايضا ان حرصه على تجنب الصدام المباشر فى ظروف التجائه الى المسجد الاقصى كان تعبيرا عن حب الرجل للســـلام وكراهيته للعنف والشدة خاصة اذا كان من احتمالات ذلك ان يلحق به اذى او اضرارا كبيرة قد تبعده عن قيادة الحركة الوطنية .

لقد كان المفتى دائما ومنذ تعيينه مفتيا للقدس ورئيسا للمجلس الاسلامى الأعلى يرفع شعارات السلام ، ويدعو الى اتباع الوسائل السلمية لتحقيق الأهداف الوطنية ، ولم يكن يحبذ العنف أو الثورة طريقا الى ذلك ، لكنه فى نفس الوقت لم يكن متعاونا مع بريطانيا أو منفذا لسياستها أو مستعدا لقبول اى مشروع يتعارض ومصالح وطنه . لقد ظل طوال حياته معارضا للحركة الصهيونية ، لكنه لم يفكر لسنوات طويلة فى مقاومة الانتداب نفسه أو تعبئة جهود الجماهير ضد بريطانيا لاعتقاده بأن العرب لا قبل لهم بمقاومة بريطانيا ، ولو حاول الرجل توجيه نظر الشعب العربى فى فلسطين الى ذلك لوجد الألوف تسير وراءه ، فلقد كان للمفتى سمعة ومكانة كبيرة بين مواطنيه ، وكان لبياناته ونداءاته مفعول السحر فى الجماهير .

ولقد تنبه أمين الحسينى فى بداية ثورة ١٩٣٦ الى طاقات الشعب العربى فى فلسطين وأدرك ثوريته وأصالته واستعداده للتضحية بكل شىء ، فبدأ الرجل يغير من نظرته الى الأمور ، فقد كانت الأحداث تتحرك من القاعدة ، ولم تكن القيادة الرسمية فى ذلك الوقت ممثلة فى اللجنة العربية العليا تملك أن تحسم أمرا هاما من أمور الثورة الا بعد الرجوع الى قاعدتها الشعبية ممثلة فى اللجان القومية المنتشرة فى المدن والقرى ، ووجد امين الحسينى نفسه أمام أمرين لا ثالث لهما اما أن يتابع السير فى طريق الكفاح وبشكل علنى الى آخر الشوط واما أن يتراجع الى سياسة الوسائل السلمية . ولقد فضل السير فى الطريق الأول لكنه بقى مشدودا بخيوط الطريق الثانى ، وظل الأمر على هذا النحو حتى اضطرته السلطة البريطانية بعد حل اللجنة العربية العليا وعزله من رياسة المجلس الاسلامى الأعلى وبعد أن فقد أى أمل فى امكان تراجعها الى التخلى عن سياسة الوسائل السلمية والاتجاه الى طريق الثورة والمقاومة .

نراه اذن مفتى فلسطين البلاد يوم الثالث عشر من اكتوبر عام ١٩٣٧ مقدرا أن المصلحة الوطنية تقتضى وجوده فى بلد آخر يستطيع منه أن يتابع نشاطه وجهاده ، وكان خروجه من فلسطين اشارة ضوء الى تجدد الثورة واستئناف العمل الشعبى المسلح .

« مصـــادر الفصل الثـــانى »

(١) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملـــكية لفلسطين ص ١٢٨، ١٢٩ .

(2) F. O. 371/20018 : R. N. E. 4270/19/31.

(٣) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٣١ ، ١٣٤ .

(٤) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة. الجزء الثالث، مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الـــكراسة الثالثة ص ٣٩ .

(5) F. O. 371/20018. Periodical appreciation Summary No. 19/36.

(٦) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتـــداب والصهيونيـــة ص ١٧٩ .

(٧) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٣٥ .

(٨) ناجى علوش : المرجع السابق ص ١١٦ ، ١١٧ .

وكان الوفد مكونا من عونى عبد الهادى والشيخ كامل القصـــاب ، ومحمد عزة دروزة ، ومعين الماضى .

(عيسى السفرى : المرجع السابق ص ١٨٠) .

(٩) عبد الوهاب الـــكيالى : المرجع السابق ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(10) F. O. 371/20804. E 22.

(11) F. O. 371/20804. E 38.

(12) F. O. 371/20804. E 38/22/31.

(١٣) يوسف هيكل : القضية الفلسطينية تحليل ونقد ص ١٤٠ ، صوت الحجاز : ١٩ يناير ١٩٣٧ ص٣ .

(١٤) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية ص١٠ ، سعدى بسيسو: الصهيونية . نقد وتحليل ص ١٩٨ .

(15) F. O. 371/20804. C. P. 36 (37).

(١٦) نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ١٩٢ .

(١٧) أحمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار (١٩٢٢ ـــ ١٩٣٩) ص ١٣٥ ، ١٤٣ .

(١٨) وزارة المستعمرات : المرجع السابق ص ١٣ .

(19) F. O. 371/20804. Extract from a letter from Earl Peel.

(20) F. O. 371/20804. Extract from a letter from Arthur Wauchope.

(21) F. O. 371/20804. Memorandun by the Secretary of State for the Colonies. C. P. 1 (87) January 1, 1937.

(٢٢) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية ، نص المذكرة ص ٣٥٧ — ٣٦٨ .

(٢٣) عيسى السفرى : المرجع السابق — خطاب أمين الحسينى أمام اللجنة الملكية ص ١٨٢ — ١٩٠ الشهادات العربية ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٠ ، ٢٥١ .

(٢٤) الشهادات العربية أمما اللجنة الملكية ص ١٥٦ — ١٥٩ .

(٢٥) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٨٥ .

(26) F. O. 371/20804.

(27) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 18/36.

(28) Esco : Palestine. A study of Jewish Arab and British Policies. p. 797.
Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 71.
— Palestine Government : A Survey of Palestine. vol I, p. 37..
— John : The Palestine Diary. p. 266.

(29) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1936. pp 17, 18.

(30) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937 pp 6, 7.

(٣١) الشباب : ١٢ مايو ص٢ ، ١٩ مايو ص ٢ ، ١٦ يونية ١٩٣٧ ، ص ٢ .

(32) F. O. 371/20805.

(33) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 11.

(٣٤) اللجنة الفلسطينية العربية بمصر : بيان الى العالم الانسانى عن حالة المعتقلين فى مخيم المزرعة بجوار عكا ص ٧ ، ٨ .

(٣٥) الشباب : ١٢ مايو ١٩٣٧ ص ٤ ، ١٩ مايو ١٩٣٧ ص ١ ، ٤ ، ٢٦ مايو ١٩٣٧ ص ٣ ، ٤ ، ٢ يونيو ١٩٣٧ ص ٣ ، ٩ يونية ١٩٣٧ ص١ ، ٤ ، ١٦ يونيو ١٩٣٧ ص ٤ ، ٢٣ يونيو ١٩٣٧ ص ١ ، ٣٠ يونيو ١٩٣٧ ص ٣ .

(٣٦) مكتبة الهيئة العربية العليا : بيان الى الأمة الكريمة رقم ١١٧، — ٤ أيار ١٩٣٧ بيان الى الأمة الكريمة رقم ١١٩ — حزيران ١٩٣٧ .

(٣٧) الشباب : ١٦ يونيو ١٩٣٧ ص ١ .

(٣٨) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(39) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 25.

(٤٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٣ ، ١٥٦ .

(٤١) محمد أمين الحسينى : خطاب منه الى الباحث مؤرخ فى ١٤، سبتمبر ١٩٦٤ .

(٤٢) عونى عبد الهادى : من حديث للباحث معه فى ٢٠ مايو١٩٦٤ .

(٤٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٣ ، ١٥٧ .

(44) Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 62.

(45) Esco : Ibid., p. 777.

(٤٦) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ٤٧٤ الى ٥١٧ .

(47) Antonius : The Arab Awakening. p. 399.

(٤٨) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٥، ٤٨٧ ، ٤٨٩ .

(49) Antonius : Ibid., pp. 400, 401.

(50) F. O. 371/20805. E 1980.

(٥١) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ٤٧٧ — ٤٨١ .

(٥٢) المرجع السابق : ص ٤٧٤ .

(53) Antonius : Ibid., p. 402.

(٥٤) أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٥٥) جيفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ص١٣٦ ، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣ .

(56) Antonius : Ibid., pp. 402, 403.

(٥٧) اكرم زعيتر : المرجع السابق ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٥٨) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ص ٢٥٣ .

(٥٩) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٨ .

(60) F. O. 371/20804 : Extract from a letter from Earl Peel,

(٦١) أكرم زعيتر : المرجع السابق ص ١١٣ ، ١١٥ .

(٦٢) نجيب صـدقة : المرجع السابق ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٦٣) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الى الشعب العـربى الـكريم بيان رقم ١٢١ وبرقية اللجنة العليا ى الملوك والأمراء ، الرابطة العربية : ١٤ يوليو ١٩٣٧ ص ٥ ، الشباب : ١٤ يوليو ١٩٣٧ ص ١ ، ٢

(٦٤) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقـاهرة : بيـان من الجمعيـة الاسلامية بحيفا الى الأمة العربية الـكريمة . منشور ملصق بالـكراسة الأولى ص ٢٠ .

(٦٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٦ ، ١٥٩ .

(٦٦) عبد الوهاب الـكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٣ .

(67) F. O. 371/20811. E 4566.

(68) F. O. 371/20810. No. C. O. 440/37.

(٦٩) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(70) F. O. 311/20811. E 4566.

(٧١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(72) F. O. 371/20811. Telegram from the High Commissioner of Palestine to the Secretary of State.

(73) F. O. 371/20805. E 1315.

(74) F. O. 371/20805. 75023/2/37.

(75) F. O. 371/20810. E 4444.

(٧٦) الملف العربى الخاص بعونى عبد الهادى : رسـالة من عجاج نويهض الى عونى عبد الهادى .

(٧٧) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ١٧٦ — ١٧٨ .

(78) F. O. 371/20811. E 4566.

(79) F. O. 371/20810. No. C. O. 440/37.

(٨٠) الشباب : ٢٨ يونيو ١٩٣٧ ص ١ .

(81) F. O. 371/20810. Extract from Cabienet Conclusion 33 (37).

(82) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 20.

(٨٣) جيفريز : المرجع السابق ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٨٤) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٨٥) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٦ .

(٨٦) لوكاز هيرزويز : المانيا الهتلرية والمشرق العربى ص ٥٣ .

(٨٧) الملف الخاص بعونى عبد الهادى : رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى .

(٨٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٦ ، الاخوان المسلمون: ١٠ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٨٩) الملف الخاص بعونى عبد الهادى : رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى .

(٩٠) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٩١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ١٧٨ .

(٩٢) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨٢ ، اميل الغورى : المؤامرة الكبرى . اغتيال فلسطين ومحق العرب ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٩٣) الحكومة البريطانية : تاريخ فلسطين السياسى تحت الادارة البريطانية ص ٣٤ ، شئون فلسطينية : يناير ١٩٧٢ ص ٦٧ دراسة لغسان كنفانى ، الثقافة العربية : أيار — حزيران ١٩٥٨ ص ٤١ مقال لطاهر كنعان .

(94) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 8.

(٩٥) جيفريز : المرجع السابق ص ١٤٩ ، نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٧ .

(٩٦) رابطة عربية : ١٧ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٧٤ بيان للجنة العربية العليا .

(٩٧) الشباب : ٦ أكتوبر ١٩٣٧ ص ١ .

(٩٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٧ ، الشباب : ٦ أكتوبر ١٩٣٧ ص٤ .

(٩٩) الشباب : ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ ص ١ .

(١٠٠) الشباب : ٢٩ سبتمبر ١٩٣٧ ، ٦ أكتوبر ١٩٣٧ ص١ .

(١٠١) محمد اسحق درويش : ذكريات ص ٢١ .

(١٠٢) الشباب : ١٣ أكتوبر ١٩٣٧ ص ١ .

(١٠٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٩ ، ١٨٤، ١٨٥ .

(١٠٤) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٧ .

(١٠٥) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٧ ، محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨٤ .

(١٠٦) الهيئة العربية العليا : أربعون عاما من الجهاد ص ٧ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(١٠٧) الشباب : ٢٧ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٤ .

الفصل الثالث

المرحلة الثانية من الثورة

المرحلة الثانية من الثورة

كان استئناف الأعمال الثورية فى المرحلة الثانية من الثورة ليلة ١٥ أكتوبر١٩٣٧ ، ففى تلك الليلة جرت غارتان على سيارات الركاب اليهودية فى ضواحى القدس ، وتعرضت المستعمرات اليهودية الى اطلاق النار بصوره متقطعة ، واتلف جانب من خط انابيب شركة البترول العراقية ، كما قطعت خطوط التليفونات ودمرت بعض خطوط السكك الحديدية ، وفرض حظر التجول بمدينة القدس (١) .

ولعل استئناف الثورة فى تلك المرحلة يثير تساؤلين هامين : الأول، هل تعتبر المرحلة الثانية امتدادا لثورة ١٩٣٦ أم هى ثورة قائمة بذاتها ، والسؤال الثانى ، هل كان استئناف الأعمال الثورية مرتبطا بحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية .

بالنسبة للتساؤل الأول ،، فان الاجابة ليست مجرد استنتاج لمن يدرس هذه الفترة ، وانما كانت الظواهر والمواقف تشير اليه وتؤكده ، وكان ذلك واضحا فى أذهان الجماهير والقيادة السياسية .

بالنسبة للجماهير يلاحظ انه منذ توقف الاضراب كان هناك شعور نفسى لدى المجاهدين والوطنيين بأن البريطانيين لن ينصفوا العرب ، وأن الفترة التى تلت الاضراب ليست سوى هدنة يستأنف الجهاد بعد انتهائها، كما أنه عندما قامت السلطة بحل اللجنة العربية العليا واعتقال اعضائها، قامت حركة احتجاج شعبية كبيرة ، والصقت النشرات على الحوائط داعية الى الاضراب واستئناف الجهاد .

واما بالنسبة لقيادة الحركة الوطنية فقد كان الموقف واضحا أيضا عندها ، فقد حدث عندما أعلن وزير المستعمرات البريطانى أن الهجرة اليهودية لن تتوقف أثناء قيام اللجنة الملكية بعملها أن التقى أعضاء اللجنة العربية العليا بالمندوب السامى واوضحوا له أن ذلك يعتبر تحديا لمشاعر العرب ، وانه يدفعهم الى استئناف جهادهم (٢) .

وتؤكد المصادر المختلفة هذا المعنى عندما تشير الى ان هدوء الثورة كان بمثابة هـدنة مؤقتة للثورة (٣) . كما ان اللجنة الملكية تشير الى تلك المرحلة باعتبارها هدنة « لم تكن الا وقفا للقتال لا تمهيدا للسلام » (٤) .

أما بالنسبة لارتباط الأعمال الثورية بحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية ، فيلاحظ أن الحالة فى فلسطين لم تكن قـد هـدأت تماما منـذ شهر فبراير ١٩٣٧ أى قبل اعلان تقرير اللجنة الملكية بخمسة أشهر ، وكثيرا ما أطلق الرصاص فى المدن والقرى والجبال ووقعت اعتـداءات فردية بين العرب واليهود ، ثم نشر التقرير فزاد التوتر وتعددت الحوادث ، وكان ذلك نذيرا بتجدد الثورة (٥) .

وقد حدث قبل اغتيال اندروز وحل اللجنة العربيـة العليـا رحلات واتصالات مختلفة بهدف الاستعداد لمواجهـة التطورات المنتظرة ، ووقعت بعض حوادث فردية ضـد البريطانيين فى فلسطين وضد ضـباط وجنود الشرطة العرب ممن كانت لهم موقف معادية لمصالح الجماهير وضد عـدد من السماسرة العرب ، وكان آخر تلك الأحداث اغتيال اندروز الذى أعطى السلطة المبرر الذى كانت تنتظره للقيام بحركة الاعتقـالات وحل اللجنـة العربية العليا (٦) .

فاستئناف الأعمال الثورية اذن كان أمراً مقدرا ومتوقعا ، وكان ذلك مرتبطا بطبيعة الحال بما تتمخض عنه توصـيات اللجنة الملـكية التى لم تكن الشواهد تدل على أنها ستأخذ جانب العرب ، بل كان يتوقع أن تحدث تلك التوصيات ردود فعل تضطر السلطة بعدها الى اتخاذ اجراءات تؤدى الى تعقد الموقف وتطوره ... فحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية كان بمثابة الشرارة التى كانت ايذانا ببداية المرحلة الثانية من الثورة .

أما السبب الأساسى لاسـتئناف الثورة فيرجع الى ماتمخض عنـه مشروع اللجنـة الملـكية بتقسيم فلسطين والذى أحدث استياء بالغا لدى عرب فلسطين (٧) .

ورغم أن الجماهير العربية فى فلسطين كانت مشحونة ومعبأة ، لكن استئناف الثورة كان بتوجيه من القيادة السياسية على عكس ماحدث فى كل الاضطرابات والانتفاضات السابقة التى كانت ردود فعـل جماهـيرية بالدرجة الأولى ولم تكن بناء على توجيهات مباشرة من القيادة السياسية ،

وان كانت تلك القيادة قد ساهمت بدور أو آخر خلالها. ولعل اقدام السلطة البريطانية على حل اللجنة العربية العليا هو الذى دفع هذه القيادة الى الحركة المباشرة ضد سلطة والى زيادة ارتباطها بالجماهير وتخليها عن سياسة التهدئة ورفع راية الوسائل السلمية .

بدات المرحلة الثانية اذن ليلة الخامس عشر من اكتوبر وامتدت الى أواخر صيف ١٩٣٩ فتكون هذه المرحلة قد امتدت حوالى العامين اخذت فى البداية شكل عمليات محدودة ضد السلطة ثم تصاعدت شيئا فشيئا حتى بلغت أوجها فى ربيع وصيف ١٩٣٨ ثم عادت سيرتها الأولى فأخذت شكل عمليات متقطعة ، وكان لكل من تلك التطورات ظروفها واسبابها .

وقد تولى ادارة الثورة ودعمها رسميا فى هذه المرحلة لجنة مركزية للجهاد فى دمشق كان يراسها محمد عزة دروزة ويعمل بتوجيه من امين الحسينى فى لبنان ، وقامت هذه اللجنة بتجهيز بعض مجاهدى فلسطين واعدادهم ليتولوا قيادة العمل الثورى ، كما اتصلت بقيادات مجاهدة اخرى داخل فلسطين وزودتها بالمال والسلاح (٨) .

وعندما استؤنفت الثورة تجمعت عصابات قليلة من الثوار مكونة من متطوعين جدد وقواد محليين فى التلال الشمالية والوسطى من فلسطين ، ولم يتغير كثيرا اسلوب حرب العصابات وما كان يتبع من تكتيكات واهداف خلال المرحلة الأولى باستثناء نقطة واحدة اساسية وهى أن روح الانتقام قد وجهت بدرجة متماثلة فى حدتها ضد الادارة المنتدبة واليهود والعرب المنشقين على حد سواء (٩) .

واجابت الحكومة باجراءات قاسية ، ففرضت غرامات على القرى بلغت الفين من الجنيهات جمعت قيمتها سلعا أو نقدا ، ودمرت منازل المشكوك فى نشاطهم بالديناميت ، وتمت اعتقالات بالجملة للوجهاء والعامة ، وضمت معسكرات الاعتقالات فى وقت مبكر ستمائة أو سبعمائة شخص(١٠) . ولم يكن الأمر مقتصرا فى بداية المرحلة على المظاهرات وقطع الأسلاك التليفونية وتخريب الطرق وغيرها وانما تعداه الى اكثر من ذلك ، ففى اليوم الثانى من استئناف الثورة (ليلة ١٦ أكتوبر) اخترق فريق كبير من الثوار العرب مرافق مطار اللد ، واحرق المكاتب وجوازات السفر ومنشآت اللاسلكى ، وفرضت السلطة حظر التجول على الفور لمدة ثلاث وعشرين

ساعة فى اليوم طوال أربعة أيام ، كما فرضت على المدينة غرامة جماعية قدرها خمسة آلاف جنيه فلسطينى ، واعلنت حالة الطوارىء (١١).

وخلال النصف الثانى من اكتوبر وطوال شهر نوفمبر ١٩٣٧ كانت هجمات الثوار ومعاركهم متقطعة .. تحدث هجمة او معركة هنا او هناك، ثم تهدأ الحالة اياما باستثناء احداث ثانوية او جانبية ، ثم تحدث هجمة أخرى وهكذا .. وكان واضحا أن الثوار يستعدون وان الأحداث كانت أسرع من ترتيبات القيادة وتنظيماتها ، كما ان السلطة من ناحيتها كانت تبذل كل ماتستطيع من أجل اجهاض الثورة ، فهى تلجأ الى تفتيش القرى وتعتقل عشرات المواطنين وتفرض الغرامات الجماعية ، وتنكل بمن يقع فى يدها ، كما تجرى المناورات الواسعة بهدف ارهاب العرب (١٢) .

واوفدت الحكومة البريطانية الى فلسطين فى تلك الفترة المستر دوبجز اشهر الخبراء البريطانيين فى قمع التحركات الشعبية وصاحب التاريخ المعروف فى الهند ، كما الفت محاكم عسكرية خاصة خولت حق الاعدام ضد اى شخص يحمل السلاح ، والصاق جريمة القتل بالمتهم اذا شهد عليه شاهد واحد ، واعتبرت أحكامها نافذة مبرمة لا تستأنف ولا يشملها العفو (١٣) .

وخلال النصف الثانى من اكتوبر حدثت فى اللواء الجنوبى بعض اعمال مسلحة لكنه بقى هادئا حتى نهاية العام ، وأما فى منطقة القدس فقد كان الموقف أخطر من اللواء الجنوبى حيث كان هناك هجمات عربية يهودية متبادلة وهجوم عربى على احد مراكز الشرطة جنوب الخليل حيث تم الاستيلاء على بنادق وكمية من الذخيرة ، وفرض حظر التجول فى منطقة القدس ثمانية أيام ، وأما فى لواءى حيفا والسامرة ، والجليل وعكا فكان اهم ماحدث فى هذه الفترة تدمير انابيب شركة البترول العراقية عدة مرات وحدوث معركة واحدة بين الثوار والقوات البريطانية ، واما فى شهر نوفمبر فكان أهم ماحدث فيه معركتان بين القوات البريطانية والثوار العرب ، وتمكنت القوات البريطانية فى ٢٢ نوفمبر من أسر المناضل الشهير الشيخ فرحان السعدى فى قرية قرب جنين حيث صدر ضده حكم بالاعدام من محكمة عسكرية فى ٢٤ نوفمبر ونفذ الحكم فى ٢٧ نوفمبر (١٤).

وقد اعدم الشيخ فرحان السعدى — الذى قارب الثمانين من عمره —

وهو صـــائم (٢٤ رمضان) ونقل جثمانه الى مدينة جنين حيث استقبلته الجماهير استقبالا حماسيا رائعا (١٥) .

وفرحان السعدى هو أحد رجالات الشيخ عز الدين القسام وأحـد الذين ندروا أحداث ثورة ١٩٣٩/٣٦ وشـارك فى معاركها ، وقد روى المكتب العربى القومى بدمشق فى بيـان أذاعه عقب اعدام الشهيد أنه لم يشأ الاختفاء عن القوة التى كانت تبحث عنه بعد أن هدد قائدها باحراق القرية فى حالة عدم العثور عليه ، وان الشيخ فرحان تلقى نبأ الحكم عليه فى صبر وشجاعة (١٦) .

وقد عبر الشاعر الفلسطينى أبو سلمى عن هذا الحادث تعبيرا صادقا فى قصيدة طويلة يقول فى جزء منها مخاطبا الملوك والرؤساء العرب .

قوموا اسمعوا من كل ناحيـة يصـيح دم الشـهيد
قـوموا انظروا فـرحان فوق جبينـه أثر السـجود
يمشى الى حبـل الشـهادة صـائما مشى الأسـود
سـبعون عـاما فى سـبيل الله والحق التليـد
خجل الشباب من المشيب بل السنون من العقود (١٧)

ويبدو أن وزارة المستعمرات اعتبرت القبض على فرحان السـعدى عمـلا هاما قامت به القـوات البريطانيـة فى فلسطين ، حيث أعلن وزير المستعمرات ردا على سؤال برلمانى عن حقيقة الوضـع فى فلسطين عن اتخاذ عدد من الاجراءات الاضـافية لمواجهة الثورة فى فلسطين معلنـا القبض على فرحان السعدى وبعض زملائه (١٨) .

وقد استمرت أعمـال العنف والقتل المتقطعة طوال شـهر ديسمبر وبشكل رئيسى فى لواءى حيفا والجليل والقدس وضواحيها ، وتميز النصف الثـانى من شهر ديسمبر ببدء العمليات العسكرية بين العرب والقـوات البريطانية حيث يوضح التقرير السنوى للحكومة أنه حـدثت خلال هـذه الفترة عمليات عسكرية فى الجليل والسامرة كانت احداها معركة ضارية، شاركت فيها قوة حدود شرقى الأردن (١٩) .

وتذكر المصـادر العربية بالنسبة للمعركة الأخيرة أنها استمرت ثلاثة أيام اشتركت فيها الطائرات والدبابات ، وكان يقودها عبد الرحيم الحاج

محمد ، وكانت النجدات تصل للثوار من أطراف الجبال والقرى فى طولكرم ونابلس ، ولم تستطع القوات البريطانية الاستيلاء على معاقل الثوار ، وعادت بعد المعركة الى قرى اللواء الشمالى حيث صبت غضبها على أهالى تلك القرى وفرضت الغرامات عليها واحتلت بيوت شيوخها ، وكلفت رجال القرى بعمل استحكامات لحراسة قوات الجيش ، وترتب على هذا العسف رحيل أهالى كثير من القرى والنزوح الى عكا (٢٠) .

ويذكر التقرير السنوى لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٧ أن الأعمال التأديبية ضد العرب خلال العام أخذت شكل الغرامات الجماعية وتجنيد رجال شرطة اضافيين على نفقة سكان المنطقة التى يوجد فيها الثوار وتدمير عدد من منازل قواد العصابات ، وانشاء مراكز شرطة فى المدن والقرى التى لم تكتشف فيها مكامن الثوار . ويوضح البيان التالى (٢١) عدد مراكز الشرطة التى أنشئت خلال العام على نفقة السكان ، مما يدل على فداحة ماتحمله المواطنون العرب خاصة بالنسبة لسكان القرى .

لواء القدس	١٩	مركزا
اللواء الجنوبى	٦	»
لواء حيفا والسامرة	١٨	»
لواء الجليل وعكا	١٧	»

ولفترة تقرب من ثلاثة أشهر ظلت أعداد العصابات قليلة ، فلم تكن العصابة تتجاوز الخمسة عشر ثائرا على رأسها قائد من الفلسطينيين الذين برزوا فى المرحلة الأولى واستطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على رفاقهم أو فى مناطق معينة .

وواجهت معظم العصابات فى هذه الفترة صعوبات من بعض مخاتير ووجهاء القرى نتيجة لتهديد السلطة لهم ، فكانوا يطلبون من العصابات مغادرة قراهم ويمنعون عنها المأوى ، وقد يصل الأمر الى الوشاية بهم أو ارشاد السلطة الى أماكن سلاحهم ، مما تسبب فى اعتقال بعض المجاهدين وعودة آخرين الى دمشق ، ولجوء بعضهم الى المغاور للاختفاء مثلما حدث لعبد الرحيم الحاج محمد أحد قواد الثورة الذى اضطر بعد اصابته الى اللجوء لأحد الكهوف عدة أسابيع حتى التأم جرحه .

واثار موقف هؤلاء المخاتير والوجهاء قادة العصابات وافرادها ، فعملوا على تأديب بعضهم حتى أوقعوا شيئا من الرعب فى نفوسهم وفى اهل القرى عامة ، ووقع خلال ذلك بعض الأخطاء — مقصودة وغير مقصودة — واستفادت العصابات من هذا الجو ففرضت على القرى مقادير معينة من السلاح والعتاد والزمتها بتجهيز بعض المقاتلين (٢٢) وكان من مظاهر نفوذ العصابات فى أواخر عام ١٩٣٧ أن فرضت احداها مبالغ معينة على بعض عرب الرملة وأعطتهم ايصالات بالاستلام (٢٣) .

ويعطى البيان التالى صورة للانشطة العربية واليهودية التى استخدمت فيها القنابل والأسلحة النارية خلال اشهر أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٩٣٧ :

ضد الشرطة والقوات العسكرية	٥٨
« المستوطنات اليهودية	٦٥
« وسائل النقل اليهودية	٣٢
« وسائل النقل العربية	١٧
« منازل البريطانيين	١
« منازل العرب	٢٤ (٢٤)

ويفهم من هذا البيان أمران :

الأول : ان الهجمات العربية على القوات البريطانية كانت مرتفعة فى عددها ، مما يعنى ان فكرة اعتبار البريطانيين اصل المشكلة كانت راسخة فى نفوس الثوار .

والثانى : ان اليهود كانوا يبادلون العرب الهجمات وان كان بشكل اقل وبتركيز على المدنيين بالذات بهدف اثارة المواطنين العرب ضد الثوار وتجنب الدخول فى معارك مباشرة .

ويعتبر عام ١٩٣٨ هو عام الثورة الحقيقى ، فقد ظلت أحداث الثورة

تتصاعد رويدا رويدا حتى بلغت ذروتها خلال أشهر الصيف ، ثم بدأت تخبو مع خريف ذلك العـــام . وقد كان هناك الى جانب معارك الثورة وصداماتها أعمـــال جانبيـــة عديدة شبه يومية مثل مهاجمـــة وســـائل النقل وتخريب التليفونات والسكك الحديدية وخط أنابيب شركة بترول العـــراق وممتلكات الحكومة الأخرى وقذف القنابل وخطف بعض الأفراد ومحاولات اغتيـــال وهجمات متبـــادلة على المـــدنيين العرب واليهود ، وسأكتفى بالنسبة لتلك الأعمال ببيـــان رسمى يعطى صورة عنها ، مركزا على الأحـــداث الهـــامة ومعارك الثورة ومواقف الجماهير واجراءات السلطـــة ، وفيما يلى هـــذا البيـــان (٢٥) :

بيـــان احصائى بأحداث العنف خلال العـــام ١٩٣٨

نوعية الأحداث	الحدود	الشمال	الناصرة	نابلس	القدس	الجنوب	غزة	المجموع
هجمات وتصيد للشرطــة والقوات	١٩٨	٧١	٨٨	٢٩٣	١٢٥	١٤١	٧٠	٩٨٦
هجمات وتصـــيد للمدنيين العرب	٦	١٠	٦	١٩	١٤	١٦	٣	٧٤
هجمات وتصـــيد للمدنيين اليهود	١٩	٤٩	١٠	٨	٢٣	٦٧	—	١٧٦
هجمـــات على وســـائل النقل	٣٣	٥٧	٢٤	٢١	٨٠	١١٨	٢	٣٣٥
اطلاق نيران على المستعمرات والأحياء اليهودية	٥٢	١٨٩	١٢٠	٣٥	٨٣	١٧٠	٢	٦٥١
قـــــذف قنـــــــابل	٧	٨٥	٦١	٢٨	٦٦	٦٣	٢١	٣٣١
خطـــف	٢٠	٣٢	١٨	٦٤	٦٢	١٦	٣	٢١٥
هجمات على القرى والمنــازل العربيـــــة	١٦	١٠	٢١	٥٦	٢٩	٢١	٩	١٦٢
أضرار للمتلــكات العربيـــــــة	٣	١٠	٣	١٦	٦	٢٢	١	٦١
أضرار للمتلــكات اليهودية	٥٩	١٤٦	٤٧	٤٦	٤٤	١٢٥	٢٨	٤١٥
تخــريت للتليفــــونات	٥٤	٨٤	٩٤	١٢١	١٣٥	١٦٥	٦٧	٧٢٠
تخــريب للسكك الحــديدية والطرق	٣٥	٢٩	٢٤	٦٢	٥١	٨٢	٥٨	٣٤١
تخــريب لممتلــكات الحكومة الأخرى	٣٥	١٠	١٩	٣٨	٤٠	٤٠	٢٨	٢١٠
تخــريب لخط انابيب شركة بترول العــراق	—	٢٣	٨١	—	—	—	—	١٠٤
رجال بوليس قتــلوا وجــرحوا	٥	١٠		٨	١٦	١٤	٢	٥٥
مدنيــون قتــلوا وجــرحوا	٣٤	٨٩	٢٨	٧٢	٧٤	٧٠	٨	٣٧٥
المجمـــوع	٥٧٦	٩٠٤	٦٤٤	٨٨٧	٨٤٦	١١٣٠	٣٠٢	٥٢٥١

ويستنتج من هذا البيـــان مايلى :

اولا : أن الهجمات وتصيد الثوار لرجال الشرطة والقوات البريطانيـــة بلغت ٩٨٦ حالة بينما كانت الهجمات وتصيد المدنيين اليهود ١٧٦ حالة ، ومعنى ذلك أن الثـــوار كانوا يركزون فى هجمـــاتهم على القوات البريطانية .

ثانيا : ان اكثر هجمـــات الثوار وتصـــيدهم للقوات البريطانيـــة كانت فى منطقتى نابلس ثم الحدود بينما كان اقلها فى منطقة غزة ، وهـــذا يعنى أن المنطقة الداخلة فى مشروع التقسيم ضمن الدولةاليهودية ومنطقة نابلس الجبلية الملائمة لحرب العصابات كانتا أكثر المناطق نشاطا ضد القوات البريطانية .

ثالثا : ان عمليات الخطف قد بلغت ٢١٥ حالة وكلها أو معظمها كان خطفا لعرب ، وهذا يدلنـــا على حالة الرعب التى تفشت بين المواطنين العرب فى ذلك الوقت خاصـــة عند تداخل العلاقات الشخصـــية والحزازات العائلية فى عمليات الثورة .

ومن يتابع الصحافة العربية خلال شهر ينـــاير ١٩٣٨ يجـــد أعمدتها ممتلئـــة بأخبـــار التفتيش والغـــرامات والاعتقـــالات والمظـــالم من جانب السلطة (٢٦) . ويكمن الاختـــلاف الرئيسى بين تطور الأحـــداث فى عامى ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ فى التطور التدريجى لحرب العصابات العربية خلال عام ١٩٣٨ على أسس منظمة وبمدى معين من التناسق . وقـــد استانف الثوار نشـــاطهم فى النصـــف الثـــانى من يناير خاصـــة فى منطقـــة جنين ـــ طولـــكرم (٢٧) .

وكان أهم المعـــارك التى حدثت خلال الشهر تلك التى قادها الحاج عيسى البطاط ضد القوات البريطانية فى جبال الخليل ، وبلغ من ضروب الشجاعة التى أبداها هذا الثائر أن أعلنت السلطة عن مكافأة قدرها ١٠٠٠ جنيه لمن يأتيها برأس هذا المجاهد أو يدلها على مقر وجوده . وكان من اثر

المعركة فرض غرامات على عـــدد من قرى الخليـــل وانزال كثير من الأذى والتعذيب والتقتيل بأهاليها (٢٨) .

وقد أجمعت مدينة الخليل فى نهاية هذا الشهر على الامتناع عن دفع الغرامة التى فرضت عليها وقدرها ٢٥٠٠ جنيها ، وحينما أرادت السلطة تحصيلها بالقوة أضربت المـــدينة اضرابا شاملا ثلاثة أيام (٢٩) . وشـــكل الثوار خلال هذا الشهر محاكم خاصـــة لمحاكمـــة الجواسيس والسماسرة العرب حكمت بالاعدام ونفذته فى كثيرين منهم (٣٠) .

وكان هنـــاك صمود وثبـــات واضحين خلال شهر فبراير ١٩٣٨ ، مما دفع السلطة الى الامعان فى قسوتها وفظـــائعها ، فنقرأ خلال الشهر اخبـــارا عديدة عن اعتداءات على العرب داخل المساجد وعلى السيدات والأطفـــال فى المنـــازل ، واهانات وقســـوة زائدة مع المتهمين بالأعمـــال الثورية (٣١) . وبلغ من تعنت السلطة أن أمرت أهالى قرية عين كارم الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والستين أن يثبتوا وجودهم يوميا أمام مخفر الشرطة وأنذرت من يتخلف منهم عن ذلك أن تعتبره ثائرا (٣٢) .

وتذكر المصـــادر العربية أن أهم معارك فبراير وقعت فى جبال علار واشتركت فيها الطائرات والمصفحات والمدافع وقامت فيهـــا قوات الجيش بحركات تطويق واسعة النطاق (٣٣) بينما يذكر التقرير الرسمى لذلك العام انه لم يكن هناك صدامات رئيسية بين القوات البريطانيـــة والعصـــابات المسلحة طوال هذا الشهر ، بل كان هناك بعض أعمال مسلحة خاصة فى الجليل وشمالى السامرة زادت مع نهاية الشهر (٣٤) .

وحدث خلال هـــذا الشهر أن دخل الثوار مدينـــة جنين وأتلفوا دور الحكومة وهاجموا حراسها ، وتعرضت المـــدينة نتيجة لذلك لحصـــار من جانب القوات العسكرية وقع على سكانها خلاله كثير من التنكيل ، وأخلى الجنود بعض بيوت المـــدينة بالقوة لاسكان قوة الحدود التى وصلت الى المدينة فى تلك الفترة (٣٥) .

وأخذت الثورة تشتد وتتعاظم مع ربيع ١٩٣٨، وأخذ الثوار يتمركزون فى مناطقهم ويفرضون انفسهم ، واندمجت القرى فى جو المعركة وقدمت

السلاح والمؤن والمجاهدين وأخذ الثوار موقفا حازما من المترددين والمتشككين والمتعاونين مع السلطة أو اليهود ، وقد امتد هذا الدور معظم أشهر العام وشملت الثورة خلاله معظم أنحـاء فلسـطين بعـد أن كانت منحصرة فى مناطق ثلاث (٣٦) .

وقد تميز هذا الشهر بزيادة أعمال العنف وتحرك الثوار فى أعـداد كبيرة ، وكان أهم أحداثه تلك المعركة الـكبيرة التى وقعت يوم ٣ مارس غربى جنين واشتبكت فيها القوات البريطانية يعاونها الطيران مع جمـاعة مسلحة تراوح عددها بين مائتى شخص وثلاثمائة ، وبعدها بستة أيام حدث اشتباك بين القوات العسكرية والطيران مع جمـاعة أخرى فى المنطقـة الجبلية شمالى الجليل استمرت طوال النهـار ، ويذكر التقرير السنوى للحكومة أن الخسائر الـكبيرة التى أنزلت بالثوار العرب جعلتهم يتفرقون بعد ذلك الى مجموعات صغيرة (٣٧) .

وتميز الأسبوع الأخير من مارس بكثرة اقتحام المسلحين العرب للمنازل العربية والحصـول على أموال من أصـحابها ، ولم يخل الأمر من بعض التنكيل كما حدث فى بعض قرى المجـدل (٣٨) . كما تميز بمهاجمـة الثوار العرب لمستودعات الذخيرة الحكومية (٣٩) . وكانت البلاد معبأة بجو الثورة حتى أن المندوب السامى أراد زيارة مدينة نابلس واللواء الشمالى فى أول أبريل ، فذهب الى هنـاك ترافقه مصفحتان حربيتان (٤٠) .

وازداد نطاق التحركات الثورية خـلال أبريـل ١٩٣٨ ، كما ازداد استخفاف الثوار بالسلطة وتحديهم لها وكثر دخولهم القرى وأخذ مايريدونه منها ، حتى أنهم قبضوا على بعض الأهالى وأخذوهم أسرى الى معاقلهم (٤١) كما قتلوا كثيرا من العرب الذين اتهموا بالخيـانة أو امتنعوا عن تقـديم الأموال للثوار (٤٢) .

وزادت أعمال الثوار بأشكالها المختلفة خلال هـذا الشهر حتى دمر خط أنابيب البترول عشر مرات ، وكانت عمليات الثوار محدودة المـكان ، وقامت القوات العسكرية والشرطة بتطويقهم حيث حـدثت معركة كبرى ليلة ١٦ أبريل فى التلال شمالى طولـكرم ، وحدثت مصادمات أخرى أقل أهمية مع عصابات أصغر على طـريق جنين — نابلس (٦ أبريل) وفى السامرة (٨ أبريل) وقرب بيسان (٢١ أبريل) (٤٣) .

واحتل الثوار خلال شهر أبريل مدينة بيسان وأخذوا يكبرون ويزللون، فاصطدمت بهم قوات السلطة وعوقب أهالى مدينة بيسان بتغريمهم خمسمائة جنيه (٤٤) .

وقد استمر خلال شهر مايو مهاجمة الثوار للقرى وقتل بعض اهاليها وأسر آخرين ، كما هاجموا عددا من الشرطة الاضافيين فى قرية بطولكرم وقتلوا ستة منهم واستولوا على أسلحة وذخائر (٤٥) . وأما بالنسبة لاشتباكات الثوار بالقوات البريطانية فقد كان هناك فى أوائل الشهر نشاط للثوار فى السامره والجليل ، وحدث اشتباكان كبيران يومى ٢٤ مايو فى منطقة الجليل ، ٢٦ مايو شمالى بناح تكفا (٤٦) .

ونتيجة لازدياد قوة الثوار وفعالية نشاطهم فقد أجرت الحكومة البريطانية تغييرا فى القيادة العسكرية ، وحاول المندوب السامى الجديد ماكمايكل والقائد العسكرى الجديد جنرال هايننج التعاون لمواجهة الثورة، فاقيمت أسلاك شائكة على طول الحدود الشمالية والشمالية الشرقية وانشئت مراكز للشرطة فى وادى الأردن ، وبدأ التفكير فى تسليح اليهود واستخدامهم فى العمليات العسكرية ، وشن القائد العسكرى عددا من الحملات على الثوار مستخدما سلاح الطيران والوحدات المدرعة ، لكن هذه الحملات لم تحقق أهدافها لأن الثوار كانوا يتجنبون فى تلك الفترة دخول معارك مباشرة مع قوات السلطة (٤٧) .

ونظرا لاستمرار نشاط الثوار فى منطقتى الجليل والسامرة ، فقد احتلت القوات عددا من القرى بهدف « معالجة الحركات الارهابية التى أخذت مؤخرا فى الانساع » وفرض رقابة فعالة فى المناطق المذكورة (٤٨). وكان من أثر ذلك تناقص الحوادث فى تلك المناطق وزيادة أعمال التخريب فى المرافق العامة وتفجير أنابيب البترول وزيادة الهجمات على الدوريات البريطانية والمستعمرات اليهودية النائية .

وأراد جمال الحسينى — عضو اللجنة العربية العليا ورجل المفتى الأول — أن يستفيد من نشاط الثوار فأرسل رسالة الى وزير المستعمرات البريطانى مالكولم ماكدونلد معلنا استعداد العرب « للموافقة على بقاء السكان الحاليين من اليهود فى فلسطين مع منحهم حقوقا كاملة ومساوية لحقوق المواطنين الآخرين ، واشراكهم بنسبة عدد سكانهم فى جميع

المؤسسات الحكومية مع منح اليهود فى الأماكن التى يقطنونها وحدهم حكما ذاتيا » لكن هذه المبادرة لم تلق اهتماما ، فقد كان هناك تصميم على اقامة الدولة اليهودية (٤٩) .

وتوقفت المعارك فى أواخر مايو واوائل يونيو ١٩٣٨ لكن الثوار كانوا يقومون بأعمال عديدة مثل اطلاق النيران ليلا على معسكرات الجيش البريطانى (٥٠) . وحدث خلال الأسبوع الثانى من يونية صدام شديد بين الثوار وقوات السلطة ، كما وقع حادث كان الأول من نوعه وهو قطع اكثر من أربعمائة متر من الأسلاك الشائكة التى اقامتها السلطة ونقلها مع بعض الأدوات الى جهة غير معلومة (٥١) . وقد أكد التقرير السنوى للحكومة هذه الواقعة حيث ذكر أن حائط تيجارت قد دمر بطريقة سيئة أربع مرات، وان خطوات لحماية خط أنابيب البترول ادت الى معركتين مع الثوار العرب، وأن القوات العسكرية عملت فى ٨ يونية بمساعدة الطيران ضد عدد من قرى تل الكرمل الجنوبى وخليج الأردن (٥٢) .

وحميت الاضطرابات خلال النصف الثانى من يونية ١٩٣٨ ووقع كثير من التخريب فى خطوط المواصلات ، كما دمرت بعض المرافق الحكومية ، ولعل ذلك كان ردا على تصريح وزير المستعمرات فى مجلس العموم البريطانى بأن الاضطرابات ضعفت وصارت محصورة فى بعض الأجزاء الشمالية (٥٣)

وبدأ اليهود يتحركون لتخفيف ضغط على القوات البريطانية واثارة الرعب فى قلوب المدنيين العرب واحداث هوة بينهم وبين الثوار فوضعوا قنابل فى أماكن التجمع بمدينتى حيفا والقدس فى أيام من شهر يوليو حيث بلغت الخسائر العربية خلال الشهر مائة قتيل ، ٢٠٦ جرحا (٥٤) .

ونظرا لأن الجماهير العربية فى فلسطين لم تكن قد تعودت على عملية تفجير القنابل فى المدنيين العزل ، فقد اصيبت بحالة من الذهول فى أعقاب القاء القنابل ، وظلت مدينة القدس فترة من الوقت مضربة ، وتعطلت الحركة تماما ، وتابعت الجماهير باهتمام ماستتخذه السلطة من اجراءات (٥٥) .

ويبدو أن مجلس الوزراء البريطانى كان قلقا فى تلك الفترة نتيجة لعدم تمكن السلطة من السيطرة على الأمور فى فلسطين ، لكن وزير

المستعمرات يطمئن زملائه الوزراء بجلسة ١٣ يوليو أن التعزيزات تتجه بانتظام الى فلسطين ، وأن هناك ترتيبات لتجنيد جنود شرطة جدد ، وان السير تشارلس تيجارت يعتقد أن السلطة بهذه التعزيزات ستكون قادرة على انجاز مهمتها ، وانه واثق أن الارهاب سيقضى عليه فى القريب العاجل (٥٦) .

اما بالنسبة لاشتباكات الثوار مع القوات البريطانية ، فتشير البيانات الرسمية الى صدامات متفرقة مع الثوار فقدوا فيها خمسين قتيلا وجريحا على الأقل (٥٧) .

وفى الوقت الذى كان المد الثورى يتصاعد ويتعاظم كان الموقف الدولى يسوء ويتدهور مما دفع وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد الى القيام برحلة سرية الى فلسطين يومى ٦ ، ٧ اغسطس ١٩٣٨ لعمل محادثات مباشرة مع المسئولين البريطانيين ومحاولة البحث عن وسائل لايقاف الثورة.

وعندما وصل وزير المستعمرات الى فلسطين كان موقف الثورة كما يلى طبقا لما أوضحه له المندوب السامى والقائد العسكرى العام .

(أ) المدن مثل القدس وحيفا :

ان المشكلة الرئيسية هى قذف القنابل ، وليس هناك دليل على استيراد هذه القنابل من خارج فلسطين ، وقد تبين أن القنابل مصنعة محليا وان بعضها معبأ بدرجة جيدة ، لكن السلطة لم تتوصل بعد الى أماكن تصنيعها ، وبناء على ذلك فان الوضع فى المدن غير مستقر على الاطلاق .

(ب) الجليل والسامرة :

ان بناء حائط تيجارت كاد يتم ، لكن مغزاه ليس عظيما كما فهم احيانا فهو فى الحقيقة بناء يستخدم كمانع اضافى لمقاومة الثوار وليس كمانع نهائى حتى أن الجنرال تيجارت صاحب فكرته يتنبأ بأنه خلال عشرين عاما سوف يعرف الحائط باسم « حماقة تيجارت » . وقد ساهم الحائط فى تقليل حركة مرور الرجال المسلحين عبر الحدود السورية كما أن الفرنسيين الآن اكثر مساعدة فى منع مرور الثوار والاسلحة ، لكن التاثيرات الرئيسية على حدود فلسطين تمثلت فى الاحتلال الناجح للقرى

الشمالية بواسطة القوات العسكرية والشرطة والمتابعة الفعالة لانشاء طريق فى التلال الوعرة بمكن القوات من العمل بسرعة وفعالية كبيرة ، وقد تحسن الموقف بدرجة كبيرة فى هذه المنطقة المزعجة فى الأسابيع القليلة الأخيرة ، وليس هناك عصابات كبيرة متبقية ، وانما يوجد عصابات صغيرة قليلة العدد نسبيا لكنها تدعم فى المساء بأعداد كبيرة من الفلاحين العرب الذين يشاركون فى أعمال الثورة ليلا ويعودون فى الصباح الى بيوتهم ويبدون كمواطنين عاديين مسالمين .

(ج) المنطقة الجنوبية من فلسطين :

أصبحت هذه المنطقة هادئة نسبيا منذ عهد قريب لكن المندوب السامى والقائد العام يتشككان فيما اذا كانت هذه الحالة المؤقتة ستستمر .

تلك هى الصورة الداخلية للثورة كما عرضها المندوب السامى والقائد العسكرى العام على وزير المستعمرات والتى حاولا فيها التخفيف من حدة الموقف واظهار قدرتهما على السيطرة على الموقف وكبح جماح الثوار .

أما عن أهداف زيارة وزير المستعمرات لفلسطين فى تلك الفترة فيمكن نبينها من تلك المحادثات التى جرت بينه وبين المندوب السامى والقائد العسكرى العام والتى شملت ثلاثة موضوعات رئيسية :

أولا : احتمال الاجتماع مع ممثلى العرب واليهود فى القدس

فقد ذكر وزير المستعمرات أنه ذهب أساسا لمحادثات معهما لكنه يعتقد أن أثر الزيارة يمكن أن تكون أفضل اذا استطاع مقابلة بعض القادة العرب واليهود — ولو على سبيل المجاملة — قبل مغادرته البلاد ، لكن المندوب السامى أوضح انه يستطيع بسهولة أن يحضر ممثلى اليهود الى دار الحكومة ، لكنه يجد صعوبة فى تحديد العرب الذين يمكن دعوتهم الى الاجتماع ، فليس هناك سياسى عربى يمكنه أن يأتى الى دار الحكومة ويناقش الأمر مع وزير المستعمرات ، كما أنه لايوجد تنظيم عربى سياسى يمكن لأعضائه أن يختاروا ممثليهم فى الاجتماع ، فقد حلت اللجنة العربية العليا ، وليس هناك سوى المجلس الاسلامى الأعلى الذى يشرف المندوب السامى على شئونه ، لكنه يتجنب عمدا أن يجعل من هذا المجلس مؤسسة سياسية فى ذلك الوقت ، وان كان يأمل فى نهاية الأمر

أن يصبح أعضاؤه هم قادة العرب السياسيون المعترف بهم فى مواجهة المتطرفين . وبنـاء على هذا الايضـاح فقد رأى وزير المستعمرات صرف النظر عن هذه الفكرة التى كان حريصا على تنفيذها خلال وجوده بالقدس.

ثانيا : شكل الحكومة المناسب لمواجهة الثورة

أوضح وزير المستعمرات أنه يعتبر المشكلة الفلسطينية أعظم المشاكل الحاحا واهمية وأن عليه أن يعالجها فى المستقبل القريب ، لـكنه لم يكن سعيدا لاستمرار الثورة فى البلاد ، مما جعله يفكر فى شكل الحكومة الذى يستطيع به مواجهة الموقف وهل تظل الأمور كما هى عليه أم تعلن الأحكام العرفية وتقام ادارة عسكرية كاملة ، لكنه توصل فى النهاية الى أن النظام الحالى هو النظام الأنسب ، وان كان يود معرفة رأى المنـدوب السـامى والقائد العام فى هذه النقطة .

وكان هناك اتفاق بين المندوب السامى والقائد العام فى بقاء الوضع كما هو عليه مالم تنشأ ظروف سيئةللغاية ، ورغم اعتقادهما أن الأمور قد تحسنت بعد تشكيل لجان فى مناطق البلاد المختلفة يشـارك فيها ضـباط سياسيون وعسكريون لـكنهما كانا متخوفان من احتمال محـاولة العرب خلق اضطراب جديد على مقياس كبير عندما تنتهى اللجنة الفنية من اعداد تقريرها أو عندما يقر البرلمان السياسة الجديدة للمشكلة .

ثالثا : اجراءات تحديد السياسة

فقد ذكر وزير المستعمرات للمندوب السامى والقائد العام انه يعلق اهمية كبيرة على ماتقرره الحكومة بشأن سياستها الجديدة بعد فحص تقرير اللجنة الفنية ، وأنه يأمل فى وضع سياسة بعيدة المدى تلقى قدرا معقولا من التأييد فى بريطانيا وفلسطين وأماكن أخرى ، وقد كان حريصا قبل أن تعلن الحكومة قرارها النهائى أن تقوم بمحاولة للتفاوض مع العرب واليهود فى مؤتمر يجمعهما فى لنـدن ، وان ذلك سيجعل الرأى العـام الخارجى والحكومات المتعاطفة مع العرب تؤيد الحكومة البريطانيـة فى سياستها ، لـكن وزير المستعمرات يتصور أن الصعوبة الرئيسية هى أن العـرب واليهود لن يحضروا المؤتمر اذا كان التقسيم هو أسـاس المشكلة ، فاذا أمكن التغلب على هذه المشكلة ظهرت مشكلة أخرى ، وهى من الذى يمثل عرب فلسطين فى المؤتمر ؟ وفى رأى وزير المستعمرات أنه يجب الا يمثلهم

عرب من خارج فلسطين ، والا يكون لحكام الدول العربية المجاورة أى دور رسمى فى شئون فلسطين وان يكون عرب فلسطين هم ممثلو العــرب فى المؤتمر ، لــكن عرب فلسطين يحتمل الا يوافقوا على أن يمثلهم شخص آخر غير أمين الحسينى ورجاله ، وأضاف وزير المستعمرات أن محمــد محمود رئيس الوزراء المصرى وآخرين اقترحوا عليه الافراج عن الزعماء العرب المعتقلين فى سيشل كى يتفاوضوا مع الحكومة البريطانية نيابة عن عرب البــلاد ، لــكن وزير المستعمرات يعارض هذا الاقتراح بشــدة لأن ذلك يعنى أن بريطانيا ستتنازل عن سلطتها فى فلسطين لرجال كانوا مسئولين عن الارهاب فى البلاد ، واستفسر من المندوب السامى عن امكانية وجود بديل لحضور المؤتمر بدلا من هؤلاء الزعماء .

وقد أجاب المندوب السامى انه يؤيد أية محاولة للمفاوضات وان كان يرى أن تكون تلك المفاوضات محدودة الوقت لأن الأمر يحتاج الى اتخــاذ قرار عاجل بشأن سياسة الحكومة ، لــكنه لا يؤيد فكرة مناقشة المشكلة مع المفتى أو رفقائه ، وانه اذا قررت الحكومة البريطانية المفاوضة مع المفتى فيجب عليها أن تبحث عن مندوب سام آخر ، كما أنه يعتقد أنه يجب الا يسمح للمفتى شخصيا بالعودة اطلاقا الى فلسطين (٥٨) .

تلك هى الموضوعات الرئيســية التى ناقشها وزير المستعمرات مع المندوب السامى والقــائد العام عند زيارته لفلسطين فى أوائل اغسطس ١٩٣٨ والتى يتبين منها أن الحكومة البريطانية كانت فى وضع حرج للغاية نتيجة لاستمرار الثورة فى فلسطين وانها كــانت حريصــة على سرعــة التوصل الى حل مناسب يرضى العرب واليهود على السواء ويهيىء الدول العربية المجاورة لتأييد سياستها عند اندلاع الحرب ، وان الموقف الدولى كان يسهم بدرجة كبيرة فى دفع الحكومة البريطانية الى تبنى سياسة جديدة غير سياسة الانحياز الكامل الى جانب اليهود .

وأما عن الموقف الداخلى فى فلسطين خلال شــهر أغسطس ١٩٣٨ — أى بعد عودة وزير المستعمرات الى لندن — فقد ازداد اشتعالا وتوترا ، ففى ١٠ اغسطس هاجم الثوار الفلسطينيون بنك باركليز فى نابلس واخذوا منه خمسة عشر الف جنيه (٥٩) . وفى ١٨ أغسطس تدور معركة هامة فى عكا يشارك فيها سلاح الطيران بدور هام (٦٠) كما حدثت معارك أخرى فى كل أنحاء البلاد (٦١) .

ومثلما حدث فى نابلس فقد دخل الثوار مدينة الخليل واحتلوها واحرقوا بنك باركليز كما اصطدموا بالجيش فى معركة حامية اشتركت فيها ثلاثة عشر طائرة وثمانون مصفحة (٦٢) واغتال الثوار فى ٢٥ اغسطس مساعد حاكم منطقة جنين فى مكتبه (٦٣) . كما نسف الجنــود البريطــانيون حوالى ١٢٠ منزلا عربيا فى احدى قرى عكا بسبب القــاء قنبلة على سيارة عسكرية (٦٤) . وطبقا لرواية رويتر فقد اسقط الثوار فى ٢٨ اغسطس طــائرة عسكرية بريطانيــة شمالى طولــكرم اثنـــاء تعــاونها مع الجيش فى مقـــاتلة الثوار (٦٥) .

واستفادة من ذلك المد الثورى الذى شمل فلسطين كلها ، فقد عقد فى تلك الفترة بتوجيه من اللجنة المركزية للجهاد مؤتمر فى جبل طولــكرم لقادة الثورة الرئيسيين ، ويتبين من قرارات المؤتمر عدة ملاحظات أهمها سيطرة الروح الثورية على تلك القيادات وحرصها على وحدة العمل الثورى وتصميمها على المقاومة الى النهاية . فقد كان من قرارات المؤتمر : —

— متابعة القتال حتى تنال فلسطين مطالبهــا القوميــة ، وتطبيق مشروع القتال لخمس سنوات بدعوة الشباب العربى الفلسطينى للجهاد .

— دعوة الذين تتراوح أعمارهم بين ١٩ — ٢٢ سنة من أهل فلسطين الى الخدمة العسكرية ، واحالة كل من يتخلف للمحاكمة العسكرية .

— تأجيل دفع الديون لمدة سنة وابلاغ القرار للمصارف العربية والأجنبية والدائنين والمدينين ، واحالة كل من يخالف ذلك أو يحاول الحجز أو بيع أراضى المدنيين أو أموالهم المنقولة الى المحكمة العسكرية (٦٦) .

وبحلول نهاية شهر اغسطس كانت الادارة الحكومية قــد انهارت فى المدن الرئيسية انهيارا كبيرا ، واعرب القائد العسكرى عن اعتقــاده بأن ماحدث كان « من أعراض ما أصبح الآن روحا ثورية عميقة الجذور اجتاحت السكان العرب قاطبــة وحفزتهم الى الدعوة الى حرب مقدسة ، ولقــد بلغت سيطرة عصابات الثوار على جماهير الشعب .. حدا لم يعد معــه مما يجانب الصواب ان يقال ان كل عربى فى البلاد هو عدو كامن للحكومة مهما بلغت عواطفه الشخصية من الاعتدال » (٦٧) .

ويتبين من رسالة مرسلة من المندوب السامى الى وزارة المستعمرات فى ١٩٣٨ أن الموقف يسوء سريعا وأن قادة الثورة أصبحوا أكثر احتراما ومهابة من المسئولين البريطانيين ، وأن المواطنين المدنيين ينظرون اليهم كمهيمنين على الموقف ، وان الحركة بشكل محدد هى حركة وطنية رغم أنها تمول جزئيا عن طريق فرض الأموال على مقياس كبير ، وانها تهدف الى العصيان المسلح التام لاحداث انقلاب كامل فى سياسة الحكومة البريطانية بشأن التقسيم والهجرة اليهودية ، وان هناك حقيقتين أساسيتين فى الموقف : —

الأولى : أنه اذا استبعد المفتى ورجاله فليس هناك قادة يمثلون عرب فلسطين سوى قادة الثوار ، وان مجرد ذكر اسم « المعتدلين » أصبح يحمل معنى الاهانة .

والثانية : أنه اذا لم ترفض الحكومة سياسة التقسيم — صراحة أو ضمنا — فسوف تكتف المقاومة فى سوريا وفى كل مكان بالشرق الأوسط .

وأرفق المندوب السامى برسالته برقية عاجلة يحث فيها على التصميم على ضرورة نقل المفتى ومجموعته من سوريا ولبنان ، لأن ذلك يعنى توجيه ضربة الى أعماق تنظيم الثوار (٦٨) .

وطوال شهر سبتمبر كان هناك مصادمات شبه يومية بين الثوار وقوات السلطة وحدثت معركة كبيرة فى ١٤ ، ١٥ سبتمبر استخدم الطيران فيها ، كما حدثت معركة أقل خطورة فى ١٦ سبتمبر ، كما غارت عصابة كبيرة على مدينة بيت لحم ليلة ١٣ — ١٤ سبتمبر ودمرت مركز الشرطة ، وأحدثت اضرارا كبيرة فى مبنى البلدية والبريد (٦٩) .

وكانت السلطة تعمل على تصعيد وسائلها لمقاومة الثورة كلما لجأ الثوار الى وسائل جديدة ، فقد قامت الطائرات البريطانية فى أواسط سبتمبر بنسف عدة قرى عربية ، كما هاجمت الطائرات الجبال وأوقعت اصابات عديدة بالثوار .

ولم تتوقف عمليات الثوار وأنشطتهم خلال اكتوبر بل تصاعدت وتشعبت فقد فتكت مجموعة عربية تدعى « فصيل الموت » بعدد من

الجواسيس الذين حكمت عليهم محاكم الثورة بالاعدام ، واعتدى الثوار على بعض النشاشيبيين وأحرقوا مبنى جريدة فلسطين ، وقتلوا حسن صدقى الدجانى ، كما شهد شهر أكتوبر احتلال الثوار لبعض المدن فترات معينة فقد دخلوا مدن طبريا ورام الله وبيت شعتا واريحا وغزة والقدس، مما دفع الحكومة الى اعلان حالة الطوارىء واغلاق حدود البلاد (٧٠) .

ووصلت الى فلسطين خلال الشهر تعزيزات عسكرية كبيرة ،وقامت القوات طوال الشهر بعمليات تفتيش واسعة النطاق فى مدن وقرى كثيرة، وكانت تعتقل الكثيرين أثناء تلك العمليات ، كما قامت باحتلال مدينة القدس يوم ١٩ أكتوبر بعد أن كان الثوار قد جعلوا منها مركزا لتجمعهم .

أما عن معارك الثورة فى هذا الشهر ، فقد حدثت ليلة ٢ أكتوبر والأيام التالية ثلاث صدامات بين الثوار والقوات البريطانية اثنتان فى طبريا والثالثة قرب صفد ، كما هاجمت القوات بمساعدة الطيران عصابة كبيرة قرب ترشيحا فى الجليل ، وحدث فى ٢٠ اكتوبر قتال قرب طبريا ، كما هاجم الطيران فى ٢٢ اكتوبر عصابة شمال غربى القدس .

وخلال الأيام التسعة الأولى من شهر نوفمبر استمرت القوات البريطانية فى عمليات التفتيش فى المناطق المختلفة ، وكان هناك بعض صدامات ثانوية بين الثوار وقوات الجيش (٧١) .

وفى ٩ نوفمبر اذاعت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الفنية مع بيان عن سياستها ، مما يحتاج الى توقف عن متابعة أحداث الثورة وتطوراتها كى نلم بذلك التقرير الذى يعتبر تراجعا عن مشروع التقسيم وفكرته .

لجنة وودهيد

كان من المتوقع أن تؤلف لجنة فنية لتخطيط الحدود بين الدولتين العربية واليهودية طبقا لما جاء فى توصيات لجنة بيل ، لكن استئناف الثورة كان عاملا فى تأخير تشكيل اللجنة بعض الوقت (٧٢) .

وكانت اختصاصات اللجنة طبقا لما ورد فى الكتاب الأبيض فى ٤ يناير ١٩٣٨ محددة فى النظر فى مشروع التقسيم الذى اقترحته اللجنة الملكية وحرية اقتراح تعديلات عليه بما فى ذلك تغيير المناطق الموصى ببقائها

تحت الانتداب ، والتوصية بحدود فاصلة بين المنطقتين العربية واليهودية ومناطق الانتداب المقترح انشاؤها بحيث تتوفر فى تلك الحدود بعض الشروط ، والبحث فى المسائل الاقتصادية والمالية التى ينطوى عليها مشروع التقسيم (٧٣) .

وتم فى شهر مارس تعيين تلك اللجنة برياسة السرجون وودهيد وعضوية السر اليسون راسل والمستر برسيفال والمستر توماس ريد ، وكانوا جميعهم باستثناء راسل من موظفى حكومة الهند السابقين (٧٤) .

وتوضح الوثائق البريطانية أن النتيجة المطلوبة كانت محددة سلفا منذ الأيام الأولى من تشكيل اللجنة ، فقد اقترح فى مذكرة أعدها أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية البريطانية فى ١٤ مارس ١٩٣٨ أن يوضع أمام اللجنة الفنية مذكرة تتضمن أسباب اعتقاد الحكومة أن التقسيم هو حل غير منصف وغير عملى ، وان الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية يكمن فى تحديد الهجرة اليهودية.(٧٥) وقد قامت وزارة المستعمرات فى الأسبوع التالى بابلاغ رئيس اللجنة الفنية بآراء حكومة جلالته بشأن عمل اللجنة (٧٦) .

وغادرت اللجنة الفنية بريطانيا فى طريقها الى فلسطين فى ٢١ابريل ١٩٣٨ ووصلت القدس فى ٢٧ أبريل ، وخلال الشهر التالى استقال أورمسبى فور من وزارة المستعمرات ، وخلفه مالكولم ماكدونلد الذى لم يسبق تورطه مع الصهيونية على طريقة سلفه (٧٧) .

وأعلن المندوب السامى بعد وصول اللجنة الى القدس انها ستنظر فيما يرسل اليها كتابة ، وانها مستعدة لسماع من يريد أن يتكلم أمامها من أهل البلاد ، سواء بطريقة سرية أو علنية (٧٨) .

وحرصت اللجنة قبل استماعها الى أية شهادات على التعرف على حقائق الأوضاع فى فلسطين ، فلم تعقد جلستها الأولى الا بعد عدة أسابيع من وصولها الى فلسطين ، قامت خلالها بزيارة مختلف انحاء البلاد ، وقضت فى شرقى الأردن تسعة أيام ، ثم عقدت اللجنة في مدينة القدس

خمسا وخمسين جلسة لسماع الشهادات وكانت كلهـا سرية باسـتثناء جلستين فقط ، وبعد عودتها الى لندن عقدت تسع جلسات اخـرى كانت كلها سرية (٧٩) .

وقاطع العرب اللجنة بعد نداء من اللجنة العربية العليـا دعت فيه الأمة بجميع أفرادها وهيئاتها « الى مقاطعة هذه اللجنة مقاطعة تامة وعدم الاتصال بها بأى صورة من الصور لأنها قادمة على أساس مشروع التقسيم الذى رفضته الأمة بأسرها ولأنه لا مجال للقول وابداء الراى الحر بسبب الاجراءات الظالمة والتدابير الصارمة التى اتخذتها السلطات البريطانيـة فى البلاد من اعدام وسجن واعتقـال وتشريد وابعـاد لجمهرة رجال البلاد المسئولين » (٨٠) .

ويبدو أن الثوار ارادوا أن يرهبوا من تسول له نفسه الاتصال باللجنة فاستقبلوها بزيادة نشاطهم العسكرى ، والقيام بهجوم عام على صفد قتل فيه تسعة من افراد الشرطة العرب وستة من وجهاء طولكرم (٨١) .

ومع انه لم يتقدم احد من العرب للشهادة امام اللجنـة أو الادلاء بأية بيـانات (٨٢) . لـكن حـزب الدفاع الوطنى كان هو الهيئـة العربيـة الوحيدة التى تقدمت بمذكرة الى اللجنة ، ويعتقد أن هـذه المـذكرة كانت محاولة من الحزب لاسترداد السمعة التى فقدها بعد انسحاب ممثليه من اللجنة العربية العليا قبل اعلان مشروع التقسيم ، وما أحـدثه ذلك من استياء عربى من موقف الحزب ، ورغبة من الحزب أيضا لشـغل الفراغ الذى تركته القيادة السياسية فى البلاد ، فقد أبدى الحـزب فى مذكرته اسفه للسياسة الفاشلة التى تصر الحكومة البريطانية على انتهـاجها ، واكد رفضه لمشروع التقسيم رفضـا باتا وعدم استعداده لتقديم بيـانات للجنة مادامت صلاحيتها منحصرة فى البحث فى تنفيـذ مشروع التقسيم ، وطالب الحزب فى نهاية مذكرته بانهاء الانتداب وتاليف حكومة وطنية ذات سيادة تمثل جميع السكان وترتبط مع الحكومة البريطانية بمعاهدة على أن تضمن للاقليات حقوقها المشروعةوتحفظ النسبة القائمة بين العربواليهود، وأن يطلق سراح المعتقلين ويسمح للموجودين خارج البلاد بالعودة اليها(٨٣)

وتقدم امير شرقى الأردن الى اللجنة بمشروع مفصل لدولة موحـدة تضم فلسطين وشرقى الأردن ، ويكون لليهود فيها اسـتقلالهم الذاتي في

مناطقهم كما يكون لهم حق الهجرة المحدودة الى تلك المناطق والمشاركة فى مؤسسات الدولة بحسب نسبتهم العددية ، وتكون الهجـرة اليهودية الى المناطق العربية منوطة بموافقة العرب .

وحتى يلقى الأمير فى روع اللجنـة أن أبنـاء البـلاد موافقون على مشروعه أرسل بعض المجهولين مذكرة الى اللجنة باسم علمـاء وأعيـان ووجهاء المنطقة الشمالية يوافقون فيها على مقترحات الأمير ، وقد اكتشفت حقيقة المـذكرة عندما أرسل رئيس اللجنة كتابا الى مفتى صفد يخبره فيها بتسلم المذكرة .

ومع أن مشروع الأمير تجـاهل مشروع التقسيم ــ الذى كان الأمير يرى فيـه حلا عمليا للقضـية ــ لـكن موافقته على استمرار الهجرة الى فلسطين اثارت معارضة عربية كبيرة داخل البلاد وخارجها ، فقـد أعلنت اللجنة العربيـة العليا ان العرب لايوافقون على اى حل لايتفق وميثاقهم ، وسارع حزب الدفاع الى اعلان عدم موافقته على المشروع لـكن اللجنـة أوضحت أن الاقتراحات خارجة عن حدود صلاحيتها ، وان مهمتها مقتصرة على اعداد مشروع مفصل للتقسيم (٨٤) .

وبعد أن قدمت اللجنة الفنية تقريرها نشرته الحكومة البريطانية مع بيان عن سياستها فى ٩ نوفمبر موضحة أن أعضاء اللجنة الأربعة أوصوا جميعهم برفض مشروع التقسيم الذى اقترحته اللجنة الملكية ، وان تقريرها تضمن البحث فى مشروعين آخرين أسمتهما بالمشروع «ب» والمشروع (ج)، وأن أحد أعضاء اللجنة حبذ المشروع «ب» بينما اعتبر عضـوان آخران أحدهما الرئيس أن المشروع (ج) هو خير مشروع للتقسيم ، أما العضـو الرابع فقد وافق على المشروع (ج) لـكنه اعتبر كـلا المشروعـين غير عمليين (٨٥) .

وكانت خلاصة الآراء الرئيسية التى أبدتها اللجنة الفنية كما يلى :

حجم الدولة اليهودية

انه لا يمكن التوفيق بين عدم حرمان العرب الا من اقل عدد ممكن من الأمكنة التي يعلقون عليها اهمية خاصة وبين أن تكون المناطق المخصصة

لليهود متسعة وخصبة الى درجة يتسنى معها تحسينها تحسينا اقتصاديا واسعا الا اذا أمكن تهيئة السبيل لاستمرار هجرة خاضعة للمراقبة الى معظم المناطق التى اقترحت اللجنة الاحتفاظ بها تحت الانتداب البريطانى وتحسينها بغرض استيطان اليهود فيهـا ، وان المصروفات اللازمـة لذلك لا يمكن الحصول عليها الا من الحكومة البريطانية .

موقف العرب واليهود

ان عرب فلسطين سيقاومون اى مشروع للتقسيم مهما كان شكله ، وان تنفيذ مشروع اللجنـة الملـكية سيؤدى الى نشوب ثورة عامة لايمكن اخمادها الا باجراءات عنيفة طويلة المدى .

اما بالنسبة لموقف اليهود فقد اشارت اللجنة الى ماقيل لها من أن اليهود لن يقبلوا باى مشروع لايفى بحاجة دولتهم المقترحة خاصة اذا كانت تلك الدولة لاتشمل حيفا والجليل وقسما من القدس .

الأقلية العربية فى الدولة اليهودية

انه يستحيل تخطيط حدود من شأنها ان لايدخل أحد من العرب فى الدولة اليهودية ، وان مشكلة الأقلية لايمكن حلها بنقل السكان نقلا اختياريا ، وان هذا هو السبب الرئيسى لرفض اللجنة لمشروع اللجنة الملـكية الذى يكاد يدخـل فى الـدولة اليهودية من العـرب عـددا مسـاويا لعدد اليهود فيها ، وان وجود خمسين الف عربى فى الدولة اليهودية طبقا لمـا تقترحه اللجنة افضل من وجود ثلاثمائة الف عربى فى الدولة اليهودية طبقا لمشروع اللجنة الملـكية .

الـدفاع

انه على الرغم من صغر الدولة اليهودية طبقا لمشروع اللجنة فانها تؤلف منطقـة يسهل الدفاع عنها ، ولـكن نظرا لعدم وجود حـد غربى نهر الأردن يصلح كخط عسكرى مناسب فان اللجنة ترى تعيين خط يمكن الدفاع عنه عسكريا ضـد غارات المسلحين ، وانه لا يمكن اعتبار الحـد الموضح فى مشروعها صالحا لضمان سلامة الدولة اليهودية .

الادارة

ان المصـــالح التى يمكن تقسيمها تقسيما تاما كالمصـــارف مثلا ستقل الفائدة منها بعدالتقسيم بالنسبة للاموال التىتنفق عليها ، كما انالمواصلات ستكون فى مجموعها أقل كفاية وأكثر نفقة عن ذى قبل ، ولا مفر من فرض بعض القيود على تنقل الأشخاص بين المناطق المختلفة ، كما أن قيـــــام الدولتين العربية واليهودية كحاجز بين منطقـــة القدس الخاصة ومنطقتى الانتداب الأخرتين سيكون مصدرا للصعوبات الادارية .

المــــــالية

يستحيل انشاء دولة عربية تكون قادرة على سد نفقـــاتها مهما كانت الحدود التى توصى بها ، فالتخمين الذى أعده مدير مالية فلسطين يشير الى عجز سنوى فى ميزانية الدولة العربية بما فيها شرقالأردن يبلغمقداره (٦١٠٠٠٠ جنيه) تقريبا ، وعجز سنوى فى ميزانية المناطق المنتدب عليها يبلغ مقداره (٤٦٠٠٠٠) جنيه تقريبـــا ، ووفر سنوى فى ميزانية الدولة اليهودية يبلغ (٦٠٠٠٠٠) جنيه تقريبـــا باستثناء نفقات الدفاع لـــكل من تلك المناطق ، وليس من الممكن ولا من الانصـــاف انشاء دولة عربيـــة تقل ايراداتها عن مصروفاتها بمبلغ كبير كهذا ، فاذا أريد تنفيذ التقسيم فـــلا مناص من تقديم بريطانيـــا اعانة للدولة العربية تمكنها من موازنة ايراداتها بمصروفاتها . كما أن بريطانيا مضطرة الى مساعدة المناطق المنتدب عليها على موازنة ميزانيتها ، ويعنى هـــذا ان التقسيم سيتكلف نفقة ســـنوية مقدارها (١٢٥٠٠٠٠) جنيه فلسطينى تقريبا . باستثناء نفقات الدفاع ، وهذه حالة لا يمكن للخزينة البريطانية تحملها ، ولـــكن قبل اصدار القرار فى عدم صـــلاحية التقسيم بالمرة بنـــاء على هذا الاستنتاج يجب أن ينظر الى ماتكلفه فلسطين لبريطانيا فى الوقت الحاضر والتى تتراوح بينمليونين ونصف مليون جنيه وبين ثلاثة ملايين جنيه فى عام ١٩٣٨ ، فالاستعاضة من الوضع الحاضر الذى لاتعرف نهايته بمشروع يكلف الخزينة البريطانية دفعات سنوية مستمرة قد تبلغ ١٢٥٠٠٠٠ جنيها فى السنة باستثناء نفقات الدفاع ليس من الضرورى خروجه بالمرة الى حيز التنفيذ اذا ظهر أن ذلك المشروع قابل للتطبيق من نواح أخرى .

واختتمت اللجنـــة تقريرها موضحـــة أن مسألة كون التقسيم قابلاً للتطبيق تنطوى على اعتبارات عملية وسياسية ، والاعتبـــارات العمليـــة تتعلق بصـــورة خاصة بالصعوبات المـــالية والاقتصـــادية ، غير أن تلك الصعوبات من نوع لاتستطيع معه اللجنة — فى نطاق اختصاصها — أن تجد حلا ممكنا لتذليلها ، لـــكنها بدلا من اقرارها بالعجز عن التوصل الى مشروع عملى ، اقترحت شكلا معدلا للتقسيم على وجه يبدو لها — رغم أنه يحرم الدولتين من الاستقلال فى الشئون المـــالية — صـــالحا كأســـاس للتسوية اذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة لتحمل مايترتب على تنفيذه من أعباء مالية .

اما الصـــعوبات المـــالية فان اللجنـــة لاتستطيع أن تتجاهل أن أحد الفريقين أو كليهما يمكن أن يرفض التقسيم مهما كان شكله ، لـــكنها ترى أن احتمال قبول الفريقين بتسوية معقولة لايزال قائما ، وانها تأمل أن تكون مقترحاتها أساسا لتسوية تأتى عن طريق المفاوضة (٨٦) .

ذلك هو تقرير اللجنة الفنية والذى كان أكثر موضوعية فى نتـــائجه من تقرير اللجنة المـــلكية ، فمن مراجعـــة التقريرين يمكن للمرء أن يتبين عديدا من الفروق الأساسية بينهما : —

أولا : انه بينما رأت اللجنـــة المـــلكية أن هنـــاك ظروفا قاهرة تجعل من مشروع التقسيم أمرا محتما ، فقد رأت اللجنة الفنية أن مشروع التقسيم بعـــد تعـــديله هـــو خير مشروع يمكن تقديمه فى حدود اختصاصات اللجنة ، كما أشارت فى أكثر من موضع من تقريرها الى المخاطر العديدة التى تكتنف أى شـــكل من أشكال التقسيم، وحاولت أن توفر فى مشروعها ظروفا ملائمة للتسوية .

ثانيا : انه بينما كانت اللجنة المـــلكية تعطى الاهتمام الأول لمصلحة الدولة اليهودية باعطائها لليهود منطقة يقطن بهـــا حوالى ثلاثمائة الف عربى ، ويملك العرب فيها أكثر من ثلاثة ملايين دونم من الأراضى، فقد حاولت اللجنة الفنية أن تحقق شيئا من التوازن ، فتضـــاءل حجم الدولة اليهودية فى مشروعها وأصبح عدد العرب فيها حوالى خمسين الف عربى .

ثالثا : انه بينما حاولت اللجنة الملكية أن تجد مبررات غير منطقية أو قانونية لمشروعها عندما أوضحت مثلا أنها منحت اليهود منطقة الجليل لأنهم احتفظوا بموطىء قدم فيها منذ أيام الشتات ، فان اللجنة الفنية لم توافق على ادخال تلك المنطقة فى الدولة اليهودية بسبب عروبتها وادخلتها فى المنطقة الانتدابية .

رابعا : ان اللجنة الملكية كانت متفائلة بدرجة كبيرة معتقدة ان التقسيم سيضع حلا نهائيا للمشكلة ، لكن اللجنة الفنية كانت اكثر تقديرا للامور وتفهما للعواقب ، فقد اشارت فى تقريرها الى أن العرب سيقاومون أى مشروع للتقسيم مهما كان شكله ، وان اليهود لن يقبلوا بمشروع لا يفى بحاجات دولتهم المنتظرة . بل ان روح تقرير اللجنة الفنية ينم عن عدم موافقة اللجنة على اى مشروع للتقسيم أو على مبدأ التقسيم فى حد ذاته ، كما أنها اكدت انه لا يمكن تقديم رأى نهائى فى قابلية اى مشروع للتطبيق دون أن يؤخذ فى الاعتبار عدد من المسائل التى تخرج عن اختصاصات اللجنة .

فهل يعنى ذلك أن اللجنة كانت منصفة فى مشروعها للجانب العربى وأنها لم تتأثر بالضغوط الصهيونية وان موازين العدالة انضبطت على يديها ؟ لا اظن ذلك صحيحا ، وانما يعتقد ان اللجنة قد خففت من ذلك الاجحاف الذى أنزله مشروع اللجنة الملكية بالعرب ، وكانت حريصة فعلا على تقديم مشروع يصلح أساسا للتسوية فى حالة اتجاه الحكومة البريطانية لمشروع التقسيم ، وقد رأينا فى بعض اللجان البريطانية السابقة أعضاء يأخذون مواقف معادية للعرب لكن هذه أول لجنة — فيما يعرف — يتعاطف فيها أحد أعضاء اللجنة مع العرب (المستر ريد) ولا يمكن أن يحدث ذلك الا نتيجة اقتناع هذا العضو بقضيتهم ، لأن الوضع العربى فى ذلك الوقت لم يكن يسمح بالتأثير فى أعضاء تلك اللجان أو حتى باجراء بعض الاتصالات العربية الجانبية معهم كما كان يفعل الصهيونيون .

ومهما كان تقييمنا لتلك اللجان وتحديد مواقف اعضائها ، فهى فى نهاية الأمر لجان بريطانية رسمية لايتوقع من أعضائها أن يخرجوا عن ذلك الاطار الذى حدد لهم الا بذلك القدر الضئيل الذى لا يحول نتائج الدراسة الى مايتعارض مع المصالح البريطانية .

ذلك هو تقرير اللجنة الفنية الذى سرعان ماتلقفته الحكومةالبريطانية لتعلن فى بيان عاجل لها انها بعد امعان النظر والتدقيق فى تقرير اللجنة وما اظهره من خطورة الصعاب التى ينطوى عليها التقسيم بدرجة يصبح معها حلا غير عملى ، فانها ستواصل الاضطواع بمهامها فى حكم فلسطين ومواجهة وسائل أخرى تكون متفقة مع التزاماتها تجاه العرب واليهود .

لكن الأمر الغريب أن الحكومة البريطانية تقول فى هذا البيان « ان الوصول الى تفاهم بين العرب واليهود هو من أثبت الأسس لاقامة دعائم السلام والتقدم فى فلسطين » وانها تحقيقا لهذه الغاية تنوى أن توجه الدعوى الى ممثلين من عرب فلسطين والدول المجاورة والوكالة اليهودية للتداول معهم فى لندن حول السياسة المقبلة بما فيها مسألة الهجرة ، وان الحكومة البريطانية « تعلق أهمية كبرى على الوصول الى قرار بهذا الشأن فى القريب العاجل ، فاذا لم تسفر مباحثات لندن عن الوصول الى اتفاق خلال مدة معقولة من الزمن ، فان حكومة جلالته تتخذ قرارها الخاص على ضوء دراستها للمشكلة ومباحثات لندن ، ثم تعلن السياسة التى تنوى اتباعها » (٨٧) .

وليس الغريب فى الأمر هو توجيه دعوة لمؤتمر يشارك فيها العرب واليهود لكن الغرابة تتضح فى عودة الحكومة البريطانية الى الاعتقاد بأهمية تحقيق تفاهم بين العرب واليهود بعد أن كانت قد أعترفت فى كتابها الأبيض المؤرخ ٣ يوليو ١٩٣٧ ان التفاهم بين العرب واليهود أمر مستحيل الوقوع .

وشىء طبيعى أن تتخذ الحكومة البريطانية من القرارات مايتفق ومصالحها ، لكن ليس من الطبيعى أن يتناقض الساسة البريطانيون فى بياناتهم الرسمية الى هذا الحد وخلال فترة زمنية قصيرة ، وهم الذين الفوا فن اعداد البيانات والتصريحات المرنة التى تصاغ بطريقة لولبية يصعب معها محاصرتهم ، مما يدل على أن الحكومة البريطانية لم تكن جادة فى حل هذه القضية ، وانها كانت تناور وتماطل حفاظا على مصالحها الخاصة وعلى مصالح الحركة الصهيونية العالمية .

وابدت اللجنة العربية العليا ارتياحها الى عدول الحكومة البريطانية عن سياسة التقسيم واتجاهها لأسلوب المفاوضة واشراك البلدان العربية

فى مباحثات لندن ، وانتقدت بعض فقرات من الـكتاب الأبيض موضحة ان التفاهم بين العرب واليهود لا يمكن أن يتم مادام اليهود متمسكين بفكرة الوطن القومى اليهودى ، ثم أبدت اللجنة تخوفها من عدم تعيين أسس المفاوضات فى الـكتاب الأبيض ، وأن العرب لا يمكنهم أن يفاوضوا الا على أسس الميثاق القومى الفلسطينى كما لا يوافقون على اعتبار اليهود طرفا فى قضية فلسطين ، ولا يدخلون واياهم فى مفاوضات على مصيرها (٨٨) .

واما النشاشيبيون فقد تقدم فخرى النشاشيبى بعد اذاعة بيان الحكومة البريطانية بمذكرة الى المندوب السامى مطالبا بحق التحدث نيابة عن ٧٥٪ من أصحاب المصالح فى البلاد وأكثر من نصف عرب البلاد .

وحاولت القوات البريطانية فى فلسطين تصفية الثورة ، فتابعت ضغطها على الثوار ، وأجرت عمليات تفتيش واسعة النطاق ، وقامت بحملة عسكرية كبيرة فى التلال جنوب غربى القدس بهدف التخلص من العصابات التى ركزت بنجاح على تخريب السكك الحديدية بين القدس واللد ، وكان لواء الجليل هادئا بشكل عام — بعد أن اطمأن عربه الى تراجع الحكومة عن مشروع التقسيم — ورغم ما أبدته القوات العسكرية من حركة طوال نوفمبر ١٩٣٨ ، فقد استمرت أعمال الثوار فى المدن ولم تنقطع عمليات التخريب فى جميع أنحاء البلاد . كما لم تنقطع أنشطةالثوار خلال شهر ديسمبر وان مالت الى الانخفاض لـكن الارهاب ظل موجودا فى المدن والقرى .

وتركز نشاط القوات العسكرية فى عمليات التفتيش الواسعة طوال الشهر ، ويقدر ان أكثر من ثلث القرى فى فلسطين قد فتشت بواسطة القوات العسكرية والشرطة .

وكان هناك صدامات رئيسية متعددة مع تلك القوات ، كما حدثت سلسلة من الهجمات على أشخاص وممتلكات عائلة النشاشيبى فى أعقاب اجتماع عربى نظمه فخرى النشاشيبى فى ٨ ديسمبر١٩٣٨ لتأييد ماورد فى مذكرته الى المندوب السامى (٨٩) .

وفى نهاية شهر ديسمبر ١٩٣٨ كان عدد من قادة الثوار قد ذهبوا الى دمشق لبحث الخطط القادمة وتدبير مايلزمهم من السلاح والمؤن ، وعادوا الى فلسطين فى يناير ١٩٣٩ حيث ركزوا غاراتهم على الموظفين البريطانيين واليهود وبدءوا جمع الضرائب فى المدن ، ففرضت الحكومة قيودا شديدة على وسائل النقل ، وكثرت احتجاجات العرب على وحشية القوات البريطانية وشراستها .

وخلال شهر فبراير ١٩٣٩ انتقل مركز الجاذبية والأضواء الى لندن حيث عقد المؤتمر الشهير الذى دعى اليه العرب واليهود وممثلو الحكومات العربية المجاورة ، والذى تابعته الجماهير العربية باهتمام وأمل (٩٠) .

مؤتمر لنــــدن

وكان البلاغ الرسمى الذى أذيع عقب نشر تقرير اللجنة الفنية قد تضمن أن الحكومة تنوى أن توجه الدعوة الى ممثلين عن عرب فلسطين والبلاد المجاورة والوكالة اليهودية للتداول معهم حول السياسة المقبلة ، وانه بالنسبة لعرب فلسطين فى هذه المباحثات فان الحكومة تحتفظ لنفسها بحق رفض وجود الزعماء الذين تعتبرهم مسئولين عن حملة الاغتيال والعنف (٩١) .

ولعل تراجع الحكومة البريطانية عن مشروع التقسيم ودعوتها لعقد هذا المؤتمر ثم حرصها على أهمية الوصول الى قرار عاجل ، وعزمها على اتخاذ قرارها اذا لم يتوصل المؤتمر الى اتفاق سريع يوضح أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت اتخاذ موقف معين ، لكنها لأسباب مختلفة رأت مصلحة فى عرض ما أضمرته على مؤتمر يضم كل الأطراف المعنية ، فليس أمرا طبيعيا أن تدعو الحكومة البريطانية الى مؤتمر ثم تعلن قبل عقده عن عزمها على اتخاذ قرارها اذا لم يتوصل المؤتمر الى اتفاق الا اذا كانت فعلا عازمة على اتخاذ سياسة محددة أو شبه محددة .

ويتأكد هذا المعنى من فقرات وردت فى خطاب وزير المستعمرات الذى القاه فى مجلس العموم فى ٢٤ نوفمبر ١٩٣٨ أشار فيه الى أمله فى أن يشرع فى هذه المباحثات قبل عيد الميلاد ، فاذا تعذر ذلك فهو يأمل أن يتم فى أوائل يناير ١٩٣٩ على الأكثر ، وانه متأكد ان اعضاء المجلس لن ينتظروا

منه أن يدلى بمزيد من القول خاصا بالسياسة التى ستنتهجها الحكومة خلال المباحثات (٩٢) .

فلقد كان هناك اقتناع لدى البريطانيين فى ذلك الوقت بأن فكرة الوطن القومى قد تحققت ، وان بريطانيا وان كانت غير مستعدة لترك الصهيونيين وحدهم فى مواجهة العرب قبل أن تطمئن تماما على قدرتهم على المواجهة ، لكن المصالح البريطانية بعد أن توتر الموقف الدولى أصبحت فى حاجة الى موقف بريطانى جديد يعطى قدرا من الاستجابة لمطالب عرب فلسطين ، ويمتص شيئا من غضبهم وثورتهم ، ويخفف من تلك الآثار التى أحدثتها الثورة ومشروع التقسيم فى العالم العربى والاسلامى ،ويهيىء الجو للمسئولين والحكام العرب لتبنى سياسة متعاطفة مع بريطانيا عندما تضطرب الأحوال وينفجر الموقف الدولى . ولعل ذلك يفسر حرص الحكومة البريطانية على دعوةعدد من الأقطار العربية لحضور ذلكالمؤتمر والمشاركة فى ذلك الحوار الذى سيدور حول قضية .

واخذت الاتصالات تجرى بين الحكومة البريطانية والحكومات العربية بشأن عقد المؤتمر ، ووجهت الدعوة خلالنوفمبر ١٩٣٨ الى حكوماتالعراق ومصر واليمن والمملكة العربية السعودية وشرقى الأردن ، وأما بالنسبة لفلسطين فلم توجه الدعوة الى اللجنة العربية العليا لأنها كانت فى نظر الحكومة البريطانية هيئة غير شرعية ، وحاولت فى بادىء الأمر فرض ممثلى فلسطين فرضا ، فقد أخذ المندوب السامى يفاتح بعض الأشخاص فى الموضوع ، واوعز لحكام البلاد باستطلاع راى الجماهير ، فكانت الاجابات شبه متفقة على الثقة فى المفتى واللجنة العربية العليا ، فاتجهوا الى بعض الحكام العرب لمساعدتهم فى اختيار ممثلى عرب فلسطين حتى يمكن توجيه الدعوة اليهم بأشخاصهم ، وأصروا على أن يكون بينهم بعض ممثلى حزب الدفاع .

ووقف المفتى ومن معه من أعضاء اللجنة العربية العليا موقفا قويا ، واصروا على أن يكون ذلك من حق اللجنة وحدها بعد أن انسحب ممثلو حزب الدفاع من اللجنة قبل نشر تقرير اللجنة الملكية ، وجرت مراسلات مع اللجنة فى الموضوع خاصة من الملك عبد العزيز آل سعود الذى الح على المفتى للتساهل ، لكن اللجنة العربية أصرت على موقفها ، فأعلنت

الحكومة البريطانية أن اختيار ممثلى عرب فلسطين متروك للعرب أنفسهم، واطلقت سراح المنفيين فى سيشل ، ويسرت نقلهم الى بيروت حيث يقيم المفتى ، واجتمعت اللجنة لاختيار أعضاء الوفد ، واتفق على أن يشارك أعضاء اللجنة جميعهم فى الوفد مع ضم موسى العلمى وأمين التميمى وجورج انطونيوس ، لكن المفتى اعتذر وعين جمال الحسينى نائبا عنه ، ويعتقد أن ذلك كان راجعا الى اصرار الحكومة البريطانية على عدم اشتراكه فى الوفد .

ونظرا لأن تلك الحكومة لم تكن قد صرفت النظر عن تمثيل رجال المعارضة فى الوفد ، فقد دعت الى لندن وفدا من رجال حزب الدفاع مؤلفا من راغب النشاشيبى وسليمان طوقان وعادل الشوا ويعقوب فراج وفخرى النشاشيبى .

وقررت اللجنة العربية العليا انسحاب وفدها من المؤتمر اذا أصرت الحكومة البريطانية على ضم بعض رجال الحزب الى الوفد ، لكنها عادت ووافقت بعد اتصالات جرت معها على اشتراك راغب النشاشيبى ويعقوب فراج فى الوفد (٩٣) .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد اثير الموضوع مرة أخرى فى لندن قبل عقد المؤتمر ، حيث طالب رجال حزب الدفاع بأن يمثلوا فى الوفد بعدد مساو لرجالات المفتى ، وتأخر عقد المؤتمر عدة أيام حتى تم الاتفاق على ضم أربعة ممثلين من الحزب الى الوفد ، اثنين منهم بصفة مفاوضين واثنين كمستشارين (٩٤) .

واصبح ممثلو عرب فلسطين فى المؤتمر هم : جمال الحسينى ، أمين التميمى وجورج انطونيوس ، عونى عبد الهادى ، موسى العلمى ، الفرد روك ، يعقوب الغصين ، فؤاد سابا ، راغب النشاشيبى ، لكن الأخير تخلف عن حضور المؤتمر لمرضه (٩٥) .

ورغم ماقد يؤخذ على موقف أمين الحسينى بالذات من اصرار على عدم اشراك ممثلى حزب الدفاع الوطنى فى الوفد الفلسطينى ، فيعتقد أن هذا الموقف كان تعبيرا صادقا من أمين الحسيني عن مواقف الجماهير ومشاعرها .

ولم يكن ذلك هو الموضوع الوحيد الذى أثارته اللجنة العربية العليا قبل حضورها المؤتمر ، فقد طالبت بضرورة الاتفاق مع الحكومة البريطانية على الأسس التى تجرى المفاوضات على أساسها ، وأثارت الحكومتان المصرية والعراقية هذا الموضوع مع الحكومة البريطانية ، لكنها رفضت الارتباط بأى موقف مسبق (٩٦) .

وتروى رسالة شخصية من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى فى ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ ان برقية أرسلت من الرياض الى اللجنة العربية العليا فى بيروت تؤكد أن أسس المفاوضات لا يمكن تحديدها الا فى لندن ، وانه ليس للعرب الا أن يشتركوا فى المؤتمر غير مقيدين بأى قيد ، وانه ليس من الانصاف أن يطلب من بريطانيا أن تقيد نفسها بشىء قبل عقد المؤتمر ، ويرجع دروزة هذا الموقف من بريطانيا الى خوفها من اليهود وحرصها على المساومة (٩٧) .

واتفقت الحكومات العربية على اجتماع ممثليها فى القاهرة قبل سفرهم الى لندن ومعهم وفد عرب فلسطين ليتفقوا على الخطة التى يسيرون عليها ، واجتمعوا فعلا باستثناء توفيق أبو الهدى رئيس الوزارة الأردنية، واتفقوا على الا يجلسوا مع اليهود على مائدة واحدة وأن يرتبطوا بالميثاق الفلسطينى ، أى وقف الهجرة وبيع الأراضى ، وقيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة ، وأن يضمن لليهود حقوقهم السياسية والمدنية ، ويكون للبلديات استقلال فى الشئون المحلية ، وتكون اللغة العبرية لغة ثانية فى مناطق اليهود (٩٨) .

وافتتح مؤتمر لندن صباح ٧ فبراير ١٩٣٩ واستمر حتى ١٧ مارس ١٩٣٩ ، وعقد خلال تلك الفترة أربعة عشر جلسة ، ونتيجة لرفض الوفود العربية الجلوس مع الوفد الصهيونى على مائدة واحدة كان الوفد البريطانى يجتمع مع الوفود العربية فى الصباح ومع وفد الصهيونى فى المساء . ورأس الوفد البريطانى المستر تشمبرلن الذى أعلن فى افتتاحه للمؤتمر ان وفد بلاده لن يقدم أى أسس للمباحثات قبل أن تتاح للعرب واليهود فرصة تامة لعرض قضيتهم .

والقى رؤساء الوفود العرب كلمات افتتاحية خلال الجلسات الست الأولى للمؤتمر ، وهى كلمات تتراوح بين الاتزان كما عبرت كلمتا الأمير

محمد عبد المنعم وتوفيق أبو الهدى ، وبين الاعجاب والمجاملة للبريطانيين كما ورد فى كلمتى الأمير سيف الاسلام الحسن ونورى السعيد ، وبين الصراحة المستحبة كما ورد فى كلمة الأمير فيصل ، ولكن ليس معنى ذلك أن هؤلاء الرؤساء لم يطالبوا بحقوق عرب فلسطين ، لقد فعلوا ذلك بطريقتهم الخاصة ، وعبر أكثرهم عنها لكن على استحياء ، فهم متعاطفون مع العرب ، لكنهم حريصون فى نفس الوقت على ارتباطهم ببريطانيا وعدم أخذ مواقف معادية لها .

وشارك فى المناقشات بعض أعضاء الوفود العربية : على ماهر وعبد الرحمن عزام وجورج انطونيوس ، فقد القى على ماهر بيانا فى الجلسة التاسعة كان تعبيرا عن الدبلوماسية الواعية التى تعرف مايقال وما لا يقال وما هو الوقت المناسب للتحرك فقد القى بيانه فى وقت كان المؤتمر قد وصل فيه الى نقطة التقاء تسمح بامكان الاتفاق فوقف محاولا دفع المؤتمر الى الامام ، وطالب بحل سريع واضح وحاسم خاصة فى ظروف التطورات الدولية السريعة ، وأشار الى أهمية فلسطين بالنسبة لمصر والعالمين العربى والاسلامى ، وطالب بحل يكفل لجميع اليهود حقوقا متساوية مع أهل البلاد ، ولبريطانيا مصالحها الجوهرية والح على الحكومة البريطانية بوجوب اقامة دولة مستقلة فى فلسطين، وأعلن استعداد العرب لاقناع عرب فلسطين بقبول كل الضمانات والمصالح المعقولة .

وأما بالنسبة للوفد الفلسطينى ، فقد تحدث باسمهم طوال المؤتمر جمال الحسينى ، وقد أحسن عرض القضية ، وكان واضحا وحاسما ومعبرا عن مطالب عرب فلسطين :

(أ) الاعتراف بحق العرب فى الاستقلال .

(ب) انهاء تجربة تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين .

(ج) الغاء الانتداب واستبداله بمعاهدة .

(د) وقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي وقفا باتا سريعا .

لكنه اكد فى نفس الوقت استعداد العرب للتفاوض لتأمين المصالح البريطانية المعقولة وحماية جميع الحقوق المشروعة للاقلية اليهودية أو أية

اقلية أخرى فى فلسطين ، ولم يكن جمال الحسينى متعنتا أو جامدا طوال جلسات المؤتمر ، بل كان مرنا مستعدا للتفــاهم بشرط تحقيق الاســتقلال لعرب فلسطين . حتى انه رحب بتولى الدول العربية المجاورة وبريطانيــا العظمى معا ضمان مركز الأقليات فى فلسطين ، وكان لبقا قادرا على احراج خصومه البريطانيين، فعندما لاحظ فى الجلسة العاشرة أن المستر ماكدونلد أفاض فى ذكر مزايا الهجرة اليهودية بالنسبة للعرب رد عليه قائــلا « ان المستر ماكدونلد قــد اغرق فى حماسته للمزايا العظيمة التى جاءت بهــا الهجرة اليهودية الى فلسطين حتى جعل العرب يبدون كأنما ينقصهم الفهم أو الادراك لمــا هو خير لهم او ليس بخير لهم ، وقد قيل لهم انه لولا الهجرة لمــا كانت لهم اليوم قدرة شرائية ، وكاد يقال لهم انه لولا الهجرة لمــا كان لهم أطفال » بل انه استطاع بمنطقه أن يجعل المستر ماكدونلد يعترف بنصيب بريطانيا فى تدهور الأوضاع فى فلسطين ، فعندما ورد فى بيــان المستر ماكدونلد انه مامن عربى اكره على بيع الأرض لليهود رد عليه جمال الحسينى بأنه موافق على أنه ليس ثمة اكراه بالمعنى القــانونى ، ولــكن اذا احيط بكل العوامل الخاصة بالموضــوع فانه يتضــح أن العرب اكرهوا على بيع أراضيهم وانه على فرض أن العرب كانوا راغبين فى البيع « فقد جاء وقت كان يجب فيــه على الحكومة أن تتدخل كما فعلت فى مصر وفى كينيا وفى السودان لمنع بيع الأراضى . ويجب أن يقال انه فى الحالات التى حصل فيها البيع لليهود من ملاك كبار لم يكن المستأجرون العــرب مسئولين عن البيع ، ولــكن الحكومة كانت مسئولة عن طردهم بصفتهم مستأجرين » .

بهذا المنطق الواضح المقنع كان جمال الحسينى يتكلم طوال جلسات المؤتمر ، وبهذه الموضوعية كان يرد على الساسة البريطانيين ويناقشهم ويقنعهم ، لــكنهم فى النهاية ومهما كان اقتناعهم ببعض الحقوق العربيــة كانوا مرتبطين بسياسة تخدم اهدافهم ومصالحهم ، ولم يكونوا مستعدين للتراجع الا بالقدر الذى يحفظ لتلك المصالح كيانها واستمرارها .

وكعادة الدبلوماسية البريطانية عندما تنطلق دائما من درجة محدودة ثم توافق شيئا فشيئا على بعض المطالب وكأنها تتنازل عن حقوق لها ،فقد أعلن ماكدونلد فى الجلسة السابعة ان الحكومة البريطانية تقبل المبــادىء الآتيــة : —

١ — أن لا يكون هناك دولة يهودية .

٢ — أن لا يبقى الانتداب الى الأبد .

٣ — ان النية متجهة الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة .

لكن جمال الحسيني سرعان ماعلق بأن هذا الكلام ليس فيه جديد وانه لايدفع بالموضوع خطوة واحدة الى الامام .

وفي الجلسة التالية وبعد مناقشات عديدة أعلن ماكدونلد أن الحكومة البريطانية توافق على حق أهالي فلسطين في الاستقلال ، لكنها لا توافق في الوقت الحاضر على فكرة أن يكون للاغلبية العربية الصوت الأعلى في الحكومة .

وبدأ ماكدونلد يقدم بعض الاقتراحات في الجلسة الحادية عشرة ليستكشف بها جو المؤتمر ، فقد اقترح أن تعلن الحكومة البريطانية عزمها على انهاء الانتداب في الوقت المناسب وأن تقوم مقامه دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة ، لكن وضع النظام الدستوري وأحكام المعاهدة يحتاج الى هيئة تؤلف لهذا الغرض مما يجعل الحكومة البريطانية في حاجة الى مدة معقولة لتستعد للبحث في تفاصيل الموضوع ، ولهذا اقترح ماكدونلد أن يدعى الى مؤتمر مائدة مستديرة أخرى للاجتماع في لندن في اواخر ١٩٣٩ نوكل اليه هذه المهمة . وأما عن موضوع الهجرة فقد اقترح أن تحدد النسبة التي لايجوز تجاوزها في آخر السنوات الخمس . وأما عن الأراضي فقد قال أن الحكومة « ترى أن الوقت قد حان لتقييد بيع الأراضي لليهود » .

وتكلم جمال الحسيني في الجلسة التالية فأثار عدة نقاط ردا على مقترحات ماكدونلد :

أولا : ان المؤتمر الحالي يستطيع أن يضع قواعد الاستقلال للدولة الفلسطينية بدلا من تأجيل بحثها الى نهاية العام ، وانه من اليسير بعد ذلك الاتفاق على المسائل الدستورية .

ثانيا : انه ليس من الطبيعى أن تضع الدستور لحكومة مستقلة هيئة مؤلفة من بريطانيين وعرب ويهود ، وأن يضع شروط المعاهـــدة المنتظرة أناس تعينهم الحكومة البريطانية تعيينا .

ثالثا : ان الوفد العربى الفلسطينى لا يقبـــل أى زيادة فى عـــدد السكان بواسطة الهجرة ، وانه يصر على وقف الهجرة ونقل ملكيةالأراضى الى اليهود .

واقترح تشكيل حكومة مؤقتة تكون مهمتها دعوة جمعية منتخبـــة تمثل أهالى فلسطين تتولى اعداد الدستور ، وأن يشتمل هـــذا الدســـتور على الضمانات التى يتفق المؤتمر عليها .

وعقب ماكدونلد على ذلك بأنه لا يرى فى ملاحظات جمـــال الحسينى تقدما نحو التسوية المنشودة ، واقترح تشكيل لجنة محدودة للنظر فى تلك الاقتراحات ، فوافق المؤتمر على تشكيل لجنة باسم « اللجنة السياسية » وطمأن ماكدونلد أعضـــاء الوفود على التزام الحكومات البريطانية المختلفة بما يتوصل اليه المؤتمر .

وفى الجلسة الثالثة عشرة قدم ماكدونلد اقتراحات نهائية من الحكومة البريطانية ، وأوضح أنه اذا لم يتم الاتفاق سريعا فان الحكومة البريطانية ستضع اقتراحاتها فى هذا الشأن وتعلنها فى الأسبوع التالى فى البرلمان .

وكانت خلاصة تلك الاقتراحات كما يلى :

أولا : المسألة الدستورية

١ — ان غاية الحكومة البريطانية هى اقامة دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة ، وقد تكون هذه الدولة ذات صبغة اتحادية .

٢ — انه ليس من أغراض الحكومة أن تصبح فلســـطين دولة يهودية أو عربية ، ويشارك العرب واليهود فى الحكومة بما يضمن لكل منهما مصالحه الجوهرية .

٣ — يوضع الدستور فى الوقت المناسب بواسطة جمعية وطنية من أهالى فلسطين منتخبة أو معينة ، ويكون للحكومة البريطانية ممثلوها ،

٤ — سبق اقامة الدولة المستقلة فترة انتقال تحتفظ فيها الحكومة البريطانية بمسئوليتها عن الحكومة .

٥ — يمنح اهالى فلسطين نصيبا متزايداً فى الحكومة عند استقرار الأمن والنظام ، ويكون ذلك على مرحلتين .

٦ — يجرى خلال سنتين — اذا سمحت ظروف فلسطين — انتخابات لمجلس تشريعى يكون تشكيله واختصاصه موضع بحث ومشاورة بين الأحزاب المختلفة ، ولا يتيسر من الآن تعيين وقت للانتقال من مرحلة الى اخرى فى فترة الانتقال كما لايتسنى تحديد نهاية تلك الفترة أو تحديد وقت لقيام الدولة المستقلة وأن كان يرجى أن يتم ذلك خلال عشر سنوات ، وان ذلك يتوقف على استقرار الأوضاع فى فلسطين ومدى نجاح التغييرات الدستورية « وليس فى وسع حكومة جلالته أن تفكر فى التخلى عن مسئوليتها عن حكومة فلسطين ، الا اذا وثقت ان مدى الاتفاق بين الطوائف المختلفة فى فلسطين يسمح بامكان قيام حكومة صالحة » .

ثانيا : الهجرة

١ — تكون الهجرة خلال السنوات الخمس التالية بنسبة ترفع عدد يهود فلسطين الى ثلث سكانها تقريبا — بشرط أن تسمح قدرة البلاد بذلك — ويمكن السماح خلال تلك السنوات بدخول خمسة وسبعين الف يهودى .

٢ — يكون المندوب السامى صاحب السلطة فى تقرير ماتسمح به قدرة البلاد بعد ان يستشير فى ذلك ممثلى العرب واليهود .

٣ — لايسمح بالهجرة اليهودية بعد انتهاء تلك السنوات الا بموافقة العرب واليهود والسلطات البريطانية .

ثالثا : بيع الأراضى

يخول المندوب السامى سلطة منع بيع الأرض وتنظيمها ، وتعين مناطق يسمح فيها بحرية بيع الأراضى ، أو بيعها بقيود ، أو يحرم بيعها ، ويستمر ذلك طيلة فترة الانتقال .

وفى الجلسة الرابعة عشر والأخيرة التى وفد فلسطين والوفود العربية بياناتهم الختامية ، وكانت ملاحظات جمال الحسينى على المقترحات البريطانية كما يلى :

أولا : المسألة الدستورية

يقبل الوفد الفلسطينى مبدأ فترة الانتقال بشرط تعيين مدة محددة لها.

ثانيا : الهجرة

يرحب الوفد باعتراف الحكومة البريطانيـــة « بأن من الواجب أن تنتهى هجرة اليهود الى فلسطين » لـــكنه يرى « أن عدد السكان الحـــالى أكثر مما تستطيع البلاد احتماله » .

ثالثا : الأراضى

يرى الوفد أن هناك ضرورة فى تحريم بيع الأراضى لليهود ، خاصـــة وأن الأراضى التى يملكها العرب لاتكفى لسد حاجة نصـــف الزراع العرب طبقا لمـــا أوضحته اللجنة الفنية ، كما أن اليهود يملكون مساحات كافية غير مستغلة .

وأما كلمات ممثلى الوفود العربية فى نهاية الأمر فقد دارت حول تأييد موقف عرب فلسطين ، والالحاح على الحكومة البريطانية لتعديل سياستها، والرجاء فى أن تظل العلاقات الطيبـــة قائمة بين بريطانيا والدول العربية جميعها . ولم ينس الأمير سيف الاسلام الحسن ان يشكر بريطانيـــا على دعوتها اليمن للمشاركة فى مداولات المؤتمر ، وأن يشكرها كذلك على الروح التى سادت المباحثات مؤكدا أنه مهما تكن النتيجة التى يتمخض عنها المؤتمر فانها لن تؤثر فى تقديره لهذه الروح الرائعة (٩٩) .

تلك هى الجلسات الرسمية التى عقدها مؤتمر فلسطين فى لندن فى أوائل عام ١٩٣٩ والتى انتهت بعدم آمكان التوصل الى اتفـــاق لتســـوية القضـــية ، وقبل أن أناقش أسباب فشل المؤتمر يحسن الاشارة الى نقطتين هامتين :

الأولى : أن جمال الحسينى وبعض المندوبين العرب أثاروا فى جلســـات

المؤتمر الأولى موضـــوع مراسـلات الحسـين مكماهــون ، وأكـدوا دخول فلسطين ضمن المنطقة التى طلب الشريف حسين منحها الاســتقلال بعد الحرب ، فتقرر فى الجلسة السادسة للمؤتمر تشكيل لجنة لدراســة تلك المـكاتبات وتقديم تقرير الى المؤتمر بشأنها ، وقــد شكلت اللجنــة المذكورة من نورى السعيد وعبد الرحمن عزام وعونى عبد الهادى وموسى العلمى وجورج انطونيوس ممثلين عن الوفود العربية ، واللورد موم قاضى القضــاة بانجلترا وأحد المستشــارين القضــائيين من وزارة الخارجيــة البريطانية ممثلين للحكومة البريطانية ، وعقــدت اللجنــة أربع اجتماعات بمجلس اللوردات حيث درست تلك المكاتبات وما يتعلق بها من وثائق ،لكن اعضاء اللجنة لم يستطيعوا الوصول الى اتفاق على تفســير المـكاتبات ، وان كان مندوبا بريطانيا قد أبلغا المندوبين العرب أن حجة العرب كمــا شرحت للجنــة « ولا سيما فيما يتعلق بمعنى عبارة أجزاء من بلاد الشــام واقعة الى الغرب من ولايات دمشق وحمص وحماة وحلب لهــا من القوة اكثر مما كان يبدو من قبل » كما وافق المندوبان « على أن فلسطين كانت داخلة فى المنطقة التى طالب بها الشريف حسين فى كتابه المؤرخ فى ١٥ يونية ١٩١٥ ، وانه مالم تكن فلسطين قد استثنيت فيما بعد من هذه المنطقة فانه يجب عدها داخلة فى المنطقة التى تعهدت بريطانيا العظمى بالاعتراف بالاستقلال العربى فيها وتأييده ، وهم يذهبون الى أن التفســير الصحيح للمكاتبات يجعل فلسطين مستثناة ولــكنهم يعترفــون بأن العبــارة التى تضمنت هذا الاستثناء لم تكن محددة صريحة ولا غير قابلة للخطــأ كما ظن وقتهــا » .

وقد عرضت اللجنة فى بحثها الى « اتفــاق سايكس بيكو » والى « تصريح بالفور » والى « رسالة هوجارث » والى « التصريح للسبعة » والتصريح البريطانى الفرنسى فى ٧ نوفمبر ١٩١٨ وغيرها ، ورأت اللجنة أنه ليس من اختصاصها ابداء رأى فى التفسير الصحيح لتلك البيانات ، لــكن أهم ماانتهى اليه بحث اللجنة هو قولها فى نهاية تقريرها المقدم الى مؤتمر لندن والذى اعتبر وثيقة رسمية صــادرة عن المؤتمر « على أن من رأى اللجنــة مع ذلك أن من الجلى من هذه البيانات ان حكومة جلالته لم تكن حرة فى التصرف فى فلسطين بدون مراعاة لرغبات أهالى فلســطين ومصالحهم ، وان هذه البيانات يجب أن تدخل فى الحساب عنــد محاولة

تقدير المسئوليات التى احتملتها حكومة جلالته حيال هؤلاء الأهالى كنتيجة للمكاتبات كائنا ماكان تفسيرها » (١٠٠) .

وأما النقطة الثانية المتعلقة بهذا المؤتمر فهى خاصة بتلك المباحثات الجانبية التى دارت يومى ٢٣ ، ٢٤فبراير بين بعض المندوبين العرب واليهود تحت رعاية الحكومة البريطانية ، والتى اعتذر وفد عرب فلسطين عن حضورها ، ولم يتمكن المجتمعون من تحقيق أية نتيجة .

ذلك هو مؤتمر فلسطين الذى انتهى بالفشل ولم يحقق نتائج ايجابية بالنسبة للقضية الرئيسيه ، ولا أظن أن الحكومة البريطانية كانت تنتظر منه أن يحقق تلك النتائج ، فتقارير خبرائها تؤكد استحالة التوفيق بين المطالب العربية والصهيونية ، والصهيونيون يؤكدون ويعلنون فى مؤتمراتهم وتصريحاتهم انهم لا يقبلون بأى حال أن يظلوا أقلية فى البلاد أو أن تسيطر الأغلبية العربية على مقدراتهم ، واذا كان الوطن القومى اليهودى قد أقيم فعلا فان بريطانيا لايمكن أن تترك هذا الكيان دون تدعيم ومساندة حتى يستطيع الاعتماد نسبيا على قواه الذاتية ، وبالاضافة الى ذلك فان نذر الحرب العالمية الثانية كانت قد تتابعت ولابد أن تستفيد دول الحلفاء من الصهيونية العالمية ، لكن المصالح البريطانية فى نفس الوقت كانت تحتاج الى شىء من الموازنة ــ ولو من الناحية الشكلية ــ بالنسبة لعرب فلسطين تبدو فيها بريطانيا وكأنها حريصة على حل القضية وتسوية الموقف، ويظهر فيها عرب فلسطين بمظهر المتشددين فيفقدون شيئا من تعاطف المسئولين العرب وتأييد الجماهير العربية ، لكن ممثلى عرب فلسطين فى المؤتمر ارتفعوا الى مستوى الموقف ، ودافعوا عن مطالب شعبهم ، ولم يساوموا أو يزايدوا بل انهم ابدوا فى نفس الوقت مرونة واستعدادا لتأمين المصالح البريطانية المعقولة وحماية جميع الحقوق المشروعة لليهود ، ولا يمكن أن يطلب منهم أكثر من ذلك ، ولو كانت القضية قائمة بينهم وبين البريطانيين فقط لكان من المحتمل أن يتغاضوا مؤقتا عن بعض المطالب على أمل أن يستعيدوها فى المستقبل ، لكن التنازل عن بعض الحقوق للصهيونيين يعنى ضياع ذلك الحق الى الأبد ، ولا يمكن أن يكون تقديرنا لهذا الموقف موضوعيا اذا كانت نظرتنا منطلقة من تطورات القضية الفلسطينية فيما بعد ، فموقف عرب فلسطين فى المؤتمر كان موقفا طبيعيا

ومعبرا عن رأى عرب فلسطين ، حتى أننا نجد شخصية معتدلة مثل على ماهر يشير الى هذا الموقف فى كلمته الختامية التى القاها باسم الوفد المصرى « أما من الناحية العربية فان الوفد الفلسطينى لم يقصر فى اظهار روح التساهل ، وقد أثبت انه مستعد لأن يقبل كل ضمان معقول لجالية يهودية ممتازة » (١٠١) .

والحق أنه لم يكن فى المقترحات البريطانية مايشجع على قبولها لسببين : —

أولا : أنه ورد بها « ان غاية حكومة جلالته هى أقامة دولة فلسطينية مستقلة قد تكون ذات صبغة اتحادية » فليس هناك استعداد للاعلان عن قرار للحكومة البريطانية ، وانما هى غاية وليست قرارا أو التزاما وهى كلمات ما أسهل تفسيرها وتبريرها فى الوقت المناسب ، كما أن عبارة « ذات صبغة اتحادية » معناها احتمال وجود ولاية يهودية داخل الدولة وهو ماكان يرفضه عرب فلسطين .

ثانيا : ان حكومة بريطانيا لم تحدد وقتا معينا لانهاء فترة الانتقال واقامة تلك الدولة ، وانما هى « ترجو أن يتسنى الفراغ من هذه المراحل كلها فى عشر سنوات ، ولكن هذا يتوقف على الحالة فى فلسطين وعلى مبلغ نجاح التغيرات الدستورية المختلفة فى فترة الانتقال ، واحتمالات التعاون المستمر فى الحكومة بواسطة أهل فلسطين ، وليس فى وسع حكومة جلالته أن تفكر فى التخلى عن مسئوليتها عن حكومة فلسطين الا اذا وثقت أن مدى الاتفاق بين الطوائف المختلفة فى فلسطين يسمح بامكان قيام حكومة صالحة » أى أنه لم يكن من المتوقع قيام تلك الدولة بعد أى مدى من السنين، لأن كلا من هذه الشروط التى كانت شرطا لقيام الدولة لا يمكن ضبطها أو ضمانها .

ونظرا لعدم الموافقة على المقترحات البريطانية ، فقد ادخل بعض مندوبى الدول العربية تعديلات عليها كان أهمها أن تؤسس حكومة فلسطينية مستقلة من وزراء فلسطينيين ، وان يوضع الدستور بواسطة جمعية فلسطينية منتخبة ، وتصبح فلسطين مستقلة استقلالا كاملا خلال عشر

سنوات ، واذا تعذر ذلك يعقد مؤتمر بريطانى فلسطينى عربى للنظر فى الأمر ، وأن تستمر الهجرة اليهودية بمعدل قدرة اثنا عشر الفا فى السنة لمدة خمس سنوات ثم توقف الهجرة نهائيا الا بموافقة العرب .

واجرت الحكومة البريطانية تعديلات على هذه المقترحات ، وارسلتها وزارة المستعمرات الى مصر كى تبحثها وفود الدول العربية التى كانت قد عادت الى بلادها ، فأجرت فيها تلك الوفود عدة تعديلات ، وبعد استشارة الوفد الفلسطينى واللجنة العربيــة العليا فى لبنان وضعت الوفود العربية صيغة جديدة أرسلت للحكومة البريطانية لــكنها لم تأخذ بهذه الصيغة ، واصــدرت الــكتاب الأبيض فى ١٧ مايو ١٩٣٩ متضمنا خطتها السياسية الجــديدة (١٠٢) .

الــكتاب الأبيض لعــام ١٩٣٩

ويتفق الــكتاب الأبيض فى خطوطه الرئيسية مع المقترحات الأخيرة التى قدمتها الحكومة البريطانية فى مؤتمر لندن مع زيادة او نقص فى بعض التفصيلات كما أنه ممتلىء بالعبــارات المطاطة غير المحددة التى تحمل أكثر من معنى ولا يمكن الالتزام بتنفيذها ، فعبارة « ان الهدف الذى ترمى اليــه حكومة جلالته هــو أن تشــكل خلال عشر ســنوات حكومة فلســطينية مستقلة ... » تعنى أن هنــاك هــدفا قابلا للتحقيق او عدمه ، وليس هنــاك التزام محدد قبل بريطانيا ، وعبارة « حالمــا يتوطد الأمن والنظام فى فلسطين توطيدا كافيا تتخذ التدابير لتنفيذ هذه السياسة الا وهى سياسة اعطاء أهل فلسطين نصيبا متزايدا فى حكومة بلادهم » هى عبارة فضفاضة لــكنها فى الحقيقة قد لا توضع موضع التنفيذ أبدا ، لأن توطيد الأمن توطيدا كافيا فى بلد مثل فلسطين مسألة لا يمكن ضمانها ، كما انه يمكن لفرد واحد أن يعطل تنفيذها ، وحتى لو تحقق المستحيل وتوطد الأمن توطيدا كافيــا فمن الممكن للحكومة البريطانية الا ترى فيه ذلك ، أو ترى فيه هدوءا قــد يسبق العاصفة مثلما تعــودنا فى بعض مواقف الحكومة البريطانيــة فى فلسطين ، وعبــارة « ان حكومة جلالته لاتتقــدم فى هــذه المرحلة باية مقترحات حول تشكيل هيئــة تشريعية منتخبة . ولــكنها على الرغم من ذلك تعتبر هــذا الأمر تطورا دستوريا فى محله ، واذا أعرب الرأى العام فى فلسطين فيما بعد عن تحبيذه لمثل هذا التطور تكون حكومة جلالته مستعدة

لتشكيل الاداة اللازمة بشرط ان تسمح الأحوال المحلية بذلك » قد يترتب على تنفيذها مثلا ان يطلب العرب تشكيل هيئة تشريعية ولا يطلب اليهود ذلك فيتعطل تشكيل الهيئة لأن جزءا من الرأى العام لايطلب هذا التشكيل ، كما أن ربط تشكيل الأداة اللازمة بسماح الأحوال المحلية معناه الاعتماد على حائط مائل يستحيل ضمان استمراره . الى غير ذلك من تلك العبارات التى تعنى فى النهاية أن اقدار الفلسطينيين متروكة لمهب الرياح ، وان كيانهم لايستند الى أساس راسخ وان مستقبلهم مرهون بتقديرات البريطانيين للموقف .

وأما ما جاء خاصا بالسماح بادخال ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودى فقط خلال خمس سنوات وعدم زيادة عدد السكان اليهود فى فلسطين الا الى مايقرب من ثلث مجموع السكان فانه يمكن عن طريق الهجرة غير المشروعة ان يتحلل منه .

كما ان منح سلطات للمندوب السامى تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضى حتى فى حالة تنفيذه والالتزام به لم يكن ليؤثر كثيرا على الكيان الصهيونى فى فلسطين لأن مساحة كبيرة من اخصب أراضى البلاد كانت قد وقعت فعلا فى يد الصهيونيين ، كما انهم كانوا يمتلكون فى ذلك الوقت مساحات كافية لم يستغلوها بعد .

ومهما كان الأمر بالنسبة لسياسة الكتاب الأبيض ، فقد عرض على مجلس العموم فى ٢٢ و٢٣ مايو وتلخص دفاع وزير المستعمرات عنه فى انه خير وسيلة للوفاء بتعهدات بريطانيا للعرب واليهود معا ، ولصيانة المصالح البريطانية بالمحافظة على صداقة العرب وتأمين خطوط المواصلات الامبراطورية ، ودافع بعض النواب عن العرب مثل المستر كروسبى وناصر آخرون اليهود واعتبره المستر تشرشل تراجعا من بريطانيا أمام الارهاب العربى ، لكن مجلس العموم وافق على الكتاب بأغلبية ٢٦٨ صوتا ضد ١٧٩ (١٠٣) . كما وافق عليه مجلس اللوردات أيضا (١٠٤) .

والقى وزير المستعمرات البريطانى بيانا امام لجنة الانتدابات الدائمة فى ١٥ يونية ١٩٣٩ حول سياسة الكتاب الأبيض التى قررت الحكومة اتباعها وأوضحت لجنة الانتدابات فى تقريرها الى مجلس العصبة ان اربعة من اعضائها — وهم مندوبو بلجيكا وسويسرا وهولندا والنرويج —

« لا يشعرون بقدرتهم على القول بأن سياسة الكتاب الأبيض تتفق وصك الانتداب » وان الأعضاء الثلاثة الآخرين — وهم ممثلو بريطانيا وفرنسا والبرتغال — أعتبروا « ان الظروف السائدة تبرر سياسة الكتاب الأبيض بشرط ان لايعارضها مجلس العصبة » .

وكان تقرير لجنة الانتدابات الدائمة دليلا جديدا على قوة النفوذ الصهيونى فى تلك اللجنة فقد أجمع أعضاؤها على أن سياسة التقسيم التى جاء بها تقرير اللجنة الملكية والملاحظات التى وردت فى تقرير لجنة الانتدابات فى أغسطس ١٩٣٧ بشأن نظام المقاطعات لم تفقد شيئا من قوتها ، وتمنت اللجنة أن تعيد الحكومة البريطانية النظر فى تلك المقترحات (١٠٥) .

ويبدو أن موضوع تجاهل الدول الكبرى لقرارات المنظمات الدولية ليس شيئا جديدا فى عالمنا المعاصر ، فقد وردت العبارة التالية فى خطاب القاه وزير المستعمرات البريطانى مالكولم ماكدونالد فى مجلس العموم البريطانى بشأن موقف لجنة الانتدابات الدائمة من الكتاب الأبيض « وانى أؤكد للمجلس تأكيدا لا لبس فيه بأنه اذا توصل مجلس عصبة الأمم الى قرار من شأنه حسب رأينا أن يشتمل على ضرورة تغيير الانتداب فلن نتخذ فى حينه اجراءات لتنفيذ هذا التغيير الى أن تعطى للمجلس فرصة أخرى لدرس الموقف » وقد حدث بعد ذلك أن قامت الحرب العالمية الثانية ، ولم يعرض قرار لجنة الانتدابات على مجلس العصبة (١٠٦) .

وقد ذكر لى عونى عبد الهادى أن أعضاء الوفد العربى الفلسطينى رفضوا المشروع لأنهم طلبوا تشكيل الحكومة الفلسطينية منذ البدء بحيث يكون ثلثاها عربا والثلث الباقى يهودا بينما أصرت الحكومة البريطانية على تشكيل الحكومة الفلسطينية خلال فترة الانتقال وأن رأيه كان قبول الاقتراح البريطانى ، كما أن الدول العربية كانت تحبذ المشروع غير أنها اكتفت باسداء النصح لأنها كانت ترى أن تكون الكلمة الأخيرة فيه لعرب فلسطين أنفسهم (١٠٧) .

وكان رد فعل العرب بالنسبة للكتاب الأبيض متنوعا ، فقد كان قسم معين من الحكام راغبا فى قبوله وان كان متشككا فى صدق نية الحكومة البريطانية ، وأما القسم الآخر فقد قرر رفض تلك السياسة نظرا لعدم

تحقيقها آمال عرب فلسطين التى تمثلت فى الغاء تصريح بالفور والانتداب ومنح الاستقلال للبلاد (١٠٨) .

اما بالنسبة لردود فعل الكتاب الأبيض فى عرب فلسطين ، فيوضح تقرير مرسل من القنصلية المصرية بالقدس الى وزارة الخارجية المصرية فى ٢٢ يونيو ١٩٣٩ أن عرب فلسطين آثروا الهدو وضبط النفس ولم يتعرضوا للكتاب بخير او شر الى أن يسمعوا كلمة اللجنة العربية العليا وقرار مفتى فلسطين . وقيل فى هذا الصدد أن تفاؤل المفتى فى أول الأمر دفعه لأن يوعز الى أنصاره فى آخر أبريل ١٩٣٩ بالكف عن القتال ، فتمتعت البلاد فعلا بفترة سلام باستثناء بعض حوادث الاغتيالات التى ارتكبت باسم الثورة ، فلما صرح وزير المستعمرات فى مجلس العموم بأن الحكومة البريطانية قررت حرمان المفتى من حق العودة الى بلاده الى أجل غير مسمى انقلبت الأوضاع فى فلسطين ، وبدأ الثوار ينظمون انفسهم .

وأما بالنسبة لموقف اللجنة العربية العليا من الكتاب الأبيض ، فقد اصدرت بيانا فى ٣٠ مايو تضمن الملاحظات التالية : ـ

١ ـ ان الخطة السياسية للكتاب الأبيض لم تحقق مطالب العرب وانها احيطت بكثير من الغموض وعدم التحديد .

٢ ـ ان الاستقلال الموعود منوط بقيود تجعله اقرب الى الخيال منه الى الحقيقة .

٣ ـ ان الوطن القومى الذى هو أصل الداء مايزال قائما ويراد تثبيته .

٤ ـ ان الهجرة اليهودية مضمونة الاستمرار لخمس سنين تحت اشراف ادارة سبق ان ادخلت مئات آلاف المهاجرين وعشرات آلاف المهربين .

٥ ـ ان باب بيع الأراضى مازال مفتوحا وتحت رحمة الظروف والمندوب السامى واعتبرت اللجنة كل هذا تماديا فى التعنت وابتعادا عن الحل الجدى للمشكلة ، ومن اجل هذا فقد اعلنت باسم الشعب العربى فى فلسطين رفضها لهذه الخطة وعدم تعاونها مع الحكومة البريطانية فى تنفيذها لكن اللجنة العربية العليا لم تبين شكل وحدود عدم التعاون الذى ستنفذه مع الحكومة البريطانية .

وأما عن موقف حزب الدفاع الوطنى الذى يرأسه راغب النشاشيبى ، ويؤيده الانجليز بالمال والوسائل الأخرى فقد أخذ يسعى لجمع الأنصار ويروج للسياسة البريطانية الجديدة بمختلف الوسائل ، وكان راغب النشاشيبى يطمع فى أن يؤلف أول حكومة وطنية بعد انتهاء مدة الانتداب، وأعد حزبه بيانا بشأن موقفه من الكتاب الأبيض — رفضت الصحف العربية أن تنشره أو تشير اليه — أعلن فيه أنه يجد فى السياسة الجديدة للحكومة البريطانية أساسا صالحا للمستقبل رغم انه لا يحقق كل الأمانى الوطنية .

وأما عن موقف الجماهير فيوضح التقرير أن الظواهر تدل على أن العرب بعدما حل بهم من الكوارث وبعد أن اشتدت السلطة العسكرية فى وسائل القمع أصبحوا يميلون الى السلام والى الحياة الطبيعية .

وقد حدث فى الفترة الأخيرة بعد استشهاد عبد الرحيم الحاج محمد وابتعاد عارف عبد الرازق عن ميان القتال أن ضعفت المقاومة وبعدت الثورة عن أهدافها وأصبح أغلب حوادث الاغتيال يقع نتيجة للدوافع الشخصية أو الخصومات الحزبية وان كانت حركة الثوار قد نشطت بعض الوقت (١٠٩)

وتعطى رسالة شخصية مرسلة من عجاج نويهض الى عونى عبدالهادى فى ٢٦ مايو ١٩٣٩ شيئا عن أحوال العرب فى تلك الفترة « ... ان حالة الأهالى الحقيقية اصبحت بادية الانحلال والضعف . نهكت قواهم واضمحلت عزائمهم ... فالناس بلغ منها الضجر كل مبلغ ولا خلاف فى هذا بين المدينة والقرية والساحل والجبل والشمال والجنوب ، فطاقة الأهالى على السير السلبى لا أعتقد أن هناك واحد بالألف ممن يعتقد بها ، ولهذا يكون من الضرورى عند النظر فى الخطة المقبلة التى تعينها اللجنة العليا أن تأخذ بعين الاعتبار حالة البلاد الحاضرة » (١١٠) .

فى مثل تلك الظروف النفسية والاجتماعية والعسكرية السيئة قدر للثورة الفلسطينية أن تخبو دون اعلان وأن تنطفى دون تحقيق منجزات مباشرة ، ومع تدهور الموقف الدولى فقد بدأت نذر الحرب تشد اهتمامات الناس ، وتأجل البت فى القضايا المحلية والوطنية حتى تنتهى الحرب .

القيـــادة السياسية

كانت القيادة السياسية موجودة فى لبنان خلال المرحلة الثانيـــة من الثورة ، كما كان هناك لجنة مركزية فى دمشـــق تدعم الثورة وتوفر لهـــا أسباب النجاح والاستمرار ، وكان غالبية الرأى العام العربى فى فلسطين وقيادات الثوار تعترف بهذه القيـــادة ، لـــكن الحقيقة انه لم يكن هنـــاك تأثير فعلى لهـــذه القيـــادة على الثوار خلال تلك المرحلة باســـتثناء تقديم المساعدات أو التوصية بتنسيق الجهود أو تجنب الدخول فى معارك ثانوية أو متاهات جانبية بين بعض القيادات وبعضها أو بين بعضهم وعرب البلاد.

وتبدو هذه الحقيقة واضحة فى تلك الأعمال التى ارتكبها بعض الثوار والقيادات العسكرية العربية من اغتيال أو خطف أو طلب أموال دون مبرر الى غير ذلك من الأعمال التى اساءت للثورة وغلفت حركتها الثورية بأغلفة من السلب واللصوصية كانت الثورة ابعد ماتكون عنها .

وقد وجهت للقيـــادة السياسية اتهامات جديدة فى هذا الشأن تتعلق بدورها ومسئوليتها وتخطيطها لتلك الأحداث أو بعضها وكانت القيادة تنفى علاقتها بمثل تلك الأعمال ، لـــكن الاتهامات بقيت توجه وتثـــار بين حين وآخر ، واشارت اليها بعض المصادر الأجنبية (١١١) .

وقد كان مصدرى الاساسى لتبين الحقيقة فى هذا الصدد هو محمد عزة دروزة وقـــد رجعت اليه استفسر منه عن هذه النقط لا لأنه كان عضوا باللجنة العربية العليا التى قادت رسميا تلك الثورة ولا باعتباره كان مسئولا عن مركز ادارة الثورة فى دمشق فقط بل باعتباره ايضا واحدا من اخلص القيادات الوطنية فى تلك الفتره ، فذكر لى ان الاغتيالات فى المرحلة الثانية كانت مضخمة جدا وان اعداء الثورة فى الداخل والخارج لعبوا دورا كبيرا فى تضخيمها ، وان ماوقع من اغتيالات كان من واقع ظروف الثورة .

فلقد قام جمـــاعة حزب الدفاع الموالية للانجليز بسحب ممثليهم من اللجنة العربية العليا حتى لايرتطبوا برفض اللجنـــة لقرار التقسيم ، ثم حاولوا استغلال ماوقع بعد مقتل اندروز من حل اللجنـــة العربية العليـــا واللجان القومية والزج بفئات من اعضـــائها بالمعتقـــلات ليملئوا الفراغ السياسى ويتولوا قيـــادة العمل الوطنى ، لـــكن الجماهير كانت تعـــرف

مواقفهم المريبة، وحينما بدات بشائر استئناف الثورة صاروا يوعزون لرجالهم من مخاتير ووجوه القرى بوجـوب الوقـوف موقف الرفض للثورة وابلاغ السلطات عن الثوار اذا ذهبوا الى قراهم والامتناع عن تقـديم المساعدة اليهم ، وأن عددا من قادة الثورة مثل الشيخ عطية وابو ابراهيم الـكبير وعبد الرحيم الحاج محمد صـادفهم مثل هذا الجو ولم يتمكنوا من القيـام بعملياتهم ، فأوحى ذلك لقواد الثورة ان يضربوا بعض المنـاوئين لها فى بعض القرى ، وبدات الثورة تستعيد زمام الموقف لـكن بعض المنـاوئين استمروا فى موقفهم المعادى للثورة حتى وصل الأمر بهم الى تشكيل كتائب لمحاربتها بتمويل من الانجليز واليهود وادارة من فخرى النشاشيبى ، فأدى ذلك الى استمرار التنكيل بالمنـاوئين لـكن هذا كان محدودا ، وقد يكون هنـاك بعض أخطاء وقد تكون بعض الحوادث قـد وقعت بدافع الحزازات والوشايات الشخصية لـكن ذلك كان محدودا ولم يخرج بالثورة عن طريقها رغم أنه جزء من طبيعتها .

واما مايقال عن دور القيادة السياسية فى لبنان ودمشق فى عمليـة الاغتيالات فيؤكد دروزة أنه « افتراء لا اساس له من الحقيقة » (١١٢) .

وعندما عدت الى دروزة استفسر منه ثانية عن هذه النقطة كتب يقول « وفى صدد علاقة قيادة دمشق بالاغتيالات أقول وانا صـادق كل الصدق انه لم يكن لى أى تدبير ولا يد أو علم مسبق بأى حادث جرى فى فلسطين اثناء الثورة ، وليس عندى أى فكرة أو دليل ، ولا اظن بأنه كان يغرى من اشتغلوا فى قيادة الثورة فى دمشق ولبنان مثل ذلك التدبير والمبدأ » (١١٣).

ويعتقد فى صحة ماذكر دروزة فلم يكن أمين الحسينى — الذى يحظى باغلبية شعبية كبيرة — فى حاجـة الى القضـاء على خصومه ، ولم تكن طبيعة دروزة واخلاقيـاته تشجعانه على القيام بهذا الدور ، كما أن اللجنة المركزية للجهاد كانت تندد بمثل هذه الأعمال ببلاغات ترسلها الى القـواد العاملين الذين كانوا يذيعـون بيـانات يتبرئون فيهـا من تلك الأعمال ، ويحاسبون من يقترفونها (١١٤) .

القيـــادة العسكرية

كانت قيادات الثورة فى مرحلتها الثانيـة مقتصرة على الفلسطينيين وحدهم الذين كانوا كلهم أو غالبيتهم العظمى من الفـلاحين الـذين تولوا

القيـادة فى المرحلة الأولى من الثورة أو برزوا خلال معاركها ، ولا يعنى ذلك أن ثوارا من البـلاد العربيـة لم يشاركوا فى المرحلة الثانية ، وانما المقصود ان ايا من المجاهدين العرب الذين ذهبوا الى فلسطين من البـلاد العربية فى تلك المرحلة لم يتول القيادة العسكرية مثلما حدث مع فوزى الدين القاوقجى خلال المرحلة الأولى ، او حتى قيادة احدى مناطق الثورة .

ورغم مايذكره أحد المصـادر العربية من ان عبد الرحيم الحاج محمد تولى قيـادة الثورة فى المرحلة الثانيـة (١١٥) . فلم يحدث أن قائدا معينا تحمل وحده مسئولية القيادة العسكرية ، وانمـا كان هنـاك فى معظم المناطق قادة تحملوا مسئولية القيادة كل فى منطقته ، ولم يتح لتلك القيادات ان تنسق جهودها فى قيـادة مشتركة قبل أغسطس ١٩٣٨ عندما عقدت القيادات العسكرية مؤتمرا قررت فيـه تاليف قيـادة عامـة للثورة فى مناطق اواسط فلسطين مؤلفة من عبدالرحيم الحاج محمد وعارف عبدالرازق والشيخ يوسف أبو درة وابو خالد (١١٦) .

وكانت المنطقة الشمالية من فلسطين والممتدة من جنين الى العفولة فحيفا وعكا والناصرة وطبرية وصفد تحت قيـادة عدد من المشايخ من رجال القسام وتلامذته (١١٧) . وعلى رأسهم أبو ابراهيم الـكبير (خليل عيسى) من مزرعة القدس والذى كان يسانده ابو ابراهيم الصغير (توفيق الابراهيم) من اندور الناصرة وأبو على (سليمان العبد القـادر) من سمسم غزة ، وكانوا ثلاثتهم يتمتعون بصفات قيادية مميزة (١١٨) .

أما المنطقة الوسطى فكانت مقسمة الى أربع قيادات رئيسية :

١ ـ منطقة جنين الغربية : وكان يتولى القيادة فيها الشيخ عطية أحمـد من حيفا ، وبعد استشهاده تولى قيادة المنطقة يوسـف ابو درة من السيلة الحارثية .

٢ ـ منطقة جنين الشرقية : وكان يتولى القيـادة فيها محمد صالح العبد (ابو خالد) من سيلة الظهر ، وبعد استشهاده تولى القيادة الشيخ (أبو عمر) من نفس القرية .

٣ ـ منطقة طولكرم الشرقية : وكان يتولى القيادة فيها عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال) من ذنابة ، وبعد استشهاده تولى القيـادة لفترة معينة الشيخ أحمد محمد الحسين (أبو بكر) من برقه .

٤ — منطقة طولكرم الغربية : وكان يتولى القيادة فيها عارف عبدالرازق (ابو فيصل) من الطيبة (١١٩) .

وقد استشهد الشيخ عطية احمد قائد منطقة جنين الغربية فى معركة اليامون (١٢٠) . واستشهد عبد الرحيم الحاج محمد قائد منطقة طولكرم الشرقية فى ٢٥ مارس ١٩٣٩ (١٢١) ، واما عارف عبدالرازق فقد ظل يقود منطقته حتى مايو ١٩٣٩ عندما سافر الى العراق وأدلى بتصريح قال فيه ان الظروف العصيبة هى التى اجبرته على الابتعاد عن وطنه (١٢٢) ، واما يوسف ابو درة فقد استمر فى قيادته للمنطقة حتى اواخر الثورة ، واعتقل فى ١٢ اغسطس ١٩٣٩ بمدينة عمان وسلمته حكومة شرقى الأردن الى السلطة البريطانية فى فلسطين حيث حوكم امام محكمة عسكرية وصدر الحكم باعدامه ونفذ فيه (١٢٣) .

واما المنطقة الجنوبية فكانت مقسمة الى ثلاث قيادات رئيسية : —

١ — منطقة اللد : وتولى القيادة فيها الشيخ حسن سلامة (ابو على) من قضاء الرملة ، وقد تولى قيادة نفس المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية واستشهد قبيل دخول الجيوش العربية حرب ١٩٤٨ .

٢ — منطقة الخليل : وتولى القيادة فيها عيسى البطاط من قضاء الخليل، وبعد استشهاده تولى القيادة عبد الحليم الجيلانى (ابو منصور) من الخليل .

٣ — منطقة القدس : وتولى القيادة فيها عبد القادر الحسينى قائد منطقة لواء القدس وبطل معركة القسطل فى حرب ١٩٤٨ .

تلك هى مناطق الثورة الرئيسية الثلاث ، اما باقى المناطق مثل بئر السبع وغزة والمجدل فلم يبرز فيها قائد ذو شأن ، وكان ثوارها يأخذون توجيهاتهم من القيادات العامة فى المناطق القريبة .

ولم يعين اكثر هؤلاء القادة من قبل القيادة السياسية ، ولم تعترض اللجنة المركزية للجهاد على ذلك لكنها كانت تحاول توجيههم وحملهم على اللجوء اليها واعتبارها مرجعهم وكانت وسيلتها الى ذلك تلك المعونات التى كانت ترسلها اليهم والتى لم تكن وافية بالغرض ، لكن هؤلاء القواد لم

يتقيدوا بتعليمات اللجنة بل كان لبعضهم تصرفات غير سليمة لم توافق اللجنة عليها كما كان لآخرين أهواء ومصالح لاتتفق وأهداف الثورة (١٢٤) .

أما عن وسيلة الاتصال بين القواد العسكريين والقيادة السياسية فكانت تتم بواسطة الزيارات التى يقوم بها هؤلاء القواد لدمشق (١٢٥) . وكان يحدث أحيانا تبرم بعض قيادات الثورة وبين القيادة السياسية بسبب عدم حصول تلك القيادات على حاجتها من الأموال والعتاد ، لكن التبرم كان يزول عندما يعرف هؤلاء القواد ظروف القيادة السياسية ، كما كان يحدث أحيانا خلافات بل ومشادات بين قيادات المناطق بسبب تجاوز بعضهم لحدود مناطقهم أو غير ذلك من الاعتبارات ، وكانت القيادة السياسية تحاول التوفيق بينهم وتنجح بشكل نسبى (١٢٦) .

ورغم تاليف قيادة عامة للثورة فى المنطقة الوسطى من فلسطين فى نهاية صيف ١٩٣٨ ، لكن يلاحظ أن البيانات التى تصدرها تلك القيادة لم تكن منتظمة ، كما لم تكن صادرة من جهة محددة ، فأحيانا تصدر باسم عبد الرحيم الحاج محمد (١٢٧) . وأحيانا تصدر باسم ديوان عام الثورة (١٢٨) . وأحيانا تصدر باسم قيادة الثورة العامة فى فلسطين أو باسم قواد مناطق أخرى (١٢٩) . ويلاحظ على عدد من تلك البيانات أنها لم تكن فى مستوى بيانات المرحلة الأولى وان كانت تتم عن ادراك واع لأهداف الثورة وحرص بالغ على عدم تشويهها وأخذ مواقف حازمة وواضحة تجاه أى اساءة الى الثورة .

السلاح

كان الثوار يفتقرون بشكل واضح الى المعدات الأولية للمعارك ، كما أن سلاحهم لم يتحسن كثيرا خلال المرحلة الثانية ، وكانت معظم الأسلحة التى وجدتها الشرطة والقوات العسكرية معهم أسلحة انتهى استخدامها فى المشرق العربى منذ نهاية الحرب العالمية الأولى (١٣٠) .

ويبدو أن كميات الأسلحة زادت عما كانت عليه فى المرحلة الأولى ، فيتبين من الأرقام الرسمية للحكومة أنه تم خلال عام ١٩٣٨ مصادرة الأسلحة التاليـــة : ـــ

٩٠٢ بندقية عادية
٥٣٤ مسدسا
١١٨ بندقية رش
٦٨٠٠٠ طلقة
٢٣٨ قنبلة

هذا بخلاف كميات كبيرة من مواد ومعدات حربية أخرى مثل المتفجرات، والمفرقعات والملابس العسكرية (١٣١) . وتقدر المصادر العربية عدد البنادق التى كانت فى يد الثوار خلال تلك المرحلة بعشرة آلاف بندقية (١٣٢) .

المعتقلات

أنشأت السلطة أربعة عشر معتقلا كانت تكتظ بالمجاهدين وممن تشتبه فى نشاطهم الوطنى ، وكان الاعتقال يتم بأوامر ادارية باسم قانون منع الجرائم لمدد معينة قابلة للتجديد ودون تهم محددة اكتفاء بشهادة الشرطة .

وكان الاعتقال يجرى فى البداية فرديا ثم صار بالعشرات ، وحدث ان كان يعتقل من أهل قرية أو مدينة مائة أو مئتان ، بل كان يحدث أن يساق الذكور من قرية ما — وقد يبلغ عددهم بالألف — الى مركز الحاكم البريطانى فى المدينة التى تتبعها القرية ، فيوضعون فى حظيرة حتى يفصل فى أمرهم .

ولجأت السلطة الى استعمال وسائل التعذيب ضد الوطنيين والثوار ، فقد كانت تعمد مثلا الى ربطهم بالحبال وجرهم بالدبابات أو سيارات الحراسة ، وكان بعضهم يضرب ضربا مبرحا حتى كاد عبد الحميد شومان رئيس البنك العربى يقضى نحبه (١٣٣) . بل يروى أن أحد الوطنيين وهو الشيخ عارف الحمدان توفى نتيجة للتعذيب فى سجن القدس (١٣٤) .

وتقدر المصادر العربية عدد المعتقلين خلال تلك المرحلة بحوالى خمسين ألفا (١٣٥) . بينما تقدرهم المصادر الرسمية فى نهاية عام ١٩٣٧ بـ ٦٣١ معتقلا بينهم ٥٨٠ عربيا (١٣٦) . وخلال عام ١٩٣٨ بـ ٢٥٤٣ معتقلا منهم ٢٤٦٣ عربيا (١٣٧) .

احكام الاعـــدام

يقدر أمين الحسيني عدد المجاهدين الذين أعدموا شـنقا خلال ثورة ١٩٣٩/٣٦ بمائة وثمانية وأربعين شهيدا (١٣٨) . بينما يقـدر دروزة عدد الذين نفذ فيهم حكم الاعدام خلال المرحلة الثانيـة بمائة وسـتة واربعين شهيدا (١٣٩) . وأما التقرير السنوى للحكومة لعام ١٩٣٨ فيقدر عدد الذين حوكموا امام المحاكم العسكرية وتم التصديق على اعدامهم بأربعة وخمسين مجاهـدا (١٤٠) .

وكانت أسباب الحكم بالاعدام مختلفة فى أسبابها وان كان معظمهـا يرجع الى حيـازة سلاح أو المشاركة فى أعمال الثورة ، وكان يحدث أحيانا أن تنفذ أحكام الاعدام بالجملة كما حدث فى يناير ١٩٣٨ عندما نفـذ حكم الاعدام فى سبعة من المجاهدين ، وقد روى أن اكثر هؤلاء المجاهدين استقبل الموت بنفس مطمئنة وهتف بعضهم عند شنقه بحياة الأمة العربية أو بحياة فلسطين العربية (١٤١) .

خسـائر الثـورة

يقدر مصدر عربى هام عدد الشهداء العرب خلال المرحلة الثانية من الثورة بما يتجاوز الثلاثة آلاف ، كما يقدر عدد الجرحى بما يتجاوز السبعة آلاف جريح (١٤٢) . كما يقدر خسائر العرب المالية بما لايقل عن ثلاثةملايين جنيه ، يضاف اليها ضعف هذا المبلغ نتيجة لمـا حـدث لهم من تخـريب وغرامات ، وغيرهـا (١٤٣) . بينما يقدر مصدر بريطانى رسمى عدد الشهداء من المدنيين العرب خلال عام١٩٣٨ (بما فيهم رجال الشرطة العربالنظاميين والاضافيين والخفراء بـ ٥٠٣ شخصا ، ٥٩٨ جريحا) ، وأما عن خسائر الثوار العرب فى نفس العام فيذكر المصـدر انه لا يمكن اعطاء رقم دقيق لعدد الخسائر التى تحملها الثوار ، لـكن تقديرا معتدلا للسلطات العسكرية يقدرهم بحوالى ١٠٠٠ شهيد والجرحى بحوالى هذا العدد ، وان كان المصدر يقدر ان الخسـائر الفعلية التى أنزلت بالثوار العرب كانت اكبر من هذا بكثير نظرا لحرص الثوار على اخفاء خسائرهم (١٤٤) .

الموارد المـالية

واما عن الموارد المالية للثورة فقد كان على الثورة أن تعتمد بشـكل أساسى بالنسبة للمال على أصحاب الثروة من عرب البلاد وعلى الفلاحين المحليين بالنسبة للتعزيزات المؤقتة والمعدات العسكرية (١٤٥)

وأما عن المساعدات المالية من البلادالعربية فقد كانتقليلة اذا قيست بضخامة الأموال التى تدفقت على يهود فلسطين ، فقد بلغ مجموع الأموال التى تلقتها الوكالة اليهودية وحدها خلال الثورة بغرض مساعدة منكوبى اليهود خمسة ملايين وسبعمائة وخمسين الف جنيه ، أى ثمانيـــة وثلاثين ضعفا لمساعدات الأقطار العربية للثورة (١٤٦) .

علاقة الثورة بالقوى الأجنبيـــة

وقد وردت اشارات فى بعض المصادر الأجنبية الى علاقـــة الثورة بالقوى الأجنبية وأثر هذا الدور فى قيـــام الثورة او استمرارها ، لـــكن عددا من المصـــادر العربيـــة والأجنبية والصهيونية الرئيسية تدحض هذا الاتهام الذى لايستند الى مبررات قوية أو وثائق مؤكدة ، « انه من التضليل أن ينظر الى الثورة باعتبارها عملا من أعمال المهيجين — عربا او اجانب — فالاثارة السياســـية يمكن أن تفعـــل الـــكثير لاثارة نار السخط ، لـــكنها لاتستطيع أن تبقى الثورة نشطة شهرا بعد شهر فى ظروف مماثلة لهـــذا العنف والضيق » (١٤٧) ، « وقد كانت الدعاية الايطالية هناك بالتأكيد ، لـــكن نفوذها على الاضطرابات جدير بالاهمال ، ويحتمل أن يكون هنـــاك أموال ايطالية ساعدت على التزود بوســـائل الاثارة ، لـــكنها لم تـــكن تضيتهم » (١٤٨) .

« ان الاتهامات المتكررة بأن ثورة عرب فلسطين كانت توجـــه وتمول على الأغلب بواسطة الايطاليين والألمان قـــد بالغت فى الموضوع ، فرغم أن القوتين الأوربيتين أمدت الثوار الفلسطينيين بمساعـــدة مادية ومعنوية فليس هنـــاك مايؤكد ذلك سوى ادلة ثانوية » (١٤٩) وقد ادعى مرارا أن معارضة قادة العرب كانت تغذى ماليا من القوى الفاشستية ، وانه لمن المستحيل علينا فى هذا الوقت أن نقدم دليلا محددا يؤيد هذا الراى »(١٥٠) .

سلبيات المرحلة الثانية وايجابياتها

يمكن تحديد اهم سلبيات تلك المرحلة فيما يأتى :

أولا : عدم محاولة القيادة السياسية التفكير فى امكانية التوصل الى حل مقبول تحافظ به على حقوقها وتطمئن الحكومة البريطانية والراى العـــام البريطانى والأمريكى على استعداد العرب للتفاهم وتتطلع

خط الرجعة على الحركة الصهيونية وتظهرها بمظهر المتعنت ، فلم يعرف أنها تقدمت بأى مشروعات لتسوية الموقف ، بل كان موقفها يتسم بالسلبية وانتظار ماتأتى به المقادير ثم تبدى رأيها أو تقترح تعديلات على مايقدم اليها من مشروعات .

ثانيا : عدم وجود قياده عسكرية محددة تتحمل مسئولية الأعمال العسكرية ويكون منحقها البت فيما يواجهه الثوار من مشاكل. فلم تعرف هذه المرحلة قائدا معينا واحدا بل كان هناك قادة عديدون كل مسئول فى منطقته ، وحتى بعد تشكيل قيادة موحدة فى نهاية صيف ١٩٣٨. فان فعالية القيادة لم تؤثر كثيرا فى الموقف لأن قيادة العمل الثورى المسلح تتطلب حسما وسرعة فى اتخاذ القرارات كما تحتاج الى تنسيق عام بين المناطق المختلفة مما لا يتوفر فى قيادة مشتركة كل من أفرادها له فكره ونظرته وأسلوبه .

ثالثا : استغلال بعض الثوار لظروف المرحلة لتحقيق مكاسب شخصية أو الاستجابة لعداوات عائلية قديمة ويتمثل ذلك فى كثرة عمليات الاغتيال والخطف والايذاء التى حدثت لكثير من العرب ، مما ترك جوا نفسيا سيئا فى الجماهير واخرج الثورة عن طبيعتها وأساء الى محتواها كحركة وطنية تهدف الى مقاومة الاستعمار الوطنى وأيقاف أية محاولات للتجزئة أو التصفية ، وان كانت تلك الأعمال قد بثت الرعب فىقلوب العناصر المتعاطفة معالحكومة.

أما ايجابيات المرحلة الثانية للثورة فتتمثل فيما يلى :

أولا : قدرة الثوار على مواجهة القوات البريطانية واستمرار الثورة برغم ظروف البلاد السيئة ونقص الأموال والامكانات وعدم كفاءة الأسلحة ، ثم احراجهم للادارة المدنية وارباكها وتعطيل مرافقها ، مما يؤكد أن الشعوب المؤمنة بحقها قادرة على الوقوف فى وجه الطغيان أو الارهاب مهما كانت قوته وأساليبه .

ثانيا : ايقاف الثورة لمشروع التقسيم وارغام الحكومة البريطانية على البحث عن حلول أخرى لعلاج الموقف أو تهدئته على الأقل .

ثالثا : زيادة اهتمام الشعوب العربية والاسلامية بالقضـــية خاصة بعد اقتراح مشروع التقسيم الذى أثار تلك الشعوب وجعلهـــا تدرك خطورة الموقف وتشعر بخطورة وجود الـــكيان الصــهيونى على مصالحها وامنها . واذا كانت الثورة قد شدت اهتمامات الشعوب العربية منذ بدايتها ، فقد استقطب الصراع ضـــد التقسيم هـــذه الاهتمامات ، وشغل العالم العربى بالقضـــية ، وعرف ما سمى « بالمشكلة الفلسطينية » .

« مصـــادر الفصـــل الثالث »

(١) عبد الوهاب الـكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٣٧ ؛

(٢) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة الجزء الثالث ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٨٣ ، ١٨٧ .

(3) Marlows : The Rebelion in Palestine, p. 172.

(٤) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٤٨ .

(٥)نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ٢١٦ .

(٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨٧ .

(٧) زكى صالح : فلسطين والتقرير الانجليزى الأمريكى ص ٢٧ ،
Antonius : The Arab Awakening. p. 406.

(٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(9) Hurewitz : The Struggle for Palestine. pp. 82, 83.

(10) Barbour : A Survey of the Palesrine Controversy. p. 191.

(١١) عبد الوهاب الـكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(١٢) الشباب : ٣ نوفمبر ص ٣ ، ١٠ نوفمبر ص ٤ ، ٢٤ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(١٣) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٨ .

(14) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. pp. 9, 10, 14.

(١٥) الشباب : ١ ديسمبر ١٩٣٧ ص ١ .

(١٦) صوت الحجاز : ١ ديسمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(١٧) عيسى الناعورى : بطولات عربية من فلسطين ص ٣٩ ، ٤٠ .

(18) F. O. 371/20821 : E 7007.

(19) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. pp. 10, 11.

(٢٠) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ،
السياسة : ٩ ينـاير ١٩٣٨ ص ٥ .
الشـباب : ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(21) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. pp. 11, 14.

(٢٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨٨ — ١٩٠ .

(٢٣) الشباب : ٢٢ ديسمبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(24) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 11.

(25) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 19.

(٢٦) الصراط المستقيم : ٤ كانون الثانى ص ٣ ، ١١ كانون الثانى ص ٥ ، ٢٥ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٥ .

الشباب : ١٢ ينساير ص ٢ ، ٤ ، ١٩ ينساير ص ٢ ، ٢٦ ينساير ١٩٣٨ ص ٤ ،

السياسة : ٢٤ يناير ص ٥ ، ٢٥ يناير ١٩٣٨ ص ٥ .

(27) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 6.

(٢٨) السياسة : ٢٣ يناير ص ٥ ، ٣١ يناير ١٩٣٨ ص ٥ .

(٢٩) صوت الحجاز : ٢٥ يناير ١٩٣٨ ص ٤ ،
الشباب : ١٢ يناير ١٩٣٨ ص ٢ .

(٣٠) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣١) الشباب : ٩ فبراير ١٩٣٨ ص ٢ .

(٣٢) الزمان : ٩ شباط ١٩٣٨ ص ٢ بيان للمكتب العربى القومى للدعاية والنشر بدمشق .

(٣٣) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(34) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 7.

(٣٥) الزمان : ٩ آذار ١٩٣٨ ص ٧ .

(٣٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٩٠ .

(37) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 7.

(٣٨) الصراط المستقيم : ٢٩ آذار ١٩٣٨ ص ٥ .

(٣٩) صوت الحجاز : ٢٩ مارس ١٩٣٨ ص ٣ .

(٤٠) الصراط المستقيم : ٥ نيسان ١٩٣٨ ص ٥ .

(٤١) الصراط المستقيم : ١٢ نيسان ١٩٣٨ ص ٥ .

(٤٢) الصراط المستقيم : ١٩ نيسان ١٩٣٨ ص ٥ .

(43) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 8,

(٤٤) السياسة : ١ مايو ١٩٣٨ ص ٢ ، ٣ .

(٤٥) الصراط المستقيم : ٣ أيار ١٩٣٨ ص ٥ .

(46) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 9.

(٤٧) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٤٨) الصراط المستقيم : ٢٤ أيار ١٩٣٨ ص ٤ .بلاغ رسمى .

(٤٩) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٥٠) الصراط المستقيم : ٧ حزيران ١٩٣٨ ص ٥ .

(٥١) الصراط المستقيم : ١٤ حزيران ١٩٣٨ ص ٥ .

(52) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 10.

(٥٣) الصراط المستقيم : ٢٨ حزيران ١٩٣٨ ص ٥ .

(54) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 11.

(٥٥) الصراط المستقيم : ١٨ تموز ١٩٣٨ ص ١ .

(56) F. O. 371/21863. E 4203.

(57) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 11.

(58) F. O. 371/21863. E 5151.

(٥٩) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٤ .

(٦٠) الزمان : ٢١ آب ١٩٣٨ ص ٣ .

(61) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 13.

(٦٢) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٦٣) أحمد طربين: فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ص٢٠٤ .

(٦٤) الزمان : ٢٨ آب ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٥) الزمان : ٣٠ آب ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٦) صوت الحجاز : ٦ سبتمبر ١٩٣٨ ص ١ ،

الاخوان المسلمون : ٢٣ سبتمبر ١٩٣٨ ص ٣ ،

محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٠٨ .

(٦٧) عبد الوهاب الــكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٤ ، ٣٤٥ .

(68) F. O. 371/21863. E 5181.

(69) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. pp. 14, 15.

(٧٠) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(71) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. pp. 16, 17.

(٧٢) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٠ .

(٧٣) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين . المجموعة الأولى ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٧٤) أحمد طربين : المرجع السابق ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(75) F. O. 371/21862. E 1439.

(76) F. O. 371/21862. E 1653.

(٧٧) جيفريز : فلسطين . اليكم الحقيقة . الجزء الرابع ص ١٥٤ .

(٧٨) الصراط المستقيم : ٣ أيار ١٩٣٨ ص ٦ .

(٧٩) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٢٤٤ .

(٨٠) السياسة : ٢٧ أبريل ١٩٣٨ ص ٨ .

(٨١) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٢ .

(٨٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٢٣ ،

مذكرات مفتى فلسطين : آخر ساعة ـــ ١١ ابريل ١٩٧٣ ص٢٦ .

(٨٣) الصراط المستقيم : ١٨ أيار ٣٨ ص ٧ . مذكرة الحزب .

(٨٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٨٥) جامعة الدول العربية : المرجع السابق . بلاغ رسمى رقم ٨—٣٨ .

(٨٦) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٢٤٦ — ٢٦٣ .

(٨٧) جامعة الدول العربية : المرجع السابق . بلاغ رسمى رقم ٨ — ٣٨ ص ٢٦٤ — ٢٦٦ .

(٨٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(89) Report by His Majesty's Government ..., for the Year 1938. pp. 17, 18.

(٩٠) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٥٣ .

(٩١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق — بلاغ رسمى رقم ٨ — ٣٨ ص ٢٦٦ .

(٩٢) جامعة الدول العربية : المرجع السابق — بلاغ رسمى رقم ٩ — ٣٨ ص ٢٧٤ .

(٩٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٣١ — ٢٣٤ .

(٩٤) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٩٥) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٩٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٣٤ .

(٩٧) رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى .

(٩٨) محمد عزة دروزة :المرجع السابق ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٩٩) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٢٧٩ — ٣٠٩ .

(١٠٠) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٢٩ — ٣٨ تقرير اللجنة .

(١٠١) جامعة الدول العربية : المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(١٠٢) مذكرات مفتى فلسطين : آخر ساعة : ١١ أبريل ١٩٧٣ ص ٢٧ .

(١٠٣) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(١٠٤) أحمد طربين : المرجع السابق ص ٢٦٩ .

(١٠٥) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين: المجموعة الأولى ص ٣٢٢ ، نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٥٢ .

(١٠٦)جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين، المجموعة الأولى ص ٣٦٢ .

(١٠٧) اجابة مكتوبة على سؤال للباحث مؤرخة ٢٠/٥/١٩٦٤ .

(108) Hadawi : Palestine between 1914 - 1967 p. 64.

(١٠٩) رياسة مجلس الوزراء : دوسيه رقم ٦٤ — ٨/٥ جزء ثان .

(١١٠) ملف عونى عبد الهادى : رسالة من عجاج نويهض الى عونى عبد الهادى .

(111) Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 83.

(١١٢) رسالة من محمد عزة دروزة الى الباحث مؤرخة فى ١٠/٩/١٩٧٥ .

(١١٣) رسالة من محمد عزة دروزة الى الباحث مؤرخة فى ٢٢/٢/١٩٧٦ .

(١١٤) محمد عزة دروزة: حول الحركة العربية الحديثة. الجزء الثالث ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(١١٥) عيسى الناعورى : المرجع السابق ص ٦٦ .

(١١٦) صوت الحجاز : ٦ سبتمبر ١٩٣٨ ص ١ .

(١١٧) الرابطة العربية : ٢٠ أبريل ١٩٣٨ ص ١٦ . مقال لأمين سعيد .

(١١٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١١٩) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٠٧ .

(١٢٠) فلسطين : أول نوفمبر ١٩٦١ ص ٢٣ .

(١٢١) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٥٨ .

(١٢٢) صوت الحجاز : ٣١ مايو ١٩٣٩ ص ٣ .

(١٢٣) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ١٦٤ .

(١٢٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٠٧ .

(١٢٥) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٩ .

(١٢٦) محمد عزة دروزة : رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ١٠/٩/١٩٧٥ .

(١٢٧) الوحدة المغربية : ٢٠ يناير ١٩٣٩ .

(١٢٨) الوحدة المغربية : ٥ يناير ١٩٣٩ ص ٣ ، صوت الحجاز : ٣ يناير ١٩٣٩ ص ٣ .

(١٢٩) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربيـــة الحديثة . الجزء الثالث ص ٢٠٨ .

(130) Barbour : A Survey of Palestine. p. 192.

(131) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 24.

(١٣٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(١٣٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(١٣٤) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ٣٥ .

(١٣٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(136) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1937. p. 14.

(137) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 22.

(١٣٨) مذكرات مفتى فلسطين : المرجع السابق ـــ١٨ أبريل١٩٧٣ .

(١٣٩) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(140) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 24.

(١٤١) الزمان : ١٨ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٢ ، ٢٥ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ١ ، ١٠ شباط ١٩٣٨ ص ٣ .

صوت الحجاز : ٢٥ يناير ١٩٣٨ ص ٣ ، ٤ .

السياسة : ١١ يناير ١٩٣٨ ص٥ ، ١٣يناير ١٩٣٨ ص ٥ ، ٣٠يناير ١٩٣٨ ص ٥ ، ٢٧ فبراير ١٩٣٨ ص ٢ .

الشباب : ٢٦ يناير ١٩٣٨ ص ٢ ، ٢ فبراير ١٩٣٨ ص ٢ .

(١٤٢) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربيـــة الحديثة . الجزء الثالث ص ١٩٩ .

(١٤٣) محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينيين ص٥٨ ، ٥٩

(144) Report by His Majesty's Government ... for the Year 1938. p. 20.

(145) Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 83.

(١٤٦) فلسطين : أول أيار ١٩٦٣ ص ٤ .

(147) Antonius : The Story of the Arab National Movement p. 404.

(148) Barbour : A Survey of the Paléstine Controversy p. 191.

(149) Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 88.

(150) Friedrich : American Poloy Toward Palestine. p. 33.

الفصل الرابع

القوى الاجتماعية والثورة

الفـــلاح والثورة

كان الفلاح العربى رغم ظروفه السيئة مهتما بالأوضـــاع السياسية لبلده ، ولم يكن هذا الاهتمام نتيجة لتوجيهات الأفندية كما يقول الصهيونيون بل كان نابعا من حبـــه لبلده وارتباطه بترابها ومعاناته من المشـــاكل التى أصابته نتيجة لتجربة الوطن القومى اليهودى ، وهذا هو تقرير شو يوضح هذا المعنى « فالادعاء بأن الفلاح لايهتم شخصيا بالشئون السياسية لبلده لم يؤيده اختبارنا فى فلسطين ، ولا يستطيع من يتجول فى البلاد كما تجولنا وسمع اصوات الهتاف التى قاطعت عبارات كثيرة وردت فى الخطب التى القاها علينا رؤساء القرى والشيوخ أن يرتاب بأن القرويين والفـــلاحين على حد سواء يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا فى نتائج سياســـة انشاء الوطن القومى وفى مسألة ترقية مؤسسات الحكم الذاتى فى فلسطين »(١)

ذلك هو الفلاح الفلسطينى الذى كان اكثر القوى الاجتماعية استجابة لمتطلبات الثورة ، واستعدادا للتضحية من أجل نجاحها . صـــحيح انه لم يكن هو الذى رفع مشعل الثورة أو هو الذى دعا اليها ، لـــكنه كان أكثر المواطنين تلبية لندائها واسرعهم حملا لسلاحه دفاعا عنها وهو الذى حول الثورة من برنامج نظرى الى ثورة شعبية مسلحة متحملا المسئوليةالرئيسية فيها ، حتى وان كانت القيادة الرسمية فى يد القيادة البورجوازية .

وتشير التقارير البريطانية الدورية خلال الأشهر الأربعة السابقـــة لثورة ١٩٣٩/٣٦ الى عدم وجود علامات على اثارة مباشرة فى المنـــاطق الريفية ، وان كان قـــد تبع استشهاد الشيخ القسام موجة اثارة ونشاط دينى ـــ غير مباشر ـــ ظهرت آثارها فى المنـــاطق الريفية فى نشاطجمعية « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » خاصـــة فى الخليل حيث تم اختيار معلمين لزيارة تلك المناطق يعتقد انهمكانوا ينشرون دعاية ضد بيعالأراضى، ويحتمل أن نشاطهم تضمن دعوة الفلاحين الى تسليح انفسهم ، كما تشير التقارير الى ان الصحافة العربيـــة كانت تثير الفلاحين بطريقة خاصة بعد ان اصبحوا اكثر اهتماما بالمسائل السياسية (٢) .

ويلاحظ فى تلك الفترة أيضا تزايد النزاعات الخاصة بالأرض نتيجة زيادة بيع الأراضى فى منطقة بيسان ، فتشير تقارير محلية كثيرة الى قضايا اعتداءات من العرب على بعض الممتلكات — نتيجة طردهم من الأراضى التى تم بيعها — وأنه فى الثالث عشر من يناير ١٩٣٦ قرأ فريد فخر الدين على الحاضرين فى مسجد بيسان مقتطفات من قانون حقوق الاستئجار ، ونصحهم بالاستمرار فى حرث الأراضى — التى تم بيعها — حتى تجرى الدعاوى القانونية (٣) .

وعندما بدأ الاضراب شارك الفلاح الفلسطينى فيه منذ البداية رغم فقره وسوء حالته (٤) وعقد القرويون مؤتمرات لهم اتفقت جميعها على تأييد اللجنة العربية العليا ، وأعلنوا مواصلة الاضراب واستعدادهم للتضحية مع أمتهم الى أبعد مدى .

واخذ حكام الألوية يتجولون ويطلبون الى رؤساء العشائر والمخاتير والشيوخ ان يعملوا على تهدئة الحالة لافساح المجال لمجيء اللجنة الملكية ، فكان جواب الفلاحين أن لا سبيل الى هدوء الحالة الا باجابة المطالب الوطنية .

ولما فشلت الحكومة فى استعمال التهديد والوعيد لانهاء الاضراب خفضت ضريبة الأملاك فى القرى على الثمار الحمضية وأعفت الفلاح من دفع ٥٠٪ من ضريبة الاعشار على محصولاته ، لكن الفلاح تنبه الى أن هذا التخفيف جاء فى غير وقته فقابله بعدم الاكتراث .

وحاولت السلطة احداث تفرقة بين الفلاحين وابناء المدن عن طريق تلك المنشورات المتكررة التى كانت تلقيها الطائرات على القرى ، داعية الفلاحين الى وقف الاضراب والقاء السلاح ، وتحاول الحكومة فى المنشور الثانى تهديد الفلاحين برفع الضرائب اذا لم يكفوا عن الأعمال الخارجة على القانون ، ويعقد المنشور الخامس مقارنة بين حالة فلسطين قبل الاضراب وبعده فى محاولة لاقناع الفلاح بأضرار الاضراب على قريته ومحصولاته . لكن تلك المنشورات لم تلق لدى الفلاح آذانا صاغية(٥) . بل ان سكان القرى ابرقوا الى المندوب السامى يردون على تلك المنشورات مؤكدين تصميمهم على مواصلة الاضراب الى أن تتحقق مطالب البلاد ، وأنهم وأهل المدن اخوان فى السراء والضراء (٦) .

ولم يكن الفلاحون وحدهم هم الذين وقفوا هـذا الموقف مشـاركة لأمتهم ، فقد سلم معظم مخاتير القرى — رغم ارتباطهم الرسمى بالسطة — أختامهم للسلطة خلال الاضراب ، معتبرين أنفسهم مستقيلين ملحين بوجوب سرعة تنفيذ المطالب الوطنية (٧) .

وقد تحول الاضراب الى ثورة شعبية عندما تقلد أهالى قرى طولكرم سلاحهم فى ٢٣ مايو ١٩٣٦ بعد أن بلغهم أعتقـال أعضاء اللجنة القومية بطولـكرم ، وبدءوا الاشتباكات مع قوة عسكرية بريطانيـة ، واتسعت اعمال الثورة رويدا رويدا ، لـكن الفلاحين ظلوا عصب الثورة ووقودها ، وهم الذين تحملوا الجانب الأعظم فى تأييد الثورة وحمل معظمهم السـلاح وشاركوا فى معظم الأعمال الثورية وناصروها (٨) كمـا تحملوا نفقـات ايواء الثوار (٩) .

وتؤكد التقارير البريطانيـة الدورية اهمية ذلك الدور الذى قام به الفلاح فى دعم الثورة ومساندتها ، فيشير أحدها الى أن كل قرية قـد شـاركت بنصـيبها فى تأييـد الثوار أما شخصيا أو بالأموال أو بتقديم الضروريات ، وأن كثيرا من الفلاحين كانوا ثوارا بالليل بينما يتظـاهرون نهارا بأنهم فلاحون مسالمون(١٠) ويشير تقرير آخر الى مساندة أهالى القرى للمتطوعين العرب فى التلال (١١) . بينما يشير التقرير السـنوى لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٦ الى أن الدعم البشرى للثورة كان يأتى بشكل رئيسى من القرى (١٢) .

ولـكن يبدو أن المشاركة الفعالة للفلاحين فى الثورة قد أخـذت بعض الوقت ، فيشير تقرير دورى مؤرخ ٢٣ يونية ١٩٣٦ الى انه حتى ذلك الوقت لم يكن هناك سوى نسبة صغيرة من الفلاحين قد حملت السلاح ضد قوات السلطة ، وان كان التقرير يؤكـد أن الفـلاحين مستعدون لتحمل الشدائد وقلة الغذاء لفترة غير محدودة ، وأنهم أوضحوا أنهم خلال الحرب العـالمية الأولى — وهى ظروف مماثلة للثورة — كانوا قادرين على الصمود عدة سنوات (١٣) .

وكان المعروف عن الفلاح الفلسطينى قبل الثورة أنه يهـاب الدولة ويخشى سلطاتها ولا يجرؤ على القيام بما يغضبها ، لـكنا رأينا الفـلاح

أثنـــاء الثورة ينهض بكل شجاعة حاملا بندقيتـــه مضحيا بنفسه ، ولم يقم بذلك مدفوعا من أحد أو لقاء مكافأة ، بل قام به من تلقـــاء نفسه وتحمل نفقاته ، والذين اتيح لهم تفقد القرى أثنـــاء الثورة راوا كيف أن الفـــلاح الفقير يبيع كل مايملك من أجل شراء بندقية يخرج بها الى الجبال ليقـــاتل الذين يعملون على ابادته وتهديد بلاده (١٤) .

ولم يكن الثوار يعتمدون أساسا على مساعدات تأتيهم من المدن للقيام بعملياتهم أو للاستمرار فى مواصلة الثورة ، بل كانوا يعتمدون على القرى المحيطة بهم ، ويكشف المنشور الرابع الذى القته السلطة على الفـــلاحين حقيقة الدور الذى قامت به القري أثنـــاء الثورة ومساعـــداتها الـــكبيرة للثوار (١٥) .

وقد تعرضت القرى العربية بسبب تأييدها للثورة وتحملهـــا القسط الأكبر من أعبائها لـــكثير من العنت والارهاق والتفتيش والغرامات ونسف البيوت والقتل احيـــانا ، وقد حدث شيء من ذلك فى قرى عديدة ، وكانت السلطة حينما تشتبه فى قرية تأمر بارسال قوة كبيرة من الجند والشرطة اليها بدباباتهم ومدافعهم الشاشة فيطوقونها من جميع جهاتهـــا ويأمرون مختارها بعزل النساء عن الرجال ، ثم يأخذون فى تفتيش بيوت القرية ، فيبعثرون محتوياتها ويحطمون آنيتها المملوءة بالحبوب والغذاء ، ثم يطلقون مدافعهم فى الفضـــاء ارهابا . وقـــد هجر بعض القرويين قراهم خوفا من فظاعة التفتيش ، فقد قدم مخاتير قرية قباطية لحاكم نابلس مفـــاتيح بيوت القرية بعد أن أخليت من السكان ، وهاجر سكان قرى اخرى الى شرقى الأردن، ورحل عرب البواطن المخيمين فى شرقى بيسان عن أراضيهم شرقا (١٦) .

ولم يكن الفلاحون يهجرون قراهم فى حالة التفتيش فقط ، بل تجنبا لدفع الغرامات أيضا، وقد لجأ أهالى قرى عكا القريبين من الحدود اللبنانية الى طريقة للاستهزاء بقوات الشرطة التى تقوم بجمع الغرامات ، فقـــد كانوا يقفلون بيوتهم ويضعون امتعتهم القـــديمة أمام الأبواب ، ثم يحرقون كميات كبيرة من الفلفل الجاف ، وعندما تصـــل قوات الشرطة الى القرية لاتجد أحدا من الأهالى ، وتنتشر فى أنوفهم رائحة الفلفل المحروق فيأخذون

فى العطاس الشديد ثم يعودون من حيث أتوا (١٧) .

وتحكى بعض البرقيات المرسلة من بعض القرى الى المندوب السامى فى ذلك الوقت شيئا عما كان يحدث فى تلك القرى ، كما تعبر فى نفس الوقت عن روح التحدى والمرارة التى امتلأت بها نفوس الفلاحين « مهاجمة مائتى جندى لقرية قافون ودخولهم البيوت ليلا وضربهم الآمنين هو ضرب من ضروب التحدى والاستفزاز والوحشية » « نهنئكم بانتهاك جيوشكم الظافرة حرمة البيوت فى القرى العربية » « أمس أحرز جيش فخامة المندوب السامى صديق الفلاح الرقم القياسى فى الهمجية ، وذلك بتخريبه وكسره ونهبه بيوت « سيلة الظهر » وترويعه الأطفال والنساء الآمنين » (١٨) .

وكان من اساليب السلطة فى معاقبة الفلاحين أنها كانت تجند الخفراء الاضافيين من العرب فى الأماكن التى يتكرر فيها التدمير وتلزم أهل القرى بسداد مرتبات هؤلاء الخفراء (١٩) .

لكن هذه الاجراءات التأديبية القاسية كان لها أثرها فى زيادة التلاحم بين الثوار وأهل القرى (٢٠) .

وتروى المصادر العربية المعاصرة أمثلة عديدة لروح الفلاحين وحماستهم خلال الثورة منها ماروى عن ذلك الفلاح الذى أخبروه أن والده استشهد فى ميدان القتال ، فكان جوابه : ولكن أين بندقيته (٢١) الى غير ذلك من الروايات التى تعبر عن قوة الشعور الوطنى فى تلك المرحلة.

ويشيد القاوقجى فى مذكراته بعدد من القرى التى كان لها دور متميز خلال الثورة ويذكر أن قرية « قفين » كانت أكثر القرى تحملا (٢٢) .

وكانت معظم القيادات الثورية الفلسطينية خلال المرحلة الأولى للثورة قيادات فلاحية ، وحتى بعد تولى القاوقجى القيادة العامة للثورة ظلت تلك القيادات لها شأنها فى عمليات الثورة ومعاركها ويروى دروزة أنه برز خلال تلك المرحلة قواد محليون كان اكثرهم من أهل القرى وتولوا أمر الثورة فى مرحلتها الثانية وظهر منهم من قوة الشكيمة والاقدام والبسالة وقوة الشخصية ما أدهش المراقبين (٢٣) .

وبالرغم من أن الضباط العرب قاموا بتحسين تكتيكات الثوار وتوسيعها خلال تلك المرحلة لكن العبء الأكبر من العنف الثورى فى

الريف والعمل الفدائى فى المدن ظل يتحمله الفلاحون المعدمون بالدرجة الأولى (٢٤) .

ونتيجة لرفض العرب مشروع التقسيم الذى صدر فى أوائل يوليو ١٩٣٧ شكلت لجان قومية محلية ذات قواعد شعبية واسعة ، وكان ممثلو المناطق القريبة فى هذه اللجان يشكلون ثلثى أعضائها (٢٥) .

وكان أهالى القرى حريصين على التعبير عن آرائهم بالنسبة لمشروع التقسيم، فعندما زار مساعدحاكم لواء حيفا بعض القرى يوم ٢٤أغسطس ١٩٣٧ واجتمع مع مختارى تلك القرى وشيوخها استنكروا قرار التقسيم وطالبوا بايقاف الهجرة وبيع الأراضى وتأليف حكومة وطنية (٢٦) .

وعندما صفيت قيادة الحركة الوطنية فى فلسطين بعد مقتل أندروز حاكم لواء الجليل ، وأصبح الزعماء بين معتقل أو منفى أو مطارد استؤنفت الثورة على يد الفلاحين الذين قدر لهم أن يتولوا قيادتها ويتحملوا الجانب الأكبر من أعبائها ، وقد اثبت ذلك خطأ الزعم الذى كان يتردد منذ بداية الانتداب من أنه لو تم تنحية كبار الأفندية لانهارت حركة المقاومة ضد الوطن القومى اليهودى ولمد الفلاحون يدهم لمصافحة الصهيونيين (٢٧) .

وتجمع المصادر المختلفة — عربية وأجنبية — على أن الثورة فى مرحلتها الثانية كانت تحت السيطرة شبه التامة للفلاحين ، وأنها بقوادها وجنودها ونفوذها كانت منطلقة من معاناة الفلاح وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية حتى أن بعض المصادر تطلق على هذه الثورة « ثورة الفلاحين » (٢٨) .

وكان طبيعيا أن تحاول السلطة بكل وسائلها اخماد هذه الثورة ومحاصرتها ، فجرى خلال تلك المرحلة نسف قرى برمتها أو بعض بيوتها بسبب ايوائها للمناضلين أو لمشاركة أبنائها فى أعمال الثورة ، وقد أورد اميل الغورى كثيرا من أسماء تلك القرى (٢٩) كما فرضت غرامات على القرى التى شاركت فى أعمال الثورة أو كان لها دور ولو ثانوى فيها وكانت الغرامة تبلغ أحيانا عدة آلاف من الجنيهات كانت السلطة تحصلها بالقوة من الفلاحين مما كان يضطر كثيرا منهم الى بيع قطع من أراضيهم أو بعض حيواناتهم أو حلى زوجاتهم أو الاستدانة بربا فاحش لسداد

نصيبهم فى تلك الغرامة (٣٠) . كما أن بعضهم كان يهجر قريته ويتجه الى احدى المدن (٣١) .

وقامت السلطة بفصل مخاتير القرى الذين اعتبرتهم غير متعاونين معها وعينت آخرين بدلهم (٣٢) بل أنها أذاعت بيانا على القرى فى يونية ١٩٣٨ اعتبرت فيه المختارين وجميع سكان القرى مسئولين عن حماية الخفراء ودوريات الشرطة والكتائب الموجودة فى قراهم وأنذرت فى حالة حدوث ذلك بفرض غرامات على القرى من جملتها هدم منازل القرية (٣٣)

وحملت تلك الاجراءات التأديبية الشديدة بعض زعماء القرى على حجب مساعداتهم عن عصابات الثوار الحديثة التكوين ، فقطعت خطوط الاتصال بين أفراد تلك العصابات والقوى المساندة لهم فى قراهم الأصلية ، مما دفع الثوار الى بث الرعب فى نفوس تلك العناصر المتعاونة مع الحكومة (٣٤) . كما قتل خلال تلك المرحلة عدد من المختارين ممن عرفوا بميلهم أو بتعاونهم مع السلطة أو الصهيونيين (٣٥) لكن بعض المختارين كانوا مقدرين لظروف أمتهم حريصين على عدم الاساءة الى الثوار أو الى أبناء قريتهم بل ان بعضهم كان له مواقف وطنية ترويها الصحف العربية(٣٦)

ولقد أدرك البريطانيون أن الثورة فى جوهرها ثورة فلاحية فحاولوا أن يضيقوا على الفلاحين لابسى الكوفية والعقال ، فأدت الروح الثورية المهيمنة الى أن ترتدى الجماهير كلها هذا الزى حتى لاتفرق السلطة بين الفلاح وابن المدينة ، ثم أدت بعد ذلك الى منع الفلسطينيين من حمل بطاقاتهم الشخصية افسادا لرغبة السلطة فى التعرف على الثوار من أبناء القرية .

وكان الريف هو عصب الثور ةوقلبها النابض، وكانت عمليات الاحتلال المؤقتة للمدن فى عام ١٩٣٨ تتم اثر هجمات يشنها الفلاحون ، وقد أعدم خلال تلك المرحلة عدد كبير من الثوار كانت أغلبيتهم الساحقة من الفلاحين (٣٧) .

ونتيجة لكل هذه الاسهامات والتضحيات الكبيرة للفلاح العربى، ومع عمليات التصفية والقهر والغرامات والتدمير التى استمرت وتعاظمت خلال المرحلة الثانية من الثورة تدهورت الأوضاع الاقتصادية للفلاح حتى أن قائمقام مدينة الخليل رفع تقريرا عن حالة الفلاح فى صيف عام ١٩٣٩

طالبـــا من الحكومة ان تهتم بمساعـــدته والا « فان المجـــاعة واقعـــة لاريب فيها » (٣٨) .

ولعل تحمل الفـــلاح الفلسطينى مسئولية الثورة فى تلك المرحـــلة ورفع راية العصيان ضد بريطانيا وفرضه معارك خسارية مع قواتها فى ظروف غير مواتية على جميع المستويات المحلية والعربية والدولية يشـــير الى بعض المعانى الهامة :

أولاً : ان معاناة الفلاح وتدهور أوضاعه الاقتصـــادية والاجتماعيـــة منذ الاحتلال البريطانى قـــد أوصلته الى حالة من اليـــأس لم تعـــد تجدى معها سياسة التهدئة والتخدير وأن القضية بالنسبة اليـــه لم تكن مجرد تحقيـــق نصر ســـياسى بالغـــــاء مشروع التقسيم وايقاف الهجرة وانما كانت بالدرجةالأولى دفاعا عن حياتهووجوده وايقافا لذلك الانتحار البطىء الذى يتعرض له ويعـــانى منه أكثر من أية قوة اجتماعية اخرى .

ثانيا : أنه رغم عدم وجود هدف اجتماعى معلن للثورة يستفيد بطـــاقات الفلاحين ويعبئهم فان حـــركتهم كانت منبثقـــة من واقع اجتماعى متدهور زادته القضية الوطنية حدة وعمقا فأدركوا بسليقتهم أن تحقيق بعض المنجزات الوطنية هى خطوة على الطريق نحو تحقيق أهدافهم الاجتماعية .

وأما عن البدو فتشير الوثائق البريطانية قبيل قيام ثورة ١٩٣٩/٣٦ الى تحرك جماعى للبدو لمقاومة الاستيطان اليهودى فى وادى عربة ، فقد عقد خمسون من مشايخ البدو اجتماعا فى ١٦ مارس ١٩٣٦ ناقشوا فيـــه موضوعى خطر بيع الأراضى وما يشاع حول الاستيطان المقترح لليهود فى وادى عربة وقرروا الاحتجاج على هذا الاستيطان وتشكيل جمعيـــة باسم « جمعيةمشايخ بدو بئر السبع » وشراء كل الأراضىالتى يعتزم البدو بيعها وجمعوا ثمانين جنيها لهذا الغرض (٣٩) .

وعندما بدأ الاضراب فى أبريل ١٩٣٦ شمل قضاء بئر السبع ، وتألف وفد من المشايخ والقضاة قابلوا المندوب السامى وقدموا اليـــه عريضـــة بالمطالب الوطنية (٤٠) .وقام رؤساء عشائر منطقة بئر السبع بقيادة شيخ عشيرة الظلام فى ١٩ مايو ١٩٣٦ بمظاهرة مسلحة داخل مدينة بئر السبع احتجوا فيها على سياسة الحكومة وأنشدوا أناشيد الحرب البدوية وانضم

اليهم سكان المدينة بمختلف فئاتهم ، وذهبوا جميعهم الى دار الحكومةحيث قدموا مذكرة بمطالب الأمة ، وقد أحدثت تلك المظاهرة المسلحة وعيا ثوريا فى صفوف عرب فلسطين . وتابع أبناء بئر السبع سياسة تحديهم للحكومة ، فقاموا بعد ذلك بتحطيم تمثال الجنرال اللنبى بمدينة بئر السبع (٤١) .

وقد حدثت بعض اعتداءات من قبائل البدو فى الجنوب على المستعمرات اليهودية يرجعها تقرير بريطانى بشكل رئيسى الى تعلق البدو بفكرة السلب (٤٢) . لكن التقرير بهذا التفسير يجرد البدو من مشاعر المواطنة . فلقد شاركوا فى النشاط الوطنى منذ الحرب العالمية الأولى وكان لهم دورهم فى بعض الأحداث الوطنية الهامة وهاهم يعبرون فى بيان لهم عام ١٩٢٢ — اى قبل الثورة بأربعة عشر عاما — عن اعتزازهم بتلك المواطنة كما يفهمونها « والخلاصة انه لايربطنا بفلسطين لا القصور العالية ولا المتاجر الواسعة ولا الثروة العظيمة ولا يربطنا بها الا أنها مسقط رؤوسنا ورؤوس اجدادنا. فواجب علينا ان نحافظ عليها بكل غال ورخيص ولكن اذا استمر ضغط الحكومة علينا نرحل ونترك الأرض فلا يأكلها سوس ولا يحتلها أجنبى حتى نعرف كيف نخلصها ويطيب عيشنا فيها »(٤٣)

ونقرأ فى بعض الصحف العربية خلال ثورة ١٩٣٩/٣٦ اشارات الى بعض المواقف البدوية ففى ١٣ يوليو ١٩٣٦ هاجم جماعة من البدو أحد اليهود واطلقوا عليه النيران (٤٤) وفى أواخر فبراير ١٩٣٨ تعقد جمعية البدو العربية اجتماعا تحتج فيه على اعتقال رئيسها وبعض أعضائها (٤٥)

وقد شمل النسف والغرامات بعض عشائر العربان فى بئر السبع ووادى القبانى ووادى الحوارث مما يدل على مشاركة البدو فى أحداث الثورة (٤٦) .

وقد شارك بعض البدو فى معارك الثورة ، بل ان بعضهم اعتقل وحوكم ونفذ فيه حكم الاعدام، وهذا هوالمجاهد البدوى فرج أبوعمار يستنكر أمام المحكمة ماقيل من أنه لم يكن ثائرا وانما حمل البندقية محافظة على أملاكه ودوابه ويعلن أنه مجاهد خرج الى الجبال دفاعا عن وطنه وعرضه (٤٧) .

العمال والثورة

يعتقد الدكتور عبد الوهاب الكيالى ان الشرارة الأولى لثورة١٩٣٦ حدثت فى فبراير ١٩٣٦ عندما تعاقدت الحكومة مع مقاول يهودى لبنـاء ثلاث مدارس فى يافا ورفض المقـاول تشغيل عامل عربى واحد مما ترتب عليه تأليف حامية من العمال العرب لمنع العمال اليهود من العمل فى تلك المـدارس (٤٨) .

ولقد نشط اتحاد العمال العرب فى تلك الفترة فعقد عدة اجتماعات لبحث الموقف واقترح اتخاذ اجراءات فعالة وتنظيم الحاميات لـكن لم يتم تنفيذ شىء ، وعقد الاتحاد اجتماعا آخر فى ١٣ مارس حضره ممثلون عن المدن المختلفة وعدد من الشباب المستقلين مثل أكرم زعيتر ونمر عودة (٤٩) مما يشير الى شىء من العمل المشترك بين اتحاد العمال العرب ومجموعات الشباب سابق لقيام الثورة .

وعندما بدأ الاضراب صباح ٢٠ أبريل ١٩٣٦ قام عمـال ميناء يافا بتعطيل حركة الميـناء رغم تهديد الحكومة لهم ، لـكنهم اعلنـوا اضرابهم بشكل رسمى إعتبـارا من ٢٧ أبريل ، فتوقف العمل فى الميناء ، وتعطلت حركة النقلوالتصدير والتفريغ ، وخلا البحر منالبواخر والمراكبالشراعية الـكثيرة العدد ، وقررت لجنة السيارات العامة فى القدس فى ٢٤ أبريل ١٩٣٦ الاضراب العـام لجميع السيارات العامة والخاصة وجميع وسائل النقل فى فلسطين أعتبارا من ٢٥ ابريل ، وباضراب عمال الميناء ولجنـة السيارات العامة شلت الحركة فى أنحاء البلاد (٥٠) .

ويذكر مارلو انه كان هناك قليل من الحماسة بالنسبة للاضراب بين عمال مينـاء يافا لأن عمال الميـناء كانوا يعلمون أن نتيجة الاضراب سوف تحول التجارة اليهودية بشكل دائم الى حيفا وتتيح لليهود أن يقيموا ميناء تل أبيب الذى ظلوا يطالبون بانشائه لمدة سنوات خلت ، ويضيف أنعمال

الميناء الدائمين قاموا بدور ضئيل فى أحداث يوم ١٩ أبريل وان المسئولية الرئيسية للصدام الدموى الذى برز فى ذلك اليوم تقع على عاتق الحورانيين الذين كانوا يعملون بالمدينة ، وأن الحورانيين هم الذين شجعوا لجنة الاضراب المحلية على دعم الاضراب ، وانه حدث تهديد لعائلات عمال الميناء بالانتقام اذا لم يشارك العمال فى الاضراب ، وانه تم بذلك فرض الاضراب فى كل الميناء وسائر أنحاء يافا .

واما فى حيفا حيث عمل اليهود والعرب معا فى الميناء وفى ورش السكك الحديدية وحيث تسيطر القيادة العربية الأكثر اعتدالا فقد مضت الحياة بشكل طبيعى ، ولم يشارك عمال السكك الحديدية أيضا فى الاضراب ، واستمرت السكك الحديدية فى العمل باستثناء ما كان يحدث من تدمير لأجزائها أو خروج للقطارات عن خطوطها (٥١) .

ومع تطورات الاضراب أصدرت نقابة أصحاب السيارات العربية وسائقيها بعد ذلك منشورا حرضوا فيه على عدم دفع الضرائب ، وطالبوا اللجنة العربية العليا باشراك موظفى الحكومة العرب فى الاضراب (٥٢).

أما فيما يتعلق بعمال البلديات فقد كانوا مرتبطين برؤساء البلديات الذين لم يتخذوا من السلطة موقفا عدائيا يبلغ المدى الذى ذهبت اليه القوى الأخرى ، وعندما وافق رؤساء البلديات تحت الضغط الشديد على عقد اجتماع يبحثون فيه الحالة ويتخذون موقفا مشتركا سارعت الحكومة الى الغاء الاجتماع، لكنهم عادوا فاجتمعوا بصورة سرية فى ٣١ مايو ١٩٣٦ والتزم نصفهم بالاضراب نتيجة لهذا الاجتماع لكن عمال بلدية القدس بالذات لم ينتظروا عقد هذا الاجمتاع فاجتمعوا يوم ١٤ مايو وقرروا الاضراب تضامنا مع الامة (٥٣) .

وعندما استقبل ميناء تل أبيب — بعد أسابيع من بدء الاضراب — اول مركب تجارى قام بحارة يافا بمظاهرة بحرية صاخبة محاولين منع الشحن عليه (٥٤) .

وتشير بعض التقارير الدورية البريطانية الى أن الحالة فى حيفا وحواليها كانت شبه طبيعية ، وأنه لم يكن هناك مقاطعة ذات شأن (٥٥) ولكن مع استمرار الاضراب واستمرار دعوة الهيئات المختلفة لعمال

حيفــا الى مشـــاركة اخوانهم فى الاضراب تمت الاستجابة الى ذلك وان كانت غير كاملة .

ويتبين من بيانين للجنة القومية بحيفا مؤرخين فى ٨ ، ٩ اغسطس ١٩٣٦ أن فريقا كبيرا من عمـــال ميناء حيفـــا وغـــيره أضربوا عن العمل تضامنا مع الأمة ، ودعا البيانان سائر العمال والموظفين الى الاقتـــداء بهؤلاء « تأمينا لشل الحركة العامة برا وبحرا » (٥٦) .

لـــكن يبدو ان مشاركة العمال فى الاضراب لم تكن مشاركة فعالة، حيث يشير تقرير بريطانى الى أنه بذلت فى منتصف أغسطس ١٩٣٦جهود لارغام العمال العرب فى السكك الحديدية والميناء والبلديات على التوقف عن العمل ، كما بذلت محاولاتكثيرة للتخويف بواسطةالخطابات والبيانات الملصقة ، لـــكن التقرير يوضح ان العمل فى معظم الصناعات الـــكبيرة والمؤسسات منتظم الى حد كبير (٥٧) .

ولم تتوقف النداءات الصهيونية خلال المرحلة الأولى للثورة عندعوة اليهود الى حصر أعمالهم فى العمال اليهود وحدهم ورفض تشغيل العرب، مما دعا احدى المجلات الاقتصـــادية العربية فى فلسطين الى الدعوة الى الاهتمام بتنظيم العمال العرب « ان الواجب يحتم علينا تنظيم عمالنا أولا وايجاد العمل لهم ثانيا ، فعمالنـــا أولى بثمار أعمالنـــا وهم أدرى منـــا بغيرهم » (٥٨) .

وكان لجمعيتى العمال العرب فى يافا وحيفا وبعض الفئات العمالية مواقف ايجابيـــة خلال الثورة ، فعندما أعلن وزير المستعمرات فى مجلس العموم فى ٥ نوفمبر ١٩٣٦ استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين خلال قيـــام لجنة التحقيق بعملها قـــدمت جمعية العمال العرب بيـــافا مذكرة الى المندوب السامى فى فلسطين أوضحت فيها أن الحكومة بهذا الاجراء تزيد فى عدد العمال العاطلين وتخلق اسبابا للثورة واعلنت « اســـتمرار العمال فى مقاومة هذه السياسة الى أن تتحقق آمال الأمة السياســـية والقوميـــة فهى وحـــدها التى تستطيع أن تـــكفل النمو الاقتصـــادى فى البلاد » (٥٩) وعندما وافقت الحكومة على منح شهادات جديدة للهجرة فى

مايو ١٩٣٧ ارسلت جمعية العمال العرب بحيفا الى المندوب السامى تحتج على هـذا الاجراء فى الوقت الذى اعترفت فيـه الحكومة فى خطـاب مرسل الى الجمعيـة بصعوبة الحالة الناشئة عن ازدياد عدد العاطلين فى البـلاد (٦٠) . وعندما افتتح المندوب السامى ميناء تل ابيب فى أواخر فبراير ١٩٣٨ قـدم بحارة المينـاء مذكرة الى المندوب السامى اوضحوا فيها ان السماح بانزال المسـافرين فى تل أبيب هو تهـديد لمصـالحهم الاقتصـادية (٦١) .

ولم ينقطع خلال الثورة تشكيل بعض النقابات العمالية ، ففى اوائل ١٩٣٧ تكونت نقابة من عمال الطباعة فى يافا (٦٢) .

لـكن يفهم من واقعـة معينة ان جمعية العمال العرب بيافا لم تكن تعط اهتماما حقيقيا للمشاكل العمالية الجماعية مما كان يضطر بعض العمال العرب الى اللجوء الى الهستادروت لمساعدتهم فى حل تلك المشـاكل . فقد حدث خلال ديسمبر ١٩٣٧ أن أضرب ستون عاملا بميناء يافا نتيجـة لوجود مستحقات لهم لدى المتعهد سليم الخورى ، ولجأ هؤلاء العمال الى بعض الهيئـات والشخصيات والصحف العربيـة فى يافا لمساعدتهم فلم يهتم أحد بهم ، مما دفعهم خلال الأسـبوع الرابع من اضرابهم الى اللجوء الى الهستادروت لمساعدتهم ، وقـد تعرضوا بسبب هذا الموقف لمهاجمة الصحف العربيـة ، فأذاعوا بيـانا اوضحوا فيه حقيقة ماحدث ، واكدوا انهم لم ينضموا الى الهستادروت لـكنهم لجئوا اليها نتيجة لعـدم اهتمام الهيئات العربية بهم (٦٣) .

وتشـير هذه الواقعة وغيرها الى دلالة معينة وهى أن العـلاقات العربيـة اليهودية اجتماعيا لم تكن قد وصلت بعد الى نقطة اللاعودة . فقد كان هناك بعض العرب مازالوا يعملون فى بعض المعامل اليهودية ، كما كان هنـاك علاقات ودية بين فئـات من العمال العرب واليهود ، فقد حدث ان أطلق الثوار النيرا نحول معمل اسمنت بالقرب من حيفا فقتل احد العمال اليهود ، فأرسل العمال العرب الذين كانوا يعملون فى المحجر التابع للوكالة رسالة تعزية الى العمال اليهود جاء فيها « نعرب لكم بهذا عن حزننا والمنـا لموت اخينـا العـامل المرحوم اسحق بطرانكر . هلم نعزى بعضنا بعضا ونبتهل اليه تعـالى ان يدرأ عنكم كل غائلة » (٦٤) .

وحتى المرحلة الثانية من الثورة لم تكن محاولات بعض الهيئات اليهودية لاستمالة العمال والفلاحين العرب الى صفوفها او لاثارة الشكوك بينهم وبين قيادتهم الوطنية قد توقفت ، فقبيل عيد العمال فى أول مايو ١٩٣٨ وجه اتحاد عمال فلسطين فى تل أبيب منشورا الى العمال والفلاحين العرب دعاهم فيه الى التحرر من نفوذ أولئك الذين يتخذون من أرواحهم ومصالحهم سلعة يعرضونها فى ميادين السياسة العالمية بأرخص الأثمان، والى رفع اصواتهم وتحديد ساعات العمل « واستبدال المنافسة بالمصافاة والخلاف بالائتلاف والتدمير بالتعمير والشقاق بالوفاق » (٦٥) .

وعندما أقيم احتفال عيد العمال فى ٢٨ أبريل ١٩٣٨ وقف احد أعضاء فرع اتحاد عمال فلسطين بحيفا يخطب فى اعضاء الاتحاد والحاضرين الذين كان بينهم بعض العرب مرددا نفس المعانى التى وردت فى منشور اتحاد عمال فلسطين السابق الاشارة اليه « اننا معشر العمال والفلاحين أصبحنا حطبا لنار هذه الثورة التى اشعلها ذوو الأغراض والمآرب فأحرقتنا حرقا ، واصبحنا فيها ضحية للسياسةوالمشتغلين بها ، فان طالت بنا هذه الحالة تعاظم وبالنا واشتد شقاؤنا وذقنا مرارة مابعدها مرارة ، فعلينا أن نستدرك الأمر ونوقف الشر عند حده ، ونحل محله التفاهم والتآخى ... » (٦٦) .

وكانت منظمة الهستادروت حريصة على التظاهر بتشجيع جهود التعاون بين العمال العرب واليهود ، فيذكر أحد المصادر الصهيونية انه قد حوفظ خلال الثورة عن طريق الهستادروت على استمرار الملاقات بين العمال العرب العرب واليهود ، وانه فى عام ١٩٣٦ وما بعده كان مئات من العرب يشاركون فى احتفالات الهستادروت بعيد أول مايو ويحضرون الاجتماعات ويسيرون فى المواكب رغم ماكان يوجه اليهم من تهديدات وانه بعد احتفالات مايو ١٩٣٧ قتل عضوان عربيان من جمعية العمال العرب كما خطف الى التلال بعد احتفالات مايو ١٩٣٨ عدد من العمال العرب حيث حوكموا أمام محاكم الثورة وحكم على بعضهم بالاعدام وأفرج عن آخرين بعد دفع فدية كبيرة (٦٧) ويعتقد ان تلك السياسة التى اتبعها الهستادروت وبعض الهيئات اليهودية كانت تعنى بالدرجة الأولى جذب العمال العرب اليها واغراءهم بوسائل مختلفة — اجتماعية وتعليمية

وصحية ــ بهدف فصلهم عن باقى القوى الاجتماعية واعاقة تكوين اتحادات عمالية عربية قوية .

لكنا نجد فى نفس الوقت فئات عمالية عربية متنبهة الى خطورة ماتقوم به الهستادروت وغيرها من تضليل العمال العرب وابعادهم عن مسار حركتهم الوطنية . ففى أواخر يوليو ١٩٣٨ أضرب عمال شركة البترول العراقية العرب مطالبين الادارة بفصل العمال اليهود عنهم (٦٨) وتوجه اليهم حاكم اللواء وبعض أفراد الشرطة ومدير الشركة وطلبوا اليهم العودة الى اعمالهم حتى يمكن النظر فى مطالبهم ، لكنهم لم يستجيبوا لذلك (٦٩) .

واما على مستوى العمل النقابى المشترك فحتى المرحلة الثانية من الثورة كان مايزال هناك بعض النقابات التى تجمع العرب واليهود معا مثل نقابة عمال السكك الحديدية والبرق والبريد المختلطة التى اجتمعت هيئتها المركزية فى ١٤ مايو ١٩٣٨ للنظر فى موضوع العمال الذين خفضت ادارة السكك الحديدية اجورهم نتيجة لجعل أيام العمل الاسبوعية خمسة أيام فقط وتخفيض مخصصات غلاء المعيشة بنسبة ٥٠٪ وفصل ما يقارب المائة عامل من السكك الحديدية وستين عاملا من ادارة البريد .وقررت الاحتجاج على تلك الاجراءات والمطالبة بمنح عمال اليومية اجورا ثابتة (٧٠)

ولم تنقطع اضرابات العمال العرب خلال المرحلة الثانية من الثورة سواء من اجل مطالبهم الخاصة أو من أجل قضيتهم الوطنية ، فخلال عام ١٩٣٨ اضرب عمال السكك الحديدية وعمال البلدية للمطالبة بتحسين الأجور ومساواة العامل العربى بالعامل اليهود ، كما أضرب عمال ميناء حيفا وعمال السكك الحديدية احتجاجا على ماحدث من اعتقالات فى شهر سبتمبر ١٩٣٨ . وفى عام ١٩٣٩ أضرب عمال بلدية حيفا احتجاجا على تعيين أحد اليهود رئيسا لبلدية حيفا .

ومع ازدياد العمل الثورى فى فلسطين كانت الحركة النقابية تزداد رسوخا وفاعلية ، فخلال عام ١٩٣٩ التحق كثير من العمال بجمعية العمال العربية الفلسطينية بحيفا وتألفت نقابات جديدة منها نقابة عمال معسكرات الجيش البريطانى ، ونقابة عمال البرق والبريد والهاتف ، ونقابة عمال دوائر الأشغال العامة ، ونقابة عمال شركة تكرير البترول ، وقامت

الجمعية خلال ذلك العـــام بتأليف أول جمعية تعاونيـــة للتسليف والتوفير بدأ رسمالها بخمسة جنيهـــات وبلغ بعد سبع سنوات ٣٦ الف جنيـــه ، وبلغت قيمة المبـــالغ التى اقرضتها للعمال خلال ثلاث سنوات (٢٢٧ر٤٨) جنيها ، وقد تبع ذلك تشكيل عدة جمعيات تعاونية أخرى (٧١) .

ويمكننا على ضوء ماسبق ان نجمل موقف الحركة العمالية العربيـــة فى النقاط التالية :

اولا : ان النمو البطىء للبورجوازية الصناعية العربية قد اسهم بدرجـــة كبيرة فى ضعف الحركة العمالية العربية ، كما أن الحركةالعمالية اليهودية قد لعبت دورا هاما فى تعطيـــل نمو الحركة العماليـــة العربية سواء بالتضليل والخـــداع او بضرب تلك الحـــركة من داخلها .

ثانيا : انه لم تكن هنـــاك حركة سياسية عربية تمثل العمـــال العرب أو تعبر عن افـــكارهم ومواقفهم ، وان كفاح الحركة العمالية العربية كان مرتبطا بالدرجة الأولى خلال الفترة مابين الحربين العالميتين بعوامل اقتصادية وليست سياسية .

ثالثا : ان الحركة العمالية العربية فى فلسطين كانت حركة منعزلة الى حد كبير فلم تربط نفسها بالحركات العمالية فى العـــالم العربى ولم تستفد أو تعتمد على خبرة غيرها من الحركات العماليـــة فى العـــالم .

رابعا : أن دور العمال العرب الأساسى خلال ثورة ١٩٣٩/٣٦ قد تركز فى عمليات المظاهرات والاضراب والمناوشات واعمـــال التـــدمير والنسف وانهم شاركوا فى معارك الثورة لـــكن مشاركتهم فى تلك المعارك لم تكن فعالة ومؤثرة .

المصـــادر

(١) حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التى وقعت فى شهر آب ١٩٢٩ ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(2) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 19/35.
(3) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 1/36.

(٤) يوسف هيكل : القضية الفلسطينية تحليل ونقد ص ٢٠٢ .
أكرم زعيتر : جهاد فلسطين العربية ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٥) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية . الـكتاب الأول ص ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٧ — ١٢٠ ، الأهرام ٤ يوليو ١٩٣٦ ص ٤ ، ١٢ يوليو ١٩٣٦ ، ٢٨ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(٦) الاهرام : ١ يوليو ١٩٣٦ ص ٤ .

(٧) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٣١ .

(٨) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٢١٨ ،

عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٢٠ ، ٢١ .

(9) Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 71.

(10) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 15/36.
(11) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(12) Report by His Majesty's Government ... for the year 1936. p. 16.

(13) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(١٤) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٠٧ ، ٢٢٠ .

(١٥) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٧—١٢٠

(١٦) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ص ٧٩ ، ٨٠ ،

عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٧ ، ٨٩—٩١ ،

بيان عن العالم الاسـلامى والعـالم العربى ... عن فظائع الاستعمار البريطانى ... ص ٦ ، ٧ ،
الاهرام : ٨ اكتوبر ١٩٣٦ ص ٤ .

(١٧) الاهرام : ٢٣ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(١٨) اللجنـة الفلسطينية العربيـة بالقـاهرة : المرجع السـابق ص ٣٨ ، ٣٩ .

(19) Report by His Majesty's Government ... for the year 1936. p. 16.

(٢٠) عبد الوهاب الـكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣١٢ .

(٢١) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٤ ، ٢٢٠ .

(٢٢) فلسطين فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ص ٥٩ .

(٢٣) محمدعزة دروزة : كتاب مفتوح الى اللجنة الانكليزية ص١٢٧ .

(٢٤) شئون فلسطينية : يناير١٩٧٢ دراسة لغسان كنفانى ص٦٧ .

(٢٥) عبد الوهاب الـكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٣ .

(٢٦) الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٢٧) جيفريز : فلسطين اليكم الحقيقة الجزء الرابع ص ١٥١ .

(٢٨) نجلاء عز الدين : العالم العربى ص ٣١٧ ، ٣١٨ ،

Middle Eastern Studies. The Politics of the Arab Rebellion in Palestine. 1936 - 39. Tom Bowden. vol II. May 1975. No. 2. p. 150.

(٢٩) أميل الغورى : المؤامرة الـكبرى . اغتيـال فلسطين ومحق العرب ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣٠) الصراط المستقيم : ٨ آب ١٩٣٨ ص ٣ .

الشباب : ١٠ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(٣١) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق ص ٢ من الملحق ٣ .

(٣٢) الشباب : ٢٤ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(٣٣) الصراط المستقيم : ٢١ حزيران ١٩٣٨ ص ٥ .

(٣٤) عبد الوهاب الـكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٣٥) السياسة : ١٤ أبريل ١٩٣٨ ص ٤ ،

الزمان : ٢٤ أبريل ١٩٣٨ ص ١ ،

صوت الحجاز : ٢ أغسطس ١٩٣٨ ص ٣ ،

الشباب : ٢٠ اكتوبر ١٩٣٧ ص ٣ ، ٢٧ اكتوبر١٩٣٧ ص٤ .

(٣٦) الصراط المستقيم : ١٥ آب ١٩٣٨ ص ١ .

(٣٧) شئون فلسطينية : المرجع السابق ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣٨) الصراط المستقيم : ٦ آب ١٩٣٨ ص ٣ .

(39) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 6/36.

(٤٠) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٤١) صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ص ٢١٣ — ٢١٥ .

(42) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(٤٣) فلسطين : ١ كانون الأول ١٩٢٢ ص ٣ .

(٤٤) الاهرام : ١٤ يوليو ١٩٣٦ ص ٤ .

(٤٥) السياسة : ٢٥ فبراير ١٩٣٨ ص ٣ .

(٤٦) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٩٠ .

(٤٧) الوحدة المغربية : ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ص ٢ .

(٤٨) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٠٢ .

(49) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 5/36.

(٥٠) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، عيسى السفرى المرجع السابق ص ١٨ ، ١٩ .

(51) Marlowe : The Rebellion in Palestine. pp. 152, 153.

(52) Esco : Ibid., vol. II, p. 794.

(٥٣) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣١٠ .

(٥٤) الاهرام : ١٥ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(55) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(٥٦) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة منشوران من اللجنة القومية بحيفا الى الشعب العربى الكريم الأول مؤرخ فى ١٩٣٦/٨/٨ وملصق بالكراسة الأولى ص١٧ ، والثانى مؤرخ فى ١٩٣٦/٨/٩وملصق بنفس الكراسة ص ١٨ .

(57) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(٥٨) الاقتصاديات العربية : ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٦ ص ٤ .

(٥٩) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٢٤٠ — ٢٤٣ مذكرة جمعية العمال العرب بيافا الى المندوب السامى .

(٦٠) الشباب : ٢٦ مايو ١٩٣٧ ص ٤ .

(٦١) السياسة : ٥ ابريل ١٩٣٨ ص ٤ .

(٦٢) الشباب : ٢٤ مارس ١٩٣٧ ص ٤ .

(٦٣) حقيقة الأمر : ١٢ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٤) حقيقة الأمر : ١٣ نيسان ١٩٣٨ ص ١ .

(٦٥) حقيقة الأمر : ٢٧ نيسان ١٩٣٨ ص ١ .

(٦٦) حقيقة الأمر : ٤ آيار ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٨) الصراط المستقيم : ٣٠ تموز ١٩٣٨ ص ٨ .

(67) Esco : Ibid., vol. p. 591.

(٦٩) الصراط المستقيم : ١ آب ١٩٣٨ ص ٤ .

(٧٠) حقيقة الأمر : ٢٥ آيار ١٩٣٨ ص ٤ .

(٧١) مذكرات حسنى صالح الخفش ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ،

الزمان : ٢٣ ايلول ١٩٣٨ ص ٣ .

المثقفون والثورة

ومن يتـــابع أحداث الثورة منذ بدايتها يلاحظ ان المثقفين كانوا أسرع القوى الاجتماعية التى ترجمت حركة الجماهـــير الى أول تشـــكيل منظم للثورة ، فلقد كان الشبان المثقفون فى نابلس هم الذين شكلوا أول لجنة قومية فى فلسطين ، وهم الذين أعلنوا الاضراب ودعوا المدن الأخرى اليه، وهم الذين قرروا فى اول اجتماع لهم أن تكون الحركة الوطنية مستقلةعن الأحزاب القـــائمة وأن يشارك الفلاحون فى تنظيمها وأن توجـــه الحركة ضد البريطانيين اولا وليس ضد الصهيونية وحدها .

ولم يكن الأمر بالنسبة لتلك المجموعات المثقفة مجرد شـــعارات . صحيح انهم ساهموا بالدور الأول فى فكر الثورة وتوجيه مسارها خاصة فى مدن فلسطين ، لـــكن أعـــدادا منهم فى نفس الوقت حملت ســـلاحها وشاركت الثوار أعمالهم . وتجمع المصـــادر العربيـــة الرئيسية على أن المثقفين شـــاركوا بنصيب فى معارك الثورة على امتدادها ، وأن بعضهم بذل محاولات ناجحة وان كانت أولية لصنع متفجرات للثورة واستشهد عدد منهم خلال التجارب ، وان بعضهم عمل كمستشارين لقيـــادات الثورة فى مرحلتها الثانية وكان لهم دور مميز عند تشكيل محاكم الثورة وحاولوا توجيه فرق الثورة لتجنب بعض الأخطاء فى عملياتها (١) .

ولم يكن بالأمر الغريب أن تجمع معسكرات الاعتقال نوعيات مختلفة من المثقفين من خريجى الجامعات والأطبـــاء والمحامين والقضـــاة ورجال الدين ، بل أننـــا نجد ضمن هؤلاء المعتقلين المثقفين موظفا كبيرا فىحكومة فلسطين هو الدكتور راسم الخالدى الحاصل على درجـــة الدكتوراه فى الاقتصاد والمفتش الأول للجمعيات التعاونية فى حكومة فلسطين (٢) .

ولاقى بعض رجال الدين الاسلامى من قضاة ومفتين وائمة ومدرسين عنتا وقسوة باعتبارهم ذوى مكانة وتأثير فى نفوس الجماهير حتى ولو لم يكن لهم نشاط سياسى ، وبلغ من تضييق السلطة على حركتهم انوضعت مثلا واعظ منطقـــة عكا تحت المراقبة فترة أربعـــة أشـــهر على أن يثبت

وجوده فى مركز الشرطة أربع مرات يوميا متهمة اياه بالاتصـــال بالثوار والتحريض على القلق (٣) .

ويشير احـــد التقارير البريطانيـــة الدورية فى يوليو ١٩٣٦ الى أن وعاظا يعملون بالمجلس اسلامى الأعلى طافوا بالمناطق الريفية الخاصـــة بهم للدعوة الى التبرع والقـــاء المحاضرات السياسية ، واستبعد التقرير أن تكون تلك المحاضرات مقتصرة على الدعاية السلمية وحدها (٤) .

وكانت عمليـــات الاغتيـــال من تلك الأعمال التى أقـــدم عليها بعض المثقفين بالمدن ، فقد أطلق سامى الانصارى مدرس اللغـــة الانجليزية فى المدرسة الرشيدية النـــار على مفتش للشرطة عرف بقسوته ضد العرب وحاول بهجت أبو غربيـــة اغتيـــال المندوب السامى فلم يصادفه التوفيق، لـــكنه تمكن من اغتيال اثنين من الطيارين الانجليز (٥) .

ولم يكن نشاط المثقفين العرب فى فلســـطين مقتصرا على العمل فى داخل البلاد ، فقد شارك بعضهم فى مؤتمرات عالمية بهدف خدمة قضـــية بلده ، فقد حضر رئيف خورى مؤتمر الشبية العالمية الذى عقـــد فى كلية فاسر بولاية نيويورك فى الفترة من ١٨ الى ٢٥ اغسطس ١٩٣٨ ، والقى بعد انتهاء المؤتمر خطابا فى حفل اقيم له فى نيـــويورك ينم عن فهم واع وصادق للقضية « واننى أغتنم معرض الحديث الآن لأنبه العرب والعالم أجمـــع الى أن الزعمـــاء الصـــهيونيين راضـــون فى سرهم عن اضطهاد الديكتاتوريات الســـوداء لليهود حتى يثيروا الدنيـــا الى جانبهم وينســـاق الشعب اليهودى الىالالتفاف حولهم ويظهروا بمظهر المنقذين لذلكالشعب، ويوالوا تحت هذا الستار الانسانى هجومهم على فلسطين » (٦) .

لـــكن هذه المواقف الايجابية من المثقفين فى فلســـطين لاتعنى خلو صحيفتهم من أية مواقف معادية ، فقد باع الدكتور كمال حنون ــ الحاصل على درجة الدكتوراه من باريس ــ الفا ومائة وستة وثلاثين دونمـــا من أراضى عائلته بطولـــكرم لليهود رغم قتل مجهولين لأحـــد أفراد أسرته فى الشهر الأسبق لمنع الأسرة من بيع تلك الأرض (٧) لـــكن هذه المواقف من مثقفى فلسطين كانت نادرة ومحدودة . فالمثقفين بشـــكل عام كانوا روح الثورة وضميرها وأكثر الفئات تعبيرا عن مصالح الجماهير واهدافالحركة الوطنية وآمالها .

الطــلاب والثورة

تجاوب الطــلاب مع جمــاهير أمتهم بعد اعلان الاضراب العام فى أبريل ١٩٣٦ ، وكان لهم دور فى استمرار الاضراب وتنظيم المظاهرات ، كما كانوا يضعون العوائق فى الطرقات لتعطيل قوات السلطة، ويتربصون بالخارجين على كلمة الجماهير (٨) .

وقبل مرور شهر على بدء الاضراب كان الطلبة قــد أصبحوا أحــد العناصر المؤثرة فى انجاهات الحركة الوطنية ، وأغلقت خــلال الاضراب جميع المدارس العربية ، ووضع الطلاب جهودهم فى خدمة أمتهم، وتحولوا الى شبه جنود للحث على المقاطعة وحراسة الاضراب فى المدن والقرى .

وعقد الطلبة فى ١١ مايو ١٩٣٦ مؤتمر الاتحاد الطــلابى العربى فى فلسطين حضره مئات المندوبين من مدن فلسطين وشرقى الأردن ،واتخذوا قرارات عديدة منها : منع الهجرة اليهودية منعا باتا وتجــريد اليهود من السلاح وحل الفرق الرياضية الصهيونية ذات الطابع العسكرى ، واطلاق سراح المعتقلين ، واقامة حكم نيابى فى فلســطين مع عقــد معاهــدة مع بريطانيــا (٩) .

وقــد شاركت طالبــات فلسطين فى الاضراب ، كما ســاهم الطلبة الفلسطينيون فى الجامعات الغربية بدور فى هذا الشــأن ، فقــد قامت الجمعيــة العربيــة فى بريطانيــا التى كانت مؤلفــة من الطلاب العرب الفلسطينيين بنشر الدعاية للقضــية على صفحات الصحف لتعريف الرأى العــام الغربى بحقيقــة الأحوال فى الأراضى المقــدسة ، كمــا أرسلت النشرات والاحتجاجات الى الجهات المعنيــة ، وجمعت من أعضائها مبلغا من المال أرسلته الى القدس مساهمة منها فى نفقا تالثورة (١٠) .

وقد استمر اضراب الطلاب طوال الأشــهر الستة التى اســتغرقها الاضراب ، وفقد خلاله كثير من الطلاب حياتهم اثنــاء اختلاطهم بالجماهير ونتيجة لأعمال القوات العسكرية ورجال الشرطة (١١) .

ويحدث خلال المرحلة الأولى للثورة حدث هام ، وهو تحول كشافة

المدارس الأميرية الذين كانوا تابعين لكشافة بادن باول الى نظام عربي خالص .

وكانت فلسطين قد عرفت الحركة الكشفية قبل الحرب العالمية الأولى على يد الأتراك حينما استعملت لأغراض عسكرية ، وبعد فرض الانتداب البريطاني فى فلسطين ، حرصت ادارة المعارف على تشجيع الحركات الكشفية فى المدارس (١٢) . ويعتقد أن الهدف من ذلك كان عزل وتجميد نشاط قطاع طلابي هام عن المشاركة فى شئون الوطن ، فكان بالبلاد عدة فرق من الجوالة الكشافة والأشبال يسيرون على النظام الكشفي الانجليزي باستثناء فرقة نابلس التى كانت تابعة لجمعية الكشاف المسلم السورية ، وكان المندوب السامي هو رئيس كشافة فلسطين الشرفي ، والمستر بومن مدير المعارف هو رئيسهم الفعلي (١٣) .

وبقى الأمر على هذا النحو حتى وجه مكتب مؤتمر الشباب الدعوة الى كشافة فلسطين للتحرر من التبعية الأجنبية ، فاجتمعت وفود الكشافة فى دار الجمعية الاسلامية المسيحية يوم ٥ يناير ١٩٣٤ ، واقر الحاضرون تأليف كشافة عربي مستقل وتنصيب الملك غازي كشافا أعظم ينضوى الكشافة العرب الفلسطينيون تحت لوائه ، وتغيير شارة الكشاف والعلم ، والسير على نظام خاص يتفق وبيئة البلاد ونفسية سكانها (١٤). لكن كشافة المدارس الحكومية لم تعمل بتلك القرارات .

وعلى اثر اعلان الاضراب العام ساهم كشاف المدارس الحكومية مع غيرهم فى اعمال الاسعاف ونقل الجرحى والمصابين ، ولما علم مدير المعارف بذلك بعث بأمر عاجل الى مديرى المدارس وقواد الفرق التابعة له لمنع الكشافة العرب من ارتداء الملابس الخاصة بالكشافة أثناء الاضراب ، لأنهم فى نظره قد خالفوا قوانين الكشافة ، ولم يكونوا مخلصين لليمين التى اقسموها بالطاعة لملك انجلترا (١٥) .

ورغم هذا الحظر على نشاطهم استمر كثير منهم يؤدون دورهم الوطني ، سواء وهم يرتدون لباس الكشافة أو بدونه ، وحينما كانت السلطة تلقى القبض على أحدهم وهو يرتدى هذا اللباس كان مصيره هو الاعتقال والسجن (١٦) .

ويروى قائد احدى فرق الكشافة فى رسالة منه الى محمد على الطاهر شيئا عن أعمال الكشافة العربية خلال الثورة مثل اغاثتهم للجرحى — عربا ويهودا — مما كان محلا لتنويه الصحف اليهودية عن مواقفهم فى مناسبات كثيرة (١٧) .

ووجد طلاب فلسطين العرب فى مبادىء الكشافة والجوالة خلال الثورة متنفسا تنظيميا وان كان محدودا للتعبير عن مشاعرهم ، فيروى أمين سعيد فى مقال له بعد زيارة قام بها لفلسطين فى أبريل ١٩٣٧ شيئا عن انتشار تلك المبادىء فى فلسطين خاصة فى القرى العربية ، وان المواكب الدينية التى كانت تقتصر على الدراويش وأرباب الطرق قد حل محلها كشافة يسيرون فى مقدمة المواكب ينشدون أناشيد وطنية « الى السلاح الى السلاح . الى الجهاد الى الجهاد » وان شبان القرى كانوا يؤلفون فرقا خاصة بهم فى داخل المواكب حيث يرددون الأهازيج الوطنية « على الدبابة واهجم واضرم فيها النار » (١٨) .

ويذكر القاوقجى فى مذكراته أنه حاول بعد وصوله الى فلسطين خلال المرحلة الأولى للثورة أن يؤلف من الكشافة مفارز مستقلة تكون نواة للجيش النظامى الفلسطينى لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب اندماج الكشافة مع بقية الثوار فى مختلف ميادين الثورة (١٩) .

وتحدد ادارة المعارف موعدا خلال شهر يوليو لعقد امتحان لطلاب فلسطين للحصول على درجة « مترو كوليشن » فيذهب الطلاب العرب الى مكان الامتحان ويقررون مقاطعته (٢٠) .

ويشير تقرير بريطانى مؤرخ فى ١٢ يوليو ١٩٣٦ الى أن أعضاء اتحاد الطلاب قد زاروا القرى من أجل تقوية روح المعارضة للحكومة واستمرار الاثارة فى المناطق الريفية (٢١) .

ويستمر الطلاب فى نشاطهم خلال المرحلة الأولى من الثورة خاصة بالنسبة لتنظيم المظاهرات وتقوية الروح الثورية عند الجماهير ، ويعقدون مؤتمرا فى غزة فى منتصف أغسطس ١٩٣٦ يقررون فيه وجوب استمرار الاضراب حتى تتحقق مطالب العرب (٢٢) .

وقبيل نهـــاية الاضراب وقبـــل أن يستجيب العرب الى نداء ملوكهم بوقفه يعقد الطلاب العرب مؤتمراً فى طولـــكرم بمناسبة قرب موعدافتتاح الدراسة ، ويقررون الامتناع عن الذهاب الى المـــدارس والاستمرار فى الاضراب تضامنا مع الأمة (٢٣) .

ولم يتوقف الطلاب عن ابداء مشاعرهم خلال مرحلة توقف الثورة ، فعندما أقيمت احتفــالات فى القــدس بمناسبة تتويج ملك بريطانيـــا لم يكتف الطلاب بمقاطعتها كما فعل عرب القدس ، بل كانوا يعلقون شارات ســـوداء على صــــدور المـــارين من العرب تعبـــيرا عن معارضتهم لتلك الحفلات (٢٤) .

ويبدو أن نشاط طلاب فلسطين كان يزعج السلطة البريطانية التى كانت تحاول الحد منه ، فقد أصـــدر مدير معارف فلسطين فى مايو ١٩٣٧ أمرا يحظر فيـــه على الطلبـــة المسلمين الاشتراك المنظم فى احتفـــالات المولد النبوى أو تأليف مواكب تشترك فى تلك الاحتفالات (٢٥) .

ولم يكن نشاط الطلاب مقتصرا على مجرد المشـــاركة فى الاضراب وتأكيد استمراره وتعبئـــة الروح الثورية ، فقد شارك بعض الطلاب فى معارك الثورة وان كانت مشاركة محدودة ، ويروى عيسى السفرى قصة طالب فلسطينى كان يتلقى العلم فى القاهرة لـكنهعاد الى وطنه بعـــد قيـــام الثورة حيث استشهد فى معـــركة بلعا الثانيـــة أثنـــاء قيامه بلغم الجسور (٢٦) .

المعلمون والثورة

عندما قامت الثورة شارك المعلمون فى أحداثها كمواطنين وكان لهم دورهم فى حركتى الـــكشافة واضرابات المدارس . ويشير تقرير اللجنة الملـــكية الى شىء من هذا النشاط حين يلفت النظر الى عدم قيـــام معلمى الـــكلية العربيـــة فى القـــدس بمنع تلاميذهم من استخدام العنف لارغام طلبة مدرسة مختلطة على الامتناع عن الدراسة والى توقيع جميع المعلمين وكبار الموظفين العرب فى دائرة المعارف على المذكرة المقدمة الى السلطة فى ٣٠ يونيـــة ١٩٣٦ بشأن الأوضـــاع فى فلسطين ، والى اعتقال اثنين من المعلمين فى صرفند (٢٧) .

وقد عمل كثير من المعلمين أثنـــاء مرحلتى الثورة مع الثوار كسكرتيرين للقواد ومنظمين لشئون التموين ، أما الذين ثبت اشتراكهم فى المعـــارك فكانوا قلة ، وقد ذكر السكرتير العام لحكومة فلسطين أمام لجنة الانتدابات فى جنيف « أنه علم بثلاث أو أربع معلمين ظن أنهم اشتركوا فعلا فى نشاط تخريبى ، ونتيجة لذلك تم اعتقالهم وطردهم من وظائفهم » .

وخلال السنة الدراسية ١٩٣٩/٣٨ اعتقل تسعون مدرســـا بموجب قانون الطوارىء وبعد اســـتجوابهم أطلق سراح بعضهم وأرسل الآخرون الى معسكرات الاعتقال ، كما أمر المندوب السامى بطرد عشرة معلمين .

ولم يكن بوسع المعلمين أن يقفوا متفرجين على مايحدث حواليهم أو يتجنبون العمل بالسياسة ، فلطالما حاولوا أن يحفظوا التوازن بين ولائهم للحكومة كموظفين وبين مستقبل وطنهم ، لـــكنهم اختـــاروا مع الوقت أن يشاركوا فى أحداث الوطن (٢٨) .

الشباب والثورة

ان نشاط الشباب الفلسطينى ومساهمته الفعالة فى شـــئون بلاده وان بدأ متأخرا الا أنه نضج وانصهر فى أتون الثورة الفلسطينية ، ولعل تأخر مساهمة الشباب فى دفع خطى الثورة فى فلسطين فى العشرينيات يرجع بدرجة أساسية الى قلة الشباب الواعى فى تلك الفترة وعدم اهتمام الجماعات السياسية فى فلسطين بقطاعات الشباب المختلفة ، فلا يعرف أن محاولة جادة قد بذلت فى ذلك الوقت لتعبئة الشباب وتوجيه جهودهم لصالح أمتهم .

ومنذ بداية الثورة كان للشباب دور فعال ومؤثر فى احداثها ، فيروى تقرير اللجنة الملـــكية ان اللجان القومية التى شكلت منـــذ بداية الثورة والتى كانت القاعدة الشعبية للحركة الوطنية خاصـــة فى المرحلة الأولى من الثورة كان معظم أعضائها من الشبان العرب (٢٩) .

ويشير تقرير بريطانى دورى مرسل من فلســـطين فى أواخر مايو ١٩٣٦ الى أن المحتمل أن تسوء الأحوال بسبب جهـــود الشباب وتطرفهم حيث يتلهفون على ارغام القـــادة الى اللجوء الى أعمال أكثر ايجابية ، وأن أحداث القتل والهجمات وتدمير المحاصيل والأشجار ترجع من غير شك

الى جهود الشباب الذين يأملون بهذه الوسائل ابقاء الحركة نشطة واثارة اضطرابات خطيرة (٣٠) .

وكان الشباب يضغط على الشخصيات السياسية ويدفعها الى اتخاذ مواقف معينة ، فبعد شهرين من بداية الاضراب زار وفد من شباب يافا رئيس بلدية القدس وطلبوا منه مشاركة البلدية فى الاضراب ، كما اجتمع الوفد بأمين الحسينى وطلب منه أن يرد بصفته رئيسا للمجلس الاسلامى الأعلى على بيان وزير المستعمرات الذى أشار فيه الى عدم اشتراك المجلس الاسلامى فى الاضراب (٣١) .

وخلال المرحلة الأولى من الثورة وفى غمارها يحدث تغييران هامان فى صفوف **الشباب** :

الأول : تكون الحرس الوطنى الذى أخذ على عاتقه مهمة حراسة الاضراب والاشراف عليه .

الثانى : مساهمة الشباب فى الحركات المسلحة فى الجبال وقيامهم بدور هام فى أحداث الثورة .

وبالنسبة للأمر الأول وهو تكوين الحرس الوطنى فتذكر بعض المراجع العربية انه الفت فرق من « الحرس الوطنى » للسهر على حسن سير الاضراب وتقويته والدفاع عن المخازن والسكان خلال الاضراب (٣٢) ويحدثنا اكرم زعيتر عن بداية تكون الحرس الوطنى فيذكر انه قبيل الثورة مباشرة عقد شباب يافا اجتماعا قرروا فيه انتخاب خمسة عشر شابا اطلق عليهم اسم « الحرس الوطنى » وأناطوا بهم أمر السهر على مصلحة الاضراب ، وان ظهور هذا التنظيم كان بداية حركة الشباب فى يافا ،وانه بعد الاضراب قام فى بعض المدن الى جانب اللجان القومية جماعات من الشبان تدعى « الحرس الوطنى » (٣٣) ويضيف عيسى السفرى أن تكوين هذا الحرس كان على غرار ماقام به شبان المؤتمر الوطنى فى الهند ، وأن هؤلاء الشباب اتفقوا على أن يكونوا دائما فى الطليعة وحددوا منهم أفرادا لتنفيذ القرارات ، فمن زج منهم فى السجن حل محله غيره ، وأنهم كانوا يختلطون بالجماهير ويبحثون معها قضية الوطن .

وكانت نداءات الحرس الوطنى أثناء الاضراب تتميز بالتعبير الصادق

عن آمال عرب فلسطين « لقد رأينـــا أن نغير أساليب كفاحنا قبل أن نطلب الى الانجليز تغيير سياستهم . وسائلنـــا معهم كانت احتجاجات وبيانات . ووسيلتنا الآن كفاح عملى شريف » « لا مهادنة بيننا وبينكم حتى تجـــاب مطالبنا الحقة » ونلمس فى بياناتهم احساسا صـــادقا بما يمكن أن تئول اليه الأمور اذا لم يناضل العرب ضد بريطانيا « معركة فاصلة بيننا وبينهم اذا رجعنـــا غلبونا . وفى سنوات قلائل تصبح فلسطين العربية يهودية، ويصبح العرب أهلها مشردين ، يعيشون على ألم الذكرى وعار الهزيمة والشرف المجروح » (٣٤) .

وتشير تقارير بريطانية عديدة الى ذلك الـــدور الهـــام الذى قام به الشباب طول المرحلة الأولى من الثورة خاصة بالنسبة لمجـــال تعبئـــــة الجماهير (٣٥) .

كما كان هنـــاك مجموعات من الشباب تطوف المدن والقرى لمحاسبة اى شخص لا يلتزم بالاضراب ونثر المسامير فى الشوارع لافساد اطارات العربات واحداث ازعاج للسلطة المنتدبة (٣٦) .

وقد ترتب على مواقف الشباب وتحمسهم خلال الثورة اعتقال كثيرين منهم ، فنقرأ بين وقت وآخر أخبـــارا عن اعتقال مجموعات جـــديدة من الشباب من مدن مختلفة وارسالهم الى معتقل صرفند (٣٧) .

وقد التحق بالجبال كثير من حملة الشهادات العاليـــة (٣٨) . كمـــا اشترك بعض الشباب الجامعى مع القائد سعيد العاص واستشهد بعضهم وجرح آخرون (٣٩) .

ومن الشباب من استطاع أن يؤسس فصيلا فى منطقتـــه (٤٠) ومن الشباب من كان من قواد المناطق مثل عبد القادر الحسينى .

المهنيـــــون

كان عدد أرباب المهن الحرة فى فلسطين مختلفا فى نسبته بين المسلمين والمسيحيين واليهود ، فبينما كانت نسبة ذوى المهن الحرة من المسلمين ١٥ بالألف كانت بين المسيحيين ٨٤ بالألف وبين اليهود ١٠٠ بالألف (٤١) .

وسأتناول فى حديثى عن المهنيين العرب الأطبـــاء والمحامين ورجال الصحافة رغم أن هذه الفئات تدخل بشكل عام ضمن القوى العربية المثقفة.

أ ــ الأطبــــاء

كان فى فلسطين جميعها فى عام ١٩٣٠ (٦٣١) من الأطباء المسجلين ــ عربا ويهودا وغيرهم ــ منهم ١٤٧ طبيبا فى تل أبيب ، ١٤٠ طبيبـــا فى القدس ، ٧٥ طبيبـــا فى حيفا .

وكان من بين التظلمات العربيـــة التى قـــدمت الى لجنـــة سمبسون تظلم وردت به اشـــارة الى التـــدفق الـــكبير للاطباء اليهود الى فلسطين مما حرم عددا من الأطبـــاء العرب من مهنتهم ، واعترفت اللجنة بوجود مثل هذا الأثر خاصـــة وأنه كان من النادر جدا لأسرة يهودية أن تستدعى طبيبا عربيا ، بينما كان العرب لايتجنبون التردد على الأطباء اليهود (٤٢) .

وكان عدد الأطبـــاء العرب قليلا ، لـــكنه رغم هذه القلة العددية فقد كان لهم دور ايجابى خلال الثورة مما دفع السلطة الى اعتقـــال كثيرين منهم ، حتى تقـــدم الأهالى العرب فى بداية المرحلة الثانية من الثـــورة بمضبطة الى حكومة فلسطين يطلبون فيها اطلاق سراح الأطباء العرب لأن الأمراض كثرت ولا يجد الناس أطباء لمعالجتهم (٤٣) .

ونتيجة لقلة الأطبـــاء العرب أساسا ثم لاعتقال الـــكثيرين منهم فقد كان هناك صعوبة فى علاج الحالات الخطرة ضمن الثوار حتى أن أحـــد الصيادلة العرب (خالد القنواتى) كان يقوم بعد انضمامه للثوار بمهمـــة علاج الثوار ، وبعد اصـــابته لم يكن فى جبهة المعارك طبيب عربى واحد لعـــلاج الثوار .

ومع أنه لم يتح للاطباء العرب مشاركة فعالة في العمليات العسكرية للثورة لكن بعضهم كان له دور في تهيئة أسباب النجاح للثورة ، فيروى القاوقجي في مذكراته أنه بعد وصوله الى فلسطين في أواخر أغسطس ١٩٣٦ اجتمع بقائمقام جنين في منزل أحد الأطباء العرب حيث حصل على المعلومات الضرورية وأحاط بالموقف من جميع نواحيه (٤٤) .

ب — المحامون

لم يكن للمحامين العرب في فلسطين نقابة تجمع شملهم وتحمى مصالحهم حتى أوائل عام ١٩٣٧ (٤٥) ولم أتبين من المصادر المختلفة أن هذه النقابة قد شكلت حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

لكن ذلك لا يعنى أن المحامين العرب في فلسطين لم يفكروا قبل ذلك في تشكيل نقابة لهم ، ففي ٥ نوفمبر ١٩٣٣ وافق المحامون العرب في مؤتمر بيافا على فكرة تأليف جمعية لهم ، وأصدروا بيانا مجدوا فيه ذكرى الشهداء ، وأرسلوا برقية احتجاج الى المندوب السامى ووزير المستعمرات (٤٦) .

ويتبين من تقرير اللجنة الملكية لعام ١٩٣٧ أنه كان يوجد في البلاد في ذلك الوقت محاميان بريطانيان ، ١١٢ محاميا عربيا ، ٢٦٤ محاميا يهوديا ، ويذكر التقرير أن هذا العدد كان يزيد عن حاجة البلاد (٤٧) .

أما عن موقف المحامين العرب من الثورة ، فقد شاركوا في الاضراب منذ وقت مبكر ، وعقدوا اجتماعا عاما في يافا قرروا فيه تشكيل لجنة منهم لوضع تقرير عن الحالة وأسبابها وأن تبحث اللجنة وسائل تعويض العرب عن الخسائر التي لحقت بهم ، وأن يتولى كل محام في مدينته الدفاع عن المتهمين ، واقصاء الموظفين اليهود عن التحقيق والمحاكمات في القضايا العربية ، وابعاد رجال الشرطة اليهود عن المناطق العربية ، وأن يضربوا عن المرافعة في جميع القضايا باستثناء قضايا الثورة ، وابلغوا تلك القرارات الى قاضي القضاة ورؤساء المحاكم المركزية وقضاة الصلح في فلسطين ، واذاعوا بيانا حماسيا على الأمة (٤٨) لانرى فيه تعبيرا عن دورهم الطليعي كفئة مثقفة يرتبط عملها

بالعدالة والقانون . ولعل ذلك يرجع الى أن كثيرا من هؤلاء المحامين كان ينتمى الى بعض الأسر الغنية أو ذات النفوذ .

وقد برز خلال الثورة عدد من المحامين العـــرب على رأسهم عونى عبد الهادى رئيس حزب الاستقلال الوطنى الذى تألف عام ١٩٣٢ وعضو اللجنة العربية العليـــا وسكرتيرها بعد قيـــام الثورة ، وأحد الشخصيات التى قامت بدور هام فى تلك المرحلة .

ونقرأ فى التقارير الدورية البريطانية اشارات الى بعض المحـــامين الذين شاركوا فى أحداث الثورة مثل حنا عصفور المحامى بصرفند والذى اعتقل لدوره البارز فى حركة الاضراب (٤٩) .

وعندما ذهبت اللجنـــة الملـــكية الى فلسطين للتحقيق فى أســـباب الثورة قـــدم المحامون العرب بمذكرة اليها انتقدوا فيها تلك القوانين التى ادخلتها الحكومة الى فلسطين والتى لا يتفق بعضـــها مع أخلاق العـــرب وعاداتهم وأوضحوا أن بعضها يقصـــد به الضغط على العرب مثل قانون منع الجرائم وقوانين العقوبات المشتركة ، وأن بعضها الآخـــر يرمى الى الاجحاف بمصالحهم كقانون نزع الملكية (٥٠) .

ويتبين مما نشر فى الصحف خلال النصـــف الثـــانى من عام ١٩٣٧ وأوائل ١٩٣٨ — أى بعد استئناف الثورة — أن معظم المحامين العـــرب مقصرون فى تصـــديهم للدفاع عن قضـــايا الثورة ، وان محاميا بحيفـــا هو عفيف خورى قام بعملية سمسرة لتســـهيل بيع اكثر من الف دونم من أراضى الرملة لليهود (٥١) .

ويبدو أن هذا الموقف من المحامين العرب كان عاملا فى دفع محـــام فلسطينى من حيفـــا هو صـــلاح الدين العباسى الى أن يقترح فى أواخر مارس ١٩٣٨ عقد مؤتمر للمحامين العرب من مختلف الأقطـــار للتعـــارف وتوحيد الجهود من أجل القضية الوطنية (٥٢) .

د ـ رجال الصحافة

كان للصحف الوطنية أثر فعال فى تنبيه الرأى العام العربى الى أخطار الصهيونية ووجوب مقاومتها ، فقد قامت بحملات قوية ضد باعة الأرض والسماسرة ، وكان من نتائج هذه الحملات ان أصدر مؤتمر العلماء الأول فى القدس فتوى بتجريمهم وعدم دفنهم فى مقابر المسلمين واقبل بعض أصحاب الأراضى على تسجيل أراضيهم كوقف ، انقاذا لها من الوقوع فى يد اليهود (٥٣) .

ولم يكن هذا الدور مقتصرا على مقاومة الصهيونية وحدها ، فمنذ بداية التحول فى استراتيجية الحركة الوطنية خلال السنوات الأولى من الثلاثينيات ظهرت فى الصحف العربية روح جديدة تتفق مع تلك الاستراتيجية (٥٤) التى تعتبر الاستعمار البريطانى هو الخطر الأساسى الذى تواجهه البلاد . وتشير التقارير البريطانية السنوية فى تلك الفترة الى ان الصحافة العربية لم تخفف من عدائها وهجومها على الانتداب ومظاهره الرئيسية (٥٥) .

ويشير أحد التقارير الدورية البريطانية فى أوائل ديسمبر ١٩٣٥ الى نشاط الصحفيين العرب فى تلك الفترة فتذكر ان لهجة الصحف العربية خاصة مقالات أكرم زعيتر فى « الجامعة الاسلامية » وما تنشره جريدة الدفاع تساعد بدرجة كبيرة فى اثارة الرأى العام ، وأن الصحافة منذ عهد قريب أصبحت مثيرة الى ابعد حد ، وأن فى امكانها ان تثير القلق والكراهية لو استمرت فى هذا الموقف (٥٦) .

كما يشير تقرير آخر فى آخر ديسمبر ١٩٣٥ الى أن جريدتى«الدفاع» و « الصراط المستقيم » تساعدان فى بث أفكار الشباب العربى وفى تشجيع مايقومون به من اثارة وأن صحيفتى « الجامعة الاسلامية » و « اللواء » تنشران مقالات للشباب الوطنى المستقل (حمدى الحسينى وهاشم السبع واكرم زعيتر) وأن صحيفة اللواء قد ضمت الى هيئة تحريرها نمر عودة الذى استقال من ادارة التعليم وشارك فى مجموعات الشباب الوطنى ، وأن مؤتمر الشباب العربى قد أصدر صحيفته الجديدة « الكفاح » . وأن صحيفتى « الجامعة العربية » و « اللواء » تسلطان الضوء على الأضرار التى ينزلها مشروع المجلس التشريعى بالبلاد (٥٧) .

ومع بداية الثورة تشدد الحكومة من وطأتها على الصحافة العربية فتفرض عليها قيودا استثنائية وتعطل صحيفة اثر اخرى، وترسل تحذيراتها الى الصحف من نشر اخبار او وقائع لا تتفق مع بلاغات الحكومة الرسمية (٥٨) .

فقد عطلت الصحف العربية خلال المرحلة الأولى من الثورة ٣٤ مرة ، وانذرت رسميا احدى عشرة مرة (٥٩) وكانت مدة التعطيل تتراوح فى الغالب بين ثلاثة أيام وثلاثة اسابيع وكانت صحيفة « الجامعة الاسلامية » اكثر الصحف تعطيلا (٦٠) وحدث فى أوائل يوليو ١٩٣٦ وفى ديسمبر ١٩٣٦ ونتيجة لكثرة تعطيل الصحف أن مر بفلسطين وقت كانت جميع الصحف العربية فيه معطلة (٦١) .

وكانت الرقابة مفروضة على الصحف والمطبوعات والمراسلات ، كما كانت هناك قيود على المخابرات التليفونية الخارجية (٦٢) وعانى أصحاب الصحف العربية الوانا عديدة من التعسف ، وارغم بعضهم على الاقامة الجبرية ، وابعد آخرون الى جهات نائية (٦٣) .

ولنا أن نتصور حالة الصحف الوطنية فى ظل تلك الظروف الاستثنائية التى لاتتوفر فيها فرصة للكلمة الحرة او للتعبير الصادق عن حقيقة الأوضاع فى البلاد ، ومع ذلك كانت تلك الصحف تحاول جاهدة أن تنقل للناس حدا ادنى من المعلومات ، كما كانت تعبر عن آرائها بطريقة غير عنيفة حرصا على استمرارها فى اداء رسالتها القومية ومع ذلك لم تنج من تعطيل الحكومة لها وايذاء أصحابها . فعندما نشرت « الجامعة الاسلامية » شيئا عن أنباء الضرب والتعذيب الذى كان يجرى مع المعتقلين واوردت ادلة عليها عطلتها الحكومة واعتقلت صاحبها (٦٤) . وعندما اشارت صحيفة اللواء فى أحد اعدادها الى أن جميع تضحيات العرب لم تفد فى تعديل السياسة الانجليزية ، وانه ينبغى للعرب مواصلة جهادهم الى أن تتوقف الهجرة اليهودية الى البلاد عطلتها السلطة عشرة أيام (٦٥) .

وكان للصحفيين العرب فى فلسطين موقف جماعى خلال المرحلة الأولى من الثورة ، فقد عقدوا مؤتمرا فى يافا يوم ٢٧ مايو ١٩٣٦ اتخذوا فيه قرارا باعلان الاضراب ثلاثة أيام احتجاجا على تصرفات السلطة

وعدم استجابتها لمطالب الأمة ، كما قرروا عدم نشر أى بلاغ رسمى مما تذيعه السلطة ، والامتناع عن نشر الاعلانات اليهودية ، وانذار حكومة لبنان بشن حملات شديدة عليها اذا لم تنسحب من المعرض الصهيونى فى تل ابيب (٦٦) .

وقد اشار تقرير اللجنة الملكية الى ان الصحف العربية كانت تردد جميعها مطالب العرب الوطنية كما ان لهجتها لم تكن معتدلة . لكن صحيفة « فلسطين » كانت اقلها غلوا بشأن مقاطعة العرب للجنة الملكية كما لاحظ التقرير ان توقف الثورة فى اكتوبر ١٩٣٦ لم يحدث تغييرا يذكر فى لهجة الصحف العربية واستشهدت بمقال نشرته صحيفة الدفاع فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٦ عنوانه « مخالب الذئب » قالت فيها « ان العرب ينظرون الى الحكومة بعين السكره ويحملونها بالدرجة الأولى مسئوليات ماحدث » و « ان الحالة قد تدعو الى تقديم ضحايا جديدة لانقاذ البلاد من مخالب الاستعمار » (٦٧) .

وتنتقد رسالة ارسلها أحد الوطنيين فى فلسطين فى يونية ١٩٣٧ — اى فى الشهر السابق لصدور مشروع التقسيم — موقف الصحف الفلسطينية فى تلك الفترة حيث كان بعضها ينشر أخبار التقسيم بطريقة تشجع على القبول به ، وبعضها يستبعد صدور مثل هذا القرار .

وفى الوقت الذى كان يسمح فيه سنويا لألوف المهاجرين من شتى انحاء العالم بالهجرة الى فلسطين أنذرت حكومة فلسطين صحفيا سوريا استوطن فلسطين منذ أربعة عشر عاما وكان يعمل مديرا لصحيفة الجامعة الاسلامية باخراجه من البلاد بحجة انه سورى الأصل (٦٨) . مما يوضح ان تلك الحكومة كانت تكيل بمكيالين .

وكان طبيعيا بعد صدور مشروع التقسيم ان تشن الصحف العربية حملة على مشروع التقسيم مما ترتب عليه تعطيل الصحيفتين اليوميتين « اللواء » و « الدفاع » فى وقت كانت جريدة « الجامعة الاسلامية » معطلة فيه قبل ذلك بشهرين (٦٩) . ومعنى ذلك انه لم يصدر فى ذلك الوقت سوى صحيفة « فلسطين » المؤيدة لحزب الدفاع الوطنى الذى كان هناك مايشير الى ترحيبه بمشروع التقسيم .

ونستنتج من احدى الوثائق البريطانية أن ذلك كان أمرا مقصودا حيث يذكر المندوب السامى فى خطاب الى وزير المستعمرات فى ١٤يوليو ١٩٣٧ انه سيتم الحصول على بعض مقالات مناسبة خاصة بمشروع التقسيم لينشرها بطريقة مموهة فى صحيفة « فلسطين » وان كان المندوب السامى يتوقع تأثيرا طفيفا لتلك المقالات (٧٠) .

وعندما اغتيل حاكم الجليل فى ٢٦ سبتمبر ١٩٣٧ وقامت الحكومة بعدد من الاجراءات العنيفة ضد الوطنيين ، كان من ضمنها تشديد الرقابة على الصحف الفلسطينية (٧١) .

ونتيجة لمواقف الصحف الوطنية فى تلك الفترة لم يكن يسمح بنشر شىء متعلق بالحركة الوطنية الا اذا كان مختصرا أو مبهما أو مبتورا ، لكنها مع ذلك كانت أصدق المصادر التى يعتمد عليها فى معرفة أخبار فلسطين لأن شركات البرق الأجنبية لم يكن يطمئن الى صحة اخبارها (٧٢).

ويوضح البيان التالى عدد مرات ايقاف الصحف العربية اليومية خلال عام ١٩٣٧ ومدد ايقافها على مرحلتين : الأولى من بداية العام حتى صدور مشروع التقسيم والثانية حتى نهاية عام ١٩٣٧ .

(أ) من أول يناير حتى ٨ يوليو ١٩٣٧.

	عدد مرات الايقاف	مجموع فترات الايقاف
اللواء	٢	١٧ يوما
الدفاع	٢	٢١ يوما
الجامعة الإسلامية	٢	٤٥ يوما
فلسطين	١	٤ أيام

(ب) من ٩ يوليو حتى ٣١ ديسمبر ١٩٣٧.

	عدد مرات الايقاف	مجموع فترات الايقاف
اللواء	٢	٨٤ يوما
الدفاع	٢	٣١ يوما
فلسطين	١	١٤ يوما

ويتبين من هذا البيان أن صحيفة « اللواء لسان حال الحزب العربى الفلسطينى الذى كان يرأسه جمال الحسينى كانت أكثر الصحف العربية

تعطيلا ، وأن صحيفة فلسطين كانت أقل هذه الصحف تعطيلا . وأما بالنسبة للمجلات الأسبوعية العربية فقد أوقف بعضها أيضا خلال عام ١٩٣٧ لمدد تتراوح بين أسبوع واحد وثلاثة أشهر (٧٣) .

ومما يلفت النظر بالنسبة للصحافة العربية فى عام ١٩٣٨ أن صحيفة « فلسطين » المؤيدة لحزب الدفاع الوطنى هى أكثر الصحف اليومية تعطيلا خلال الأشهر السبعه الأولى من ذلك العام (٧٤) مما يفهم منه انها محاولة من الصحيفة ومن يمثلونها لاكتساب ثقة الرأى العام بعد أن غابت العناصر الوطنية المعروفة عن البلاد بالنفى أو الاعتقال أو مغادرة البلاد ، ويؤكد هذا المعنى أن الصحيفة لم تكن تعطل سوى أيام معدودة فى كل مره بعكس غيرها من الصحف اليومية .

وقد بلغ من التضييق الذى أنزلته السلطة بالصحف أنه عندما تعاظمت الثورة فى صيف ١٩٣٨ صدر قرار بعدم نشر شىء عن أخبار الثورة أو التعليق عليه سوى مايصدر عن دائرة المطبوعات ، وقررت الصحف الاضراب عن الصدور احتجاجا على هذا القرار (٧٥) .

ولم يكن اعتقال رجال الصحافة العرب مقتصرا على أصحاب الصحف ومحرريها بل امتد ليشمل مراسلى الصحف العربية فى فلسطين ، فقد اعتقل فى أول اغسطس ١٩٣٨ مراسل جريدة المقطم فى فلسطين وحكم عليه اداريا بالسجن لمدة سنة (٧٦) .

ويتبين من الاطلاع على مجلة « الصراط المستقيم » الأسبوعية ، وهى الدورية الفلسطينية العربية التى أمكننى تصفح أعداد منها تغطى مايقرب من عام خلال مرحلة الثورة أن لهجتها كانت معتدلة وهادئة ، بل ان بعض تعليقاتها تنم عن عدم تفهم لتلك العلاقة العضوية التى تربط بين الاستعمار والصهيونية « فمن العجيب أن يبقى الانكليز على عنادهم فى هذه القضية » (٧٧) كما ينبىء تعليق آخر عن خداع النفس بالأمانى الكاذبة والتعلق بأوهام لا يؤيدها الواقع اليومى للاحداث ، مما قد يشير الى مسئولية تلك الصحف فى تضليل الرأى العام العربى ، وقد تكون هى نفسها غير متفهمة لحقيقة الموقف « واذا كنا على يقين بأن الحق والحقيقة غالبان والباطل والوهم مغلوبان ، فانا واثقون من أن العاقبة لنا وأن فلسطين لن يسودها ويسيطر عليها غيرنا » (٧٨) بل انها كانت تجامل السلطة أحيانا ، وهاهى تحيى المندوب السامى عند انتهاء مدته فى

أوائـــل ١٩٣٨ « ولن ننسى ما كان له من جهـــد للتخفيض والتخفيف عن الفلاحين ، ولا ما تحلى به من فضـــيلة الحلم وضبط النفس والصبر » (٧٩)

ويوضح البيـــان التـــالى عدد مرات ايقاف الصحف العربية خلال عام ١٩٣٨

الصحيفة	عدد مرات الايقاف	مجموع فترات الايقاف
فلسطين	٣	٣ أسابيع
الجامعة الاسلامية	٢	٤ أسابيع
الدفاع	١	٣ أسابيع
الصراط المستقيم	١	٣ أشهر
اللهب	١	شهر واحد

وأما بالنسبة للمجلات الأسبوعية فقد أوقف بعضها خلال العام ارة واحدة ولمدد تتراوح بين ثلاثة أشهر وعام كامل (٨٠) .

لقد قامت الصـــحافة العربيـــة فى فلسطين بدور هام خلال ثورة ١٩٣٩/٣٦ رغم ظروف الرقابة والايقاف والمصادرة ، وكانت عاملا رئيسيا فى تعبئة الرأى العـــام وفى تنبيهه الى ما أحاط به من مشاكل واخطار .

صغار التجار والثورة

عندما بدأ الاضراب اســـتجاب له هؤلاء التجار فأغلقوا حوانيتهم ، وحاولت الحكومة ارغامهم على فتحها فنقلوا بضائعهم الى بيوتهم ، وكتب عدد منهم على مخازنهم « برسم الايجار والمخابرة مع الحكومة » وعـــزم آخرون على تسليم مفاتيح مخازنهم للحكومة ان أصرت على فتحها (٨١) .

وأصـــدرت السلطة فيما بعد قانونا يخول الحكام الاداريين اجبـــار أصحاب الحوانيت على فتحها فلم يهتموا بذلك ، وتقدم كثيرون بمفـــاتيح حوانيتهم الى اللجـــان القوميـــة مما جعـــل الحكومة عاجزة عن تنفيـــذ القانون (٨٢) .

وقد لقى هؤلاء التجار فى المرحلة الأولى من الثورة كثيرا من العنت والارهاق خاصة تجار الريف حيث أن القرى باعتبارها وحـــدات الحركة الثورية ومركز نشاطها قد تعرضت نتيجة لعمليات التفتيش التى كانت تقوم بها قوات السلطة لـــكثير من الأضرار والخسائر والاتلاف الذى شمل تجار

القرى الصغيرة . ويشير بيان صادر من أهالى قرية الطيرة من أعمال بنى صعب الى ما أصاب تجار القرية أثناء التفتيش فيقول « وقد دخلوا دكاكين البلدة وأتلفوا مافيها ونهبوا كل ماهو صالح فيها ولم يبق فى أى متجر مايستفيد منه صاحبه » (٨٣) .

وقد كان للاضراب آثاره السيئة ليس بالنسبة لهؤلاء التجار فقط بل بالنسبة للمشترين أيضا ، فعندما فتحت المتاجر أبوابها بعد انتهاء الاضراب فان المشترين كانوا قد انهكوا بدرجة لايستطيعون معها شراء شىء (٨٤) .

الموظفون والثورة

لم يكن ينتظر من الموظفين فى مثل هذه الظروف أن يساهموا بدور ايجابى فى أحداث الحركة الوطنية ، فلا يعرف لهم دور أو مشاركة ايجابية منذ بداية الانتداب حتى قيام الثورة باستثناء أحداث فردية ، بل انه حتى بعد قيام الثورة كان موظفو الحكومة آخر الفئات التى استجابت لدوافع الاضراب . وقد تغير موقفهم بعد أن وجهت اللجنة القومية فى القدس نداء اليهم تناشدهم فيه باسم الوطن أن يقوموا بما يتطلبه الواجب نحو بلادهم وأن يتضامنوا ويبلغوا الحكومة برأيهم ، وأن يفعلوا ذلك أسوة بجميع طبقات الأمة التى اعربت عن رأيها فى المؤتمرات الوطنية المختلفة (٨٥) .

وكان القضاة الشرعيون — أول القطاعات التى استجابت لهذا النداء — أكثر وضوحا وصراحة من سواهم ، فقد قدموا للمندوب السامى ثلاثة تقارير الأول مؤرخ فى أول يونية وقد قدمه وفد منهم أثناء مقابلته للمندوب السامى حيث تحدثوا اليه عن الحالة وما يقترحونه لعلاجها مؤكدين التزامهم — باعتبارهم رجال دين — بالدفاع عن مطالب الشعب، وقدموا تقريرا ثانيا فى ٢٢يونية ١٩٣٦ احتوى على أمثلة لأعمال العنف والقسوة والتخريب، ثم قدموا تقريرا ثالثا فى ١٥ يوليو١٩٣٦ تحدثوا فيه عن تاريخ القضية منذ بدايتها واتهموا فيه الحكومة باهمال شكاوى العرب اهمالا كليا وعملها بنشاط من اجل الوطن القومى اليهودى، واستنكروا اصرار الحكومة على موقفها (٨٦) .

ويبدو ان عملية دفع موظفى الحكومة للمشاركة فى الاضراب كانت عملية عسيرة حيث يشير تقرير دورى مؤرخ فى ٢٣ يونية ١٩٣٦ الى ان العناصر المتطرفة قد بذلت غاية جهدها للتأثير على موظفى الحكومة للتوقف عن أعمالهم لكنها لم توفق ، كما أن الحكومة حظرت عقد اية اجتماعات لموظفى الحكومة لمناقشة الوضع السياسى العام ، مما ترتب عليه تجديد الجهود لحث كبار الموظفين على اعلان الاضراب (٨٧) .

وبعد أكثر من شهرين من بداية الاضراب خرج كبار الموظفين على التحفظ الذى فرضته عليهم وظيفتهم فرفعوا عريضة الى المندوب السامى فى ٣٠ يونية ١٩٣٦ — وقع عليها ١٣٧ من كبار الموظفين والقضاة العرب — انتقدوا فيها سياسة الحكومة المنتدبة (٨٨) . ولم يمتنع عن توقيع المذكرة سوى سبعة ، أما الذين لم يتمكنوا من التوقيع على المذكرة لظروف قاهرة فقد ايدوا زملاءهم الموقعين ووافقوا على مضمون المذكرة (٨٩) .

وأما صغار الموظفين فقدموا مذكرة الى المندوب السامى مؤرخة فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ يؤيدون فيها كبار الموظفين ، ووقع عليها ١٢٠٠ موظف (٩٠) .

وقد استغل اليهود موقف الموظفين للحملة على الانجليز بدعوى انهم قبلوا خيانة موظفيهم ، لكن سكوت الانجليز عما فعله كبار الموظفين كان متفقا مع مرونتهم عند اشتداد الأزمات ، وقد قال مندوبهم أمام لجنة الانتدابات الدائمة حينما أثير هذا الأمر انه كان أهون الشرين ، حيث كان الموظفون أمام أحد المرين : الاشتراك فى الاضراب أو تقديم مذكرة يرضى عنها الرأى العام بعض الرضاء ، مما يفهم منه أن الانجليز كان لهم دور فى صدد الخروج من المأزق بتقديم المذكرة (٩١) .

ورغم أن جفريز يشيد بتوازن المذكرة وما توحى به من قدرة اصحابها على حكم انفسهم بأنفسهم (٩٢) الا أن من يقرأ المذكرة يلاحظ بين سطورها ترددا وضعفا :

أولا : انهم يبررون تقديم المذكرة باعتبارهم حلقة الوصل بين الحكومة والشعب وليس نتيجة لاستمرار الحكومة فى سياستها غير المشروعة .

ثانيا : انهم يرجعون السبب الحقيقى للتــذمر الى شعور الشعب العربى بالظلم وليس نتيجة لتعرضه للضياع والفناء

ثالثا : انهم يقررون أنهم حاولوا منذ بدء الاضراب استعمال نفوذهم لاعادة الأمور الى حالتها الأولى ، ومعنى ذلك أنهم كان لايزال لديهم ثقة فى بريطانيا وفى وعودها ، وكان من نتائج موقفهم هذا — كمـــا يشيرون فى مذكرتهم — مقت الشعب وسوء ظنــه بهم ، وأنه لم يعــد فى وسعهم الاستمرار فى دور الوســــاطة بين الحكومة والشعب .

رابعا : انهم يرجون الا يسوغ المندوب السامى فهم العوامل التى دفعتهم الى تقديم المذكرة .

واستمرت الجهود خلال الاضراب لدفع الموظفين الى المشاركة فيه ، كما اقترح أن توجه اللجنة العربية نداء اليهم لتشجيعهم على الاقدام على هذه الخطوة (٩٣) .

وكان صغار الموظفين يمارسون ضغطا على كبارهم لتأييد الاضراب . وتوقع أحد التقارير البريطانية فى ٢٦ يوليو ٣٦ أن تحــدث تلميحات من موظفين صغار باغتيال كبار الموظفين لدفعهم الى الاســـتقالة أو اعــلان الاضراب (٩٤)

لــكن رغم كل هــذه الجهود والمحــاولات فقد اكتفى الموظفون بما قدموه من مذكرات ، ولم يشارك فى الاضرا بسوى موظفى دوائر الأوقاف وبعض البلديات (٩٥) . فأما بالنسبة لموظفى الأوقاف فهؤلاء يتبعون المجلس الاسلامى الأعلى الذى كان رئيسه أمين الحسينى حريصا على أن يشارك المجلس — ولو ببعض دوائره — فى الاضراب حتى لايكون هناك تنــاقض بين موقفه كرئيس لهذا المجلس وللجنة العربية العليا فى نفس الوقت ، وأما عن موظفى بعض البلديات فقــد اضربوا نتيجة لقرار رؤساء البلديات فى ٣١ مايو ١٩٣٦ باضراب البلديات باستثناء عمال النظــافة والاضـــاءة والمياه (٩٦) . لكن نصف البلديات هو الذى نفذ الاضراب (٩٧) وقــد ترتب على ذلك أن أضرب موظفو البلديات التى التزمت بالقرار .

ورغم عدم اشتراك موظفى الحكومة فى الاضراب فقــد ساهموا فى

مجال آخر من مجالات الاضراب وهو تقديم اعانات مالية لصناديق الامانة (٩٨) . كما فرضت مبالغ على مرتبات موظفى الحكومة لصالح الثورة (٩٩) وساهم موظفون فى حالات معينة بنصف رواتبهم (١٠٠) لكنهم على أى حال كانوا أقل فئات الأمة تأثرا بالثورةواستجابة لحركتها .

وفى أعقاب المرحلة الأولى من الثورة ضيقت الحكومة الخناق على رقاب موظفى الحكومة وجردتهم من سلطتهم مما دفع أحد كبار الموظفين العرب — وهو موسى العلمى محامى الحكومة العام — الى تقديم الاستقالة (١٠١) .

وخلال المرحلة الثانية للثورة كان هناك مواقف فردية مؤيدة للثورة من بعض موظفى الحكومة ، فقد اعتقل عدد من القضاة العرب بتهمة القيام بأعمال ضارة (١٠٢) وفصل عدد من الموظفين بمقتضى قانون الطوارىء(١٠٣) وعندما أفرجت الحكومة عن بعض القضاة المعتقلين أجبرتهم على الاقامة فى غير مناطقهم (١٠٤) .

تلك هى البرجوازية الصغيرة بشرائحها المختلفة والتى كان لها دور هام خلال الثورة ، فعلى مستوى القيادة السياسية نجد محمد عزة دروزة عضو اللجنة العربية العليا والذى تتمثل فيه آمال هذه الطبقة وتطلعاتها واخلاصها ونقاؤها ، فلقد كان دروزة واحدا من قلة فى تلك القيادة تجاوبت مع آمال الجماهير وعملت فى صمت واصرار على تأكيد حقوقها المشروعة ، وتميزت بعقليتها التنظيمية الواعية ، وعلى المستوى الثورى نجد عبد القادر الحسينى — رغم انتماءاته الطبقية الى عائلة الحسينى — واحدا من طلائع الشباب الواعى الذين حملوا السلاح وناضلوا مع الجماهير ولم يبخلوا على وطنهم بشىء ، وعلى مستوى القواعد الجماهيرية كانت هذه الطبقة محركة اللجان القومية خاصة فى المرحلة الأولى للثورة وهى التى ربطت حركة الثورة منذ البداية بجماهير الفلاحين أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة ، وعلى المستوى الفكرى فان البورجوازية الصغيرة هى التى حددت فى وضوح وحسم استراتيجية الثورة لكنها لم توضح للجماهير اساليب تحقيق هذه الاستراتيجية ولم تواصل أداء دورها حتى نهاية الثورة بعد أن أثخنتها الجراح وأرهقتها التضحية وأضعفها ذلك الاضراب الطويل الذى كان له آثار بعيدة المدى على دورها وحركتها وصمودها .

المصـــادر

(١) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة الجزء الثالث ص ١٩٤ .

عبد الوهاب الـكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٤١ ،

كامل الدجانى : رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ٨ يناير ١٩٦٤ .

(٢) الشباب : ٣ نوفمبر١٩٣٧ ص ١ ، ١ ديسمبر ١٩٣٧ ص ٢ ،
السياسة : ٢ فبراير ١٩٣٨ ص ٥ .

(٣) الشباب : ٢٤ مارس ١٩٣٧ ص ٣ ، ١ ديسمبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(4) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(٥) الرابطة العربية : ٢٤ يونيو ١٩٣٦ ص ٢٢ ،

صبحى ياسـين ، الثورة العربيـة الـكبرى فى فلسـطين ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٦) الطليعة : تموز ١٩٣٨ ص ٦٢٦ ، تشرين أول ١٩٣٨ ص٦٥٥ .

(٧) الشباب : ٦ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٨) محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينيين ص ٤١ .

(٩) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٧٦ ،

الاهرام : ١٣ مايو ١٩٣٦ ص٤ ، ١٥ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(١٠) يوسف هيكل : القضية الفلسطينية ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١١) عبد القادر يوسف : مستقبل التربية فى العـالم العربى فى ضوء التجربة الفلسطينية ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(١٢) عبد القادر يوسف : المرجع السابق ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(١٣) السياسة : ٢ فبراير ١٩٣٤ ص ٢٠ . مقال لعزيز بكير .

(١٤) الصراط المستقيم : ٨ كانون الثانى ١٩٣٤ ص ٣ .

(١٥) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية . الـكتاب الثانى ص ١٤ ، ١٥ .

(١٦) عبد القادر يوسف : المرجع السابق ص ٢١٤ .

(١٧) الشباب : ١٠ يونية ١٩٣٦ ص ٥٥ .

(١٨) الرابطة العربية : ٢٥ أغسطس ١٩٣٧ ص ٢٣ .

(١٩) فلسطين فى مذكرات القاوقجى . ١٩٣٦ — ١٩٤٨ . الجزء الثانى ص ٤٥ .

(٢٠) الاهرام : ١٤ يوليو ١٩٣٦ ص ٤ .

(21) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(٢٢) الاهرام : ١٨ أغسطس ١٩٣٦ ص ٤ .

(٢٣) الاهرام ١٩ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٤

(٢٤) الشباب : ١٩ مايو ١٩٣٧ ص ٤ .

(٢٥) الشباب : ٢٦ مايو ١٩٣٧ ص ٣ .

(٢٦) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٢٧) وزارة المستعمرات : المرجع السابق ص ١٧٦ ،
عبد القادر يوسف : المرجع السابق ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢٨) عبد القادر يوسف : المرجع السابق ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢٩) وزارة المستعمرات : المرجع السابق ص ١٢٩ .

(30) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 10/36.

(٣١) الاهرام : ٢٢ يونية ١٩٣٦ ص ٤ .

(٣٢) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٢٠٢ .
احمد طربين : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٣٣) اكرم زعيتر : جهاد فلسطين العربية ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠ .

(٣٤) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٣٤ — ٣٦ .

(35) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(36) Marlows : The Rebellion in Palestine. p. 158.

(٣٧) الاهرام : ٧ اغسطس ١٩٣٦ ص ٤ ، ٤٥ اغسطس ١٩٣٦ ص ٤ ، ١ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٤ .

(٣٨) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٢٢٠ .

(٣٩) كامل الدجانى : رسالة منه الى الباحث مؤرخة فى ١٩٦٥/٨/١٠ .

(٤٠) صبحي ياسين : المرجع السابق ص ٥٣ .

(٤١) سعيد حمادة : المرجع السابق ص ٤١ .

(42) Simpson : Palestine, Report on Immigration, Land Settlement and Development. p. 29.

(٤٣) الشباب : ٣ نوفمبر ١٩٣٧ ص ١

(٤٤) فلسطين فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ص٢٠،٤٦ .

(٤٥) الشهادات العربية امام اللجنة الملكية . من مذكرة المحامين العرب الى اللجنة الملكية ص ٣٥٣ .

(٤٦) الجامعة الاسلامية : ٦ تشرين الثانى ١٩٣٣ ص ٤ .

(٤٧) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ٢١٧ .

(٤٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٢٢ ،

عمر أبو النصر : جهاد فلسطين العربية ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(49) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(٥٠) الشهادات العربية امام اللجنة الملكية ص ٣٥٠ ، ٣٥١

(٥١) الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ ، ١٩ يناير ١٩٣٨ ص ٤ .

(٥٢) الصراط المستقيم : ٢٩ آذار ١٩٣٨ ص ٤ .

(٥٣) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية الكتاب الأول ص ٢٣٣ .

(٥٤) الشورى : ٣ سبتمبر ١٩٣٠ ص ٤ .

(55) Report by His Majesty's Government for the year 1933. pp. 16, 17.

(56) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 18/35.

(57) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 19/35.

(٥٨) عيسى السفرى : المرجع لسابق الكتاب الثانى ص ٣٠ .

(٥٩) وزارة المستعمرات : المرجع السابق ص ١٧٥ .

(٦٠) الاهرام : ٣٦/٧/٣ ص ٤ ، ٧/١٤ ص ٤ ، ٨/١٤ ص ٤ ، ٩/٨ ص ٧ ، ٩/١٢ ، ٩/٢٧ ص ٤ ، ٣٦/١٠/٧ ص ٤ .

(٦١) الاهرام : ٤ يوليو ١٩٣٦ ص ٤ ، صوت الحجاز : ٢٩ديسمبر ١٩٣٦ ص ٣.

(٦٢) عمر ابو النصر : المرجع السابق ص ٣١٧ .

(٦٣) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ص ٢٢ .

(٦٤) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ١٩٣٦ ص ٢٨ .

(٦٥) الاهرام : ١٥ اغسطس ١٩٣٦ ص ٤ .

(٦٦) الاهرام : ٢٨ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(٦٧) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٦٨) الشباب : ١٦ يونيو ١٩٣٧ ص ٤ .

(٦٩) الشباب ٢١ يوليو ١٩٣٧ ص ٣ .

(70) F. O. 371/20018 : E 4566.

(٧١) الرابطة العربية : ٦ اكتوبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(٧٢) الشباب : ١٠ نوفمبر ١٩٣٧ ص ١ .

(73) Report by His Majesty's Government ... for the year 1937. pp. 16, 17.

(٧٤) الصراط المستقيم : ٣٠ تموز ١٩٣٨ ص ٢ .

(٧٥) الزمان : ١٧ آب ١٩٣٨ ص ٣ ، ١٢ ايلول ١٩٣٨ ص ٥ .

(٧٦) الصراط المستقيم : ٨ آب ١٩٣٨ ص ٢ .

(٧٧) الصراط المستقيم : ٤ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ١ .

(٧٨) الصراط المستقيم : ١١ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ١ .

(٧٩) الصراط المستقيم : ١٠ شباط ١٩٣٨ ص ٤ .

(80) Report by His Majesty's Government ... for the year 1938. p. 25.

(٨١) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٠٥ .

(٨٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٢٦ .

(٨٣) بيان عن فظائع الاستعمار البريطانى فى فلسطين الشهيدة ص ٦ ، ٧ .

(84) Marlowe : Rebellion In Palestine. p. 170.

(٨٥) الاهرام ١٦ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(٨٦) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ص ١١٣ ، ١٢١ ،

اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : المرجع السابق ص ٣٤ ، ٣٥

(87) F. O. 371/20018 : E 4270/19/31.

(٨٨) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، وقد ورد في هذا المرجع ان المذكرة رفعت للحكومة في ١٩ يوليو ولكن ورد في عديد من المصادر العربية والصهيونية أن المذكرة قدمت في ٣٠ يونية ١٩٣٦ .

(٨٩) مكتبة الهيئة العربية العليا : بيان بأسماء الذين لم يوقعوا على المذكرة .

(٩٠) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ١٢١ .

(٩١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٢١ ، ١٢٢ .

وقد نشر نص المذكرة بكتاب فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لعيسى السفرى ص ١٢١ ، ١٢٤ .

(٩٢) جيفريز : المرجع السابق ص ١٢٨ .

(93) F. O. 371/20018 : R. N. E. 4919/19331.

(94) F. O. 371/20018.

(٩٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٢١ .

(٩٦) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٣١ ، ٣٢ .

(٩٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٢١ .

(٩٨) يوسف هيكل : المرجع السابق ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(99) F. O. 371/20018 : E 4919/19331.

(100) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(١٠١) الشباب : ٢٠ اكتوبر ١٩٣٧ ص ١ .

(١٠٢) الزمان : ٢٣ آذار ١٩٣٨ ص ٣ .

(١٠٣) الصراط المستقيم : ١٢ نيسان ١٩٣٨ ص ٥ ، ١١ كانون الثاني ١٩٣٨ ص ٥ .

(١٠٤) الصراط المستقيم : ٢٨ حزيران ١٩٣٨ ص ٥ .

البورجوازية الكبيرة والثورة

لقد قدر للبورجوازية العربية الكبيرة أن تقود الكفاح السياسى لعرب فلسطين منذ بداية الانتداب حتى قيام ثورة ١٩٣٦ وهى مرحلة كانت تحاول فيها تدعيم أوضاعها وتنمية قدرتها ولكنها ووجهت بتحديات مختلفة تمثلت فى الادارة المنتدبة والصهيونية السياسية المدعمة برأس المال الأجنبى ثم ذلك التخلف الاقتصادى الذى عاشته البلاد طوال العصر العثمانى ، وقد عبرت البورجوازية العربية عن نفسها سياسيا فى تلك المؤتمرات السبعة التى عقدتها فى فلسطين طوال العشرينيات والتى كانت تنحصر فى اصدار القرارات ورفع الاحتجاجات وتقديم المذكرات واذاعة البيانات على الشعب العربى فى فلسطين ، لكن تلك المؤتمرات لم تضع خططا لمقاومة الانتداب او الصهيونية ولم تحاول أن ترسم للشعب طريقا لكفاحه أو تدله على الوسائل العملية لبناء نفسه أو تهيىء له السبيل للاحتفاظ بأرضه وزيادة انتاجه أو توجهه الى المشاريع الاقتصادية المختلفة ، أو تنشىء له شركات أو مؤسسات تساعده على الوقوف على قدمه ... لم تصنع المؤتمرات شيئا من ذلك ولم تحاول مساعدة الشعب العربى على قبول التحدى ووجد الشعب نفسه طوال العشرينيات فى وضع لايسمح له الا بتأييد نداءات المؤتمرات وبياناتها أو الاستجابة لما تدعوه اليها من تحركات وقتية سرعان ماينتهى اثرها، أو الانتفاض بين وقت وآخر كلما اثارته تلك الأطماع الصهيونية او كلما ضاقت به السبل وتمثل أمام ناظريه ذلك المستقبل المظلم الذى ينتظره .

ولقد كانت البورجوازية العربية خاصة الزراعية والتجارية منها — لأن الراسمالية الصناعية والمالية لم تشارك بدور هام قبل بداية الثلاثينيات — كانت بطبيعتها عاجزة ومتخلفة وغير مستعدة للمقاومة واحداث تغيير جذرى فى أوضاع البلاد، كما انها كانت من ناحية أخرى حريصة على تأكيد أوضاعها والمحافظة على مصالحها ، وان كان يسجل لها او للتيار العام فيها — انه لم يفرط فى حقوق البلاد ولم يتهاون أو يتنازل عن مطالب البلاد الأساسية .

وكانت تلك المؤتمرات تتكون بشكل أساسى من الأعيان والأفندية . وقد حدد القانون الداخلى الذى صدر عام ١٩٣١ شروطا للشخص المنتخب عضوا بتلك المؤتمرات ، ومن هذه الشروط أن يكون قد سدد قبل نهاية يونية من سنة الانتخاب فى السنتين السابقتين اشتراكا لصندوق الأمة لا يقل عن ٦٠٠ ملا عن كل سنة من السنوات المذكورة (١) ولم يتح لقوى الفلاحين والعمال والمثقفين أن تشارك مشاركة فعالة فى أعمال تلك المؤتمرات ، فلم تنتقل الروح الثورية اليها ، وظلت الوسائل السلمية والمشروعة هى الشعار المرفوع حتى بداية الثلاثينيات ، ولم يكن ينتظر من مؤتمرات تتألف بهذه الطريقة أن تنظم الحركة الوطنية بطريقة فعالة وثورية .

وكانت اللجان التنفيذية التى تختارها تلك المؤتمرات لتنفيذ قراراتها حتى المؤتمر التالى صورة مصغرة من تلك المؤتمرات ، فرغم نشاطها السياسى الكبير طوال العشرينيات لكنها لم تحاول مثلا أن تحول بطريقة جادة وعملية بين الصهيونيين وشراء الأراضى ولم تعمل فى وقت مبكر على بناء القوة الاقتصادية للشعب العربى وتوجيهه لاستثمار أمواله فى بنوك أو مؤسسات أو جمعيات تعاونية .

وكان الارتجال أحد الملامح المميزة لمكتب اللجنة التنفيذية العربية، فلم تكن خططه قائمة على أسس علمية ، ولم تكن هناك بيانات حقيقية عن تطور الزراعة أو الصناعة فى البلاد ، ولم تكن هناك احصاءات دقيقة عن عدد العمال ونسبة الذين يتحولون الى الصناعة ومساحة الأراضى التى تنتقل للصهيونية فى كل عام (٢) بل كانت التقارير والاحصاءات اللازمة تعد وقت الحاجة اليها .

ولم تكن اللجنة التنفيذية فى معظم أوقاتها تتحرك فى الوقت الذى تريده ، بل ان تحركاتها كانت ردود فعل أكثر منها حركة مبادرة ، فهى تتحرك مثلا عندما تزداد الهجرة اليهودية أو عندما تسن الحكومة قانونا جديدا لايتمشى مع أوضاع البلاد ، ثم تهدأ الأحوال بعد قليل وتعود الأمور سيرتها الأولى الى أن يحدث مايحركها من جديد .

وقد كان موقف اللجنة التنفيذية العربية — ممثلة البورجوازية العربية الكبيرة — واضحا ومحددا من المسألة الصهيونية ، وهو يتلخص في رفض تصريح بالفور والهجرة اليهودية وكان ذلك ضمن مقررات المؤتمرات العربية ، وان كان ذلك يختلف حدة طبقا للاحوال السياسية لدى العرب فبينما اكتفى فى المؤتمرات الأول والثانى والرابع برفض تصريح بالفور والهجرة اليهودية ، نجد بين قرارات المؤتمر الثالث مطالبة الحكومة بمنع الهجرة لحين تشكيل حكومة وطنية اى أن العرب كانوا مستعدين للتفاهم بشأن الهجرة اذا منحوا حكومة وطنية .

وكانت القيادة العربية البورجوازية تدرك منذ بداية الانتداب خطورة التعامل الاقتصادى مع اليهود ، وما يترتب على ذلك من تهديد لمصالحها ، ومن هنا كان اتخاذ المؤتمر الفلسطينى الخامس الذى عقد فى ٢٢ اغسطس ١٩٢٣ لذلك القرار الخاص بمقاطعة اليهود فى الشراء وبيع الأموال غير المنقولة ، على أن يعهد الى اللجنة التنفيذية العربية تعيين ميعاد ذلك وكيفية تطبيقه .

وكان تعبير البورجوازية العربية عن نفسها اقتصاديا متمثلا فى أمرين الأول هو تلك المؤتمرات الاقتصادية التى عقدت خلال العشرينيات، والأمر الثانى هو تلك المعارض الزراعية التى أقامتها البورجوازية الزراعية .

فبالنسبة للمؤتمرات الاقتصادية عقد أول مؤتمر زراعى اقتصادى فى فلسطين فى أول فبراير ١٩٢٣ . فقد شغلت الأزمة الاقتصادية التى وقعت أهل البلاد واسترعت اهتمام القيادة البورجوازية واوجدت تشاؤما عاما بالنسبة لمستقبل البلاد الاقتصادى خاصة وان الأزمة كانت تزداد اتساعا دون أن تقوم الحكومة بعلاجها أو حماية الموارد الاقتصادية للبلاد .

ورغبة فى مواجهة تلك الأزمة فقد اقترحت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطينى الخامس على الجمعيات ووجهاء البلاد عقد مؤتمر اقتصادى زراعى من أجل وضع العلاج المناسب لتلك الأزمة وتخليص البلاد من براثن البوار وانقاذ حاصلات البلاد من المضاربات الخارجية (٣) . وتألف المؤتمر من اربعة اعضاء ينتخبون من كل قضاء ومندوب عن كل جريدة

عربية وطنية، ومندوب عن كل غرفة تجارية ومندوبين عن نقابة المحامين(٤). وقد ظل المؤتمر منعقداً أربعة أيام عقد فيها سبع جلسات واتخذت قرارات اقتصادية عديدة (٥) .

والحق أن هذا المؤتمر كان تعبيرا عن مطالب البورجوازية العربيـة ومصالحها وخاصة البورجوازية الزراعية ويبـدو ذلك واضحا فى قرارات المؤتمر بمطالبة الحكومة بحماية حاصلات البلاد الرئيسية وتحسـين طرق المواصلات وتنشيط زراعة الدخان الوطنى بجميع الوسائل وزيادة الضريبة على الدخان الأجنبى وتنشيط غرس الأشجار ومنع المزارع من بيع أراضيه الزراعية اذا كانت تقل عن مائتى دونما (حوالى خمسين فدانا) والمطالبة برفع الحواجز الجمركية التى وضعت بين سوريا وفلسطين .

وقد واصلت اللجنة الاقتصادية للمؤتمر نشاطها بعـد ذلك محاولة الاهتمام بالمسائل الزراعية واحياء المشاريع الاقتصادية ، وبذلت جهداً فى مقاطعة المشروعات اليهودية مثل مشروع روتنبرج كما شنت حملة عنيفـة على السماسرة العرب ودعت المواطنين الى مقاطعتهم (٦) .

لـكن اللجنة الاقتصادية للمؤتمر الزراعى الاقتصـادى العربى الأول رغم محاولتها انقاذ البلاد من الهزة الاقتصادية التى كانت تتردى فيهـا لم تؤد خدمات حقيقية أو فعـالة للفلاح الفلسطينى ، وكانت أعمالهـا ومشاريعها تفتقر الى التخطيط العـلمى والأموال الـلازمة لتنفيـذ تلك المشروعات .

وتشهد تلك الفترة نشاطا لجمعية اقتصـادية هى جمعية النهضـة الاقتصادية العربية التى كانت تعقد مؤتمرات زراعية فى مدن فلسـطين يشترك فيها كبار المزارعين والمهندسين الزراعيين للبحث فى أسباب ترقية الزراعة والاهتمام بالتعليم الزراعى والاكثار من غرس الأشجار (٧) .لكن تلك الجمعية وأمثـالها لم تكن تستمر ولم تكن منتظمـة فى نشاطها ، كما لم تكن ذات تأثير يذكر بالنسبة للتقدم الزراعى فى فلسطين .

ويخمد النشاط الزراعى الراسمالى سنوات عديدة ، لـكنه ينشط من جديد فى أعقاب الأزمة الاقتصـادية عام ١٩٢٩ ، فقد عقد فى حيفـا

يوم ١٤ نوفمبر ١٩٣٩ مؤتمر اقتصادى حضره خمس وأربعون مندوبا من سائر مدن فلسطين ، وكان من قراراته الاقتصادية المطالبة بالغاء الاعشار واستبدالها بفرض ضريبة جمركية ٢٪ والمطالبة بتأسيس بنك زراعى من الديون السابق تحصيلها من الأهالى والخاصة بالبنك الزراعى العثمانى ، وتاليفشركة برأسمال مائة الف جنيه لتنشيطالزراعة والتجارة والصناعة الوطنية . كما أيد المؤتمر مطالب الأمة العربية الفلسطينية السياسية (٨) .

وتشهد بداية الثلاثينيات مؤتمرات قروية عديدة (٩) . وجمعيات تهدف الى خدمة الفلاحين والدفاع عن مصالحهم لدى الحكومة ، وكانت بعض تلك الجمعيات مرتبطة باللجنة التنفيذية العربية مثل جمعية الفلاح(١٠) لكن بعضها لم يكن مرتبطا بقوى سياسية .

وتعقد البورجوازية العربية بالقدس فى ١٢مايو ١٩٣٢ مؤتمرضرائب الأملاك الذى يحضره ١٥٠ ممثلا لأصحاب الأملاك في فلسطين لمناقشة الضرائب الجديدة التى فرضتها حكومة فلسطين ، ويتخذ المؤتمر قرارات منها تخفيض ميزانية حكومة فلسطين الى الثلث واعفاء جميع المزارعين من الاعشار والويركو والغاء ضريبة الأملاك فى المدن واستيفاء الضرائب حسب القانون القديم الى أن يؤلف مجلس نيابى على أن يعدل القانون لاعفاء الأملاك التى لا تؤجر ، وان يخول المجلس اعلان الامتناع عن دفع الضرائب عموما اذا رفضت الحكومة الطلبات السابقة (١١) .

واما المعارض الزراعية التى اقامتها البورجوازية العربية فىفلسطين خلال العشرينيات متعاونة مع الراسمالية اليهودية فكان أهمها المعرض الزراعى بيافا الذى افتتح فى ٢٢ يونية ١٩٢٦ وتبنته اللجنة التنفيذية العربية ، ودعت الوطنيين الى الاشتراك فيه وعرض أجود منتجاتهم (١٢).

وقد بلغ مجموع ما اكتتب به أهالى يافا والقرى المجاورة لنفقات هذا المعرض (٧٦١ جنيها) اكتتب اليهود منها بـ (٢٦٣ جنيها) (١٣) وكانت نتيجة المعرض فى صالح البورجوازية العربية الزراعية التى نالت اكثر جوائز المعرض لاسيما جوائز الحبوب ، رغم انها كانت المرة الأولى التى

يشترك فيها عرب فلسطين اشتراكا فعليا فيها أقيم من معارض حتى ذلك الوقت (١٤) .

ومع السنوات الأولى من الثلاثينيات وما صاحبها من تدفق كبير للهجرة اليهودية وكثرة مادخل فلسطين من الأموال والآلات الحديثة المستوردة وما ترتب على ذلك من دعم للرأسمالية اليهودية فى فلسطين كان هناك ردود فعل كبيرة لدى البورجوازية العربية، فقد وجدت البورجوازية الزراعية فى ذلك فرصة لبيع قطع من الأراضى التى تضاعفت أثمانها ، وكانت نسبة الأراضى التى باعها ملاك الأرض الموجودون بفلسطين فى أوائل العشرينيات ٨ر٢٠٪ مما تم بيعه من أراض . وبينما كانت النسبة الكبرى التى اشتراها اليهود من العرب خلال العشرينيات أراض يملكها ملاك من خارج البلاد ، لكن النسبة التى باعها ملاك من داخل فلسطين بين عامى ١٩٣٣ ، ١٩٣٦ ارتفعت الى ٧ر٦٢٪ مما تم بيعه فى تلك الفترة ، ومعنى ذلك ان الرأسمالية الزراعية وجدت فى ارتفاع اسعار الأراضى خلال النصف الأول من الثلاثينيات فرصة لتحقيق أرباح كبيرة حتى على حساب وطنها، ولم تكن الرأسمالية الزراعية العربية تمر بظروف اقتصادية قاسية حتى تقوم ببيع تلك الأراضى ، بل على العكس من ذلك تماما ، كانت القوة الاجتماعية الرئيسية فى فلسطين التى استفادت من ظروف الوطن القومى اليهودى .

اما الفئة الأخرى التى استفادت من تلك الأوضاع فقد كانت من غير شك تلك الرأسمالية العربية التجارية حتى أنه مما يستلفت النظر فى هذا الشأن ان التجار بشكل خاص كانوا أقل الجماعات عملا فى مجال الحركة الوطنية. ولعل السبب فى ذلك أنهم كانوا أقل الفئات التى لم تتأثر اوضاعها بعملية بناء الوطن القومى اليهودى كما كانت أكثر القوى الاجتماعية التى تعاملت اقتصاديا مع اليهود وليس هناك وجه للمقارنة مثلا بين ما أصاب الفلاح الفلسطينى وبين ما أصاب التجار الوطنيين. ولم تكن الشركات التجارية أو التجار الوطنيون وغيرهم يدفعون من الضرائب المباشرة غير ضريبة الويركو ، بينما كان الفلاحون وصغار الملاك اكثر القوى الاجتماعية معاناة من تلك الضرائب المختلفة التى فرضت على ملاك الأراضى فى فلسطين (١٥) فقد كان التجار وذو المهن الحرة

والمستخدمون الذين بلغ دخلهم الف جنيه فى العام يدفعون ضرائب نسبتها ٥ر١٢٪ بينما كان الفلاح الذى يكون معدل محصوله السنوى ٢٣ جنيهـا و٣٧٠ ملا بدفع ضرائب قيمتها ٢٥٪ من دخله (١٦) .

ورغم التطورات الـكبيرة التى حدثت فى مجال الحركة الوطنية فى فلسطين خلال النصف الأول من الثلاثينيات ظل تجار القدس العرب حتى قيام ثورة ٣٦/١٩٣٩ مندمجين فى غرفة تجارية واحدة مع تجار القـدس اليهود كأنهم لايحسون بما يجرى حولهم . ومع أن شعار المقاطعة كان مرفوعا منـذ بداية الانتـداب يظهر حينـا ويخبو أحيانا ينفذ فترة ويتجاهل فترة أخرى ، لـكنه منذ انتفاضة ١٩٣٣ أصبحت مقاطعـة اليهود أمرا متفق عليه تسارع مختلف الهيئات الوطنية على تنفيـذها والالتزام بها ، لـكن التجار ورجال البلديات كانوا أقل النـاس تأثرا بها وعملا على تنفيذها ، وقد يكون لرجال البلديات بعض العذر باعتبارهم موظفـين رسميين فى حكومة فلسطين ، أما الرأسمالية التجارية العربية فلم يكن هناك مايفسر موقفها غير الحرص على مصالحها والمحافظة على أوضاعها .

ويوضح تقرير اللجنة الملـكية أنه فى مجال التعاون العربى اليهودى فى ميدان التجارة والأعمال اشتغل أصحاب الآراء المعتدلة من العرب مع اليهود فى أوقات الهـدوء ، وكان هناك امتزاج كبير فى الشئون التجارية وامتزاج أقل منه فى الناحية الاجتماعية بين الأفراد (١٧) .

وعنـدما بدأ الاضراب صباح ٢٠ أبريل ١٩٣٦ كان التجـار ميالين لتحديد مدة معينة للاضراب (١٨) . وفى مدينة يافا بالذات — حيث تزدهر الحركة التجارية بسبب الميناء — كان هناك — من جانب التجار — قليل من الحماسة للاضراب ، وحدث فى بداية الاضراب ان هوجم بعض التجار الذين فتحوا محلاتهم ودمرت بضائعهم وتم ابعاد زبائنهم (١٩) .

وعندما شكلت اللجنة العربية العليـا لقيادة الحركة الوطنيـة فى ٢٥ أبريل ١٩٣٦ كان بين أعضائها العشرة اثنان من كبار التجار وهمـا يعقوب فراج نائب رئيس حزب الدفاع والفردروك نائب رئيس الحـزب العربى الفلسطينى .

وكانت النفوس معبئة بدرجة كبيرة فى بداية الاضراب حتى أن المعرض

الصهيونى بتل أبيب الذى بدأ فى ٣٠ أبريل واستمر حتى ٣١ مايو منى بفشل كبير نتيجة مقاطعة العرب له ، فقد أصدرت حكومة الانتداب تقريرا رسميا فى نهاية المعرض اوضحت فيه ان خسارة المعرض بلغت ٥٢٠ الف جنيه ، مع أنه ربح فى عام ١٩٣٤ (٧٢) الف جنيه (٢٠) .

وبعد بدء الاضراب بحوالى شهر عقد بمدينة القدس اجتماع تجارى كبير يوم ١٢ مايو ١٩٣٦ حضره مئات من التجار العرب ورجال الأعمال الاقتصادية ، وتقرر فيه بالاجماع فصل الحركة التجارية الوطنية فى القدس عن كل علاقة تربطها بالغرفة التجارية التى يرأسها المستر شيلى وعن كل علاقة باليهود ، وانشاء غرفة تجارة عربية يكون من أغراضها السعى لانشاء الوكالات التجارية للمصانع الأوربية حتى يستغنى التجار العرب عن الوكلاء اليهود ، واقترحت الغرفة التجارية الجديدة على اللجنة العربية العليا أن تدعو الغرف التجارية العربية الأخرى مدن فلسطين الى عقد مؤتمر عام للبحث فى أساس المقاطعة الكبرى لليهود وللبضائع الأجنبية والاستعاضة عنها بالمنتجات المصرية والسورية والعراقية (٢١) .

ورغم قيام غرفة تجارة عربية بالقدس وتأييدها لمطالب الأمة الا أن بعض التجار لم يحرصوا على الالتزام بالاضراب واغلاق محلاتهم ، فقام طلبة القدس بمظاهرة ضد هؤلاء التجار يوم ١٣ يونية ١٩٣٦ اضطروا على اثرها الى استئناف الاضراب مشاركة للامة (٢٢) .

وقد أوضح تقرير اللجنة الملكية أن فئة قليلة من تجار العرب ظلت تفتح حوانيتها أو احجمت عن الاضراب ، لكنها مالبثت أن اتبعت الاتجاه العام سواء من تلقاء نفسها أو نتيجة للتهديد (٢٣) . ويؤكد تقرير بريطانى دورى هذا الموقف حيث يذكر فى ٢٣ يونية ١٩٣٦ أن الاضراب قد تدعم بشكل عام فى صفوف التجار باستثناء مناطق حيفا (٢٤) .

وعندما تحول الاضراب الى ثورة شعبية مسلحة فى أواخر مايو ١٩٣٦ نجد ان واحدا من أبرز قواد الثورة وهو عبد الرحيم الحاج محمد كان من اكبر تجار طولكرم ، لكنه لم يترك أعباء الجهاد للآخرين كما فعل أكثر التجار بل جازف بماله وتجارته ووهب نفسه من أجل حرية وطنه وظل فى طليعة قواد الثورة طوال مرحلتيها حتى استشهد فى ٢٩ مارس ١٩٣٩ قرب جنين خلال معركة عنيفة مع القوات البريطانية (٢٥) .

ويشير تقرير دورى بريطانى مؤرخ فى ١٢ يوليو ١٩٣٦ الى استمرار مشاركة التجار فى الاضراب رغم الضيق والخسارة والى أن كبار التجار فى حيفا قد تأثرت حالتهم كثيراً ، وأصبح مصدروا الثمار غير قادرين على الدخول فى اتفاقيات خارجية ، كما غادر البلاد بعض كبار التجار تجنبا لتقديم التبرعات التى طلبت منهم لصالح الثورة (٢٦) ، كما يؤكد تقرير آخر مؤرخ فى ٢٦ يوليو الى انه يتوقع أفلاس كثير من التجار — كبارا أو صغارا — وانه ينتظر أن تعلن الحكومة قرارا بتأجيل دفع الديون (٢٧) .

ورغم تأثر كبار التجار بظروف الاضراب والثورة لكن يبدو أنهم كانوا حريصين بعد تحول الاضراب الى ثورة شعبية على التظاهر باستعدادهم للصمود حيث يشير تقرير دورى مؤرخ فى ١٨ أغسطس الى أن كبار تجار الثمار البارزين يعربون عن استعدادهم للتضحية بانتاجهم فى موسم الثمار التالى (٢٨) . لكن تقريرا دوريا مؤرخا فى ١ سبتمبر يذكر أن هؤلاء التجار الذين سبق أن تحدثوا عن التضحية بمحاصيلهم من أجل القضية الوطنية أظهروا علامات واضحة من الاستياء ، كما كانوا حريصين على تسوية الموقف حتى يتمكنوا من الدخول فى تعاقداتهم (٢٩) .

ولا شك أن طول مدة الاضراب قد أضرت بكثير من المصالح الحيرية للعرب حتى أصبح موسم الموالح — وهو قوام الاقتصاد العربى فى فلسطين — مهددا بالبوار ومنذرا بكارثة اقتصادية (٣٠) مما كان عاملاهاما فى دفع اللجنة العربية — والتى كان بعض أعضائها مشاركين بشكل أساسى فى تجارة الثمار — فى البحث عن وسائل يمكنهم عن طريقها الدعوة الى ايقاف الاضراب دون الظهور بمظهر المتراجع أمام الادارة(٣١) ويؤكد تقرير بريطانى بعد توقف الاضراب أن معظم تجار الثمار لن يستجيبوا للدعوة الى تجدد الاضراب والثورة (٣٢) .

وقد حدث فى أعقاب المرحلة الأولى من الاضراب — أواخر ١٩٣٦ — تقدم اقتصادى لدى عرب فلسطين ، فقد تنبه العاملون والمولون فى هذا الميدان الى ضرورة القيام بنهضة اقتصادية فى جميع المرافق ، فعقدت الغرف التجارية اجتماعات عديدة لبحث المشاريع الحيوية ، كما تألفت لجان اقتصادية لهذا الغرض ، فتأسست فى يافا « شركة المواد

الحديدية العربية المحدودة » برأس مال قدره عشرة آلاف جنيـه ، كمـا تأسست شركة « دار الصـناعة العربية » للتجارة بأنواعها برأس مال مماثل ، وتكونت شركة لصـنع المرايا فى يافا ، وشركة المتاجرة بالأدوات والآلات الزراعية فى القدس ، كما ادمجت جميع سيارات القرى الجنوبية التعاونية بشركة سيارات غزة المحدودة (٣٣) .

وبدات التجارة العربية تتحرر بشكل حاسم من ارتباطها بالاقتصاد اليهودى الذى كان يشكل عقبة فى طريق نموها ، فقام العرب بجهد نحو اعادة تنظيم المسائل المالية والتجارية بهدف تحقيق الاستقلال عن الاقتصاد اليهودى . فقد أسست غرفة تجارية عربيـة مستقلة بمدينـة القـدس وأصبحت العـلاقات بين غرف التجارة العربيـة فى مدن مختلفة جديرة بالملاحظة ، وفتح عدد من المتاجر العربية الجديدة ، واتخـذت خطوات لتشجيع استيراد وشراء المنتجات العربية بدلا من المنتجات اليهودية (٣٤) .

وبذلت الغرفة التجارية بالقدس جهدا كبيرا فى دراسة المشروعات الاقتصادية من تجارية ومالية وصناعية ، وشرعت فى أواخر ١٩٣٦ تعـد دليلا مفصلا للتجارة والصناعة والحرف والمهن العربية فى فلسطين (٣٥) .

وكان من السمات العربيـة البـارزة فى تلك الفترة مقاطعة العرب للصناعات اليهودية بطريقة فعالة واهتمامهم بتشجيع المنتجات العربيـة ، وكان هنـاك رقابة شعبية عربية للذين يتعـاملون مع المتـاجر اليهودية حيث يعتدى عليهم أو تبلغ أسماؤهم الى اللجان المحلية ، وكان هنـاك مندوبون عرب يتجهون الى المناطق النائية مثل صفد بغرض تقوية المقاطعة ، وقامت نابلس بدور هام فى عملية تنظيم عملية المقاطعة ، وبدأت اللجـان القومية فى عدد من المناطق مثل يافا تفكر فى تأسيس مؤسسات تجـارية تطرح أسهمها للاكتتاب العام (٣٦) .

وكان للجنة القومية فى القدس دور فى النشاط التجـارى فى تلك الفترة ، فقد اعلنت انهـا بعد المخابرة مع قناصل الـدول الأجنبيـة فى فلسطين ومع المصـانع العربيـة فى الأقطار الشقيقة قـد جمعت طائفة كبيرة من المعلومات التجـارية القيمة ، وحصـلت على عنـاوين البيوت التجارية الـكبرى ، وأن لديها نماذج كثيرة من منتجات المصانع الوطنية ،

وأنها ترحب باطلاع التجار العرب فى فلسطين على مايهمهم من تلك الشئون وارشادهم الى اضمن الطرق التى تسهل عليهم أعمالهم التجارية (٣٧). واحتجت اللجنة على ماتخذته حكومة الانتداب من وسائل اقتصادية لتقوية الاقتصاد الصهيونى عندما أمرت الحكومة بمنع دخول (الاسبرتو) السورى الى فلسطين الا برسوم باهظة بقصد حماية الصناعة اليهودية فى فلسطين (٣٨) .

وترد الى القاهرة فى مايو ١٩٣٧ أنباء من فلسطين بأن حالة موسم الثمار المقبل غير طيبة فيقترح الصحفى الفلسطينى محمد على الطاهر على غرفة تجارة يافا أن توفد أحد رجال التجارة الى موانى البحر الأحمر وبومباى لدراسة الأسواق ، ويدعو تجار يافا فى حالة تهاون الغرفة التجارية فى تنفيذ ذلك أن يؤلفوا شركة منهم لهذا الغرض (٣٩) .

ويعطى تقرير لمجلس ادارة الشركة العربية للسجائر فى الناصرة فكرة عن نشاط احدى الشركات الوطنية خلال الثورة ، فقد كان رأسمال الشركة المصرح به أربعون الف جنيه تم الاكتتاب بمعظمه ، وحققت الشركة أرباحا جعلت مجلس ادارتها يقرر توزيع أرباح قدرها ٢٥٪ من قيمة رأس المال المدفوع على المساهمين وزيادة رأسمالها عشرين الف جنيه (٤٠) .

وتجنبا لما حدث لهم فى المرحلة الأولى للثورة فلم يشارك التجار خلال المرحلة الثانية فى أعمال الاضرابات عن العمل التى كانت تنظم فى مناسبات معينة ، فعندما ذهبت اللجنة الفنية الى فلسطين لم يشارك فى الاضراب سوى بضعة تجار فى مدن عديدة (٤١) .

وأما الرأسمالية العربية الصناعية فقد كانت تناضل للوقوف على قدميها فى ظروف غير مواتية ، فالصناعة اليهودية تتوفر لها رءوس الأموال الكافية والآلات الحديثة والدعم الرسمى القوى الذى ييسر لها الحماية الجمركية اللازمة ، بينما كانت الصناعة العربية تفتقر الى الأموال اللازمة والآلات الحديثة والاهمال الحكومى بل وحرمان العرب من الاستفادة من مصادر الثورة فى بلادهم ، بل ان بعض تلك الصناعات كان يناضل لا من أجل التحسين والتطوير بل من أجل البقاء بأوضاعه القائمة .

وأما الرأسمالية المالية ممثلة فى البنوك والمؤسسات المالية فكانت وليدة بداية الثلاثينيات ، كما أنها بدأت برأسمال فلسطينى عربى عندما فكر عبد الحميد شومان أحد أبناء فلسطين فى المهجر فى تأسيس بنك عربى يستثمر فيه أمواله ويخدم به قضية بلاده ، وعندما شرع عبد الحميد شومان فى انشاء البنك العربى فى فلسطين الذى كان نواة المؤسسات المالية العربية فيما بعد ، كانت الرأسمالية الزراعية والتجارية بالذات تحجمان عن استثمار أموالهما فى مشروعات قومية كهذه تخدم أكثر مما تستفيد ولا ترغبان فى المغامرة بأموالهما خوفا من عدم تحقيق الربح المنشود ، كما كان عرب فلسطين فى نفس الوقت يفتقرون الى خبرات مالية متعددة يمكن الاعتماد عليها فى ادارة شئون تلك المؤسسات المالية . ومن هنا يمكن تفسير أن البنك العربى عندما طرح أسهمه لم يتقدم سوى عربيين فقط من سبعة مطلوبين مما اضطر عبد الحميد شومان الى استكمال العدد بأية أسماء حرصا على قيام البنك ، كما اعتمد البنك فى بداية عمله على عدد محدود من الموظفين لم يسبق لمعظمهم العمل فى مؤسسات مالية ومن هنا فان العرب الذين شاركوا فى قيام تلك المؤسسات المالية كانوا أكثر قطاعات الرأسمالية العربية حرصا على بناء اقتصاديات بلادهم وأكثرهم استجابة لآمال الجماهير خاصة الفلاحين الذين كانوا يناضلون من أجل الحفاظ على أرضهم أو أصحاب الحرف والصناعات الذين كان يحتاجون الى مساندة أو دعم مالى أو هؤلاء العمال الذين وجدوا فى مشروعات البنك ميدانا جديدا يحميهم من البطالة . ومع أن بعض مشروعات البنك لم يتحقق لها الاستمرار ، ومع أن بعضها الآخر كان يواجه بصعوبات كثيرة ، ومع أن خدماتها لم تشمل قطاعا عريضا من الجماهير ، لكن مجرد قيامها كان نوعا من المواجهة الرأسمالية الواعية للنهوض باقتصاديات عرب فلسطين فى ظروف غير مواتية .

وقد بذلت محاولة فى أواخر العشرينيات للاستفادة من رأس المال العربى فى فلسطين بانشاء بنك مصرى فلسطينى لكن طلعت حرب أحجم عن الاستمرار فى المشروع بعد حدوث اضطرابات البراق عام ١٩٢٩ مما دفع عبد الحميد شومان الى تنفيذ المشروع بأمواله الخاصة .

ويبدو انه بذلت محاولة أخرى فى أوائل ١٩٣٦ للاستعانة برأس المال المصرى حيث يشير أحد التقارير البريطانية الدورية فى ٢٤ مارس ١٩٣٦

الى أن أمين الحسينى حاول أن يحث بنك مصر على افتتاح فرع له فى فلسطين ، وان كان التقرير يرجع ذلك الى رغبة أمين الحسينى فىمنافسة البنك العربى الذى كان يديره أحمد حلمى باشا أحد الشخصيات البارزة فى حزب الاستقلال العربى (٤٢) .

وعندما بدأت الثورة كان لبعض الشخصيات المالية الكبيرة دور فى النشاط الوطنى ، فقد اعتقلت السلطة فى اغسطس ١٩٣٦ عبد الحميد شومان أبرز شخصية مالية فى فلسطين وابعدته الى معتقل صرفند (٤٣).

ولعل مما يستلفت النظر انه قبيل استئناف المرحلة الثانية من الثورة أن معظم الشخصيات العربية التى نفيت الى جزيرة سيشل كانت من أبرز قيادات البورجوازية المالية فى فلسطين وهم : احمد حلمى ورشيد الحاج ابراهيم وفؤاد صالح سابا ومحمد يعقوب الغصين ، مما يوضح حرص السلطة على ضرب قيادة البورجوازية المالية أكثر قطاعات البورجوازية العربية تنظيما وقدرة على النهوض باقتصاديات العرب .

وقد اعتقل خلال المرحلة الثانية للثورة عدد من أبرز قيادات البورجوازية المالية مثل عبد الحميد شومان مدير البنك العربى ويونس الحسينى المدير الفنى للبنك الزراعى العربى (٤٤) .

وتتضح النظرة الواقعية للقضية فى تلك المرحلة فى تصريح لأحد قيادات البورجوازية المالية وهو أحمد حلمى بعد عودته من المنفى « ونحن لانفكر فى المستقبل على أى صورة تكون لأننا نعمل فى سبيل أن نتحرر من العبودية او نموت ، وكلا المصيرين محبوب . اننا فى موقف لن نحيد عنه وسيبقى الصراع قويا مابقى الحق ضائعا » (٤٥) .

وقد ظلت الراسمالية العربية تقود الحركة الوطنية فى فلسطين وتسيطر بطريقة غالبة على كل الأنشطة والمؤتمرات السياسية منذ بداية العشرينيات ، لكنها مع التطورات السياسية التى شهدتها البلاد فى أوائل الثلاثينيات ومع ظهور قوى سياسية جديدة ممثلة فى الشباب والمثقفين بشكل خاص بدأت الراسمالية العربية تفقد شيئا من نفوذها وسيطرتها السياسية . ورغم محاولة الراسمالية أن تساير التطورات وتأخذ مواقف حاسمة أو شبه حاسمة لكنها لم تكن قادرة بطريقتها على

قيـــادة الجماهير خاصة بعد ان استقام الخط الوطنى واصبح الانتـــداب البريطانى هو الخطر الأســـاسى التى تواجهه الجماهير . ويشير أحـــد التقارير البريطانية الدورية فى ٤ ديسمبر ١٩٣٥ الى شىء من هذا المعنى عندما يذكر انه فى مواجهة تلك الاثارة العـــامة والهيـــاج الذى احـــدثته مجموعات الشباب ، ورغم أن قادة الأحـــزاب التزموا بتقـــديم مذكرة الى الحكومة وأن يلتقوا فى منتصف يناير ١٩٣٦ لتبنى سياسة حاسمة لـــكنهم وجدوا انفسهم فى موقف لايحسدون عليه مما سيضطرهم الى تبنى سياسة متطرفة ليس فقط من أجل استعادة هيبتهم والحيلولة دون خروج القيادة الوطنية من أيديهم ولكن أيضا من اجل اقناع الراى العام بمواقفهم بعد أن فشلت جهودهم السابقـــة — فى الاحتجـــاج والمظـــاهرات والاجتماعات الشعبية — فى تحقيق أهدافهم (٤٦) .

المصـــادر

(١) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : القـــانون الداخلى للمؤتمر العربى الفلسطينى ص ٩ — ١٢ .

(٢) الـــكرمل : ٢٣ كانون الأول ١٩٣٣ ص ١ ، ٢ .

(٣) فلسطين : ٢٩ كانون أول ١٩٢٢ ص ١ . بيان اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربى الفلسطينى الخامس .

(٤) فلسطين : ٢٣ كانون الثانى ١٩٢٣ . بيـــان لجمـــال الحسينى سكرتير اللجنة التنفيذية العربية .

(٥) قرارات المؤتمر الزراعى الاقتصادى العربى الفلسطينى .

(٦) فلسطين : ١٥ آيار ١٩٣٣ ص ٣ . بيان من اللجنة الاقتصادية

(٧) فلسطين : ٤ ايلول ١٩٢٣ ص ٢ .

(٨) الشورى : ٢٠ نوفمبر ١٩٢٩ ص ١ .

(٩) الشورى : ٢ ابريل ١٩٣٠ ص ٣ .

(١٠) الشورى : ٤ مارس ١٩٣١ ص ٣ .

(١١) الاهرام : ١٧ مايو ١٩٣٦ ص ٨ . بيان لأمانة سر مكتب المؤتمر بالقـــدس .

(١٢) فلسطين : ١٥ حـــزيران ١٩٢٦ ص ١ . بيـــــان لموسى كاظم الحسينى .

(١٣) فلسطين : ١٢ حزيران ١٩٢٦ ص ٣ .

(١٤) فلسطين : ٢٩ حزيران ١٩٢٦ ص ١ .

(١٥) مجلة الاقتصـــاديات العربيـــــة : ١ اغسطس ١٩٣٥ ص ١٨ مقال لسعدى بسيسو .

(١٦) الشهادات العربية : ص ٢٦١ وبيـــان فؤاد سابا أمام اللجنة الملـــكية .

(١٧) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٩٠ .

(١٨) عبد الوهاب الـــكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٠٤ .

(19) Marlowe Rebellion in Palestine. pp. 152, 153.

(٢٠) الرابطة العربية : ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ ص ٣٢ .

(٢١) الاهرام : ١٣ مايو ١٩٣٦ ص ٤ .

(٢٢) الاهرام : ٢٢ يونية ١٩٣٦ ص ٤

(٢٣) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٢٩ .

(24) F. O. 371/20018 : R. N. E. 4270/19/31.

(٢٥) عيسى الناعورى : بطولات عربية من فلسطين ص ٦٦ ، ٦٩ .

(26) F. O. 371/20018 : R. N. E. 4919/19331.

(27) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 13/36.

(28) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(29) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 15/36.

(٣٠) محمد حبيب احمد : نهضة الشعوب آسلامية فى العصر الحديث ص ٢٥١ .

(31) Marlowe : Ibid., p. 164.

(32) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 17/36.

(٣٣) الاقتصاديات العربية والتشريع : ١١ تشرين الثانى ١٩٣٦ ص ٢

(34) Report by His Moiesty's Government in the United Kingdom of Grest Britain and Northern Ireland to the Council of the league of Nations on the Administration of Palestine and Trans-Jordan for the year 1936. p. 39.

(٣٥) الاقتصاديات العربية : ٢ كانون الأول ١٩٣٦ ص ١٣ .

(36) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 19/36.

(٣٧) الاقتصاديات العربية : ٣٠ كانون الأول ١٩٣٦ ص ١٣ .

(٣٨) الشباب : ٢ يونيو ١٩٣٧ ص ٣ .

(٣٩) الشباب : ٢٦ مايو ١٩٣٧ ص ٢ .

(٤٠) الصراط المستقيم : ٢٩ آذار ١٩٣٨ ص ٥ .

(٤١) السياسة : ٣٠ ابريل ١٩٣٨ ص ٣ .

(42) F. O. 371/20018 : 50/G. S.

(٤٣) الاهرام : ١٣ أغسطس ١٩٣٦ ص ٤ .

(٤٤) السياسة : ٢٥ فبراير ١٩٣٨ ص ٢ .

(٤٥) الوحدة المغربية : ٢٧ يناير ١٩٣٩ ص ٣ .

(46) F. O. 371/20018 : Ibid.,

الفصل الخامس

اليهود والثورة

اليهود والثورة

لقــد كان الوطن القومي اليهودي في الســنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى في دور التجربة ، لــكنه أصبح في منتصــف الثلاثينيــات مشروعا قائما بذاته ، وازداد عدد سكانه اربعة أضعاف ، ففي عام ١٩٢٥ كانوا ١٢١٠٠٠ نسمة فأصبحوا في عام ١٩٣٦ طبقــا للتقــدير الرسمي ٣٧٠٠٠٠ نسمة ، وان كان الرأى السائد يقدر عددهم الحقيقي في ذلك العام بأربعمائة الف نسمة على الاقل ، وأما مساحة الأراضي الزراعيــة التي استعمرها اليهود فقد ارتفعت من ٨٤٤٠٠٠ دونما في عام ١٩٢٥ الى ١٣٣٢٠٠٠ دونما في عام ١٩٣٦ ، كما كان هناك ٢٠٣ مستعمرةزراعية يقطنها ٩٧٠٠٠ نسمة طبقا لاحصاء الوكالة اليهودية فيسبتمبر ١٩٣٦ .

وبالنسبة للبنــاء السياسي للوطن القومي اليهودي فقد شكل منــذ بداية العشرينيــــات مجلس ملي عام يضم جمــاعات حزبيــــة عــديدة ينتخبهم اليهود من الجنسين ، كما شكل مجلس وطني تنفيــذي ســمي « المجلس الملي » كان بمثابة الحكومةالمسئولة عنالوطن القومي اليهودي. اما بالنسبة للهيئات المحلية اليهودية فكان لتل أبيبمجلسها المحلي المنتخب، كما كان لــكل مدينة صغيرة وقرية لجنتها المنتخبة ، وكان مجلسالربانيين يقوم بتنظيم المسائل الدينيــة جميعها ، وقد اعترف بجميع هذه الهيئات، وتم تنظيمها بنظام صــدر سنة ١٩٢٧ طبقا لقــانون الطوائف الدينيــة وأصبح من حق المجلس المحــلي واللجــان المختلفة فرض الضرائب وأداء الخــدمات الاجتماعية خاصــة التعليم والصحة « وقد نص النظام بالطبع على تخويل حكومة فلسطين حق الاشراف على هذه الهيئــات لاسيما من الوجهة المالية ولــكن من الصعب على كل حال أن يجد المرء في التــاريخ سابقة تضــارع هذه السابقة من حيث تأســيس حكومة قائمــة ضــمن حكومة اخرى » .

وقــد توطد شيئا فشيئا مركز الوكالة اليهودية كلسان حال لليهودية العالمية والمجلس الملي اليهودي كلسان حال لليهود في فلسطين ،وانضمت الأحزاب التي بلغت نحو عشرين حزبا او جماعة معا والفت كتلة لأحزاب العمال ، وجبهة معارضة اكثرها من الاصلاحيين ، وحزب وسط ضعيف غير

منظم ، كما توطدت أركان الحكومة المحلية ، وكان المجلس البلدى فى تل ابيب يتحرر رويدا رويدا من رقابة الحكومة ، وكانت كل مستعمرة أو قرية يهودية تدير شئونها المحلية بواسطة اجان منتخبة .

وكانت الهيئة الرئيسية العليا للوكالة اليهودية تتالف من ١١٢ ممثلا للجمعية الصهيونية وعدد مماثل يمثل يهود العالم ، ويعقد هذا المجلس اجتماعاته الدورية مرة كل سنتين ، ويكون على صلة تامة بالمؤتمر الصهيونى .

وتنقسم الوكالة اليهودية الى دوائر متعددة مثل الدائرة السياسية ودائرة الاستعمار ودائرة الهجرة ودائرة المالية ، وتتولى توزيع شهادات المهاجرين العمال ، وكان هدفها الرئيسى أن تعمل على ادخال أكبر عدد ممكن من اليهود الى فلسطين ، وكانت تتدخل فى كل فرع من فروع الادارة الحكومية استنادا الى المادة الرابعة من صك الانتداب التى تخولها اسداء المشورة الى ادارة فلسطين ، وكانت سلطاتها مشابهة لتلك التى كانت التى كانت تعطى للشركات الاستعمارية فيما مضى ، واستطاعت الوكالة بتعاونها مع المجلس الملى اليهودى واكتسابها ثقة الأغلبية الساحقة ليهود فلسطين أن تصبح ذا أثر فعال على حركة الحكومة فى فلسطين وبريطانيا (١) .

ورغم الآمال الكبيرة للزعامة الصهيونية — تحت القيادة المعتدلة لحاييم وايزمان — ومحاولتها استباق الزمن تحقيقا لأهدافها ، فقد روضت نفسها طوال سنوات الانتداب على الخضوع للقيود البريطانية لكبح جماحها طالما كانت الأوضاع السياسية تسمح ببناء وطن قومى يهودى بمعدل مناسب وكان الشعور العام أن المستقبل السياسى لفلسطين سوف يتحدد فى النهاية بناء على الحقائق المعتمدة على القوة والعدد النسبى أكثر منه على أية نواح قانونية أو سياسية (٢) .

لكن ذلك لا يعنى أن الوكالة اليهودية لم تكن تخالف الحكومة وتستنكر قراراتها فقد حدث ذلك كثيرا ، لكنه لم يحدث حتى قيام ثورة ١٩٣٩/٣٦ أن تحدت الوكالة اليهودية سلطة الحكومة ، فقد سارت الوكالة اليهودية فى طريق وسط بين جماعتين كل منهما يتبعها اقلية من اليهود ، الجماعة الأولى هي مجموعة العلماء والمثقفين بالجامعة العبرية التى كانت

ترى أن يخضع اليهود مطامعهم السياسية للأهـداف الثقافية والروحية ، وأن يقبلوا أن يكونوا أقلية فى البـلاد حتى لو ترتب على ذلك خضوعهم للعرب ، والجماعة الثانيـة هى الاصـلاحيين الذين طالبوا بتوسيع نطاق الوطن القومى اليهودى بحيث يشمل شرقى الأردن أيضا ، لـكن الوكالة اليهودية والمجلس الملى اليهودى لم يكونا معتـدلين كل الاعتـدال ، فقد كانا يطالبـان بالحد الأعلى من الحقوق التى يسمح بها صك الانتداب ، بل كان تقديرهما لقوة البـلاد على الاستيعاب تفوق دائما تقدير الحكومة.

أما بالنسبة للمجال الثقافى فقد تمثلت فى هـذه الجماعة اليهودية حيـاة العـالم الغربى بعد الحرب العالمية الأولى ، وتجلت الروح اليهودية فى الأدب والفن المحليين ، وتمثلت تلك الروح فى احيـاء اللغـة العبرية بعد أن اعترف بها منذ بدء الادارة المدنية لغة رسمية فى البلاد .

واما التعليم اليهودى فقد وضعت أموره منذ بداية الادارة المـدنية فى يد يهودية أحسنت التخطيط له ، ولم يأت عام ١٩٢٥ حتى كان اليهود قـد أنشئوا نظاما كاملا للتعليم اليهودى ، واستكمل هذا البناء التعليمى فى ربيع ذلك العـام بانشاء الجامعة العبرية فى القدس . وفى عام ١٩٣٧ كان فى الجامعة أقسام للدراسات الشرقية والآداب العـامة والرياضيات والطبيعة والـكيمياء والنبات ، وكان جميع طلابها من اليهود ، كما كانت العبرية لغة التعليم فيها .

واما من النـاحية العلميـة ، فقد كان معهد الأبحـاث العلمية فى رحوبوت يحتوى على أدق الآلات الحديثة ، وكان الـكيماويون فى أنحاء العالم يرقبون مايجرى فى هذا المعمل من أبحاث .

واما عن النواحى الاقتصادية فقد نمت المشروعات الصناعية والتجارية فى سنوات ماقبل الثورة ، ففى عام ٢٩/١٩٣٠ بلغت قيمـة الصـادرات اليهودية من الثمـار الحمضـية ثلاثمائة الف جنيـه ارتفعت فى موسم ٣٦/١٩٣٧ الى مليونين من الجنيهات ، وبينما كان الانتاج الصناعى اليهودى ٢ر٥ مليون جنيه فى ٢٩/١٩٣٠ ارتفع فى عام ٣٦/١٩٣٧ الى ٥ر٨ مليون جنيه ، وزادت رؤس الأموال المستثمرة فى هذه المشاريع من مليون وربع مليون جنيه الى مايزيد على ثمانية ملايين جنيه ، وبلغت رؤوس الأموال

المستثمرة بين عامى ١٩١٨ ، ١٩٣٦ أربعــة عشر مليونا من الجنيهـات بواسطة الصـندوق القومى اليهودى ، ونحو ٦٣ مليون جنيــه بواسطة الأفراد ، اى أن رؤس الأموال المستثمرة حتى عام ١٩٣٦ بلغت ٧٧مليون جنيه كان خمسها على الأقل من يهود الولايات المتحدة الأمريكية ، كمـا بلغت الأموال اليهودية المودعــة فى بنوك فلســطين عام ١٩٣٦ (٥ر١٦) مليون جنيه (٣) .

تلك لمحة عابرة عن البنـاء السياسى والثقافى الاقتصـادى للوطن القومى اليهودى عند قيـام ثورة ١٩٣٩/٣٦ .. وطن قومى يهودىاستكمل كثيرا من مقوماته وتوفرت له رعاية ودعم كبيرين من الدولة المنتـدبة ومن كافة المنظمات الصهيونية فى العالم . وبذل قادته وابناؤه كل مايستطيعون من أجل الاستفادة من تلك الظروف المحلية والعربية والدولية المواتية .

لـكن صورة الوطن القومى اليهودى لم تكن مشرقة فى كل أوضاعها فى تلك الفترة ، ففى ظروف التوتر الدولى بسبب الحربالايطالية الحبشية احجم الراسماليون عن استثمار اموالهم ، فازدادت البطـالة فى المجتمـع اليهودى وتنـاقصت اعمال البناء الى حد كبير ، واضطرت خمس شركات يهودية الى الافلاس فى ديسمبر ١٩٣٥ ، وقاسى كثير من العمال اليهود، لـكن الهستدروت كانت تحاول اخفـاء هـذه الأوضـاع (٤) . وكانت تهدف من ذلك بطبيعـة الحال الى تجنب اعطاء صورة قاتمة عن المجتمع اليهودى ، وحتى تستمر فى طلب ماتحتاجه من المهـاجرين دون معوقات أو اعتراضات .

ويذكر جيفريز انه كان فى فلسطين فى نهاية عام ١٩٣٥ خمسةآلاف عامل يهودى عاطلين عن العمل ، لـكن ذلك لم يمنع الوكالة اليهودية من ان تطلب اذنا بدخول أكثر من عشرة آلاف عامل ، ولم يمنع الادارة المنتدبة من أن تمنح تصريحات بدخول أكثر من ثلاثين الف مهاجر (٥) .

ويشير تقرير بريطانى دورى مؤرخ فى ١٨ فبراير ١٩٣٦ — أى قبل الثورة بشهرين — الى أن موقف البطالة خطير فى حيفا وأن اغلبيةالعمال اليهود يعملون يومين او ثلاثة فى الأسبوع ، وان أجور العمال اليهـود أصبحت نصف ماكانت عليه فيما سبق (٦) .

لـكن تلك الأوضـاع لم تكن توقف حركة الوطن القومى اليهودى بل كان هنـاك اصرار على مواصلة العمل والتغلب على المشـكلات ، ومساعدات وحماية اقتصـادية توفرها الحكومة للصـناعات اليهودية ، وجهود يهودية متواصلة لشراء الأراضى العربية ، وتدفق لأعداد المهاجرين اليهود زاد خلال السنوات الثـلاثة السابقة للثورة عن أية تصـورات محتملة ، وفى تلك الظروف وكنتيجة طبيعيـة لها حدث الاضراب العربى الـكبير فى أبريل ١٩٣٦ .

ويمكن القول بشـكل عام أن اليهود ظلوا خلال المرحلة الأولى من الثورة تحت السيطرة البريطانية ، وأنهم كانوا راضين عن حماية الحكومة لمستعمراتهم ووسائل نقلهم ، كما زادت الحكومة من عدد خفرائهم وزودتهم بعدد أكبر من (الـكونستبلات) (٧) ودرب خلال تلك المرحلة ثلاثة آلاف يهودى للعمل « كبوليس اضـافى » للدفاع عن المستعمرات والمحافظة على الخطوط الحديدية فى مناطقهم ، وكانت الحكومة والوكالة اليهودية تسددان نفقاتهم مناصفة (٨) .

ومن ناحيـة أخرى فقد كانت الثورة موجهة أساسا الى البريطانيين والى اليهود بشكل ثانوى ، ونتيجة لذلك فقد كانت عمليات الثوار موجهة الى قوات السلطة ، وأما عملياتهم ضـد المستعمرات اليهودية فقد كانت قليلة ومحدودة وهو ماتؤكده الوثائق البريطانية . فيشير تقرير مؤرخ فى ٢٣ يونية الى هجمات محددة على بعض المستوطنات اليهودية وقذف للقنابل واطلاق للنيران على وسائل النقل اليهودية والمستوطنات (٩) . ويشـير تقرير آخر مؤرخ فى ١٢ يوليو ١٩٣٦ الى استمرار عملية تصيد اليهود فى المستعمرات بطريقة منتظمة لـكن دون تدمير أو تدمير قليـل فى معظم انحاء البـلاد (١٠) . ويشير تقرير ثالث فى نهاية يوليو ١٩٣٦ الى استمرار تصيد اليهود فى مستعمرات معينة والى نجاح اليهود فى كبح جماح أنفسهم والى عدم وقوع هجمات عربية منظمة على المستعمرات اليهودية ، ويرجع التقرير ذلك الى احتمال اعتقاد العرب أن اليهود مسلحون بدرجة هائلة (١١) . لـكن الأمر لم يكن خشية من تسلح اليهود ، فقد واجه الثوار العـرب القوات البريطانيـة فى معارك عديدة رغم أنها أكثر تسلحا واستعدادا من اليهود لكن العداء كان — كما سبق أن أوضحت — موجها بالدرجة الأولى الى القوات البريطانية والى اليهود بشكل ثانوى .

وقد تظاهرت الوكالة اليهودية خلال تلك المرحلة باتباعها سياسة ضبط النفس ، وكان الهدف التكتيكى من هذه السياسة كسب ثقة البريطانيين، وترك انطباعات طيبة فى الرأى العام الأوربى والأمريكى (١٢) .

لكن من الناحية العملية ، فقد شارك اليهود فى مقاومة الثورة وابتدعوا خلال تلك المرحلة أعمال تخريب جديدة لم تشهدها فلسطين من قبل فأحرقوا البيوت والممتلكات، وبلغ عدد البيوت التى أحرقوها فى منطقة مجاورة لتل أبيب حتى ١٥ أكتوبر ١٩٣٦ (٩٩ منزلا) طبقا لاحصاء أعدته بلدية يافا ، كما اغتالوا خلال تلك المرحلة كثيرا من الرجال والنساء الذين كانوا يمرون بمناطقهم وانخذوا من نظام منع التجول الذى لم يطبق على تل أبيب فرصة للتسلل ليلا الى الأحياء العربية فى مدينة يافا الخالية من المارة والقاء القنابل على الدور العربية ، وأخذوا بعد ذلك يلقون القنابل نهارا ، كما انهم كانوا يهاجمون على غرة جماعات من العرب ويقذفونهم بالقنابل والرصاص (١٢)أ .

وتشير بعض التقارير الدورية البريطانية الى اعتداءات لليهود على العرب والى الأسلوب الغادر الذى اتبعوه فى بعض هجماتهم ، فيذكر تقرير دورى مؤرخ فى ١٨ أغسطس ١٩٣٦ أن اليهود قاموا بعدة اعتداءات على العرب واطلقوا النيران على قطار بين يافا وتل أبيب وأصابوا مسافرين عرب عديدين (١٣) .

كما يذكر تقرير آخر مؤرخ فى ١ سبتمبر ١٩٣٦ أنه بالرغم من أن الجماعة اليهودية تكبح جماحها بدرجة تستحق الاعجاب ، فان العرب أصبحوا ضحايا عدد من حالات الهجوم فى مناطق حيفا ويافا والقدس ، وأن هذه الهجمات ذات طبيعة مثيرة للامتعاض حيث يتم الهجوم أو تطلق النيران من الخلف على اشخاص غير مسلحين أو لهم علاقة بأحداث الثورة (١٤) .

لكن الخسائر الجسيمة التى أنزلها العرب باليهود كانت فى مزارعهم وحمضياتهم ، فقد قدرت الوكالة اليهودية أن العرب أتلفوا فى تلك المرحلة ٨٠٫٠٠٠ شجرة حمضيات ، ٦٢٫٠٠٠ شجرة من فواكه أخرى ، ٦٢٫٠٠٠ شجرة من أشجار الغابات ، ١٦٫٥٠٠ دونم من

المزروعات (١٥) ويؤكد تقرير بريطانى أن العــرب أنزلوا ضربات خطيرة بالزراعة والأحراش والــكروم وصناعة الفواكه اليهودية (١٦) .

وحــدث نتيجــة للثورة هبوط آخر فى التقدم الصــناعى فى عامى ٣٦ ، ١٩٣٧, ويرجع ذلك غالبــا الى الهبوط فى دخول رؤوس الأموال وعدد المهاجرين ، فقــد هبطت رؤوس الأموال الجــديدة المستخدمة فى الصناعات اليهودية من ٠٠٠ر٨٠٠ر١ ليرة فلسطينية فى عام ١٩٣٥, الى ٠٠٠ر٢٠٠ر١ ليرة عام ١٩٣٦ والى مليون ليرة عام ١٩٣٧ ، وهبطت قيمة الآلات الصناعية المستوردة لــكل الصناعات فى فلسطين (١٧) .

وحدث ركود فى بناء المساكن الجــديدة وصــعوبات فى حركة النقل التجارى كما دمر الثوار العرب ثلاثة عشر مصنعا ومعملا يهوديا ، كمــا أغلقت مؤقتا فى يافا ٣٨ منشأة اقتصادية ونقل بعضها فيما بعد الى مدن أخرى ، كما خفضت المقاطعة العربية من بيع المصنوعات اليهودية (١٨) .

ورغم تلك الظروف ، فقد حاول اليهود استكمال بنــاء وطنهم القومى وجعلتهم أحداث الثورة أكثر استقلالا واكتفاء ذاتيا (١٩) . فبسبب الاضراب حل العمال اليهود محل العمال العرب فى مزارع الثمار الحمضية ، كما أن الفلاحين اليهود كانوا مضطرين الى زيادة انتاجهم بعد أن رفض الفلاحون العرب بيع منتجاتهم فى السوق اليهودى (٢٠) .

وكان من أهم الايجابيــات التى تحققت لليهود نتيجة للاضراب انشاء ميناء تل أبيب (٢١) . فقد انتهز اليهود فرصــة اغلاق مينــاء يافا ووجود بعض الصعوبات فى استخدام ميناء حيفا ، فطالبوا الادارة بالسماح بانشاء ميناء تل ابيب ، ووافقت الادارة على ذلك فورا ، وخلال عدة أسبيع من بدء الاضراب كان ميناء تل أبيب يستقبل أول مركب تجارى (٢٢) .

وبذل اليهود محاولات مستميتة للقضاء على ميناء يافا ،فقاموا بدعاية واسعة للحيلولة دون تفريغ البضــائع التى ترسل الى ميناء يافا ، وهدد بنك انجلو ـــ فلسطين اليهودى عملاءه الذين لايلتزمون بذلك بحرمانهم من كل التسهيلات المالية والمساعــدات النقــدية ، كما حاول وكلاء البواخر الأجنبية من اليهود حض السفن على تفريغ حمولاتها فى ميناء حيفا (٢٣) .

وأما من الناحية الاجتماعية ، فقد كان من ايجابيات الثورة بالنسبة لليهود انها دعمت الارتباط بين اليهود المتدينين وغير المتدينين ، فقد أيد اغودات اسرائيل فى شهاداتهم أمام اللجنة الملكية مطالب الوكالة اليهودية باعتبار ان الصهيونية هى الروح القومية اليهودية .

وكان من ملاحظات اللجنة الملكية فى تقريرها أن اليهود سعداء بوجودهم فى فلسطين، ورغم أن الثورة خففت من هذا الشعور بالسعادة، واصبح فى جميع المستعمرات قلق يوحى بأن الوطن القومى اليهودى يواجه أزمة مصيرية ، لكن الشعور السائد عند اليهود كان شعورهم بالخلاص من البلدان التى كانوا فيها ، ولجوءهم الى فلسطين حيث ينعمون بالحرية، ويزدادون حماسا ورغبة فى تحقيق الآمال (٢٤) .

وأما من الناحية العسكرية فقد حاول اليهود أن يكونوا قوة عسكرية يعتمدون عليها والتقى تفكيرهم مع تفكير الاستعمار البريطانى الذى كان حريصا على انشاء هذه القوة استكمالا لمقومات الوطن القومى ورصيدا احتياطيا لقواته وعامل اثارة يمكن استخدامه لتوجيه العداء العربى الى اليهود .

وكان اليهود يملكون خلال الثورة نواة لجيش يهودى ، فقد تضمن تقرير دورى بريطانى مرسل من فلسطين فى ٢٦ يوليو ١٩٣٦ بيانات عن الوضع العسكرى لدى اليهود فى ذلك الوقت مأخوذة من احد المصادر اليهودية توضح أن اليهود لديهم جيش يهودى مسلح تسليحا قويا ومنظم بطريقة طيبة ، وتقدر قوته بخمسين الف رجل ، وهو مجهز بأحدث أنواع المدافع الأوتوماتيكية والبنادق المختلفة والقنابل وكمية كبيرة من الذخيرة الحربية ، وشبكة من محطات الاشارة تغطى أنحاء فلسطين (٢٥)

ويشير تقرير بريطانى مؤرخ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٣٦ أن المنظمة الصهيونية التصحيحية الجديدة بلندن أرسلت الى فلسطين مذكرة موضوعها « الدفاع عن فلسطين » وقد اعترفت المذكرة بوجود منظمة غير شرعية ، وأكدت على ضرورة وجود منظمة دفاع ذات وحدات يهودية معترف بها بصورة رسمية (٢٦) .

أما عن موقف اليهود من الوساطة العربية لانهاء الاضراب فلم ينظر

يهود فلسطين بارتياح الى تلك الوساطة (٢٧) . وقد حاول نورى السعيد أن يقنع موسى شرتوك المتحدث الرسمى للوكالة اليهودية بأنه لو وافق اليهود طواعية على الايقاف المؤقت للهجرة فسوف يقنعون العرب برغبتهم المخلصة فى التعاون لكن موسى شرتوك رفض الاقتراح على أساس أن ذلك يعتبر استسلاما للعنف ولأن اليهود يعتبرون حق الهجرة الى فلسطين حقا مطلقا لهم (٢٨) .

اما عن عدد قتلى اليهود خلال المرحلة الأولى فقد قدرته الوكالة اليهودية بواحد وتسعين قتيلا (٢٩) .

اما عن نظرة الصهيونيين الى الثورة فقد اعتبروها أعمال شغب تشجعها دول المحور بأموالها (٣٠) .

ويلاحظ بعد انتهاء المرحلة الأولى من الثورة أن اليهود حاولوا تحقيق عدة اهداف : ـــ

أولا : انتهاز فرصة الهدوء النسبى لمتابعة تنفيذ مشروعاتهم وبناء انتصادياتهم وزيادة استعداداتهم العسكرية .

ثانيا : محاولة استفزاز العرب بتدبير بعض الاعتداءات عليهم ، وعدم اعطائهم فرصة لالتقاط أنفاسهم واثقين أنه فى حالة استجابة العرب لتلك الاثارة فان القوات البريطانية تتدخل لحماية اليهود، ويصبح الموقف مواجهة بين العرب وتلك القوات ، لكن العرب انتبهوا لتلك الخدعة وفوتوا على اليهود غرضهم .

ثالثا : الاستعداد المكثف للادلاء بوجهة نظر الصهيونيين أمام اللجنة الملكية مدعمة بالاحصاءات والبيانات اللازمة ، مصحوبة بالاقتراحات المختلفة لحل مايواجهونه من مشاكل مما كان له أثره فى حسن عرض قضيتهم ، وهو مايتضح من قراءة تقرير اللجنة الملكية ، مع التسليم بطبيعة الحال بأن اللجنة الملكية كانت متعاطفة معهم ، لكنهم اعطوها المبررات والتعليلات اللازمة لتبنى قضيتهم والاشادة بجهودهم .

ويذكر تقرير بريطانى مؤرخ فى ٧ نوفمبر ١٩٣٦ أن اليهود يعملون بشكل محموم اعدادا لعرض قضيتهم أمام اللجنة الملكية ، وان المتطرفين مثل التصحيحيين قد دعوا الى مقاطعة كل شىء عربى ، كما أن قدرا كبيرا من الدعاية فى الدوائر اليهودية كان يدعو — شفاهة وكتابة — الى مقاطعة العرب ، وحدثت حالات تحرش يهودية بمن يتعامل مع العرب من اليهود (٣١) .

كما يشير المندوب السامى فى مذكرة مؤرخة فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٦ الى أن الدكتور وايزمان كان له حديث طويل معه ليلة ١٣ ديسمبر وصباح اليوم التالى وأن الدكتور وايزمان أخبره أنه اذا تغير موقف بريطانيا نتيجة لضغط الجماهير العربية فان الأربعمائة الف يهودى فى فلسطين لن يستسلموا وسوف يستقيل الدكتور وايزمان واللجنة التنفيذية الصهيونية، وستواجه انجلترا بثورة اربعمائة الف يهودى يساندهم ملايين اليهود فى أمريكا وغيرها (٣٢) .

وقد عرض الموقف الصهيونى أمام اللجنة الملكية أكثر من شاهد من اليهود لكن أهم شهادتين كانتا شهادة الدكتور وايزمان زعيم المنظمة الصهيونية ، وجابوتنسكى زعيم الاصلاحيين تلك الأقلية الصهيونية التى عرفت بغلوائها وعدوانيتها .

وكان جابوتنسكى اكثر الشهود الصهاينة صراحة وتعبيرا عن حقيقة المطامع الصهيونية فقد طالب بدولة يهودية فى فلسطين ، وحدد فلسطين بالأقاليم الواقعة على ضفتى نهر الأردن ، ولم يخف جابوتنسكى تصوره أن مشروع الوطن القومى اليهودى هو استيطان كولونيالى لا يمكن أن يأخذ بعين الاعتبار رغبات المواطنين أو حقوقهم (٣٣) .

واما المقترحات التى قدمها الدكتور وايزمان وزملاؤه نيابة عن الوكالة اليهودية والمجلس المحلى اليهودى فيمكن تلخيصها فى أن السلام لن يستتب فى فلسطين الا اذا فسرت بنود صك الانتداب طبقا لمطالب اليهود ، فيجب الا يكون هناك تحديد جديد للهجرة ، وأن تتفق دائما مع مقدرة البلاد على الاستيعاب ويجب الا تحدد بيوع الأراضى العربية لليهود ، وألا تتخذ اية اجراءات لمنع اليهود من أن يصبحوا فى المستقبل اكثرية فى

فلسطين ، وانه حتى يتم ذلك يجب الا تمنع فلسطين من أن تصبح دولة يهودية ، أى أن يكون لليهود فيها النصيب الأكبر فى الحكومة ، وأن اليهود مستعدون لتطبيق مبدأ المساواة بينهم وبين العرب مهما أصبحت النسبة بينهم وبين العرب فى المستقبل (٣٤) . والغريب أن اللجنة اعتبرت ذلك من اليهود تساهلا ... فاليهود الذين يقل عددهم عن نصف عدد العرب فى ذلك الوقت عندما يقبلون أن يعاملوا على قدم المساواة مع العرب ، فهم قوم متساهلون طبقا لمفهوم اللجنة الملكية واستنتاجاتها .

لكننا نجد فى بيان الدكتور وايزمان نقطتين ذات دلالة خاصة ، الأولى ما اشار اليه وايزمان من أن اليهود عندما طردوا من اسبانيا فى نهاية القرن الخامس عشر استقبلهم العالم الاسلامى بحفاوة بالغة . والثانية انه أعلن صراحة « أننا لم نأت الى فلسطين لنساعد سكانها ، بل جئنا لنقيم فيها وطنا قوميا للشعب اليهودى ، ولكن مما يسرنا أننا استطعنا فى الوقت نفسه أن نأتى بالبركة الى البلاد بأسرها » (٣٥) وتفضح هذه الاجابة ما اعلنته المصادر البريطانية والصهيونية فى مناسبات مختلفة من انها كانت تهدف الى مساعدة الشعب العربى فى فلسطين . أما مايشير اليه وايزمان من أن الوجود اليهودى فى فلسطين قد جلب البركة الى البلاد ، فهو قول مردود عليه بعدم تمتع عرب فلسطين طوال عهد الانتداب بأية حقوق سياسية وضياع وطنهم فى النهاية ، ولعل هذه هى البركة الصهيونية التى كان يقصدها وايزمان .

وقد اتفق رأى الشهود اليهود أن الأسباب الأساسية للثورة كانت سياسية وأن مقاومة العرب لتصريح بلفور والانتداب هى أساس المتاعب ، لكنهم انتقدوا موقف الدولة المنتدبة ، وعدم كبحها لجماح العرب ، وتقصيرها فى المحافظة على النظام ، وترددها فى الاستفادة من ولاء اليهود خاصة بالنسبة لتجنيدهم فى أعمال الشرطة (٣٦) .

اليهود ومشروع التقسيم

يمكن تقسيم الموقف اليهودى من مشروع التقسيم الذى اقترحته اللجنة الملكية الى قسمين : القسم الأول ويشمل المؤيدين لهذا المشروع ويضم أغلبية الحركة الصهيونية التى أعلنت استعدادها لقبوله بعد اجراء بعض التعديلات الاقليمية (٣٧) .

فهذا هو وايزمان يوافق على المشروع بحدوده ويعد فى مقابلة له مع أورمسبى غور « بأن يبذل كل مافى وسعه لحمل المؤتمر الصهيونى على الموافقة على التقسيم » (٣٨) . وهذا موسى سميلانسكى ينشر مقالا فى مجلة المزارعين اليهود « بستنائى » يقول فيه « نعم ان التقسيم حل صعب جدا ولكنه قهرى لازب ، اذ أن البقاء بدون حل تام معلوم لهو ضرب من المستحيل . وليس ثمة من حل أوفق من التقسيم لأن من شأنه اختتام دور التشاحن بين العرب واليهود وذلك بتعيين الحدود الواضحة بينهما » (٣٩) . وهذه مجلة الهستدروت توضح أن اليهود لايعترضون على التقسيم بل على نصيب اليهود فيه (٤٠) .

وأما القسم اليهودى الآخر الذى عارض مشروع التقسيم فيضم بعض الدوائر الصهيونية وغير الصهيونية ذات النفوذ التى كان لموقفها دور كبير فى شل جهود اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية التى كانت تميل الى التقسيم (٤١) .

وعقد المؤتمر الصهيونى العشرون فى زيوريخ فى ٣ اغسطس ١٩٣٧ وكان مؤتمرا عاصفا أبديت فيه معارضة كبيرة لمشروع التقسيم وللدكتور وايزمان ، وكانت هذه المعارضة من جانب المتعصبين ومن جانب الفئات التى كانت تطالب بأن تقدم لها فلسطين من غير ابطاء فى طبق من الفضة .

وقد استطاع الدكتور وايزمان أن يقنع المؤتمر بوجهة نظره ، فقد أعلن المؤتمر أن المشروع بالشكل الذى عرضته لجنة بيل غير مقبول ، واتخذ قرار يخول اللجنة التنفيذية الصهيونية مواصلة التفاوض مع الحكومة البريطانية على الا تقيد اللجنة التنفيذية الصهيونية نفسها أو تقيد المنظمة بأى مشروع محدد ، لأن مثل هذا المشروع يجب أن يدرس من قبل مؤتمر ينتخب ويعقد لهذا الغرض (٤٢) .

اما المؤتمر الخامس للوكالة اليهودية الذى افتتح فى ١٨ اغسطس ، فقد طالب — ارضاء لليهود الأمريكيين غير المنتمين رسميا الى الحركة الصهيونية والذين هاجموا مشروع انشاء دولة يهودية مستقلة وخلق جنسية يهودية خاصة — اللجنة التنفيذية الصهيونية ان تبذل جهدها لايجاد حل سلمى للقضية قائم على نمو الشعبين العربى واليهودى نموا حرا ، وأن يقترح على الحكومة البريطانية جمع ممثلى العرب واليهود بهدف

التوصل الى حل يقبله الطرفان ويحافظ على وحدة فلسطين على أساس مضمون صك الانتداب (٤٣) .

أما عن تطور بنـاء الوطـن القـومي اليهودي خلال عام ١٩٣٧ ، فتوضح رسالة مرسلة من الدكتور وايزمان الى المندوب السامي ارفق بها مذكرة عن تقـدم الوطن القومي اليهودي في ذلك العـام — ليرفعها الى لجنة الانتـدابات الدائمة في جنيف — أنه في شهور السنة الأولى قامت بعض الدلائل على أن الحالة الاقتصـادية سـتأخذ في التحسن ، لـكن التفاؤل لم يستمر بسبب حالة الانتظار التى أعقبت صدور تقرير اللجنـة الملـكية ، فأدى ذلك الى انهيـار الثقـة في مستقبل البـلاد وعرقـلة الأعمال الاقتصـادية ، وعلاوة على ذلك فان تخفيض الهجرة اليهـودية واستئناف الثورة خلال النصف الأخير من العام ، وارتفاع أسعار المواد الغذائية والمواد الخام في الأسواق المالية والخسائر التى تحملتها تجـارة الأثمار الحمضية كل تلك العوامل أسهم في تدهور أحوال البلاد الاقتصادية

ويضيف وايزمان أنه بالرغم من تلك العوامل المعاكسة فقد تأسست تسعة عشر قرية زراعية جديدة بعضها في مواقع معرضـة للخطر ، وتم انجاز عدد من مشروعات الرى ، وزادت كميات الحاصلات الزراعية زيادة محسوسة ، وأنشئت محطة للـكهرباء في تل أبيب ومعامل للبوتاس في جنوب البحر الميت ، كما انشىء ميناء تل أبيب ، ووجه اليهـود عنـايتهم الى الطـيران ، وزادت الصـادرات والواردات عمـا كانت عليـه في عام ١٩٣٦ (٤٤) .

فقد حدث توسع في الصناعة بالرغم من الأزمة الاقتصادية ، فقـد بلغت قيمة آلات الصناعة التى تم استيرادها خلال النصف الثانى من عام ١٩٣٧ حسب احصاء الحكومة (٣٤٦) الف جنيـه فلسطينى ، بينما بلغت القيمة خلال نفس المدة من عام ١٩٣٦ (١٩٣) الف جنيه فلسطينى ، وازدادت قيمة صادرات الصناعة في عام ١٩٣٧ عما كانت عليه عام ١٩٣٦ بنسبة ٧٠٪ فأصبحت (٣٧٦) الف جنيه فلسطينى ، وامتازت صادرات عام ١٩٣٧ بأنواع جديدة لم تشملها قائمة الصادرات الفلسطينية من قبل ، وازدادت كميات منتجات شركة البحر الميت (٤٥) .

ولم يتوقف اليهود من اسـتثمار أموال جديدة في البلاد ، وان كانت

اقل مما كانوا يستثمرونه في سنى الهدوء والهجرة الواسعة ، فقد قام اليهود خلال عام ١٩٣٧ باستثمار حوالى ستة ملايين جنيه (٤٦) .

ويتبين مما اذاعه معهد الأبحاث الاقتصادية أن ما انتجه اليهود من المحصولات الزراعية فى فلسطين فى ذلك العام قد بلغت قيمته (٣٫٧٩١٫٠٠٠) جنيه فلسطينى منها (٢٫٢٦٧٫٠٠٠) جنيه فلسطينى ثمن ثمار حمضية (٤٧) .

وحدث انخفاض فى عدد المنازل التى بنيت فى تل أبيب عام ١٩٣٧ عن مثيلتها فى عام ١٩٣٦ ، فقد بلغ عدد المنازل التى بنيت فى المدينة فى عام ١٩٣٧ (٢٧٥) منزلا مؤلفة من (٥٨٢٢) غرفة ، انفق على بنايتها نحو مليون جنيه ، بينما بنى فى عام ١٩٣٦ (٤٩٣) منزلا مؤلفة من (٩٩٧٥) غرفة (٤٨) .

ورغم استقرار الأحوال السياسية ، فقد كان اليهود شديدى الاهتمام باصدار الصحف والمجلات ، ففى عام ١٩٣٧ كان يصدر فى مدينة تل ابيب وحدها ٤ جرائد يومية ، ١٣ مجلة اسبوعية ، ٧ مجلات نصف شهرية، ١٨ مجلة شهرية ، ٦ ٦ مجلات تصدر كل شهرين ، ٣ مجلات تصدر اربع مرات فى السنة (٤٩) .

ومع استئناف الثورة فى اواخر ١٩٣٧ تزداد الأحواء سوءا لدى اليهود فى فلسطين ، ويرجع ذلك اساسا الى عمليات الثوار ، وما احدثته من فزع وتخريب واتلاف فى الممتلكات او المستعمرات اليهودية وما ترتب على ذلك من عدم قدرة اليهود على ممارسة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية العادية خاصة فى المناطق التى تشتد فيها عمليات الثوار . كما يرجع ايضا الى انخفاض حركة نقل اموال يهود المانيا الى فلسطين فى شكل بضائع هبوطا ملحوظا نتيجة للقيود التى فرضت على خروج انواع كثيرة من البضائع من المانيا الى الخارج (٥٠) .

وحتى بعض تلك الأموال اليهودية التى امكن ادخالها الى فلسطين فى تلك الفترة لم يمكن الاستفادة منها ، لأن عدم استقرار الأحوال السياسية فى فلسطين منع أصحاب تلك الأموال من القيام بمشروعات اقتصادية هامة (٥١) وكان ذلك اكثر وضوحا خلال الربع الثانى من عام

١٩٣٨ حيث زادت معـــارك الثوار ، وانخفض معدل الهجرة اليهودية ، وزادت مصروفات الحكومة على الأمن العام (٥٢) .

ولعل من الأمثلة على ما احـدثه اسـتئناف الثورة من تقييد لحركة اليهود فى بعض مناطق البلاد ان أعضـــاء المجلس المحلى اليهـــودى فى صفد أرسلوا برقية الى المندوب السامى يوضحون فيها انهم يعيشون فى المــدينة كانهم فى معتقل ، وان عددا كبيرا من يهود المــدينة نزح عنها ، كما ان سكان عدد من المستعمرات فى جهات طبريا قد غادروها (٥٣) .

وقــد عبر سميلانكى رئيس اتحاد المزارعين اليهـــود فى مقـــال له بجريدة هآرتس عمـــا احدثتــــه الثورة من أثر بالنسبة لهجرة اليهود الى فلسطين فقال « ومن الحقائق المخيفة ان اليهود فى الخارج يتحدثون عن الخطر المحيق بأرواح اليهود فى فلسطين ، وان كل روح تزهق من اليهود فيها تهز اليهود فى الخارج وتبعث فى نفوسهم اليأس أكثر ممـــا يثير فى نفوسهم قتل مائة يهودى فى أوروبا عند حدوث أعمال الشغب » (٥٤) .

وكان هنـــاك مؤشرات عديدة تشير الى استمرار الضائقةالاقتصادية عند اليهود خلال عام ١٩٣٨ ، فالعمال العاطلون فى مدينة تل ابيب يحتلون دار البلدية خلال شهر مايو ١٩٣٨ (٥٥) . الى غير ذلك من الأمثلة ، لكن المؤسسات اليهودية المختلفـــة تبـــذل جهودا كبيرة لتخفيف وطأة البطـــالة التى تفشت بين العمال اليهود « وصـــد جيوش الجوع عن البنين والبنات معا » على حد تعبير صحيفة الحركة العمالية اليهودية (٥٦) .

لـــكن الأمر الجـــدير بالملاحظة انه رغم تلك الظروف الاقتصـــادية الصعبة التى كانت تحدق بالمجتمع اليهودى فى فلسطين ، فقد واصل هذا المجتمع تطوير نفســـه وبنـــاء اقتصـــادياته معتمدا على التقـــدم العلمى كأساس رئيسى لبنـــاء الوطن القومى اليهودى . ومن يتـــابع صـــحيفة « حقيقة الأمر » اليهودية فى عام ١٩٣٨ يقرأ اخبـــارا منتظمة عن جهود اليهود ونشاطهم المتعـــدد ، فمن مشروع لتحويل الأراضى الرمليـــة الى اراضى خصبة (٥٧) الى تحسين طرق تربية الدواجن (٥٨) الى جلب أنواع جديدة من الأشجار المثمرة الى البلاد وتحسين الأنواع القديمة (٥٩) الي غير ذلك من الأمثلة .

وخلال ذلك كله كانت المؤسسات المالية البريطانية وحكومة الانتداب تقدم للهيئات الصهيونية ماتحتاجه من قروض (٦٠) .

واما الوكالة اليهودية فهى تتحمل مسئوليتها فى بنـاء الوطن القومى اليهودى ، وتتمسك بعدم السماح بأى قيد يفرض على حركة الوطن القومى اليهودى وتصدر النشرات فى هذا الشأن (٦١) .

أما عن موقف الهيئات الرسمية والصحف اليهودية فى فلسطين بالنسبة لعمليات الثوار العرب فهو موقف تجنب التورط فى تلك العمليات مع اتخاذ اجراءات الدفاع اللازمة لمواجهة ماقد تتعرض له من هجمات، وقد نجحت هذه الخطة دون شك فى تفرغ الجانب الأكبر من اليهود لعملية بنـاء الوطن القومى اليهودى خلال المرحلة الثانية من الثورة .

وكانت صحيفتا « دافار » و « هآرتس » اليهوديتان تدعوان يهود فلسطين فى تلك الفترة الى ممارسة تلك السياسة اسوة بموقف الهيئات اليهودية الرسمية « والعمل مع الحكومة والحكومة فقط » (٦٢) .

ولا يعنى ذلك أن المنظمات اليهودية لم تكن تقوم بعمليات مضادة للعرب فقد كانت تقوم أحيانا بعمليات خاطفة سريعة ، أو بعمليات تفجير للقنابل فى الأسواق العربيـة ، لكنها كانت تحرص دائما على تجنب المعارك المباشرة مع الثوار العرب ، أو التورط فى عمليات قد تأخذ شيئا من الوقت ، بل كانت تلجأ أحيانا الى الاختفاء وراء أقنعة السلطة (٦٣) .

وقد حدث خلال شهر يوليو ١٩٣٨ أن أخفى اليهود فى أسواق حيفا والقدس قنابل قتلت وجرحت عشرات من العرب وأصابتهم بحالة من الفزع ، ويبدو أن اليهود كانوا قد قطعوا شوطا فى انتاجهم للمواد المتفجرة ، حيث صرح وزير المستعمرات فى مجلس العموم يوم ٢٩ يوليو أن التحقيق اثبت أن القنبلة التى القيت فى حيفا هى من انتاج محلى (٦٤) .

وكان للصحف اليهودية مواقف مختلفة من تلك الأحداث ، فصحيفة هآرتس تحاول الاستفادة من تلك الأحداث ، فتدعو أبناء البلاد جميعهم — عربا ويهودا — الى هدنة من العمليات الثورية (٦٥) بينما تحاول

صحف أخرى ايجاد تناقض بين المواطنين العرب والثوار أو الاستفادة مما يمكن أن يكون هناك من تناقض ، فهى تثير أهل القرى ضد الثوار وتدعوهم الى الوقوف ضدهم « وما على أهل القرى الا أن يوحدوا جهودهم للتخلص من براثن الارهاب ورجاله ، بدل أن يتركوا الأمر الى بعض منهم لايقدرون على صد غائلة الارهاب بمفردهم » كما تفسر صحف أخرى مواقف الثوار تفسيرا لا يخدم سوى مصلحة الصهيونية وحدها أو يسىء الى الثوار فى نظر مواطنيهم . فعندما كان الثوار يجمعون تبرعات من اهالى قرى طولكرم وجنين أرجعت ذلك الى يأس بعض رؤساء العصابات من نجاح الثورة وحرصهم على جمع مبالغ كافية قبل فرارهم الى سوريا تأمينا لرفاهيتهم فى الخارج (٦٦) . وعندما قامت السلطة العسكرية فى مايو ١٩٣٨ باحتلال عدد من القرى فى منطقتى الخليل والسامرة فى محاولة منها للقضاء على ثوار هاتين المنطقتين ، فسرت هذا العمل بأنه يهدف الى حماية أهالى القرى من اعتداءات رجال العصابات عليهم (٦٧) . كما ان تلك الصحف كانت تستعدى السلطة عليهم وتشجعها على مزيد من البطش بالثوار (٦٨) .

ويبدو أن الصهيونيين قد استمرءوا عملية تفجير القنابل ولمسوا ما أثارته من فزع فى نفوس المواطنين العرب فكرروا تلك العملية فى مدينة يافا يوم ٢٦ اغسطس ، وكما جرت عادة الصحف اليهودية الرسمية فقد استنكرت الحادث ، لكن الجديد هذه المرة أنها حاولت أن تبعد الشكوك عن الصهيونيين ، مشيرة الى بعض الدول الأوروبية التى يهمها اثارة العرب ضد الصهيونيين والبريطانيين (٦٩) .

ورغم هذا الصراع المحتدم خلال المرحلة الثانية للثورة ، فاننا نقرأ بين وقت وآخر موقفا انسانيا لأحد الثوار العرب . فقد اشادت الصحف اليهودية بالقائد العربى يوسف أبو درة لاعادته أولاد ضابط يهودى مخطوف الى مستعمرته (٧٠) .

أما عن الجانب العسكرى اليهودى ، فقد تدعم أيضا خلال ثورة ١٩٣٩/٣٦ فقد لعبت الهاجانا دورا خاصا فى مقاومة الثورة تحت اشراف ضابط المخابرات البريطانى الكابتن تشارلز أوردونجت الذى درب رجالها على القتال ، وانتقل بهم من الدفاع الى الهجوم (٧١) .

ودرب فرقا يهودية خاصة أطلق عليها اسم « الفرق الطائرة » اخذت على عاتقها حماية المنشآت البريطانية خاصة أنابيب النفط ، والتصدى للثوار العرب (٧٢) .

أما بالنسبة لرجال الشرطة اليهود فقد ازدادت اعدادهم أيضا خلال الثورة فاضافة الى رجال الشرطة الاضافيين من اليهود الذين استخدموا للدفاع عن الضواحى والمستوطنات اليهودية فى عام ١٩٣٨ وعددهم ٧٣٩ يهوديا ، كان هناك أيضا ٥٢٠٥ كونستبلا خاصا وضعوا تحت السلاح للاستفادة من جهودهم (٧٣) .

أما عن أثر الثورة فى مسألتى شراء الأراضى والهجرة اليهودية ، فقد كان أثرا ايجابيا ، حيث انخفض خلال الثورة مساحات الأرض التى اشتراها اليهود ، كما انخفض فى نفس الوقت أعداد المهاجرين اليهود . ويوضح البيان التالى (٧٤) مساحات الأراضى التى اشتراها اليهود منذ عام ١٩٣٣ ، ومنه يتبين انخفاض مساحة الأراضى المشتراه خلال سنوات الثورة .

١٩٣٣	٣٦ر٩٩١ دونما
١٩٣٤	٦٢ر١١٤
١٩٣٥	٧٢ر٩٠٥
١٩٣٦	١٨ر١٤٦
١٩٣٧	٢٩ر٣٦٧
١٩٣٨	٢٧ر٢٨٠
١٩٣٩	٢٧ر٩٧٣

أما بالنسبة الهجرة اليهودية الى فلسطين فيوضح البيان التالى أعدادهم منذ عام ١٩٣٣ :

١٩٣٣	٣٠٣٢٧
١٩٣٤	٤٢٣٥٩
١٩٣٥	٦١٨٥٤
١٩٣٦	٢٩٧٢٧ (٧٥)
١٩٣٧	١٠٥٣٦ (٧٦)
١٩٣٨	١٢٨٦٨ (٧٧)

وفي أواخر عام ١٩٣٨ كانت الحكومة البريطانية تتراجع عن مشروع التقسيم فقد أذيع تقرير اللجنة الفنية للتقسيم في ٧ نوفمبر ١٩٣٨، وكان طبيعيا أن يرفضه اليهود بعد أن وجدوه أكثر ميلا الى ايجاد شيء من التوازن بين العرب واليهود (٧٨) .

وعندما صدر الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ استقبله يهود فلسطين بعاصفة من السخط والهياج وعبروا عن استنكارهم باقامة المظاهرات العنيفة والاعتداء على الأرواح وعلى دور الحكومة بالاحراق والتخريب، ووضع المتظاهرون في كل بلدة ومستعمرة بيانات يستنكرون فيها السياسة الجديدة ، واقسموا اليمين على مقاومتها بكافة السبل ، وكان نص اليمين الذي اقسموه « من أجل صهيون لن أهدأ ومن أجل أورشليم لن اسكت » ثم اعلنوا عزمهم على مواصلة الجهاد في سبيل بناء فلسطين (٧٩) .

تلك صورة عن ملامح الوطن القومي اليهودي خلال ثورة ٣٦/١٩٣٩، ومنها يتبين أن الوطن القومي اليهودي نما وتدعم خلال الثورة رغم كل الصعوبات التي اعترضته بسبب الثورة ، حتى انه يمكن أن يقال أن الوطن القومي استكمل مقوماته الأساسية قبل قيام الحرب العالمية الثانية ، واصبح الصهاينة يتطلعون الى اقامة الدولة اليهودية .

المصــادر

(١) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملـكية لفلسطين ص ٦٥، ٦٦ ، ١٤٩، ١٥٢ ، ٢٢٧ — ٢٣٠ .

(2) Safran : The United States and Israel. p. 31.

(٣) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ٦٦ ، ٦٧، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧، ١٥٨ .

(4) F. O. 371/20018 : Periodical Appréciation Summary. No. 1/36.

(٥) جيفريز : فلسطين . اليكم الحقيقة . الجزء الرابع ص ١٢٠ .

(6) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 2/36.

(7) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(٨) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ٢٦٦ .

(9) F. O. 371/20018 : Ibid.,

(10) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(11) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 13/36.

(١٢) أحمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونيــة والاســتعمار ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(١٢أ) يوسف هيكل : القضية الفلسطينية ص ٢٢٧ — ٢٢٩، اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ١٩٣٦ ص ٤٢ ، ٤٣ .

(13) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(14) F. O. 371/20018 · P. A. S. No. 15/36.

(١٥) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٣٨ .

(16) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 11/36.

(١٧) سعيد حمادة : النظام الاقتصادى فى فلسطين ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(18) Hurewitz : The Stuggle for Palestine. p. 70.

(١٩) هيرزويز : المانيا الهتلرية والشرق العربى ص ٤١ .

(20) Hurewitz : Ibid., p. 70.

(٢١) حقيقة الأمر : ٢٣ شباط ١٩٣٨ ص ٣ .

(22) Marlowe : The Rebellion in Palestine. p. 154.

(٢٣) الاقتصاديات العربية : ٢٨ تشرين الأول ١٩٣٦ ص ٢ ، ٣

(٢٤) وزارة المستعمرات : المرجع السابق ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(25) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 13/36.

(26) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(27) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 15/36.

(28) Hurewitz : Ibid., p. 70.

(٢٩) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٣٨ .

(30) Weizmann : Trial and Error. p. 470.

(31) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 18/36.

(32) F. O. 371/20804.

(٣٣) اميل توما : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٣٤) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٣٥) الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية ص ٤٥٤ ، ٤٦٥ .

(٣٦) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٤٤ .

(٣٧) هيرزويز : المرجع السابق ص ٤١ .

(٣٨) عبد الوهاب الكيالى : المرجع السابق ص ٣٣٢ .

(٣٩) حقيقة الأمر : ١٨ أيار ١٩٣٨ ص ٣ .

(٤٠) « « : ١٢ تشرين الأول ١٩٣٨ ص ١ .

(٤١) هيرزويز : المرجع السابق ص ٤١ .

(٤٢) جيفريز : المرجع السابق ص ١٣٧ — ١٤٣ .

(٤٣) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٣ .

(٤٤) حقيقة الأمر : ٨ حزيران ١٩٣٨ ص ١ — ٣ .

(٤٥) « « : ٢ آذار ١٩٣٨ ص ٢ ، ٤ أيار ٣٨ ص ٢ ، ٤
١٩ تشرين الأول ١٩٣٨ ص ٢

(٤٦) « « : ٢٦ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ١

(٤٧) « « : ٢١ أيلول ١٩٣٨ ص ٢ .

(٤٨) « « : ٤ أيار ١٩٣٨ ص ٢ .

(٤٩) « « : ٢٤ آب ١٩٣٨ ص ٢ .

(٥٠) « « : ١٥ حزيران ١٩٣٨ ص ٢ .

(٥١) « « : ١٨ أيار ١٩٣٨ ص ٢ .

(٥٢) « « : ٢١ أيلول ١٩٣٨ ص ٢ . عن النشرة الرسمية لمعهد الأبحاث الاقتصادية التابة للوكالة اليهودية .

(٥٣) السياسة : ١٣ أبريل ١٩٣٨ ص ٦ ، ١٤ أبريل ١٩٣٨ ص ٤ .

(٥٤) « : ٧ ابريل ١٩٣٨ ص ٥ .

(٥٥) حقيقة الأمر : ١٨ أيار ١٩٣٨ ص ٣ .

(٥٦) « « : ٢٦ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٣ .

(٥٧) « « : ١٦ آذار ١٩٣٨ ص ٢ .

(٥٨) « « : ٦ نيسان ١٩٣٨ ص ٢ .

(٥٩) « « : ١٨ أيار ١٩٣٨ ص ٢ .

(٦٠) « « : ١٩ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٢ ، ٢٠ نيسان ١٩٣٨ ص ٢ .

(٦١) الصراط المستقيم : ٤ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٢) حقيقة الأمر : ١ حزيران ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٣) الصراط المستقيم : ٣١ أيار ١٩٣٨ ص ٤ .

(٦٤) الصراط المستقيم : ٣٠ تموز ١٩٣٨ ص ٧ .

(٦٥) حقيقة الأمر : ١٣ تموز ١٩٣٨ ص ٣ .

(٦٦) « « : ١٨ أيار ١٩٣٨ ص ١ .

(٦٧) « « : ٢٥ أيار ١٩٣٨ ص ٢ .

(٦٨) « « : ٢٤ أب ١٩٣٨ ص ١ .

(٦٩) « « : ٣١ أب ١٩٣٨ ص ١ .

(٧٠) « « : ٢٤ آب ١٩٣٨ ص ١ .

(٧١) أنيس صائغ : الهاشميون وقضية فلسطين ص ١١١ .

(٧٢) اميل توما : جزور القضية الفلسطينية ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(73) Repert by His Majesty's Government... for the year 1938. p. 22.

(74) Hadawi Village Statistics 1945. p. 25.

(٧٥) وزارة المستعمرات : التقرير السابق ص ٣٦٨ .

(76) Repert by His Majesty's Government... for the year 1937. p. 23.

(77) Repert by His Majesty's Government... for the year 1938. p. 28.

(٧٨) حقيقة الأمر : ١٦ تشرين الثانى ١٩٣٨ ص ١ .

(٧٩) رياسة مجلس الوزراء : دوسيه ٦٤/٨/٥ جزء ثان تقرير من القنصلية الملكية المصرية بالقدس بشأن اثر الـكتاب الأبيض فى فلسطين.

الباب الثاني

العالم العربى والثورة

الفصل السادس

نظرة عامة

نظرة عامة

عندما بدأ الاضراب فى فلسطين فى ابريل ١٩٣٦ كانت الأوضاع فى سائر البلاد العربية مختلفة عن الموقف فى فلسطين ، فبينما نجد تقدما مطردا فى البلاد العربية بالنسبة لقضاياها السياسية ، ويتحقق شىء من أمانيها بشكل أو آخر نجد فى فلسطين أمرا مغايرا : وطن قومى يتوطد ويتدعم وحكومة انتداب تؤازر هذا الوطن وتهيىء له أسباب النجاح وترفض منح عرب فلسطين شيئا من حقوقهم السياسية ، وبينما كان عرب البلاد الأخرى يواجهون عدوا واحدا هو الاستعمار كان على عرب فلسطين أن يواجهوا قوتين كبيرتين فى وقت واحد الاستعمار والصهيونية .

وقد تأثر عرب فلسطين بالحركات الوطنية فى الأقطار العربية المجاورة ، ورأوا فى مصر وسوريا بالذات مثلا يحتذى ، فقد تلا الاضطرابات التى حدثت فى مصر فى خريف ١٩٣٥ اجراء مفاوضات لعقد معاهدة انجليزية مصرية ، وتلا الاضراب الذى حدث فى سوريا فى يناير ١٩٣٦ اجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية (١) .

وكان تحرر البلاد العربية واستقلالها أملا يراود الفلسطينيين ، فقد كانوا يشعرون أن كل خير يصيب البلاد العربية هو مساهمة فى نضالهم ، لكنهم كانوا يرون فى نفس الوقت أنهم ليسوا أقل تقدما من جيرانهم ويقارنون دائما بينهم وبين بعض البلدان العربية ، ففى المذكرات التى قدمت أو الشهادات التى أداها زعماء فلسطين أمام اللجنة الملكية نجد هذا المعنى يتردد كثيرا وهذا عونى عبد الهادى يقول : « وان العرب فى فلسطين يفضلون الموت على العيش دون اخوانهم وجيرانهم الذين يتمتعون بالاستقلال والسيادة ... » (٢) .

وشدت أخبار الاضراب أنظار الرأى العام فى العالم العربى فقامت المظاهرات وجمعت التبرعات وارسلت الاحتجاجات ، ولم يتوقف ذلك طوال الثورة وان كان يختلف كيفا وكما من بلد الى آخر طبقا لأوضاعه الداخلية

ومشاكله السياسية ، وتشير التقارير البريطانية الدورية المرسلة من فلسطين خلال الاضراب الى ذلك الاهتمام المفعم بالحيوية المتدفقة فى مصر وسوريا والأردن والعراق (٣) . لكن المساعدات المادية التى ارسلت من الأقطار العربية خلال الاضراب كانت قليلة جدا وغير كافية (٤) . وكان على عرب فلسطين أن يتحملوا التكاليف الرئيسية للثورة (٥) .

وعندما حمل عرب فلسطين سلاحهم انضم اليهم مجاهدون من انحاء العالم العربى خاصة من سوريا والعراق والأردن ، وكانت حملة القاوقجى وما سبقها وتبعها من مجموعات جهادية عربية تعبيرا عمليا عن وحدة النضال والهدف المشترك .

وتجاوبت بعض الحكومات العربية والملوك العرب مع اصداء الجماهير وتحركت حكومات اخرى تحت الضغط الشعبى ، وكان للملك عبد العزيز آل سعود ولحكومتى مصر والعراق دور هام فى هذا الشأن، وان كان دور عبد العزيز آل سعود بالذات والحكومة المصرية لم يتح لهما أن يتضحا قبل الآن مما جعل بعض الدراسات التاريخية والسياسية تنتقد موقفهما بل وتعرضهما للهجوم والافتراء .

وكان تدخل الملوك العرب لوقف الاضراب والثورة مرحلة جديدة فى تاريخ الحركة العربية العامة من حيث أنه اظهر وحدة المشاعر العربية (٦) . ورغم عدم الفعالية المؤثرة لذلك التدخل بالنسبة لعرب فلسطين فى تلك المرحلة الا انه كما توقع أحد التقارير الدورية البريطانية تسد حول القضية الفلسطينية من قضية محلية خاصة بفلسطين وحدها الى حركة عربية عامة (٧) . وان كان من سلبيات هذا التدخل أن الحكومة البريطانية ستحاول الاستفادة من تدخل الدول العربية فى مراحل تالية بهدف استقطاب شحنات الغضب من نفوس العرب وانهاء المواقف المتأزمة فى الوقت المناسب ، ونجد هذا المعنى فى مذكرة أرسلها المندوب السامى واكهوب الى وزير المستعمرات فى ١٥ ديسمبر ١٩٣٦ مشيرا الى أنه من الممكن الاستفادة جيدا فى المستقبل من نصائح الحكام العرب (٨) .

وكانت اللجنة العربية العليا حريصة فى نفس الوقت على اللجوء للملوك والمسئولين العرب وجذبهم الى دائرة المشكلة للاستفادة من

جهودهم من ناحيـــة ولدفعهم الى الالتزام بمواقف ايجابيـــة على امل أن تسهم تلك الجهود فى دفع القضية خطوات الى الأمام .

وبانتهاء المرحلة الأولى من ثورة ١٩٣٩/٣٦ تصبح القضيةالفلسطينية قضـــية عربية عامة لاتهم دول الشام وحدها ، بل تهم الشعوب العربية جميعها ، وتحول هذا الاهتمام الى الحكومات العربيـــة نفسها ، فـــكان عليها أن تعكس وجهة نظر الراى العـــام ، حتى وان كانت مخالفة لمـــا تعتقده ، وسارت بعض الحكومات العربية فى موكب الدفاع عن فلسطين وتبنى مطالبهـــا ، لـــكنها لم تكن مخلصـــة فى مسعاها ، اما لأغـــراض شخصية أو نتيجة لضـــغوط الاستعمار الذى كان لايزال يفرض سيطرته الفعلية على معظم اجزاء العـــالم العربى . لـــكن التطور الـــكبير الذى حدث فى أعقـــاب ثورة الشعب العربى فى فلسطين فى تلك المرحلة هو انه لم يعد فى قدرة اى حكومة عربيـــة من حكومات المشرق العربى ومصر أن تهمل أو تتجـــاهل أمور القضية الفلسطينية ، بل أصبح محتما عليها أن تشـــارك بوســـيلة أو أخرى فى تقرير مستقبل فلســـطين ، كما سيحدث فى مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ .

ومع بداية عام ١٩٣٧ أصـــبح للعـــرب خمس دول عربيـــة معترف باستقلالها دوليا ، وهىمصر والعراق وسورية والدولة السعودية والدولة اليمنية ، وعقدت المحالفات والاتفاقات بين هذه الدول ، فارتبطت العراق والدولة السعودية واليمن بميثاق تحـــالف تعهدت فيه بالدفاع عن بعضها اذا هوجمت أو اعتدى عليها . لـــكن تمثيل العرب فى عصـــبة الأمم بقى رغم ذلك محدودا ، فحتى ذلك العـــام لم يكن هنـــاك غـــير ممثلين اثنين للعرب همـــا العراق ومصر ، وكان هنـــاك دولتـــان عربيتان تستطيعان الاشـــتراك فى عصـــبة الأمم وهمـــا الدولة السعودية والدولة اليمنية، لـــكنهما لم تحاولا ذلك (٩) .

ويتطور الموقف الداخلى فى فلسطين فى نهاية سبتمبر ١٩٣٧ ، فتقدم حكومة الانتـــداب على حل اللجنة العربيـــة العليـــا ، وتعتقل كثيرا من زعمـــاء البلاد ، فتنتقل قيـــادة الحركة الوطنية الى لبنان وســـورية ، ويتزايد اهتمام الشعوب العربية وتأييدها لعرب فلسطين . فقد استقطبت الثورة اهتمامات العـــالم العربى فى ســـنوات ماقبل الحـــرب العالميـــة

الثانية ، وكان لها دورها أكثر من أى عامل آخر فى تأكيد معانى الوحدة العربيـة ، وكانت القضـية محور نشاط المؤتمـرات العربيـة فى تلك الفترة (١٠) . وكانت هذه المؤتمرات البشير الشعبى الأول لجامعـة الدول العربيـة (١١) .

وعندما أوصت اللجنة الملكية بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : دولة يهودية ودولة عربيـة ومنطقة انتداب بريطانى دائم ، أرسلت اللجنة العربية العليـا برقيات عديدة الى الحكومات العربيـة تظهـر مساوىء التقسيم وتطلب المعونة « لانقاذ فلسطين من شرور الاسـتعمار والتهويد والتمزيق » الا أن الحكومات العربيـة لم تسارع بالجواب واتخاذ موقف علنى حازم ضـد سـياسة التقسيم باسـتثناء حكومة العراق . أما الحكومات الأخرى فلم تجب بصراحة بعزمها على محاربة المشروع ، بل اكتفت بالقول انها تدرس القضـية باهتمام ، لـكن الأوساط الشعبية على عكس هـذا الموقف لم تتحفظ فى اعلان سخطها واسـتنكارها فـكانت المظاهرات الصاخبة فى الحجاز ومصر والعراق وسوريا تطالب حكوماتها باتخاذ موقف حاسم (١٢) .

ويبدو أن التقسيم وجد فى البـداية قبولا من جانب بعض الحكومات العربية ومن المعتدلين من عرب فلسـطين ، لـكن لم يجرؤ على تأييـد الاقتراح سوى عبد الله أمير شرقى الأردن (١٣) .

وكان لموقف مصر والعراق من القضية الفلسطينية فى مجلس العصبة وفى لجنة الانتـدابات عام ١٩٣٧ وقع طيب فى البلاد العربية ، فقد حملا على فـكرة التقسيم وأشارا الى ماترتب عليها من آلام وضـحايا ، وأكدا قلق بلديهما من تطور الأوضاع فى فلسطين ، وطالبا بالغاء تصريح بالفور ومنح فلسطين استقلالها مع ضمان حقوق اليهود كأقلية فيها (١٤) .

ويروى عجاج نويهض فى رسالة شخصية منه الى عونى عبدالهادى فى ذلك الوقت عن اثر هـذا الموقف فى فلسطين فيقول : « أخبار جنيف هـذه الأيام الأربعة الأخيرة كانت منعشة للعرب كل الانعـاش ... كان لهاتين الخطبتين أحسن وقع فى النفوس هنا ... لـكن الصحف العبرية ذعرت ذعرا شـديدا من خطبتى ممثل مصر والعراق وعلقت عليهما تعليقات مرة للغـاية » (١٥) .

وبعد استئناف الثورة استمر تنظيم المظاهرات الشعبية فى العواصم والمدن المختلفة ، وعقدت الاجتماعات وجمعت التبرعات وتألفت اللجان للاسعاف والدعاية وجمع المتطوعين ووقعت صدامات دامية فى بيروت ودمشق وحلب بين الجماهير والقوات الفرنسية (١٦) . كما كان للصحف الوطنية فى العالم العربى دور فى تعبئة المشاعر العربية وزيادة اهتمام الشعوب العربية بقضية فلسطين ، وتم خلال عام ١٩٣٧ منع الصحف السورية واللبنانية والمصرية والعراقية من دخول فلسطين ستة وثلاثين مرة (١٧) كما تم خلال العام التالى (١٩٣٨) منع الصحف السورية واللبنانية والمصرية أربعين مرة (١٨) . ولم يكن ذلك يحدث فى سنوات ماقبل الثورة الا قليلا .

وتتضح قيمة التضامن العربى فى ذلك الوقت من مذكرة قدمها وزير الخارجية البريطانية الى مجلس الوزراء البريطانى فى ١٩ نوفمبر ١٩٣٧ انتقد فيها ما اقترحه أورمسبى غور وزير المستعمرات من معالجة المشكلة الفلسطينية من زاوية فلسطينية صرفة وبحث أمرها مع عرب فلسطين وشرقى الأردن وحدهم ، وأوضح وزير الخارجية أن معارضة العرب فى الأقطار المجاورة أكثر خطورة مما فى فلسطين ، وانه لافتراض خاطىء وخطير أن يتصور أنه يمكن التعامل مع المشكلة الفلسطينية فى عزلة عن الأقطار العربية ، وان الشرق الأوسط وحدة عضوية كاملة كما أن الحدود بين الدول العربية هى حدود صناعية الى حد كبير ولا تعتمد على أسس قومية أو جغرافية أو اثنوجرافية (١٩) .

وعندما ذهبت اللجنة الفنية الى فلسطين قامت مظاهرات فى مصر والعراق وسوريا وأرسلت الاحتجاجات الى الجهات الرسمية وذهبت وفود المتظاهرين الى ممثلى الحكومة البريطانية فى تلك الأقطار حيث عبرت لهم عن استنكار الأمة العربية لما هو نازل بالعرب فى فلسطين (٢٠) .

وكانت الهيئات والجماعات العربية كلما تدهورت الأمور فى فلسطين تلجأ الى الملوك والأمراء العرب تطالبهم بالتدخل لانقاذ فلسطين ، فكانوا يعربون أحيانا عن تضامنهم بشأن القضية وضرورة الذود عن الأراضى المقدسة (٢١) .

وشعرت الجماهير العربية ان ملوك العرب الذين تدخلوا لوقف الاضراب والثورة فى اكتوبر ١٩٣٦ لم يواصلوا وساطتهم بغية الوصول الى حل مناسب طبقا لما سبق أن وعدوا به ، وكان خطاب جمعية الدفاع عن فلسطين فى بغداد الى ملكى العراق والمملكة العربية السعودية وأمام اليمن تعبيرا عن تساؤلات الجماهير فى تلك المرحلة (٢٢) .

لكن الحقيقة أن الحكومات العربية فى تلك المرحلة لم تكن تستطيع على الأغلب الا أن تبدى الرجاء من الحكومة البريطانية ، فلم تكن الحكومة البريطانية تسمح لأية حكومة عربية بالتدخل فى قضية فلسطين ، اذ كانت تعتبر ذلك من المسائل الداخلية (٢٣) .

وأدى حرص الحكومات العربية على علاقات حسنة مع بريطانيا الى شل مقاومتها لخطط التقسيم ، وأكدت التقارير التى أرسلت الى الحكومة الالمانية من ممثليها فى العالم العربى هذه الحقيقة ، كما أشير الى أن الحكومات العربية كانت مستعدة فى البداية للموافقة على الخطة البريطانية ، وانها أخذت تغير موقفها — غير المعلن — خوفا من الرأى العام ، وقد يكون هذا هو موقف بعض الحكومات العربية فعلا ، لكن — يستحيل تعميم هذا الموقف على الحكومات العربية جميعها (٢٤) .

ولم يكن الاهتمام الذى ابدته بعض الأقطار العربية من فلسطين محل اعتراض من بريطانيا ، فقد كانت العلاقات طيبة بين بريطانيا وهذه الأقطار ، ولم تعارض بريانيا حق الأقطار العربية فى التوسط فى شئون فلسطين لتسوية النزاع ، بل ان السياسة البريطانية مالت بعد الاضراب اكثر فأكثر الى التأكيد على العلاقة المتكاملة بين عرب فلسطين وباقى العرب ، لكن الأمور تطورت أسرع مما ينبغى (٢٥) .

ويتضح من الرد على سؤال موجه من عضو فى مجلس العموم الى وزير الخارجية البريطانية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧ أن الحكومة البريطانية كانت حريصة على احاطة بعض الدول العربية بتطورات القضية الفلسطينية الرئيسية مع محاولة تقييد حركةهذه الدولبحيث لاتتجاوز مدى معينا الا اذا كان الأمر متعلقا بحل أزمة أو علاج مشكلة ، فقد كان السؤال يدور حول

ما اذا كان مشروع التقسيم قد نوقش مع حكومات الدول العربية المجاورة لفلسطين ، فكانت الاجابة ان حكومة جلالته مسئولة كدولة منتدبة أمام عصبة الأمم وليس أمام حكومات اجنبية معينة ، وان كانت حكومات الدول العربية المجاورة تخطر بتطورات المشكلة بشكل مستمر مثلما يحدث مع حكومات أخرى لها اهتمام خاص بالمشكلة (٢٦) .

ونشرت اللجنة الفنية تقريرها فى ٨ أكتوبر ١٩٣٨ وأوصت برفض مشروع التقسيم ثم اقترحت بعض مشروعات أخرى لم تأخذ بها الحكومة البريطانية ، فدعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر فى لندن يحضره العرب واليهود ، واشركت فى المؤتمر للمرة الأولى عددا من الحكومات العربية هى مصر والعربية السعودية والعراق واليمن والأردن بالاضافة الى عرب فلسطين ، مما يعتبره البعض نواة للجامعة العربية التى ظهرت بعد ذلك بسنوات (٢٧) .

وكانت دعوة الدول العربية الى المؤتمر اعترافا بالسمة العربية التى كانت المسألة الفلسطينية قد بدأت فى اتخاذها ودلالة على الاطار العام للمشكلة الذى نظرت الحكومة البريطانية اليه فى تلك المرحلة ، لكنها كانت فى نفس الوقت محاولة من بريطانيا فى ظروف التوتر الدولى لكسب الرأى العام العربى أو على الأقل لايقاف انتشار التعاطف مع دول المحور من أجل ضمان البترول العربى وحماية خطوط وسائل الاتصال الامبراطورية (٢٨) .

وبعد فشل مؤتمر لندن وفى تلك الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية فان الاستياء من بريطانيا كان يتزايد فى البلاد العربية ، فبالاضافة الى قضية فلسطين كانت توجد لدى هذه الدول رغبة متزايدة فى الاستقلال ، كما قوى ازدياد ضغط دول المحور على المجال الدولى الاتجاهات المعادية لبريطانيا وفرنسا ، لكنه رغم ذلك فان البلاد العربية كانت تبدى حذرا شديداً فيما يتعلق بتقوية علاقاتها مع دول المحور وان كان الايطاليون قد نجحوا فى انشاء علاقات وثيقة مع مفتى القدس والبلاط الملكى المصرى (٢٩) .

المؤتمرات العربية خلال الثورة

وكان من مظاهر اهتمام الدول العربيـــة بالقضـــية الفلسطينية فى تلك السنوات عقد عدد من المؤتمرات العربية التى ناقشت القضـــية من زوايا مختلفة ، أو كان لها أثرها فى تأكيد معانى الوحدة العربية .

مؤتمر بلودان

ترجع أصل فـــكرة عقد المؤتمر الى طلب اللجنة العربية العليا اذنا من السلطة المنتدبة فى فلسطين للسماح بعقد مؤتمر عربى عام يقول كلمة العرب أسوة بما فعله اليهود ، فلم توافق السلطة ، فاتفقت اللجنـــة مع لجنة الدفاع عن فلسطين بسوريا لعقد المؤتمر فى بلودان بسوريا ، وبذل نبيه العظمة رئيس اللجنـــة الأخيرة نشاطا كبيرا من أجل عقد المؤتمر (٣٠).

وأوضح نبيه العظمة فى تصريح له لرجال الصـــحافة السورية أن الفلسطينيين هم أصحاب فـــكرة عقد المؤتمر وان السوريين حبذوا الفكرة وكانوا يريدون فى البداية عقد مؤتمر سورى لـــكنهم رأوا بعد ذلك دعوة جميع المشتغلين بالقضـــية العربيـــة منذ أوائل هـــذا القرن للتداول فى هذا الخطر الذى يهـــدد حيـــاة الأمة العربيـــة كلها (٣١) . أما عن الفكرة من عقد المؤتمر فقد أوضح نبيه العظمة فى تصريح آخر له « ان المؤتمـــر نتيجة فـــكرة يراد بها معالجة القومة العربيـــة جملة ، وقـــد زاد هـــذه الفكرة رواجا مشروع تقسيم فلسطين » (٣٢) .

أما عن توقيت عقد المؤتمر فيرجع الى الحرص على عقده قبل موعد اجتماع مجلس العصـــبة فى جنيف حتى يمكن اتخاذ موقف عربى موحـــد تجاه قضية فلسطين (٣٣) . ولسماع كلمة العرب والمسلمين للدول الممثلة فى العصبة .

ودعى لحضور المؤتمر كبار رجال السياسة العربية فى مصر وسوريا ولبنان والمملـــكة العربية السعودية وشرقى الأردن وفلسطين ، كما أرسلت الدعوات لكبار مسلمى الهند وأعضاء الجمعيات فى تركيا وايران (٣٤) .

« للبحث فى الواجبات المترتبة على العرب فى مختلف أقطارهم واتخـــاذ التـــدابير الفعـــالة لمقاومة أخطار الصهيونية التى تهدد الوطن العـــربى وانشاء دولة يهودية فى جزء من أجزائه — فلسطين » (٣٥) .

وافتتح المؤتمر يوم الأربعـاء ٨ سبتمبر ١٩٣٧ وبلغ عدد الأعضاء الذين حضروه ٤٥٠ عضـواً من الشخصيات السياسـية والعـامة فى بلدانها (٣٦) . وأما بالنسبة لوفد فلسطين فلم نوافق السلطة المنتدبة على التصريح له بالسفر (٣٧) . لـكن عددا من الفلسطينيين تمكن من حضوره.

ولعل حضور هذا العدد الـكبير للمؤتمر ومن بلاد عربية عديدة كان دليلا على أن قضـية فلسطين بدأت تستقطب اهتمامات العـالم العربى فى تلك المرحلة فلم تكن المواصلات بين البلاد العربية ميسرة كما هى اليوم سيما وأن أولئك الذين سـافروا من مصر والعراق والحجـاز ، كما أن المندوبين الذين سـافروا من فلسطين وشرقى الأردن تحملوا بشكل خاص أنواعا من التضييق من السلطات البريطانيـة سـواء أثنـاء سفرهم أو عودتهم (٣٨) .

وافتتح المؤتمر نبيه العظمة ، فألقى كلمة ضافية اشتملت على تاريخ النهضـة العربية وما بين البـلدان العربية من رابطة ومصالح مشتركة، ووجوب تآزرهم لانقاذ فلسطين ، ثم تـكلم فى مشروع تقسيم فلسـطين فشرح مضاره ، وقال ان المقصود به هو منع الوحدة العربية .

وانتخب ناجى السويدى (العراق) لرياسة المؤتمر ، ومحمـد على علوبة (مصر) نائب رئيس أول ، وشكيب أرسلان (لبنان) نائب رئيس ثان ، والمطران حريكة (سورية) نائب رئيس ثالث ، ورياض الصـلح (لبنـان) مراقبـا ، ومحمد عزة دروزة (فلسطين) سكرتيرا ، وصبرى العسينى وفؤاد مفرج مساعدين للسكرتير واقترح محمـد على علوبة فى كلمته ارسال برقيـة الى مفتى فلسطين الغـائب يعرضون عليه رياسة شرف المؤتمر ، فوافق الحاضرون على ذلك (٣٩) .

وبرز فى كلمات الافتتاح معنى الاحساس بالقضية المشتركة ، فرئيس المؤتمر يقول « ان من واجب الأمة العربية أن تستأصـل هـذا الخراج الموجود فى جزء من الجسم العربى » ونبيه العظمة يعلن « ان فلسطين للعرب جميعهم وليست لأهلهـا فقط ... وليس على أهـل فلسطين أن ينفردوا بالدفاع عنها أو تقرير مصيرها » ومحمد على علوبة يقول « وانى كمصرى أقول ان وجود أمة غريبـة فى فلسطين يهدد كيان مصر الخاص، كما يهدد كيان العرب أجمعين » ومحمد عزة دروزة ينادى بأن « قضـية

فلسطين هى قضـــية العالمين العربى والاسلامى ، وانه أصبح من الواجب على كل عربى ومسلم أن يضطلع بنصيب من أعبائهـــا » (٤٠) . وتكلم فى اليوم الأول اضـــافة الى هؤلاء الدكتور عبد الحميد سعيد والمطران حريكة ورياض الصلح والدكتور صبحى أبو غنيمة ممثل عرب شرقى الأردن (٤١).

وكان قد تقرر تشكيل خمس لجان بالمؤتمر يكون عمل كل منها مقتصرا على ناحية من النواحى ، وهذه اللجان هى : اللجنة السياسية ، اللجنـــة الاقتصادية ، لجنة الدعاية ، لجذة المالية ، لجنة التقرير (٤٢) .

واجتمع المؤتمر صباح الجمعة ١٠ سبتمبر ١٩٣٧ للنظر فى القرارات التى وضعتها اللجان، ثم عقد جلسة ختامية مساء نفس اليوم حيث تليت قرارات المؤتمر ثم القى ناجى السويدى رئيس المؤتمر كلمة وضع بها القرارات بين يدى العالم العربى واللجنة العربية العليا لفلسطين (٤٣) .

وهذه قرارات المؤتمر : —

١ — فلسطين جزء لا يتجزأ من الأقطار العربية .

٢ — رفض تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ومقاومة ذلك .

٣ — الاصرار على الغاء الانتداب ووعد بالفور وابدالهما بمعاهدة تعقـــد مع بريطانيا وتكفل للشعب العربى فى فلسطين استقلاله وسيادته فى ظل حكومة دستورية تكون للاقليات فيها ما للاكثرية من الحقوق والواجبات وفقا للمبادىء الدستورية العامة .

٤ — تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية عاجلا واصدار تشريع يمنع انتقال الأراضى من العرب الى اليهود .

٥ — يعلن المؤتمر ان استمرار الصداقة بين الشعبين العربى والبريطانى يتوقف على تحقيق المطالب المتقدم ذكرها ، وان اصرار انجلترا على سياستها فى فلسطين يرغم العرب أجمعين على اتخـــاذ اتجاهات جديدة ، كما أن الائتلاف بين العرب واليهـــود لا يتم الا على هـــذه الأسس .

٦ — ابلاغ هـذه القرارات الى عصـبة الأمم وغيرها من المقـامات ذات الشـأن (٤٤) .

ووافق المؤتمر على جميع ما أوصت به لجنتا الدعاية والمـالية فى تقريريهما ، وعلى احالتهما الى اللجنة التنفيذية للعمل على تنفيذها .وفيما يلى أهم ما اقترحته اللجنة المالية للمؤتمر :

١ — وضع طوابع باسم المؤتمر لالصاقها على الخطابات .

٢ — اصدار يانصيب عربى دولىكبير يتولى تنظيمه واصداره بنكمعروف.

٣ — يقام « مشروع قرش » فلسطينى شهرى ويعمم فى فلسطين .

٤ — يقام يوم سنوى واحد فى الوطن العربى يدعى يوم فلسطين تبـاع فيه الطوابع وتجمع التبرعات (٤٥) .

وقد توجت القرارات بميثاق أقسم عليه المؤتمرون وقوفا فى مظاهرة حماسـية « يعاهد المؤتمرون أنفسهم أمام الله والتاريخ والأمة العربيـة والشعوب الاسلامية أن يستمروا فى الكفاح والنضال فى سبيل فلسطين الى أن يتم انقاذها وتتحقق السيادة العربية عليها » (٤٦) .

وابرق القنصل البريطانى فى دمشق تقريرا عن المؤتمر قال فيـه « خلافا لمـا كان متوقعـا لم يكن الشعور العـام فى المؤتمر مناهضـا شدة لبريطانيا ، بينما كان الموقف ضـد الصهيونية عنيفا » . وقد فرض هذا الاعتدال أولئك السياسيون الذين يحرصون على الحفاظ على صلاتهم الودية ببريطانيا وفى طليعتهم ناجى السويدى رئيس المؤتمر ، لـكن نحو مائة عضو من السوريين والفلسطينيين الوطنيين من أعضاء المؤتمر أبدوا خيبة أملهم بما وصفوه مقررات المؤتمر التافهة ، وعقدوا مؤتمرا سريا فى الثانى عشر من سبتمبر لبحث اتخاذ اجراءات أشد فعالية لمكافحة المقترحات البريطانية للتقسيم « وكان الأسلوب الذى لقى أشد العطف هو مواصلة الاعتداء على الشخصيات العربية الصـديقة للسلطات البريطانيـة وعلى اليهود ، وذلك تمهيدا للقيام فيما بعد بعمليات أشد مواجهة ضد سلطات الانتداب اذا تبين أنه من الضرورى انتهاج هذا الطريق » (٤٧) .

وقد سئل جمال الحسينى أحد ممثلى فلسطين فى المؤتمر عن رأيه فى المؤتمر الذى عقده اليهود فى زوريخ والفرق بينـه وبين مؤتمر بلودان ، فأجاب ان مؤتمر زوريخ انما أريد به خداع العرب وتثبيط عزائمهم وانزال اليأس على قلوبهم ، وأما مؤتمر بلودان فقد عقد لافهام العالم كله أن قضية فلسطين ليست قضية أهلها وحدهم ، بل قضية الأمة العربيـة وليس فى قدرة بريطانيا أن تتملص من واجبها نحو العرب (٤٨) .

وظهرت آثار المؤتمر ابان مناقشة عصبة الأمم تقرير بريطانيا السنوى عن انتدابها على فلسطين فى كلمات ممثلى مصر والعراق والأفغان وايران والبـانيا ضـد التقسيم ، والمطالبة بحل القضية حلا عادلا يتفق ومصالح الأكثرية العربية وحقوقها ، وفيما كان يكتب من مقـالات فى صـحف تلك البلدان أو يعقد من اجتماعات مؤيدة ، وزاد ذلك كله من حماسـة عرب فلسطين ، فأخذوا يقومون بأعمال ثورية فردية فيهـا ارهاص باسـتئناف الثورة (٤٩) .

ومهما كان الرأى فى هذا المؤتمر ، وكيفما كانت قراراته عنيفـة أو هادئة من الاستعمار البريطانى ، فلا شك أن هناك عـددا من الميزات الهامة لهذا المؤتمر ، فهو أول مؤتمر سياسى عربى يعقد منذ الانتـداب البريطانى على فلسطين عام ١٩٢٢ لمناقشة القضية الفلسطينية ، كما أن مجرد تجمع هـذا العدد الـكبير من ممثلى الحركات والهيئات الوطنيـة العربية حتى لمجرد التعـارف واستعراض مشـاكلهم كان مكسبا تحقق لقضية فلسطين ، وخطوة هامة على طريق الوحدة العربية .

المؤتمر الطبى العربى العـاشر

وعقد فى بغداد فى ٩ فبراير ١٩٣٨ المؤتمر الطبى العربى العـاشر الذى اشتركت فيه مصر وسورية ولبنان والعراق ، وافتتحه جميل المدفعى رئيس مجلس الوزراء العراقى ، وحضره أكثر من أربعمـائة طبيب وعالم واديب نزلوا جميعهم ضيوفا على الحكومة العراقية ، وبقى المؤتمر مستمرا مدة خمسة أيام (٥٠) .

وقد حضر المؤتمر عـدد من الشخصيات الطبية والأدبيـة المصرية الشهيرة مثل الدكتور على ابراهيم والدكتور محمد خليل عبدالخالق والدكتور

عبد الواحد الوكيل والدكتور محجوب ثابت وعلى الجارم والشيخ احمد السكندرى .

وكان المؤتمر يستهدف البحث فى النواحى الطبية التى تشغل بال الهيئات الطبية والعمل على توحيد المصطلحات الطبية العربية وتوجيه الفكر الى ناحية العمل الجدى المثمر الذى يربط النشاط العربى بألوان النشاط العلمى العالمى قديمه وحديثه (٥١) .

ومع أن الدكتور على ابراهيم رئيس المؤتمر أوضح فى كلمته ان هناك غرضين اساسيين وراء عقد هذه المؤتمرات ، زيادة التعارف والتآلف وخدمة العلوم والمعارف الطبية فان جميل المدفعى لم يفته عند افتتاح المؤتمر أن يشير الى الهدف السياسى من وراء مثل هذه المؤتمرات « ولا شك أن وحدة النزعة العلمية والأدبية هى فى الوقت ذاته تمثل وحدة الفكر والرأى بينكم وتؤلف منكم أخوة من أمة واحدة عبثا حاولت الجدود والحجوز أن تفرق بين قلوبهم وأهدافهم » (٥٢) .

وأصدر أعضاء المؤتمر فى نهاية أعماله بيانا متعلقا بفلسطين وقعوا عليه ورفعوه الى ملوك العرب وأمرائهم « نحن الأطباء العرب المجتمعون فى بغداد لمناسبة عقد المؤتمر الطبى العاشر فى عاصمة العراق نعلن استنكارنا للاعمال التنكيلية القاسية التى يعامل بها اخواننا عرب فلسطين، ونحيى المجاهدين راجين باسم الانسانية وضع حد نهائى للمظالم النازلة بهم والاعتراف بحقهم فى استقلال بلادهم وحريتهم » (٥٣) .

المؤتمر البرلمانى العربى

وتعزيزا للنشاط العربى فى فلسطين عقد فى القاهرة من ٧ — ١١ اكتوبر ١٩٣٨ مؤتمر برلمانى عربى عام كان بعض نواب مصر وشيوخها اقترحوا عقده فى شهر يونية من نفس العام وأرسلت رسائل من محمد على علوبة الى برلمانات الدول العربية بشأنه (٥٤) .

وقد ورد فى مقال نشر فى صحيفة عراقية قبيل عقد المؤتمر ان العراق هو صاحب فكرة عقد المؤتمر وان رئيس المجلس النيابى فى العراق وجه خطابا الى رئيس مجلس النواب المصرى يقترح فيه العمل على مناصرة قضية فلسطين ، وحينما أحال الرئيس هذا الاقتراح الى

لجنة برياسة علوبة باشا نشأت حينئذ فـكرة عقد مؤتمر برلمانى قومى(٥٥)، لـكن علوبة يذكر أنه هو الذى فكر فى عقد هذا المؤتمر (٥٦) .

وقد وجهت الدعوة لحضور المؤتمر « الى جميع أعضاء البرلمانات فى الدول العربية والى الشخصيات البارزة فى البلاد العربية التى ليس فيها مجالس برلمانية » (٥٧) . وتلقى علوبة قبل عقد المؤتمر رسائل تأييدا لفكرة المؤتمر من كثير من الشخصيات العربية والاسلامية مثل الملك غازى الأول وأمير الـكويت وأمير اليمن (٥٨) .

وحضر المؤتمر ممثلون عن مصر وسـوريا ولبنـان والعراق وشرقى الأردن ، واشترك فيه مندوبون عن المغرب واليمن والهند والصين وغيرها من البلاد الاسلامية (٥٩) والجاليات الاسلامية فى يوغوسلافيا وأمريكا .

وكان أهم قرارات المؤتمر بطـلان تصريح بالفور ومشروع التقسيم ووقف الهجرة وبيع الأراضى ، وتاليف حكومة دسـتورية ومجلس نيـابى منتخب بالتمثيل النسبى ، وعقد معاهدة تحالف وصداقة مع بريطانيـا ، وصون فلسطين كبلد عربى. وتعهد المؤتمر بضمان حقوق الأقليات فى الدولة المقترحة ، وتضمنت قرارات المؤتمر شيئا من التهديد لبريطانيا « فى حالة عدم قبول هذه المطالب فان الشعوب العربية والاسـلامية فى العـالم ستضطر لاعتبار موقف البريطانيين واليهود موقفا عدائيا ، مع كل مايترتب على ذلك من عواقب على العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية »(٦٠)

وكان المؤتمر قد قرر تشكيل لجنة برياسة علوبة ومعه ثلاثة من أعضاء المؤتمر البـارزين هم فارس الخورى والسيد حليق الزمان وعبد الرحمن صـديقى من كبار مسلمى الهنـد للسـفر الى انجلترا لاقناع ولاة الأمور فيها بحقوق عرب فلسطين. وسافرت اللجنة الى بريطانيا باستثناء فارس الخورى الذى حال الانجليز دون سفره من استانبول للقاء زملائه بلندن ، وحاول الوفد مقابلة رئيس الوزارة البريطانية ووزير الخارجية فلم يتمكن، ثم سمح لمحمد على علوبة وحده بمقابلة وزير المستعمرات ، لـكن علوبة لم يذكر شيئا عما حدث فى هذه المقابلة بل اكتفى بالقول ان الوفد أقام فى لندن أربعين يوما قابل فيها عددا من مندوبى الصحف البريطانيـة وبعض كبار الشخصيات البريطانية وانه رأى فيهم عطفا ظاهرا على عرب فلسطين.

ورغم ان علوبة يذكر أن هذا المؤتمر كان له أثره البالغ فى العـــالم العربى والاسلامى حيث تكونت لجان اطلعت على التقارير والمكاتبات التى أرسلت من أفراد وجماعات عربية واســلامية فى مختلف بلدان العالم (٦١) الا أنه يعتقد ان هذا المؤتمر وان كان دفعة فى طريق التضامن العربى فانه مثل معظم المؤتمرات التى تعقد فى أنحاء العالم العربى تكون رهنا بأوقاتها ولا تجد على الأغلب متابعة حقيقية .

المؤتمر النسائى العربى

وعقد بالقاهرة فى اعقاب المؤتمر البرلمانى فى الفترة من ١٥ الى ٢٠ اكتوبر ١٩٣٨ أول مؤتمر نسائى شرقى فى تاريخ العـــالم العربى لبحث المشكلة الفلسطينية .

وترجع فــكرة عقد المؤتمر الى أوائل يونية ١٩٣٦ عندما تلقت هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى المصرى رسالــة من لجنــة الســيدات العربيات بالقدس يشرحن فيها احوال فلســطين ويناشــدون نساء مصر التأييد ، واستجاب الاتحاد النسائى المصرى للنداء وقرر عقد المؤتمر (٦٢).

ونشطت هدى شعراوى من اجل عقد المؤتمر وساعد اكرم زعيتر فى انجاحه ، واشترك فيه عدد كبير من النساء العربيات فى مصر وســورية ولبنان وفلسطين وشرقى الأردن والعراق وحذا المؤتمر حذو المؤتمر البرلمانى فى تاييــد ميثاق فلسطين واستنكار المظالم البريطانية والاشــادة ببطولة العرب وما تحمله أهل فلسطين من عظيم التضحيات (٦٣) .

مؤتمر الطلبة العرب فى بروكسل

وعقد فى مدينة بروكسل فيما بين ٢٧ — ٢٩ ديسمبر ١٩٣٨ مؤتمــر الطلبة العرب فى أوروبا والذى لم يقصر أبحاثه على فلسطين وانما تناول بالدراسة احوال العــالم العربى وامكانات تحقيق الوحدة العربية وشكل تلك الوحدة ووسيلة تحقيقها ، وأوضح المؤتمر أهداف الحركة العربيــة العامة ومفهوم القومية العربية ، وانتقد المؤتمرات العربية المختلفــة التى عقدت خلال الثلاثينيات لافتقارها الى التنظيم القــومي الشامل ، كما رفع

المؤتمر مذكرة الى الدول العربية المشتركة فى مؤتمر لندن أوضح فيها أن حل القضــية الفلسطينية يجب أن يتم على أساس تأسيس حكومة دســتورية مستقلة فى فلسطين وانهاء الانتداب والارتباط مع بريطانيا بمعاهدة ووقف الهجرة اليهودية وقفا تاما (٦٤) .

تلك نظرة عامة على موقف العــالم العربى من قضية فلسطين أثناء الثورة ، وسأتحدث الآن بشىء من الايضاح عن موقف كل دولة عربية على حدة مبتدئا بدول المشرق العربى .

الفصل السابع

المشرق العربي والثورة

المشرق العربى والثورة

العـــــــــراق

كان العراق من اكثر الدول العربية اهتماما وتعاطفا نحو فلســـطين قبيل ثورة ١٩٣٩/٣٦ ، بل لعله أكثرها فعلا ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى الى أن العراق كان قـــد حقق شـــيئا من التقدم نحو الاستقلال الوطنى ، بالاضـــافة الى وجود كثير من رجالات الحركة العربية الذين كانوا يعطون اهتماما كبيرا للقضـــايا القومية . ويشير احد التقارير الدورية البريطانية فى الشهر السابق لقيـــام الثورة الى شىء من هـــذا الاهتمام بمناســـبة زيارة خمسة عشر عضوا من أعضاء البرلمان العراقى لفلسطين حيث يذكر أن وجودهم كان مناسبة لنشاط سياسى كبير ، وانه نظمت لهم استقبالات فى مدن فلســـطين حيث شن بعض الخطبـــاء هجـــوما على الصهيونيـــة والاستعمار وحرضوا على كراهية بريطانيا (٦٥). وعندما طالب احد الخطباء الفلسطينيين اخوانه العراقيين بانقاذ فلسطين بعـــد أن كاد اليأس يقتل أهلها اجابه سعيد ثابت رئيس الوفد « لا تنتظروا منا أن نأتيكم بتجريدة . ابدءوا أنتم وعلينا بالباقى » وهكذا كان (٦٦) .

فعندما شبت الثورة الفلسطينية فى أبريل ١٩٣٦ تجـــاوب العراق معها تجاوبا كبيرا واضربت مدنه ، وتظـــاهر الشعب مؤيداً نضـــال عرب فلسطين (٦٧) . وتكونت لجان قومية عملية من أجل فلسطين . فهناك لجنة عليا مركزها بغداد تجمع تبرعات للمنكوبين ولها فـــروع فى جميع أنحـــاء العراق ، ولجنة باسم لجنة الدفاع عن فلسطين تشتغل بنصرة فلســـطين سياسيا وتنشىء مكتبا للدعـــاية والنشر ، وهنـــاك نادى المثنى بن حارثة الذى كان يضم عددا من رجالات العرب من مختلف الأقطار ، ونادى الجوالة الذى كان يضم خيرة شباب العراق (٦٨) .

وكان هنـــاك فى تلك الفـــترة اتصـــالات بين بعض الشخصيات الفلسطينية والمسئولين العراقيين ـــ غالبا بهدف طلب اسلحـــة ـــ حيث يشير تقرير دورى بريطانى مؤرخ فى ١٢ يوليو ١٩٣٦ الى اتصالات سرية

قام بها معين الماضى وسليم عبد الرحمن مع بعض السياسيين فى بغداد من وزراء وغيرهم ، وان التعاطف يتزايد تجاه فلسطين ، وانه عقد اجتماع عام شنت فيه الحملات على السياسة البريطانية وسلوك القوات العسكرية فى فلسطين (٦٩) . كما يشير تقرير آخر مؤرخ فى ٢٦ يوليو ١٩٣٦ الى ردود الفعل بالنسبة لفلسطين فى الاقطار العربية فيذكر ان التعاطف الذى ظهر فى العراق كان أكثر من غيرها من البلدان (٧٠) .

وكان من اهتمامات المسئولين العراقيين بمساعدة عرب فلسطين اثناء الثورة أن وجه جعفر العسكرى وزير الدفاع فى ذلك الوقت نداء الى الجيش العراقى يدعوه الى مناصرة فلسطين ومساعدتها ببذل الاعانات والتبرعات ، فاقبل الضباط والجنود على التبرع بحماسة كبيرة (٧١) . وكان العراق اثناء المرحلة الأولى من الثورة هو الدولة العربية الوحيدة ذات العضوية فى عصبة الأمم فوقف مندوبه فى العصبة يطالب رجالها بعدم اغفال حقوق عرب فلسطين (٧٢) .

لكن اهم ماقدمه العراق هو مساهمة عدد من رجاله فى معارك الثورة واستشهاد عدد منهم فوق ثرى فلسطين ، ففى الأسبوع الأخير من شهر اغسطس ١٩٣٦ وصلت حملة القاوقجى الى فلسطين وكانت حسنة التجهيز والتنظيم (٧٣) . وقد تولى القاوقجى قيادة الثورة وقام على تنظيم شئونها وتوسيع نطاقها وادخال الأساليب الحديثة فيها (٧٤) .

وكان البريطانيون على علم باستعداد القاوقجى للذهاب الى فلسطين ، ويبدو انهم حاولوا منعه حيث يشير تقرير بريطانى مؤرخ فى ١٨ اغسطس ان القاوقجى استقال حديثا من وظيفته فى الجيش العراقى وجند عدداً من الجنود القدامى بهدف مساعدة الثوار فى فلسطين وانه منع من مغادرة البلاد لكن ليس من المتوقع أن يحول ذلك بينه وبين الخروج من البلاد (٧٥) .

ومن ناحية اخرى فقد كان هناك علاقة بين صلاح الدين الصباغ وبعض اخوانه وبين أحرار العرب فى فلسطين قبيل الثورة ، ولم يكن الانجليز أو المتعاونين معهم من ساسة العراق يعلمون ذلك ، وبعد ذهاب القاوقجى الى فلسطين كان ضباط العراق الأحرار يمدونهم سرا بما

يتيسر لديهم من سلاح وعتاد ، وكان صلاح الدين الصباغ يسلم السلاح والعتاد لعز الدين الشوا أحد مجاهدى فلسطين ثم زادت هذه الامدادات بعلم طه الهاشمى وزير الدفاع وحسين فوزى رئيس الأركان ، واستمرت الامدادات حتى توقف القتال فى فلسطين (٧٦) .

وقد وقفت حكومة ياسين الهاشمى — الذى عرف بميوله القومية — موقفا مشرفا من الثورة الفلسطينية فأمدتها بالمال والسلاح ، وسمحت لضباط صف وجنود بالاشتراك فى الدفاع عن فلسطين الى جانب تدريبها العسكرى للمتطوعين ، واستمرت امدادات العراق العسكرية للثورة حتى بعد وساطة الحكام العرب .

وقد احتج السفير البريطانى لدى الحكومة العراقية لسماحها لفوزى القاوقجى بالمرور من الحدود العراقية والانضمام الى عرب فلسطين ،وجاء فى مذكرة الاحتجاج انه لاحظ أن هناك استقالات متتالية فى الجيش العراقى وان ضباطا معروفين يتصلون بفوزى القاوقجى ، وكان رد الحكومة انه لا يوجد فى القوانين العسكرية مايحول بين الضباط والاستقالة فى الظروف العادية ، وان الحكومة لا تستطيع أن تنكر عطف عرب العراق على اخوانهم عرب فلسطين .

وشهدت الفترة الأخيرة من عهد حكومة ياسين الهاشمى مساعى عراقية قام بها نورى السعيد للتوسط لدى اللجنة العربية العليا لوقف الاضراب والثورة ولم تكن وساطة نورى السعيد تطوعا منه وانما تكليفا من الملك غازى وحكومته (٧٧) .

وقد رحبت بغداد بعودة الثوار اليها بعد انتهاء المرحلة الأولى من الثورة ، فاختار القاوقجى ومن معه من غير العراقيين العودة الى بغداد حيث استقبلوا كغزاة فاتحين ، وحظوا بتكريم الملك غازى والحكومة والشعب العراقى (٧٨) .

ويروى القاوقجى فى مذكراته ان هذه الحفاوة البالغة التى لقيها من حكومة حكمت سليمان قد اثارت شكوكه ، وان ماخشيه قد وقع ؛ فقد ابعد الى كركوك لعدة اسباب منها ضغط الحكومة الانجليزية علىالحكومة لتقييد تلك الحرية الواسعة التى كان يتمتع بها والحيلولة دون عودته

الى فلسطين مرة اخرى . لـكن القاوقجى يذكر أنه تمكن فى كركوك من الاتصال بعدد من الشخصيات العربية فى سورية وفلسطين لينظم خطـة يتمكن بها من العودة الى فلسطين ، وانه اتفق على اتخاذ الاجراءات اللازمة للقيام بثورة واحدة فى فلسطين وشرقى الأردن معـا اذا ماتطلب الموقف ذلك بعد اعلان نتيجة تحقيق اللجنة الملكية (٧٩) .

وتوضح الوثائق أن الحكومة البريطانية كانت تمارس ضـغطا على الحكومة العراقيـة لمراقبة القاوقجى وتقييد نشاطه ، فتذكر برقية مرسلة من السفير البريطانى فى بغداد الى وزارة الخارجية البريطانية فى ٢٠ يناير ١٩٣٧ ان كلا من حكمت سليمان وبكر صدقى يفرضان الآن رقابة صارمة على فوزى القاوقجى وان السفير لن يدعهما ينسيان مسئوليتهما . وتذكر برقيـة أخرى مرسلة من السفير البريطـانى فى ٢٥ ينـاير ١٩٣٧ ان رئيس الوزراء العراقى أرسل القاوقجى للاقامة فى كركوك حيث الجماهير تتكون من الأتراك والأكراد فلا يحتمل أن تشاركه فى اية اعمـال مزعجة لبريطانيـا (٨٠) .

وقد اقتصر موقف حكومة حكمت سليمان خلال هـدوء الثـورة على استمرار الدعم لمنكوبى الثورة والتوسط لدى السلطات البريطانية لتخفيف أحكام الاعدام عن بعض المناضلين الفلسطينيين ومشاركة المملـكة العربية السعودية فى الضغط على اللجنة العربية العليا للاتصال باللجنة الملـكية بعد قرار مقاطعتها (٨١) .

وتشير برقية من السفير البريطانى فى العراق الى وزارة الخارجية البريطانية فى ٤ يناير ١٩٣٧ الى أن رئيس وزراء العراق تحدث معه صباح ذلك اليوم حول موضوع فلسطين وطلب منه أن يبلغ الحكومة البريطانيـة عن خطورة نتـائج تجدد الثورة فى فلسطين ، وانه بصفته المسئول عن النظام وأمن الأقليـات فى العراق يعتبر الحل السلمى للقضية أكثر أهمية من أى مسألة أخرى وطلب رئيس الوزراء أن تكون هذه الحقيقة واضحة للجنة الملـكية لفلسطين (٨٢) .

وتلقى الوثائـق البريطانيـة اضـواء هامة على مواقف المسئولين العراقيين واقتراحاتهم بشأن ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، فبالنسبة لبكر

صدقى يتضح من تلك الوثائق أنه كان يحاول التقرب من البريطانيين ويبدى استعدادا لتلبية طلباتهم ، فتشير برقية مرسلة من السفير البريطانى فى بغداد الى وزارة الخارجية البريطانية فى ٢١ يناير ١٩٣٧. أن بكر صدقى راغب فى الاجتماع بالسفير والتحدث اليه فى فرصة عاجلة جدا ، وانه يؤكد على أمرين ، الأول أن لديه اعتقادا جازما بضرورة الارتباط ببريطانيا وان حكومة العراق ستظل متمسكة بهذا الارتباط ، والثانى أنه يراقب فوزى القاوقجى بعناية . وأضاف السفير انه يدرس وسائل الاجتماع ببكر صدقى دون اثارة للانظار . أما عن اقتراحات العراق بشأن محاولة ايجاد تسوية للقضية الفلسطينية فى أوائل ١٩٣٧ فيشير عدد من تلك الوثائق الى محادثات جرت بين حكمت سليمان رئيس الوزراء العراقى والمستر ادموندز المستشار الأول للحكومة العراقية للشئون الداخلية فى ٨ فبراير ١٩٣٧ اقترح خلالها حكمت سليمان — كحل لمشكلة فلسطين — اقامة اتحاد بين العراق وشرقى الأردن وفلسطين تحت التاج العراقى مع عدم ايجاد مركزية كبيرة واعطاء بريطانيا كل الضمانات التى تتطلبها مصالحها السياسية ، مع السماح بهجرة يهودية مستمرة لا تجعل العرب أقلية فى يوم ما ، وان العرب لن يتغير وضعهم كثيرا اذا أدخل مليون يهودى فى هذه الدولة الاتحادية ، وأوضح رئيس الوزراء لمستر ادموندز أنه لم يناقش الموضوع مع أحد من زملائه أو غيرهم ، وطلب منه أن يبلغ هذا الاقتراح الى السفير البريطانى فى بغداد (٨٣) .

وأشار السفير فى رسالة منه الى وزارة الخارجية فى ١١ فبراير ١٩٣٨ معلقا على هذه الاقتراحات أنها مشابهة الى حد كبير لتلك التى قدمها نورى السعيد فى أكتوبر ١٩٣٦ (٨٤) . وأوضحت رسالة أخرى مرسلة من وزارة الخارجية البريطانية الى وزارة المستعمرات أن هذه الاقتراحات لا تختلف عن اقتراحات نورى السعيد السابقة الا فى نقطة واحدة فقط هى أن نورى السعيد فكر فى نظام تبقى به نسبة اليهود الى العرب كما كانت عليه فى ذلك الوقت ، بينما كان حكمت سليمان يفكر فى هجرة يهودية غير محدودة (٨٥) .

ولا يبدو أن حكمت سليمان كان صادقا عندما أخطر المستشار الأول للشئون الداخلية فى العراق انه لم يخبر أحدا من زملائه عن مشروعه ،

فقد كان الأمر محل دراسة مجلس الوزراء العراقى، فتوضح رسالة موجهة من السفير العراقى الى المستر ايدن أن وزير الخارجية العراقية أطلعه يوم ١٧ فبراير ١٩٣٧ - اى بعد حديث حكمت سليمان مع المستر ادموندز بتسعة أيام - على برقية مرسلة من الملك عبد العزيز آل سعود تستفهم عن اية اقتراحات ترى الحكومة العراقية أن يقدمها الملكان الى الحكومة البريطانية بشأن تسوية قضية فلسطين ، وان مجلس الوزراء العراقى طلب منه اعداد رد لهذه الرسالة ، وانه متحير فيما يمكن اقتراحه وان تقديره أن الموقف يتطلب حلا يكون مقبولا من الحكومة البريطانية واليهود والعرب على السواء ، وانه بعد تفكير عميق توصل الى حل يقوم على اساس اتحاد يجمع بين فلسطين وشرقى الأردن والعراق ، وانه يسأل السفير البريطانى نصيحته فى هذا الأمر بصفة شخصية . وكان رد السفير البريطانى ان اقتراحا كهذا سوف يوجد عددا من الصعوبات السياسية والاقتصادية الخطيرة ، وان على حكومة العراق أن تقرر بنفسها فيما ترغب فى تقديمه الى الحكومة البريطانية من اقتراحات (٨٦) .

وتناقش مذكرة مؤرخة فى ١٩٣٧/٣/١ أعدها أحد كبار المسئولين بوزارة الخارجية البريطانية اقتراح حكمت سليمان ، فتشير الى الصعوبات المحتملة أمام الاقتراح مثل اقامة اتحاد بين بلد منتدب عليه مثل فلسطين وشرقى الأردن وبين دولة مستقلة مثل العراق ، واحتمال اعتراض عصبة الأمم على هذا الاقتراح ، وضمانات استمرار الهجرة اليهودية غير المحدودة ، واحتمال عدم تقبل اليهود لهذا الاقتراح ، واثارة شكوك الملك عبد العزيز آل سعود ، لكن المذكرة رغم هذه الصعوبات ترى فى اقتراح حكمت سليمان شعاعا من الأمل (٨٧) .

ويبدو انه قد صرف النظر فى نهاية الأمر عن هذا الاقتراح حيث أبلغت وزارة المستعمرات وزارة الخارجية البريطانية فى ١٢ مارس ١٩٣٧ ان المسئولين بوزارة المستعمرات اقترحوا على وزيرها أن تبلغ المراسلات الخاصة بمشروع حكمت سليمان الى اللجنة الملكية لفلسطين وان تعتبر كوثيقة سرية لا تكون ضمن البيانات المنشورة فى تقرير اللجنة (٨٨) . وقد أبلغت هذه المراسلات الخاصة بفلسطين الى اللجنة الملكية فى ١٥ مارس ١٩٣٧ لتكون تحت نظرها عند بحث الموضوع مثلما حدث بالنسبة لمقترحات الملك عبد العزيز آل سعود حول قضية فلسطين (٨٩) .

أما عن مواقف الجماهير فى تلك الفترة فتشير مذكرة أخرى أعدتها وزارة الخارجية البريطانية فى منتصف فبراير ١٩٣٧ حول مسائل الدفاع الى أن الموقف فى العراق معقد للغاية وانه رغم أن نفوذ الحكومة البريطانية كبير لدى حكومة العراق فان أية محاولة لاستخدام هذا النفوذ بشكل قوى فى وقت تكون فيه العواطف العربية والاسلامية متأججة يمكن أن يؤدى اما الى سقوط الوزارة الحالية أو احداث تصدع فى أية حكومة تستمر فى ارسال المساعدات الى فلسطين ، وان النتيجة الثانية يمكن ان يترتب عليها اما التخلى عن النفوذ البريطانى فى العراق أو الى الضغط على الحكومة المتمردة واحتمال استخدام القوة معها (٩٠) .

وبعد اذاعة تقرير اللجنة الملكية الذى أوصت بتقسيم فلسطين ، ارسلت اللجنة العربية العليا برقيات عديدة الى الحكومات العربية والاسلامية والبلدان الصديقة تظهر مساوىء التقسيم وتطلب المعونة « لانقاذ فلسطين من شرور الاستعمار والتهويد والتمزيق » الا أن الحكومات العربية لم تسرع فى الجواب واتخاذ موقف حازم ضد سياسة التقسيم ، وكان اول كتاب أرسل الى فلسطين برقية من حكمت سليمان تقول « لم تستحسن حكومة جلالة ملك العراق فكرة التقسيم ، وانها تشارك فلسطين فى امانيها ومطالبها القومية ، وستسعى بكل الطرق المألوفة لرفع الظلم ، وبصفتى رئيسا للحكومة احتججت على قرار اللجضة الملكية » واتبع حكمت سليمان هذه البرقية بتصريحات صحفية وخطب حمل فيها حملة عنيفة على مشروع التقسيم (٩١) . وندد بتواصى اللجنة وحشد البريطانيين قواهم لخدمة اليهود وقال ان الحاكم الذى يقبل أن يتوج على شرقى الأردن مع مابقى من اقسام فلسطين لا يقابل الا بالمقت والنبذ ، وانه سيكافحه بكل قوة كرئيس حكومة وفرد من الأمة العراقية (٩٢) ؛ واستقبل حكمت سليمان السفير البريطانى فى بغداد واحتج باسم حكومته على قرار اللجنة الملكية وأوعز الى وزير العراق المفوض فى لندن أن يحتج باسم العراق لدى الحكومة البريطانية (٩٣) .

وقد اختلفت الآراء فى الدوافع التى حدت بحكمت سليمان الى اتخاذ هذا الموقف من قرار اللجنة ، فاعتبره البعض نوعا من المزايدة على السعودية ، واعتبره آخرون رغبة من الحكومة لتأييد شعبيتها — وهى المتهمة

بالميل الى الأتراك — ووسيلة من حكمت سليمان لتقوية مركزه الضعيف، بينما اعتبره فريق ثالث نوعا من الانتقام الشخصي من الأمير عبد الله .

ورغم ذلك فقد كان لتصريح حكمت سليمان — بصرف النظر عن دوافعه — رنة فرح في قلوب المناضلين والقوميين ، حتى علق عليه عوني عبد الهادي بأن فلسطين العربية لاتضام وفي العراق حكومة يرأسها حكمت سليمان (٩٤) . كما أحدث التصريح أثرا سيئا بالنسبة لبريطانيا في فلسطين . ينتظر من دولتكم أن تعالجوا الأمر بالحكمة والاعتدال . أفهمته

وطلب وزير الخارجية البريطانية من وزير العراق المفوض في لندن أن يبرق الى رئيس الوزراء العراقي يرجوه الاعتدال في معالجة الموقف « طلب مني وزير الخارجية البريطانية أن أرجوكم أن لاتعملوا أكثر مما عملتم في مسألة فلسطين . ان تصريحاتكم ذاعت في الصحف العالمية وأحدثت ضجة غير قليلة . انه يقدر وضعكم ولكنه يرى أن تطرف العراق وحده وهو حليف بريطانيا العظمى يحرج مركزهم ويسبب الاضطرابات في فلسطين . ينتظر من دولتكم أن تعالجوا الأمر بالحكمة والاعتدال . أفهمته الوضع في العراق وهياج الرأي العام وهو مطلع عليه ، غير أنه يرى أن التحالف القائم يقضي بالتزام خطة تشابه خطة المملكة العربية السعودية » (٩٦) .

واستقبل حكمت سليمان الدكتور جروبا المبعوث الألماني في بغداد في ١٥ يوليو ١٩٣٧ حيث عبر له عن أمله في أن يبذل الألمان كل مافي وسعهم لاحباط خطط اللجنة الملكية . وكان حكمت سليمان يود من الألمان أن يساعدوا الحملة التي شنت ضد التقسيم وذلك على شكل تصريح مناسب يدلي به أحد زعماء الرايخ ، كما أشار الى أنه كان من المفروض على العراق أن يشن حملة ناجحة ضد انشاء دولة يهودية لو لم يكن خاضعا للضغط الاقتصادي البريطاني ، وأن حصول العراق على قرض من جهة أخرى غير بريطانيا سيساعده كثيرا .

وفي اليوم التالي زار جروبا شخصيتان فلسطينيتان هامتان هما عوني عبد الهادي ومعين الماضي ، وطالباه بشدة بأن تهتم حكومة الرايخ بقضية فلسطين وتساعد عرب فلسطين ، كما عبر عوني عبد الهادي عن رغبته في زيارة برلين في أقرب وقت ممكن (٩٧) .

وزود حكمت سليمان عونى عبد الهادى برسالة الى عصمت أينونو يطلب منه فيها أن تساعد تركيا عرب فلسطين فى جنيف وفى سائر الأوساط السياسية (٩٨) . ورجت بغداد برلين ان يحظى ممثلو العراق فى العصبة بمساندة ونصيحة القنصل الألمانى فى جنيف اثناء مناقشة العصبة لخطة تقسيم فلسطين (٩٩) .

واثار تصريح للامير عبد الله حكمت سليمان وقتئذ ، فصرح فى مجلس النواب العراقى « بأن العراق مستعد لتحطيم أكبر رأس عربى يقبل التقسيم » (١٠٠) .

اما عن موقف الشعب العراقى من التقسيم، فقد انفجر فى مظاهرات صاخبة نددت بالتقسيم وبكل من رضى به واصفة اياه بالخروج على العروبة والاسلام ، وانهالت على الحكومة العراقية من مختلف أنحاء العراق برقيات الاستنكار والاحتجاج (١٠١) . واصدر علماء العراق فتوى تحرم على كل مسلم قبول عرش الدولة الجديدة على اساس التقسيم وتعده خارجا على الدين ومنبوذا « فلا تسمع له شهادة ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، وتحل عليه اللعنة الى يوم الدين » (١٠٢) . كما أصدروا منشورات الى الشعب العربى دعوه فيها الى التسابق لنصرة فلسطين واوصوه بالمواطنين اليهود خيرا ، وعقدت الصحف العراقية فصولا شديدة اللهجة نددت فيها بسياسة انجلترا فى فلسطين وحملت على القضية الصهيونية حملة عنيفة (١٠٣) .

وكان للعراق موقف مماثل أمام لجنة الانتدابات الدائمة فى جنيف ، فقد ارسلت الحكومة العراقية برقيتين للجنة اكدت فيهما مصلحة العراق الحيوية فى الاهتمام بمسالة فلسطين ، وكررت احتجاجهما على التقسيم بلهجة حاسمة .

وفى سبتمبر ١٩٣٧ وقف وزير خارجية العراق أمام عصبة الأمم يقول ان العراق مرتبط ببريطانيا بروابط عديدة ، ولكنه فيما يتعلق بالتقسيم فان العراق لن يتأخر عن استنكار سياستها والتوصل بكل وسيلة للدفاع عن حقوق عرب فلسطين ، وقال ان التقسيم مخالف لمبادىء العصبة وان العراق يؤيد البيان الخطير الذى أدلى به مندوب مصر (١٠٤) .

ويتضح من الوثائق البريطانية أن مواقف العراق فى العصبة بشأن فلسطين كانت تسبب ضيقا كبيرا للحكومة البريطانية حيث تشير برقيتان مرسلتان من السفير البريطانى فى بغداد الى وزارة الخارجية البريطانية فى ذلك الوقت الى محاولاته مع وزير الخارجية العراقية لارسال تعليمات لمندوب العراق لتجنب مامن شأنه أن يسبب ازعاجا للحكومة البريطانية واعداد مذكرة أخرى غير تلك التى أرسلت الى مندوب العراق فى لجنة الانتدابات ، ويضيف السفير البريطانى أنه فهم من وزير الخارجية العراقية أن الحكومة لم تكن راغبة فى توريط الحكومة البريطانية لكنها أمام قوة الرأى العام اضطرت الى ابلاغ وجهة نظرها الى لجنة الانتدابات (١٠٥) .

وورد فى مذكرة أخرى أعدها وزير الخارجية البريطانية للعرض على مجلس الوزراء فى نوفمبر ١٩٣٧ ان حكومة العراق تتصرف بطريقة سليمة رغم خطبة وزير الخارجية العراقية فى العصبة ، وان مشاعر عرب العراق ومسلميها متدفقة خاصة فى المناطق الوسطى من الفرات وبين قبائل الصحراء، ونبهت المذكرة الى أن العراق أصبح مصدرا هاما جدا لامداد بريطانيا بالبترول وانه يجب أن يوضع فى الاعتبار وضع قوة الطيران الملكية فى العراق والأهمية الحيوية لمطارات العراق بالنسبة لقوات بريطانيا العسكرية وحركة الطيران المدنى مع الهند والشرق الأقصى (١٠٦) .

وقد استمر موقف العراق وحماسه من القضية الفلسطينية بعد استئناف الثورة ، فتكررت المظاهرات والاحتجاجات من مختلف الهيئات ، وأضربت مدنه مرارا وجمعت مبالغ غير يسيرة ، وجرت اتصالات عديدة مع الحكومة البريطانية بشأن القضية وتطوراتها ، وأذاع علماء العراق بيانات قوية فى تمجيد الجهاد (١٠٧) .

وارسل فريق من شباب الكرخ برقية الى رئيس الحكومة يطلبون فيها السماح لهم بالانضمام الى صفوف الثوار فى فلسطين ، كما أرسل رجال العراق من مختلف القطاعات والقوميات برقيات مماثلة الى لجنة الدفاع عن فلسطين فى بغداد (١٠٨) .

ولم ينحصر دور الجماهير العراقية فى التظاهر والهتافات وارسال برقيات التأييد والرغبة فى التطوع ، بل تعدتها الى بذل المال والاقبال على التبرع، يستوى فى ذلك الملك وابن الشعب العادى ، وكانت الصحف تنشر بيانات مفصلة عن أسماء المتبرعين وقيمة تبرعاتهم (١٠٩) .

وكانت جمعيـــة الدفاع عن فلسطين فى العراق تخصص فى كل فترة يوما خاصـــا بفلسطين ، كما حدث فى ٥ أغسطس ، ٢٢ سبتمبر ١٩٣٨ ، حيث تجمع التبرعات بصورة واسعة، وتقام الصلوات على أرواح الشهداء، وتعقد الاجتماعات العـــامة (١١٠) . ونشطت الجمعية فى منتصف عام١٩٣٨ فأرسلت وفودا الى الألوية الشمالية قامت بتشكيل فروع فى كركوك وأربيل والسليمانية (١١١) .

ومما يدل على روح البذل والتضحية لدىالشعب العراقى فى ماروته جريدة « فتى العراق » الموصلية من أن والدا أحضر ولديه الصغيرين ،وطلب من المجتمعين أن يبتـــاعوا أحدهما ليقدم ثمنه تبرعا لفلسطين (١١٢) وأصدر علماء الاسلام فى بغداد خلال المرحلة الثانية من الثورة فتوى أو نداءاسلاميا اعتبروا فيـــه القتال من أجل فلسطين « حربا دينية » وكانت نتيجة هـــذا العمل أن الـــكثيرين من شباب العراق سجلوا أنفسهم للتطوع فى صفوف المجاهدين (١١٣) .

ويذكر اميل الغورى ان غازى الأول كان على رأس حـــركة تقوم فى العراق لتأييد فلسطين وانه كان يذيع بنفسه يوميا من محطة اذاعة لاسلكية خاصة أنشأها فى قصر الزهور نداءات عن قضية فلسطين ووجوب مساعدة أهلهـــا ، وان هـــذا الدور من غازى أثار عليه كوامن غضب البريطـــانيين وأعوانهم (١١٤) .

وقد تحدثت بعض الصحف والمجلات العربية فى أوائل عام ١٩٣٨ عن حل للقضية الفلسطينية يقترحه نورى السعيد يدور حول ادخال فلسطين مع العراق وشرقى الأردن فى وحدة عربية مع الســـماح لليهود بهجرة تبلغ المليـــونين ويكونون رعايا فى هـــذه الـــدولة مع تنازلهم عن اقامة الـــدولة اليهودية (١١٥) ، ووصفت احدى صحف العراق هذا المشروع بأنه مؤامرة على اســـتقلال العراق ، وانه اذا كان القصد من المشروع صرف نظرالعراق من تأييد فلسطين فتلك محاولة فاشلة (١١٦) .

ووجه احد اعضاء مجلس الأعيان العراقى سؤالا الى وزير الخارجية حول الموضوع اجاب عليه توفيق السويدى بأن الوزارة لم تطلع على مثل هذا الموضوع ولم يسبق لها أن اشتغلت بمثله ، وان وجهة نظر الحكومة

العراقيــة فى حل القضــية معروفة ، وانه لا يعتقــد ان شــيئا جــديدا قــد حدث (١١٧) .

وكان نورى السعيد موجوداً عندئذ فى لندن ، فأذاع بيانا اوضح فيــه انه لا علم له بهــذا المشروع ، وانه يريد حلا يرضى به عرب فلسطين ، وان كل اقتراح أو مشروع لايحقق رغباتهم لايكون له اىنصيب منالتأييد (١١٨) . ومن الواضح أن نورى السعيد كان يهــدف من هــذا البيان الى ذر الرماد فى العيون ، فقد كان فى الحقيقة صاحب بعض هذه المشروعات ، بالاضافة الى ماذكره طه الهاشمى من ان نورى السعيد اطلعه فى سبتمبر ١٩٣٧ على مذكرة ارسلها للمستر ايدن يبسط فيها آراءه بشأن نوعالحكم فى فلسطين على أساس أن تحكم فلسطين من قبل نائب ملك يختاره أهل فلسطين ويترك لليهود حرياتهم وتحدد الهجرة (١١٩) وكون نورى الســعيد يقترح مشروعا بشأن حل قضــية فلسطين فهذا أمر لاغبار فيــه اما أن يشغل الرأى العام العربى بين وقت وآخر بمشروعات من هذا النوع ولا يتاح لبعضها أن تدرس من القيــادات العربيــة فى فلسطين وتظل الجماهير تنتظر نتائج جهوده ، فقد كان يسهم بشكل أو آخر فىعمليات التخدير والتهدئة والتضليل بالنسبة لعرب فلسطين .

أما بالنسبة لموقف حكومة جميل المدفعى (اغسطس ١٩٣٧ الىديسمبر ١٩٣٨) فقــد كاد يقتصر على النشاط اليساسى والدبلوماسى ، سواء لدى بريطانيا أو لدى لجنــة الانتدابات فى جنيف ، بالاضافة الى اغاثة المنكوبين لا مساعــدة الثوار المقــاتلين ، وحث الأهــالى والموظفين على مساعدة المنكوبين (١٢٠) . كما وجه جميل المــدفعى كتابا الى زملائه الوزراء يرجوهم فيه الاهتمام والعطف على منكوبى عرب فلسطين (١٢١) .

ولم تخرج تصريحات وزراء جميع المدفعى عن هذا الاطــار السياسى والــكلمات العــامة غير المحددة (١٢٢) . وهذا هو زير خارجيتــه توفيق السويدى يصرح لرجال الصحافة البيروتية فى أواخر اغسطس ١٩٣٨ بأن قضية فلسطين التى تهم العراق كثيرا ستحل بحسب اعتقاده الشخصى حلا عادلا مرضيا يطمئن حقوق أهلها العرب ، وأن هذا الحل سيكون قريبا (١٢٣)

وكان جميع المدفعى حريصا على معرفة رأى الحكومة البريطانية قبل اجراء تحرك عراقى بشأن قضية فلسطين ، فيذكر طــه الهاشمى أنه زار

جميل المــدفعى يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٣٧ ، فأخبره المدفعى أن نورى السعيد اقترح أن يذهب الى فلسطين ليقوم بدور الوساطة بين الحكومة البريطانية وعرب فلسطين ، غير أن جميل اجابه بضرورة معرفة راى الحكومة البريطانية فى الموضـــوع ، وكان راى السفير البريطـــانى فى بغـــداد أن حكومتـــه لا توافق على قيام أحد بهذا الدور (١٢٤) .

ولم يرد فى خطبـة العرش التى القاها الملك غازى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧ مجرد اشارة الى احداث فلسطين او الى العطف على مطالبهم ، مع أنه وردت فى الـــكلمة اشارات الى تعزيز أواصر الصـــداقة والتحالف مع بريطانيا والمملــكة العربيـــة السعودية والحكومة الســـورية والجمهورية التركية ، واشير مجرد اشارة الى « سائر البلاد العربية » .

وأما فى خطبة العرش فى عام ١٩٣٨ ، فقد القى الملك غازى خطابا ورد فيـــه ان الجهود التى بذلتها الحكومة العراقيـــة بشأن فلسطين « تدعو الى الارتيـــاح والاعتقاد بالوصول الى حل مرض يصون حقوق العرب فى فلسطين فى القريب العاجل » (١٢٥) .

وكان جميل المدفعى يرى أن استئناف الثورة قبل التـــاهب لها مدعاة للفشل وان وضع العراق لايساعد على مساعـــدة الثورة ، وان الطرق السياسية أنفع ، وانه كان اجدى بالثوار أن ينتظروا حتى تشترك ســـوريا بعد اســـتقلالها مع العراق فى مساعدة فلسطين مساعدة فعلية ، كما أنه كان حريصـــا على عدم اغضـــاب الانجليز لأن علاقة العراق لم تكن طيبة بايران وتركيا ، بل ان جميل المدفعى كان يحاول أحيانا تدعيم موقفه الداخلى عن طريق التظاهر بمحاولة ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، فقد كان متخوفا على حكومته من نورى السعيد ، فأراد ابعاده عن بغداد ، فاقترح عليه أن يذهب الى لنـــدن وزيرا مفوضـــا للعـــراق ليكون على اتصـــال مع رجال السياسة البريطانيـــة بشأن القضـــية الفلسطينية ، لـــكن نورى السعيد رفض هذا العرض .

وحدث فى ٣ اغسطس ١٩٣٨ ان رفضت حكومة المدفعى عقد اجتماع من اجل فلسطين ، والتقى طـــه الهاشمى بالمـــدفعى وأوضـــح له ضرورة القيـــام بمظاهرة صـــاخبة لحمل الحكومة على الاحتجاج على السياســـة

البريطانية فى فلسطين ، فقال جميل أنه يعمل سياسيا وانه يريد أن يظهر للانجليز أن الأمة ناقمــة وان الحكومة تشدد عليها ، وقال للهاشمى : اكتبوا فى الجرائد ان الحكومة منعت الاحتجاج (١٢٦) .

وقد تحدثت احدى صحف العراق عن موقف حكومة المدفعى من قضية فلسطين ، فأشارت الى أن هذه الحكومة حاولت أن تصــد الشعور عن فلسطين لـكنها لم تفلح ، ثم عطلت جريدتين لمعـالجتهما قضيتى فلسطين وســوريا (١٢٧) .

وكان لحكومة المـدفعى دور فيما عرف بمشروع نيوكمب ، ففى صيف ١٩٣٨ ذهب الى بغداد الـكولونيل نيوكمب عضو مجلس العموم البريطانى يحمل مشروعا رآه ملائما لحل القضية الفلسطينية ، وقيل ان الرجل لهعلاقة وثيقةببعض اعضاءالحكومة واليهود البريطانيين والأمريكيين ، والفلسطينيين سيما المعتــدلين منهم (١٢٨) . واستقبله جميل المـدفعى وبحث معــه فى قضية التوسط واصدر جميل تعليماته الى نورى السعيد وناجى السويدى ليكونا وسطاء بين زعماء فلسطين ونيوكمب ورئيس الجامعة عبرية (١٢٩) . وقام ناجى السويدى ونورى السعيد بتقديمه الى اللجنة العربية العليا .

وكان مشروع نيوكمب يقوم على تأسيس دولة فلسطينية ذات سـيادة تستمر بريطانيا فى ادارة شئونها لمدة يتفق عليها ، ويتسع اشتراك العرب واليهود فى الحكم تدريجيا ، وتضمن الحكومة البريطانيــة مصالح الطوائف المختلفة التى يكون لها صــلاحيات واسعة فى أمورها الطائفية ، كما يكون للبلديات فى المــدن والقرى العربيــة واليهودية لا مركزية واســعة ، ولا يتجاوز عدد اليهود فى فلسطين ماهو موجود فى ذلك الوقت ، وتصـــان المصالح البريطانية المشروعة (١٣٠) .

واقترح نيوكمب أيضــا عقد مؤتمر عــربى يهودى للتفــاهم بشــأن قضيتهم على أن تسمح الدول العربيــة بهجرة يهودية معقولة الى بلادها ، فوجهت اليــه النصيحة بالتركيز على مشروعه ، وناقشت اللجنة العربيــة العليا ورجلا العراق هذا المشروع حيث ادخلت عليه بعض تعديلات ، وأخذ نيوكمب المشروع المعدل وعاد الى لندن (١٣١) .

ويفهم من رسالة خاصة أرسلها محمد عزة دروزة الى عونى عبدالهادى فى ٤ سبتمبر ١٩٣٨ ان القيـــادة الوطنية كانت موافقة على هذا المشروع، وأن مقترحات نيوكمب قـــد وضعها العرب فى صيغة واضحة وانها فيما يتعلق بجوهر المطالب العربية كانت حاسمة وواضحة (١٣٢) .

وحدث فى مطلع اكتوبر ١٩٣٨ أن سافر المندب السامى فى فلسطين الى لندن حيث التقى بتوفيق السويدى وزير خارجية العراق ، وكان قد دعى الى لندن لبحث مسائل تتصل بتعاون العراق مع بريطانيا وسط تكهنات بنذر حرب عالميـــة وقيل ان الوزير العراقى كان يحمل فى جعبته خطة وضعها نورى السعيد وهى لاتختلف عما جاء فى مشروع نيوكمب (١٣٣) .

ويبدو أن مواقف حكومة جميل المدفعى خاصة بالنسبة لقضية فلسطين قـــد أثارت الضـــباط الأحرار بالعراق ، فيذكر صـــلاح الدين الصباغ ان الجيش تدخل فى اســـقاط حكومته لأســـباب عـــديدة منها احجامه عن مد ثورة فلسطين بالمساعدة ، وان جميل كان صـــديقا حميما لحاييم ناثانيـــال الصهيونى الواسع الثراء وجليسه على موائد الخمر والميسر (١٣٤) .

فلما استقالت وزارة المدفعى وخلفتها وزارة نورى الســـعيد الثالثـــة والرابعـــة والخامسة (ديسمبر ١٩٣٨ الى مارس ١٩٤٠) واصلت سياسة الاتصالات الدبلوماسية والمفاوضات خاصة وان نورى السعيد كان من أشد انصـــار بريطانيا ومن معارضى امداد الثورة الفلسطينية بالمال والسلاح، وقـــد تمثلت مواقف العراق الرسمية من القضية الفلسطينية خلال هـــذه الفترة فى الاشتراك فى مؤتمر لندن (١٣٥) .

وعندما صـــدر الـــكتاب الأبيض فى مايو ١٩٣٩ لم يسع العراق الا مشاركة الفلسطينيين فى رفضه ، لكن توفيق السويدى نصح الفلسطينيين بعدم التسرع فى رفضـــه وان قبوله ليس فيـــه ضرر لقضيتهم (١٣٦) . ويذكر صـــلاح الدين الصـــباغ انه بعد نشر بريطانيـــا للـــكتاب الأبيض وتوقعا من أن بريطانيا لن تتمسك بوعودها للعرب كعادتها فقد جهز فوزى القاوقجى سرا بألف بنـــدقية ومائة الف طلقـــة والف حقيبة وتجهيزات أخرى مما يحتاج اليـــه الجنود وأن صـــلاح الدين الصـــباغ تسلم السلاح والعتاد بنفسه وبموافقة طه الهاشمى بزعم انه امدادات لعشائر الحدود فى منطقـــة

الفرقة الثالثة ثم سلمه للقاوقجى مع مقدار من الدنانير فى حضور عادل العظمة .

ويضيف الصباغ بيانات اخرى تدلنا على ذلك الدور الهام الذى قام به الضباط الأحرار فى العراق من اجل دعم الثورة الفلسطينية ، وأن فهمى سعيد وكامل شبيب كانا يشرفان على تدريب المجاهدين من احرار فلسطين تدريبا عسكريا يجرى بصورة سرية فى معسكر الرشيد (١٣٧) .

ولقد كان العراق مستعدا للتضحية حتى بسلامته من اجل ايجاد حل لقضية فلسطين ، فقد عرض العراق على بريطانيا اقتراحا بشأن دخول الحرب الى جانب بريطانيا لقاء قيام الحكومة البريطانية بحل القضية الفلسطينية (١٣٨) .

سوريا

كان الفلسطينيون طوال الاشهر السابقة لاضرابهم فى ابريل ١٩٣٦ يهمتون بتتبع احداث سوريا واستنكار المظالم النازلة بها ، ذلك لأنهم يعتبرون انفسهم ابناء القسم الجنوبى من سورية ، وقد تجلى هذا الاهتمام فى برقيات الاحتجاج التى ارسلت من الهيئات الوطنية فى فلسطين الى عصبة الأمم وتناصل الدول والحكومة الفرنسية وفى الاجتماعات الشعبية التى عقدت فى نابلس وحيفا والقدس ، وفى المظاهرات التى قامت فى القدس ونابلس وحيفا ، وفى الأحكام التى صدرت على طلاب القدس ونابلس لتحريضهم على الاضراب ، وفى الاعانات المالية التى جمعها عرب فلسطين لعائلات الشهداء السوريين (١٣٩) .

وتشير التقارير الدورية البريطانية الى ان عرب فلسطين تابعوا بحماس تطور الأوضاع فى سوريا وكانوا متأثرين باخبار المظاهرات والاضرابات ، كما كانوا راغبين فى تنظيم مظاهرات مماثلة تعبيرا عن تعاطفهم مع سوريا ، وانه القيت الخطب فى المساجد كما شنت الهجمات على الاستعمارين الفرنسى والبريطانى .

وقد زارت فلسطين فى ذلك الوقت شخصيات سورية ، اما لاقامة علاقات مع السياسيين الفلسطينيين وتشجيع التعاطف مع سوريا او

لارسال احتجاجات من فلسطين نظرا لتعذر ارسالها من سوريا ، وأضرب عرب فلسطين فى ٤ فبراير تضامنا مع سوريا ، فاغلقت المحلات التجارية وتوقف النقل فترات قليلة (١٤٠) .

وكان قادة حزب الاستقلال العربى الذى يرأسه عونى عبد الهادى اكثر الجماعات الفلسطينية اهتماما بأحداث سوريا ، فنظموا الاجتماعات لمساعدة السوريين ، وكان لتنازلات الحكومة الفرنسية نتيجة للاضراب والمظاهرات اثرها فى اقتراح القيام بنشاط مماثل فى فلسطين (١٤١) .

وعندما توصلت المباحثات الفرنسية السورية الى مرحلة حرجةابدت جماعة حزب الاستقلال ومجموعات الشباب المستقلين فى فلسطين نشاطا قليلا بشأن سوريا ، كما كان السوريون غير مستعدين لمناقشة المشروعات العربية العامة أو المشكلة الفلسطينية حرصا على نجاح المفاوضات (١٤٢).

وكانت الفكرة السائدة فى الأوساط الوطنية فى فلسطين فى بداية الاضراب اقتفاء اثر سوريا فى اضرابها الأخير الذى دام نحو شهرين واثر ثمرة حسنة ، وأن لا حياة لفلسطين الا اذا قدمت من التضحيات مايتكافأ والأمانى التى تعمل على تحقيقها (١٤٣) .

وعندما بدأت الأعمال الثورية فى فلسطين كانت القضية السورية اذ ذاك فى ابان أزمتها ، ولم تكن المعاهدة التى نشأ عنها العهد الوطنى الأول قد وقعت بعد (وقعت فى ٩ سبتمبر ١٩٣٦) كما أن الحكومة الوطنية لم تقم الا فى نوفمبر ١٩٣٦ ، أى بعد انتهاء المرحلة الأولى من ثورة ١٩٣٩/٣٦ (١٤٤) .

لكن ذلك لم يحل دون مشاركة أبناء سوريا لاخوانهم عرب فلسطين ، ففى ٢٤ ، ٢٥ ابريل ١٩٣٦ — أى بعد اعلان الاضراب فى فلسطين بعدة ايام — اضربت عدة مدن سورية ، وقامت مظاهرات عديدة، واصدرت الكتلة الوطنية بيانا دعت فيه الشعب السورى الى جمع التبرعات لضحايا فلسطين ، واقام الشعب العربى فى سوريا يوما باسم فلسطين فى ٢٦ ابريل ، ٢٥ مايو جمعت فيه التبرعات لمؤازرة الثورة ، وظلت حركة جمع التبرعات مستمرة .

وعنـدما التحق المجاهـدون العرب بالثورة الفلسطينية خلال شـهر اغسطس ١٩٣٦ كان منهم عشرات من ابناء الأقليم السورى وعلى راسهم نخبة من القـادة مثل سعيد العـاص والشيخ محمد الأشمر وحمد صعب، وقد استشهد كثير منهم فى معارك فلسطين (١٤٥)

وقامت الهيئات الرسمية والوطنية بتقديم الاحتجاجات على المظـالم النازلة بعرب فلسطين ، ومنعوا تصـدير المواد الغذائية لليهود استجابة لقرار المقاطعـة ، وارسل بطريرك العرب الأرثوذكس فى انطاكية وسائر المشرق بدمشق مذكرة الى رئيس اساقفة كنتربرى فى لندن والى وزارتى الخارجية والمستعمرات البريطانية يلفت النظـر الى حراجـة الموقف فى فلسطين (١٤٦) .

وتحسن الموقف السورى من الثورة بعـد توقيع الاتفـاق السورى الفرنسى فى ٩ سبتمبر ١٩٣٦ ، فيشير تقرير دورى بريطانى الى انه أعقب ذلك تأييد كبير من القوميين السوريين (الـكتلة الوطنية) لعرب فلسطين فى مسائل المال والسلاح والرجال (١٤٧) .

وتوضح مذكرة اعدتها وزارة الخارجيـة البريطانيـة فى ١١ فبراير ١٩٣٧ موقف السلطة المنتـدبة فى سوريا وعرب سـوريا من الثورة ، فتذكر أن فرنسا لا يمكن أن تسمح بمساعدة كبيرة ترسل الى الثوار ،وانها حريصة على تأييد بريطانيا لها بصورة عامة . واما عن مشاعر المسلمين فى سـوريا فلا يستبعد التقرير أن يؤدى قيـام ثورة فى فلسـطين الى حدوث ثورة فى سوريا (١٤٨) .

وعندما بدأت حكومة الانتداب فى فلسطين فى اعتقـال الشخصيات الوطنية شمل الاعتقال رجلين سوريين من ابنـاء حزب الاستقلال القديم وهما نبيه العظمة وسامى السراج (١٤٩) .

ويبدو أن ماقدمته سـوريا لفلسطين من مساعدات مختلفة كان ضئيلا حتى منتصف عام ١٩٣٧ بالنسبة لمـا هو متوقع منها ، فهـذا هو احسان الجابرى يخطب فى الجموع التى استقبلته فى دمشق بعد عودته من جنيف « ... فانا لا اطلب منكم تجريد الحملات ولا تجييش الجيوش ، ولكن الذى ارجوه هو أن تمدوا فلسطين بأموالـكم واقلامكم ، واعلموا أن هذا ليس تعطفا ولا فضلا ، بل هو دفاع عن انفسكم وعن تراثكم ومجدكم » (١٥٠) .

وعندما أعلن مشروع التقسيم عام١٩٣٧ كان غضب الشعب السورى كبيرا فاجتمع القوميون العرب فى دمشق واذاعوا بيانا فندوا فيه التقرير البريطانى ، وكتبت الصحف السورية مقالات استنكارية لمشروع التقسيم، واعلن اضراب عام فى جميع المدن السورية وأرسلت الهيئات السورية والشخصيات البارزة برقيات الاحتجاج .

اما عن الموقف الرسمى فيلاحظ انه كان هادئا فاترا ، فقد أدلى جميل مردم رئيس الوزارة السورية بحديث قال فيه ان موقف سوريا لايختلف عن بقية البلدان العربية وانها لا ترضى بالتقسيم ولا باخراج أى جزء مهما صغر من حظيرة العروبة ، ولن تتوانى عن القيام بما يجب للحيلولة دون تنفيذ المشروع ، ووضعت الحكومة السورية مذكرة ارسلتها الى عصبة الأمم (١٥١) .

ويوضح تقرير مرسل من القنصلية البريطانية فى دمشق فى أعقاب اذاعة تقرير اللجنة الملكية أن السياسيين السوريين معادون تماما لفكرة التقسيم ، ولكن من غير الصحيح أن يقال — رغم مذكرة الخارجية السورية — ان الرأى العام فى سوريا مجمع على رفضه للتقسيم ، فهناك عدد قليل جدا من السوريين ينظرون باستخفاف كبير الى القضية، كما يوجد سوريون اكثر من هؤلاء مشغولون بارتفاع أثمان المواد الغذائية ونقص الأعمال المربحة ، ولكن نظرا لأن دمشق مازالت المصدر الرئيسى للأفكار العربية العامة فان الفكر السياسى السورى هو عامل يحسب حسابه (١٥٢) .

وعقد فى بلودان بسوريا فى ٨ سبتمبر ١٩٣٧ أول مؤتمر عربى عام يعقد بعد الثورة من اجل فلسطين ، وكان عقده بمساعى لجنة الدفاع عن فلسطين بدمشق واللجنة العربية العليا (١٥٣) .

ورغم ان المعاهدة السورية الفرنسية التى عقدت عام ١٩٣٦ قضت بدخول الدولة السورية عصبة الأمم عام ١٩٤٠ ، لكن ذلك لم يمنع سوريا من محاولة أداء دورها السياسى فى جنيف ، فأرسلت الدكتور الشهبندر فى شهر سبتمبر ١٩٣٧ الى هناك ممثلا رسميا لها ليشترك مع مندوبى الدول العربية فى الدفاع عن فلسطين (١٥٤) .

وعندما استؤنفت الثورة فى سبتمبر ١٩٣٧ كانت سوريا مصدرا رئيسيا من مصادر تموين الثورة ومركزا من مراكز ادارتها وتوجيهها ، وكان هناك نشاط كبير لجمع التبرعات وتنظيم موارد الثورة ، وكان لنبيه العظمة دور كبير فى ذلك (١٥٥) . وخلال نفس الشهر توجه الوطنيون السوريون الى القنصل الالمانى فى بيروت ، ورجوه أن يقدم اسلحة وذخيرة للثورة العربية فى فلسطين للحيلولة دون تقسيم البلاد (١٥٦) .

ورغم ظروف الثورة الفلسطينية وحالة الأهالى السيئة ، لكن فلسطين لم تتأخر عن مساعدة سوريا عندما اجتاحتها السيول فى أواخر ١٩٣٧ ، وسارع عرب فلسطين الى جمع التبرعات لمنكوبى السيول (١٥٧).

وخلال المرحلة الثانية من الثورة كان لزعماء الكتلة الوطنية بقيادة شكرى القوتلى وسعد الله الجابرى مواقف وطنية دفاعا عن مجاهدى فلسطين ، كما كان لبعض زعماء الأكراد والمجاهدين السوريين وبعض الضباط السوريين أدوار ومواقف من الثورة الفلسطينية ورجالها . وشارك بعض المجاهدين السوريين فى معارك تلك المرحلة ، كما حكم على بعضهم بالاعدام ونفذ الحكم فى اثنين من المجاهدين فى أوائل سبتمبر ١٩٣٨ ، واشتهر بعض مجاهدى سوريا بميزات خاصة اثناء المعارك مثل خبرتهم فى مجال الألغام (١٥٨) .

وكان المكتب العربى فى سوريا يقوم بالدعاية اللازمة لتحذير أهل سوريا من شراء المنتجات والمصنوعات اليهودية ويدعوهم الى مقاطعتها مناصرة للحركة العربية فى فلسطين (١٥٩) . وقد دعا ذلك احدى الصحف اليهودية الى تحذير السوريين واللبنانيين من مغبة الاستمرار فى مقاطعة البضائع اليهودية حتى لا يضطر اليهود الى مقاطعة منتجات البلدين ومصايف لبنان التى يؤمها الألوف من اليهود سنويا (١٦٠).

وقد رحب الشعب السورى بفكرة عقد مؤتمر للبرلمانات العربية فى القاهرة ، ودعا الى قيام هذا المؤتمر بدور ايجابى لتخفيف الضغط البريطانى على فلسطين بارجاء أى تعاون اقتصادى بين بريطانيا والعالم العربى حتى توقف بريطانيا دعمها للاطماع الصهيونية فى فلسطين (١٦١) . وعبر نبيه العظمة عن هذا المعنى فى أواخر ١٩٣٨ عندما اذاع بيانا — أحدث دويا فى الصحف الأوروبية — قال فيه « اذا

اضرت انكلترا على موقفها فسوف تزحف عشرات الألوف من العرب لنجدة اخوانهم عرب فلسطين وانقاذهم من ظلمها » (١٦٢) .

أما على المستوى الرسمى فيلاحظ أن الحكومة السورية كانتمتحفظة فى سياستها تجاه القضية الفلسطينية ، ففى تصريح لجميل مردم رئيس الوزارة السورية فى أوائل أغسطس ١٩٣٨ أعلن أن الحكومة السورية قد منعت عقد المؤتمر الفلسطينى فى سوريا وأنها ستبقى متبعة هذا الموقف ، لكنها لا تستطيع الوقوف بمعزل عن الحوادث التى تجرى على الحدود السورية ، وانه يأمل حصول تسوية سريعة لمشكلة فلسطين (١٦٣) ولهذا السبب نفسه فان الدعوة لم توجه الى سوريا لحضور مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ لأن الحكومة الفرنسية أبدت تحفظا على حضورها (١٦٤) .

من هذا يتبين لنا أنه رغم مشاعر الشعب السورى الجياشة بالنسبة لقضية فلسطين ، فان عدم تمتع سوريا باستقلالها خلال الثورة الفلسطينية (١٩٣٩/٣٦) قد حال بشكل كبير دون أداء دورها الحقيقى تجاه عرب فلسطين .

لبنــــان

عندما قامت الثورة فى فلسطين كانت المناطق الآهلة بالمسلمين فى لبنان اكثر اهتماما وتعاطفا مع عرب فلسطين ، فتكررت المظاهرات والاضرابات فى طرابلس وصيدا وصور بشكل خاص ، وتسرب مسلحون عديدون من اهل هذه المناطق ، وجمعت بعض التبرعات وشاركت فيها بعض الطوائف المسيحية (١٦٥) . واحتفلت مدينة بيروت بمرور مائة يوم على الثورة فى فلسطين (١٦٦) .

وشاركت بعض القبائل اللبنانية فى الثورة ، فقد أصدرت السلطة الفرنسية قرارا فى منتصف اغسطس ١٩٣٦ باسقاط لقب رئيس عشيرة عن الشيخ برجس بن دهيب رئيس عشيرة « سباعة عبيدة » واسقاط مخصصاته بعد أن ثبت لها انضمامه الى ثورة فلسطين (١٦٧) . كما ساهم معروف سعد مساهمة فعالة فى الثورة بارسال الأسلحة والذخائر الى فلسطين وحماية الثوار اثناء وجودهم فى لبنان (١٦٨) .

وكان القادة الصهيونيون فى فلسطين يضعون أعينهم على لبنان منذ وقت مبكر ويتحينون الفرص للانقضاض عليه ، ففى حديث طويل جرى بين المندوب السامى واكهوب وبين الدكتور وايزمان ليلة ١٣ ديسمبر ١٩٣٦ أشار وايزمان الى أن عرب فلسطين اصبحوا جميعهم متطرفين وأنهيوجد فى سوريا ولبنان والعراق عديد من الرجال المتفهمين ذوى الادراك وأن مستر بلوم واللبنانيين يرحبون باليهود فى لبنان ، فسأله المندوب السامى عما اذا كان يقصد بذلك مستوطنات يهودية كبيرة أو مجرد خبراء ، فأجاب وايزمان « بالتأكيد خبراء واحتمالا مستوطنات » وقد علق المندوب السامى على ذلك بأن لبنان ليست فلسطين لكن اليهود سينظرون اليها باعتبارها افضل المكاسب القادمة خاصة المنطقة القريبة من صور وصيدا (١٦٩) .

وكان هناك علامات متعددة خلال الثورة على مساع متكررة يبذلها اليهود لفتح أبواب لبنان لمشروعاتهم ، وقيل يوما أن المفاوضات دارت فعلا ، كما كان يبدو أحيانا فى بعض الأوساط اللبنانية عدم وضوح الخطر اليهودى لهم وقلة الاكتراث به بل والميل الى التمهيد له .

ونظرا لتنبه القيادة السياسية فى فلسطين فى ذلك الوقت الى مايهدد لبنان فقد اصدرت قبيل اذاعة تقرير اللجنة الملكية بأيام بيانا « من فلسطين المصابة الى لبنان المعافى » تحذر فيه لبنان وتنذره وتدعوه الى الاستفادة من تجربتها والاتعاظ بما حدث لها (١٧٠) .

وعندما صدر مشروع التقسيم عقدت بعض الاجتماعات الكبيرة لاستنكار التقسيم ، وأرسلت برقيات التأييد الى اللجنة العربية العليا، وشاركت بعض المدن اللبنانية فى الاضراب العام الذى أعلنته المدن السورية (١٧١) ، وتعاطفت بعض الصحف اللبنانية — مثل جريدة النداء — مع عرب فلسطين حتى أصدرت حكومة فلسطين قرارا بمنعها من دخول البلاد (١٧٢) .

وكان موقف لبنان الرسمى لايزال متحفظا حتى نهاية يوليو ١٩٣٧، فكتب كاظم الصلح مقالا فى ٢٩ يوليو قال فيه ان جميع الحكومات والهيئات فى العالم العربى قد توحدت ضد مشروع التقسيم — ولو ظاهريا — باستثناء حكومة لبنان ، مع أن لبنان هو أحرى البلاد بهذا

الموقف لأنه القطر الأكثر التصاقا بفلسطين (١٧٣) . كما كان للحكومة اللبنانية فى ذلك الوقت مواقف تستدعى النظر ، فقد حدث قبيل عقد مؤتمر بلودان أن منعت الحكومة اللبنانية سفر أفراد الكشافة الوطنية فى بيروت الى بلودان بينما سمحت لكشافة يهودية من سورية بالقيام بجولة فى لبنان وأعطتهم ترخيصا بحق التجول فى جميع الأراضى اللبنانية (١٧٤) وعندما سافر المجاهد الفلسطينى محمد على الطاهر من القاهرة الى سوريا لحضور مؤتمر بلودان منعته الحكومة اللبنانية من النزول فى ميناء بيروت ثم سمحت له بذلك بعد اتصالات قامت بها بعض الشخصيات الوطنية بشرط أن يتجه فورا الى بلودان .

وعندما عقد مؤتمر بلودان فى ٨ سبتمبر ١٩٣٧ شارك ممثلو لبنان فى حضور المؤتمر ، وحدث فى الجلسة التى عقدت فى ١٠ سبتمبر أن وقف سعيد ثابت أحد ممثلى العراق ووجه اللوم الى لبنان فحدثت ضجة كبيرة فى المؤتمر ، ووقف الياس صهيون (فلسطينى من يافا) وحمل حملة شعواء على اللبنانيين وعلى زعماء لبنان الدينيين لعملهم على توجيه لبنان وجهة غير عربية فأسكته المؤتمرون (١٧٥) .

لكن عرب لبنان رحبوا بأمين الحسينى عندما لجأ اليهم فى أكتوبر ١٩٣٧ ، ولقى منهم خلال اقامته بينهم مابين عامى ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ كل حفاوة واهتمام (١٧٦) . وطالبت الوفود برفع الرقابة عنه (١٧٧) .

ونشطت فى أعقاب اذاعة مشروع التقسيم محاولات بعض العائلات اللبنانية للتخلص مما بقى لهم من أرض فى فلسطين تخوفا من احتمالات الموقف وحرصا على تحقيق مزيد من الأرباح ، فنقرأ فى الصحف فى تلك الفترة كثيرا من أخبار تلك المحاولات ، فقد نشرت الصحف المصرية أن أمهات الصحف العربية فى بغداد نشرت صورة للاتفاقية الموقعة بين خير الدين الأحدب رئيس الحكومة اللبنانية وبين الصهيونيين (١٧٨) ؛ وتم فى تلك الفترة بيع منطقة الحولة فى فلسطين من سليم على سلام أحد أغنياء بيروت الى اليهود (١٧٩) . وبيعت حصة يملكها الأمير أحمد شهاب شقيق الأمير خالد شهاب رئيس الوزارة اللبنانية فى أراضى الناعمة بالحولة الى احدى الجمعيات الصهيونية (١٨٠) .

ورغم هـــذه الظروف فقد كان لبنـــان خلال المرحلة الثانية مصدراً من مصادر تموين الثورة وادارتها ، كما التحق بالثورة عدد من ابنـــائه ، وكان أهل لبنان يتجاوبون مع عرب فلسطين فى نضالهم ، وشاركوا علماء سوريا فى عقد مؤتمر كانت القضية الفلسطينية من أهم موضوعاته (١٨١).

ومع تطور الأمور فى فلسطين خلال عام ١٩٣٨ كان اهتمام اللبنانيين بالقضـــية الفلسطينية يتزايد ، فقـــد وزعت فى أوائل فبراير ١٩٣٨نشرات بتوقيع الشباب الوطنى فى بيروت تدعو الى مقاطعة البضائع الصهيونية والانجليزية (١٨٢) . وفى ١٨ فبراير يقرر فريق من تجار بيروت مقاطعـــة البضائع اليهودية والانجليزية ويتخذون قرارا أرسلوه الى وكلاء المصـــانع الانجليزية واليهودية اعلنوا فيـــه مقاطعتهم هذه البضـــائع تلبية لما يدعو اليه الواجب نحو اخوانهم عرب فلسطين (١٨٣) .

وفى ابريل ١٩٣٨ وقع فريق من سكان بيروت عريضـــة رفعوها الى ملوك العرب وأمرائهم حملوهم فيها المسئولية وطالبوهم بعمل جدى حاسم من اجل فلسطين بعد أن اخفقت الوســـاطة والاتصـــالات الودية (١٨٤) . واضربت مدينـــة بيروت فى ٢٩ يوليو احتجـــاجا على أحـــداث فلســـطين الأخيرة (١٨٥) .

ونتيجة لحملة بعض الصحف اللبنانيـــة على اليهود ونتيجـــة لرجاء اتحاد أصحاب الفنادق فى لبنـــان قابل المســـئولون فى « شركة تشجيع السياحة » رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ، ولفتوا أنظارهمـــا الى الضرر البـــالغ الذى تتعرض له مصـــايف لبنان نتيجة لحملات الصـــحف المـــذكورة (١٨٦) .

وقد كان هناك عوامل عديدة تؤثر فى سياسة لبنـــان ومواقفها من القضايا العربيـــة فى تلك المرحلة . فعلاوة على النفوذ الأجنبى والسيطرة الصهيونية على كثير من المرافق والمؤسسات فهناك أيضا مايعتقده بعض اللبنانيين من أن ظروف لبنـــان الخاصة تحتم عليه أن يتبنى سياسةعربية معتدلة لا تقحمه أو تورطه فى أية مشاكل عربيـــة ، ولم يجد هذا الفريق حتى فى ظروف الثورة الفلسطينية مايخرجه عن هـــذا الخط الواضـــح ، فخلال شهر يوليو ١٩٣٨ وجه رئيس المجلس النيابى اللبنـــانى دعوة الى

فريق من النواب لاستشارتهم فى مسألة اشتراك لبنان فى المؤتمر البرلمانى العربى الذى سيبحث مسألة فلسطين ، وكان النواب ينقسمون الى فريقين : الأول يفضل بقاء لبنان على الحياد بسبب وضعه الجغرافى والسياحى ، والفريق الثانى يؤيد الاشتراك فى المؤتمر ويرى ان على لبنان أن يقوم بدوره فى المجال العربى (١٨٧) .

أما عن موقف الحكومة اللبنانية فى تلك الفترة ، فلم يعرف عنها خلال الثورة اية مواقف ايجابية تجاه عرب فلسطين ، بل كانت تتصرف وفقا لما تريده السلطة المنتدبة حتى ولو كان متعارضا مع مشاعر عرب فلسطين، وعندما عقد مؤتمر لندن فى أوائل ١٩٣٩ لبحث المسألةالفلسطينية لم توجه الدعوة الى لبنان لحضور المؤتمر ، لأن الحكومة الفرنسية ابدت تحفظا على ذلك (١٨٨) . وعندما نشر الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ أذاع القوميون فى لبنان بيانا الى الجماهير أوضحوا فيه أن بعض أعوان الانجليز يريدون عقد مؤتمر لتحسين أمر هذا الكتاب للجماهير العربية، واتهم البيان هؤلاء الأعوان بأنهم يأخذون من الوكالة اليهودية مبالغ طائلة ، وان القوميين فى لبنان لن يقبلوا اى حل لا يؤمن للامة العربية كرامتها ومصلحتها (١٨٩) .

وقد شهدت الفترة التالية لنشر الكتاب الأبض نشاطا مكثفا لليهود لشراء الأراضى فى جنوب لبنان تمهيدا لربطها بمستعمراتهم الواقعة فى شمال فلسطين وادخال مهاجرين يهود الى جنوب لبنان حتى يمكن الغاء الحدود بين شمال فلسطين وجنوب لبنان فى المستقبل (١٩٠) . ويؤكد جيفريز صحة هذه المحاولات حيث يذكر أن دوائر عليا معينة كانت ترمى الى أن يكون الصهاينة سادة الجليل ، وأن تعطيهم حدودا متاخمة للبنان ، وأن الصهاينة كانت لديهم مطامع أكبر ، فقد كانوا يأملون أن تسحق سوريا العربية بين شقى رحى يتألف من لبنان المتصهين ومن أتراك يهبطون عليها من الاسكندرونة (١٩١) .

شرقى الأردن

كانت امارة شرقى الأردن تدار على أساس صك الانتداب على فلسطين ، لكن المواد المتعلقة بتأسيس الوطن القومى اليهودى لم تكن تطبق عليها (١٩٢) .

وكان نظام الأمير عبد الله أحد الوسائل التى اعتمدت عليها بريطانيا فى مقاومتها للحركة الوطنية فى فلسطين ، ومن هنا فان بعض القيادات العربية كانت تعتبر تصفية النظام القائم فى شرقى الأردن هو نقطة البداية لاشعال نار الثورة فى فلسطين ، فيروى القاوقجى فى مذكراته أن فكرة احداث ثورة فى شرقى الأردن كانت تشغل الأذهان منذ نهاية الثورة السورية ، لكن التخوف من تعاون بريطانيا وفرنسا لقمع الثورة كان سببا فى تأجيل تنفيذ المشروع ، الى أن تقرر تنفيذ الفكرة فى ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ عندما دعى القاوقجى الى فلسطين من قبل المفتى ، على أن يبدأ تنفيذها بعد اضطرابات محدودة تحدث فى فلسطين ، ويكون هدف الثورة ازالة حكم عبد الله وتكوين قوة عربية تساعد فلسطين فى ثورتها ، لكن تطور أحداث فلسطين بعد قيام الثورة حال مؤقتا دون تنفيذ الخطة كما هى ، ورؤى بدء العمل بفلسطين واعتبار شرقى الأردن قاعدة احتياطية (١٩٣) .

وقد شارك عرب شرقى الأردن اهل فلسطين عند حدوث الاضراب العام فسارت المظاهرات صاخبة فى عمان وفى بعض المدن فى ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، واقفلت الحوانيت (١٩٤) . ولبى أصحاب السيارات نداء اخوانهم فى فلسطين عندما أعلنوا عن اضراب السيارات عن العمل (١٩٥) .

واجتمعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطنى الأردنى فى منتصف مايو ١٩٣٦ وأرسلت مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية وأخرى مماثلة الى الأمير طالبة منه التدخل تدخلا فعليا باعتبار القضية الفلسطينية فرعا من القضية العربية ، وحلها حلا يتلاءم مع الأمانى القومية (١٩٦) . لكن الذى يلفت النظر فى هذه المذكرة انه يوجد من بين الموقعين عليها عدد من مشايخ شرقى الأردن الذين حاولوا تأجير أراضيهم لليهود عام ١٩٣٣ ، ويعتقد أن مشاركة هؤلاء فى التوقيع على المذكرة كان رغبة فى التشفى من الحكومة المنتدبة فى فلسطين بسبب موقفها من قضية تأجير أراضيهم لليهود عام ١٩٣٣ أكثر منه تجاوبا مع عرب فلسطين .

ومع تطور الأوضاع فى فلسطين خلال الشهر التالى من الاضراب وتأهب عرب فلسطين لحمل السلاح اجتمع بدو شرقى الأردن فى ١٩

مايو١٩٣٦ يحملون السلاح استعدادا لدخول فلسطين ، واعلن مؤتمر عشائر البلقاء تجمع قبائلها لخوض المعركة (١٩٧) . كما عقد فى بلدة « أم العمد » فى السابع من يونيو مؤتمر كبير حضره مئات من أحرار شرقى الأردن بدعوة من اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطنى وجمعوا مالا وسلاحا أرسلوهمـــا مع مقاتلين الى فلسطين (١٩٨) .

وجرت فى أوائل يوليو معارك على الحـــدود بين عدد من مناضلى الأردن والقوات البريطانية سقط فيها عدد من القتلى ، وقام أبنـــاء اربد فى منتصف هذا الشهر بنسف انابيب شركة بترول العراق الانجليزية ، كما هاجم ابنـــاء شرقى الأردن بالتعاون مع بدو بنى حسن قرب اريحا سيارات شركة البوتاس اليهودية ، ووزعت فى اليوم التـــالى منشـــورات ضـــد البريطانيين طلب المندوب السامى على اثرها من الأمير عبد الله ان يذهب بنفسه الى لواء عجلون ليمنع الشعب من الاستمرار فى تخريب الأنابيب ، ودهب الأمير الى اربد يوم ٢٢ يوليو ١٩٣٦ واجتمع برؤساء القبائل ، لكنهم لم يأبهوا لقوله فقد زادت عمليات النسف فى الفترة التالية (١٩٩) .

وخلال الثورة كانت معابر شرقى الأردن وطرقها مجالات طبيعية لحركة المسلحين من اهلها ومن العراق وسوريا ، وعن طريقها عبرت حملتا الأشمر والقاوقجى وحظيت الحملتان من عـــرب شرقى الأردن بالمساعـــدات ابان دخولهما وخروجهما واقامتهما (٢٠٠) .

ويذكر صبحى ياسين ان اكثر أعمال الثورة فى منطقة اريحا — حيث توجد شركة البوتاس اليهودية — كانت مشتركة بين سكان تلك المنطقـــة واهل شرقى الأردن (٢٠١) . كما يذكر القاوقجى أنه وجد فى شرقى الأردن قاعدة لتدعيم حركته وأنه تمكن من الاستفادة بما يقـــارب المـــائة اردنى قاتلوا معه ببسالة فائقة ، وأن أهله كانوا « مستعدين للانضمام والعمل على تسهيل وحماية كل اتصالاتنا مع العراق أو مع سورية عند اللزوم ، وبدون الموقف الذى وقفه الشعب الأردنى فى قتالنـــا مع الانجليز كان يصعب علينـــا تحقيق ماحققناه من انتصـــارات عظيمة » (٢٠٢) . كما يشير تقرير دورى بريطانى الى أن عرب الأردن شـــاركوا فى أعمـــال حـــرب العصابات لسكن بدرجة أقل من اخوانهم فى سوريا أو العراق (٢٠٣) .

وحاول الأمير وقف الاضراب والثورة ، ولم يخف نقمته الشديدة على استمرارها ، فمنع شباب الأردن من اللحاق بالمجاهدين ، واتصل بأقطاب المعارضة فى فلسطين ، ثم عقد اجتماعا حضره أنصار الحكومة وعدد من كبار الموظفين فى حكومة الانتداب تقرر فيه التعاون والعمل على حل الاضراب (٢٠٤) .

وطلبت السلطة من قوة الحدود فى شرقى الأردن أن تنتقل الى فلسطين لتسهم فى قمع الثورة فتمرد جميع افرادها وقبض على أحد الضباط الوطنيين واصدر مفتى الجراكسة فى الأردن فتوى دينية تحرم مقاتلة المسلم للمسلم ، وكان لهذه الفتوى اثرها فى سريان روح التمرد الى جنود الأردن (٢٠٥) . لكنه رغم ذلك فقد قاتلت بعض فصائل الجيش الأردنى المجاهدين فى منطقة بيسان وطبرية ، وكانت تقوم على حراسة مشروع روتمبرج وغيره من المنشآت اليهودية (٢٠٦) .

وكانت حكومة شرقى الأردن تضيق الخناق على مجاهدى فلسطين الذين يلجئون الى الأردن ، ففى يوليو ١٩٣٦ اعتقلت السلطة فى الأردن سليم عبد الرحمن وطلبت منه الخروج من الأردن فاختار العراق ، وأخرجته السلطة تحت حراسة قوة من البادية تركته داخل حدود العراق (٢٠٧) .

وكان الأمير عبد الله دائم الاتصال بالمندوب السامى خلال الثورة محاولا القيام بدور الوساطة ، ولم يكن أمينا فى نقل مطالب عرب فلسطين الى المندوب السامى ، فقد حدث أن زارته بعض وفود فلسطين وعبرت له عن مطالبها الأساسية التى تنحصر فى وقف الهجرة وقفا تاما كبادرة لاظهار حسن نية الحكومة فى تحقيق باقى المطالب ، لكنه أرسل رسالة الى المندوب السامى محرفا مطالب وقف الهجرة الى النظر فى ايقاف الهجرة مؤقتا ، وأرسلت اللجنة العربية العليا اليه تنبهه الى هذا التحريف (٢٠٨) .

ويشير تقرير دورى بريطانى مؤرخ فى ١٨ أغسطس ١٩٣٦ الى أن الأمير يواصل جهوده للتأثير على مختلف أعضاء اللجنة العربية العليا والسياسيين الآخرين للمساعدة فى استعادة النظام ، كما يفهم من التقرير أن الأمير كان حريصا على احداث شقاق بين القوى السياسية الرئيسية فى

فلسطين . فعندما أراد التوسط ودعا الى اجتماع بعمان فى ٥ اغسطس ١٩٣٦ لم يكتف بدعوة أعضاء اللجنة العربية العليا ، بل دعا ايضا الى الاجتماع ببعض مؤيدى عصبة النشاشيبى من خصوم امين الحسينى حتى يزيد من أنصار سياسة الاعتدال ويسبب حرجا لمجموعة الحسينى، مما كان له اثره على الجو العام للمناقشات (٢٠٩) .

وكان الأمير حريصا ايضا عن الايقاع بين القيادتين السياسية والعسكرية للثورة ، ومحاولة الحصول على معلومات عن امكانات الثوار وبث الرعب فى نفوسهم . فيذكر القاوقجى أنه بعد أيام من معركة جبع (٢٤ سبتمبر ١٩٣٦) حمل اليه رسول من قبل الأمير رسالة شفهية فحواها أن الحالة القائمة ستؤدى بفلسطين الى الدمار نتيجة لتعنت اللجنة العربية العليا وعدم قدرتها على ادارة شئون البلاد ، وانه يجب تأليف لجنة عليا أخرى يكون أعضاؤها من أهالى القرى ووجهائها وزعماء المجاهدين حتى تجد من الانجليز تساهلا واستعدادا للتفاهم ، وان الأمير يرغب فى معرفة بيانات عن المجاهدين وقوتهم وانواع أسلحتهم كى يتمكن من مساعدتهم ، وعندما دهش القاوقجى لسماع تلك الأقوال قدم اليه الرسول رسالة رسمية من الأمير تدور حول هذه المعانى وينصح فيها بالدخول فى مفاوضات مع الانجليز قبل أن يقضى على بقيتهم (٢١٠) .

وعندما عاد المجاهدون السوريون بقيادة الشيخ الأشمر الى سوريا عن طريق شرقى الأردن فى نهاية المرحلة الأولى من الثورة وتبعهم القاوقجى ورجاله ، استقبلهم أهل شرقى الأردن بالترحيب والتكريم ، وخشى البريطانيون من وجودهم فى البلاد فطلبوا من الأمير طلال — الذى شارك فى الترحيب بهم — سرعة خروجهم فنفذ طلال ذلك بطريقة مرضية للمجاهدين .

وكان المندوب السامى يستعين بالأمير عبد الله للتأثير على أعضاء اللجنة العربية العليا كلما كان هناك ضرورة لذلك ، فعندما أذاع وزير المستعمرات أن الحكومة ستقترح ايفاد لجنة تحقيق الى فلسطين استدعى المندوب السامى رئيس اللجنة العربية العليا لاقناعه بالتعاون مع اللجنة دون جدوى ، فاتصل بالأمير لمساعدته ، وحاول الأمير معالجة الأمر بأسلوب يبدو فيه الحرص على المصلحة العربية ، لكن اللجنة لم تستجب لتدخله واعلنت مقاطعتها لتلك اللجنة (٢١١) .

وخلال وجود اللجنة الملكية فى فلسطين قدم الأمير اليها مذكرة فى ١٠ يناير ١٩٣٧ حاول فيها ان يتظاهر بانتقاده للسياسة البريطانية ازاء الهجرة غير المشروعة وغيرها من المسائل ، لكنه أكد فيها بشكل صريح ارتباطه الدائم ببريطانيا وولاءه التام لها (٢١٢) .

وكانت الشائعات تدور حول الحلول المنتظرة ، وكان أكثرها احتمالا هو تقسيم فلسطين بين العرب واليهود مع ضم القسم العربى الى شرقى الأردن ، وعندما دعى الأمير الى لندن فى أبريل ١٩٣٧ لحضور حفلات التتويج حدث اهتمام كبير لتوديعه عند سفره ، وكان المعارضون فى فلسطين هم الذين تولوا ذلك تقريبا حيث هيأوا له الاستقبالات فى القدس ونابلس وحيفا مما كان سببا فى زيادة الاعتقاد باحتمال تقسيم فلسطين والرغبة فى تهيئة الأذهان للامير المنتظر (٢١٣) .

وكان حزب الدفاع الوطنى فى فلسطين يعتبر ممثلا لنظام شرقى الأردن داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، ولعل هذا الارتباط كان نوعا من التمويه المقبول بين الطرفين بسبب عدم مقدرة الحزب على كشف علاقته الوثيقة بالانتداب البريطانى فى معركة كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد ذلك الانتداب (٢١٤) .

وفى أثناء وجود الأمير فى لندن ظلت شائعات التقسيم تقوى مما ترك آثارا فى داخل فلسطين ، حتى أن أحد خطباء المسجد الابراهيمى دعا فى خطبته للامير كملك على فلسطين ، وعندما عاد الأمير الى فلسطين حشدت له حكومة عمان والمعارضون فى فلسطين حشودهم ثانية لاستقباله .

وكان عدم اشتراك جماعة الحسينى فى حفلات الوداع والاستقبال مما رسخ الجفاء فى نفس الأمير ، فاتهم أمين الحسينى بعد عدة أسابيع بتدبير حركات شغب وثورة فى شرقى الأردن ، وأرسل رئيس الوزارة الأردنية الى الحسينى كتابا بهذا المعنى ، وقيل ان الأمير أرسل مذكرة الى البريطانيين أيضا نتيجة للنشاط الوطنى الذى ظهر فى الأردن بعد عودته (٢١٥) .

وصدر تقرير اللجنة الملكية فى ٧ يوليو ١٩٣٧ بتقسيم فلسطين ، فاتخذ الأمير عبد الله موقفا مؤيدا للتقسيم ، على أمل أن يتمكن من ضم

القسم الباقى للعرب من فلسطين الى شرقى الأردن (٢١٦) فلقد لمس كثير من الملاحظين انه جرى بين الأمير وبين اللجنة الملكية مباحثات حول التقسيم ، وانه كان موافقا عليه اعتقادا منه أن ذلك هو الحل العملى لتلك القضية المعقدة (٢١٧) . كما تناقلت الصحف العربية والأجنبية اخبارا مفادها ان الأمير عبد الله يفكر جديا فى قبول مشروع التقسيم على أن ينصب ملكا على الدولة العربية المنضمة الى شرقى الأردن ، وقد قال فى حديث صحفى له فى ١٠ يوليو ١٩٣٧ أى بعد أيام على نشر تقرير اللجنة الملكية « ان التقسيم لا يتفق مع الأمانى القومية العربية ، ولكنه الحل الوحيد لانقاذ الموقف وانقاذ مايمكن انقاذه ... ان تأليف دولة عربية جديدة يزيد فى قوة العرب ويضاعف أهليتهم على الصمود فى وجه الدخلاء ويكون مرحلة جديدة فى طريق الأمانى العربية وخطوة نحو الوحدة العربية » ، وسئل الأمير عما اذا كان مستعدا للموافقة على ضم شرقى الأردن الى فلسطين فأجاب أنه « لا يجوز بحث هذه القضية علنا ، ولكنه مستعد أن يقوم بكل مايطلب اليه فى سبيل خير العرب ومصلحتهم » وفى حديث آخر للامير الى جريدة الديلى تلغراف فى ١٢يوليو ١٩٣٧ صرح بما يأتى « ان صداقة الأمة العربية لبريطانيا كانت دائما مفيدة للعرب ، وقد كان العرب يفضلون لو احتفظوا بفلسطين كلها كذى قبل ، ولكن الواجب يقضى عليهم بمجابهة الحقائق الواقعية والتسليم بالأحوال الحاضرة » . وقد أحدثت هذه التصريحات صدى سيئا فى الأوساط الوطنية والعربية ، واخذت بعض الصحف الوطنية تحمل على الأمير وتتهمه بالاتفاق مع الانجليز على حساب فلسطين (٢١٨) .

وعندما اتصلت اللجنة العربية العليا بملوك العرب وحكوماتهم وزعمائهم بشأن قرار التقسيم ، كان الرأى أن يرفض ، لكن الأمير عبدالله كان هو الصوت النشاز فى هذا الموقف (٢١٩) .

وسارعت عمان الى الاتصال بأركان المعارضة فى فلسطين تطلب منهم قبول التقرير ، لكن رجال المعارضة لم يجدوا عندهم القدرة على اعلان موافقتهم على المشروع ، ونشر كراس باسم الحزب الأردنى الوطنى حبذ فيه التقسيم لأنه ينقذ البلاد من الصهيونية ويلحقها بالوحدة العربية،

لكن الحزب مالبث أن سارع الى اعلان براءته من هذا الكراس واستنكاره للتقسيم ، وقيل أن مصطفى وهبة التل هو الذى نشر الكراس تزلفا للامير او بايحائه . ومع ان رياسة الوزارة الأردنية اذاعت بلاغا فى ٢٤ يوليو جاء فيه « ان حكومة شرقى الأردن بالنسبة للخبر المتعلق بها ترى من واجبها ان تبادر الى التصريح بأنها لم تتلق من اى جهة رسمية اى تكليف بابداء رايها فى مشروع التقسيم ، وان القول بأنها تؤيده غير مطابق للحقيقة والواقع » فان البلاغ لم يكن ذا جدوى ، لأن الناس كانوا يعرفون ان الأمير هو الذى يتولى هذه الأمور ، فضلا عن توافر الأدلة والقرائن على قبول التقسيم والدعوة اليه . كما أن البيان نفسه كتب بطريقة يفهم منها ان الوزارة راضية على مشروع التقسيم ، فلم يكن الأمر يحتاج الى ان تطلب جهة رسمية من الحكومة الأردنية ابداء رأيها فى مشروع التقسيم . فلو كانت الحكومة تشعر حقيقة بخطورة هذا التقسيم على الشعب العربى فى فلسطين لسارعت الى اعلان استنكارها له دون ان تنتظر تكليفا رسميا لابداء رايها فى الموضوع . لكن الحكومة الأردنية تذرعت بهذا التبرير لا ايمانا منها بهذا الموقف ، بل عجزا عن مواجهة الشعب العربى فى فلسطين وشرقى الأردن بابداء رأيها الحقيقى فى المشروع .

واضربت عمان وتظاهرت فى اعقاب مشروع التقسيم ، وأرسلت برقيات استنكارية عديدة ، وأذاعت لجنة الدفاع عن فلسطين فى عمان بيانا قويا حملت فيه على الاستعمار واذنابه واساليبه ، واستنكرت التقسيم واوضحت اخطاره وذيلته بميثاق ينص على وجوب مكافحة الصهيونية ، واعتبار كل شخص أو هيئة أو دولة أو حكومة تقبل التقسيم أو تحبذه عدوة للامة العربية (٢٢٠) .

بل ان بعض الصحفيين الفلسطينيين اعلنوا انهم يفضلون حكومة يهودية عن تلك الحكومة الأردنية القائمة فى ذلك الوقت (٢٢١) . ولم يكن ذلك يعنى انه كان هناك ادنى استعداد لتقبل حكم يهودى ، وانما كان تعبيرا عن نظرة عرب فلسطين الى حكام الأردن ، وعدم وجود اى شعور بالثقة او الاطمئنان تجاههم .

وتوضح رسالة مرسلة من المندوب السامى الى الوكيل الدائم لوزارة المستعمرات فى ١٠ يوليو ١٩٣٧ تأييد عبد الله للتقسيم بل وتلهفه على سرعة تنفيذه ، فقد ذكر المندوب السامى انه عائد لتوه من عمان وان كبرك برايد مساعده فى الأردن أخبره أن الأمير ظن أن التقسيم سينفذ فى الشهر التالى ، وانه أصيب بخيبة امل عندما أخبره المندوب السامى حقيقة الموقف . ويؤكد المندوب السامى فى رسالته ان عبد الله أخبره أن شرقى الأردن كلها باستثناء قلة من ملاك الأرض مؤيدة للتقسيم (٢٢٢) . لكن الحقيقة أن الأمير لم يعبر فى هذا القول عن مشاعر عرب الأردن ،فهذه رسالة من احدى الشخصيات الأردنية الوطنية الى المجاهد الفلسطينى محمد على الطاهر تعبر عن حقيقة الأوضاع فى البلاد فى أعقاب اذاعة مشروع التقسيم « حرية الكلام والحرية الشخصية مفقودتان ... والاحتجاج على تقسيم فلسطين هنا ممنوع ... انتصر حكمت سليمان لفلسطين ولكن شكره ممنوع أيضا ، وكل من حاول ذلك فأبواب منفى العقبة مفتوحة » .

ونظرا لتعذر عقد اجتماعات فى الأردن لمناقشة المشروع ، انتهز بعض رجال الحزب الوطنى الأردنى فرصة وجود عميدهم الدكتور محمد صبحى ابو غنيمة فى دمشق ، فعقدوا اجتماعا ناقشوا فيه المشروع وقرروا بالاجماع رفض التقسيم رفضا باتا ، وأرسلوا برقية الى اللجنة العربية العليا يعاهدونها فيها على محاربة الخونة حتى الموت (٢٢٣) .

ونشطت حكومة شرقى الأردن لمقاومة ارسال أى مساعدات لثوار فلسطين ، فقد هاجم الجنود والشرطة مقر فرع البنك العربى بعمان بحثا عن السلاح ، واصدرت الحكومة بلاغا رسميا قالت فيه انها ضبطت فى بيت مساعد مدير البنك كمية كبيرة من الأسلحة (٢٢٤) .

كان عبد الله اذن الحاكم العربى الوحيد الذى ايد مشروع التقسيم، فقد باركه فى مجالسه الخاصة وأمام زواره من الفلسطينيين والأردنيين ، لكنه لم يجرؤ على اصدار تصريح بذلك مكتفيا برفض استنكار المشروع.

ونقم عرب فلسطين على عبد الله أكثر من أى وقت مضى ، ومنهم من مزق صوره التى رفعها أعوانه من رجالات حزب الدفاع ، واعتبر

الهتاف باسمه خيـانة وطنية ، وأخذ النـاس يهتفون بأسماء ملوك العرب ورؤسائهم الآخرين للتحدى ، وخشى الانجليز أن يؤدى تدهور مركز الأمير الى حرمانهم من مساعدته لهم عند الحاجة خاصـة وانهم قـد سـحبوا المشروع ، فأوعزوا اليه أن يستنكر المشروع مادام الأمـر قـد انتهى ، ففعل ذلك متأخرا جـدا ، وقال انه لايؤيد مشروع لجنة بيل ، لـكنه لم يقل قط أنه ضد مبدأ التقسيم .

وأما عن مشاركة الأردن فى المؤتمرات العربيـة التى عقـدت خلال عامى ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، فكان معظم الحاضرين الأردنيين فى مؤتمر بلودان (سبتمبر ١٩٣٧) من معارضى البيت الهاشمى ، وأما المؤتمر البرلـانى فى القاهرة (أكتوبر ١٩٣٨) فلم يشترك شرقى الأردن فيه ، مع أنوفودا غير عربيـة حضرته لاظهار عطفها على قضية فلسطين من الهند والصين والولايات المتحدة الأمريكية . وأما المؤتمر النسـائى بالقـاهرة (أكتوبر ١٩٣٨) فقد امتنع الأردن عن حضوره (٢٢٥) .

وخلال المرحلة الثانية من الثورة أضربت مدن شرقى الأردن — خاصة عمان — وتظاهرت مرارا ، ووقعت اعتداءات عديدة على انابيب البترول الممتدة فى أراضيها ، كما حدثت بعض اعمال الاعتداء على المخـافر ودور الحكومة فى منطقة جبل عجلون ، وأخذت بعض الفئات الوطنيـة تتهيـأ للقيام بحركة ثورية ضد البريطانيين ومنشاتهم — ولن لم تصل الى نتيجة ايجابية — مما أزعج السلطة الأردنية أشد الازعاج (٢٢٦) .

واقبل الوطنيـون الأردنيـون على التطوع فى صفوف المجاهـدين الفلسطيفيين ولم يستطع عبد الله منع التطوع جهرا ، فلجأ الى أسلوب آخر عن طريق فتح مجال التطوع فى الجيش الأردنى ، وأعلن أن على من يريد أن يحمل السلاح فى سبيل عروبة فلسطين أن ينضم أولا الى جيش بلاده ، لـكن الحقيقة أن ذلك الجيش — بقيادته البريطانيـة — لم يكن مهيأ للحرب ضـد البريطانيين والصهيونيين ، بل على العكس من ذلك ، فقد اعتمد عبد الله على هـذا الجيش فى مكافحـة النشاط الوطنى فى شرقى الأردن ، ثم منع سفر الأردنيين الى فلسطين خلال الثورة خوفا من انضمامهم الى وحدات القتـال ، أو تزويدهم للثوار بالسلاح أو المـال ، كما منع الأمير جمع الأموال لنصرة الثـائرين ، وزعم انه يفعل ذلك لتنظيم

عملية جمع الأموال ، ومنع الاجتماعات السياسية ، وهدد رجال مؤتمر أم العمد بالاعتقال اذا اجتمعوا ثانية ، وكان يستضيف السياسيين ورجال الأعمال الفلسطينيين الذين كانوا يتعاملون مع الانتداب والوكالة اليهودية وخافوا على حياتهم فهربوا ولجئوا الى حمى الأمير ، فجاد عليهم بأموال الدولة حينا من الزمن .

واضافة الى ذلك فقد منع عبد الله المجاهدين السوريين والعراقيين من المرور فى الأراضى الأردنية وهم فى طريقهم الى مراكز القتال فى فلسطين ، وقد اعترف البريطانيون بجهوده فى هذا المضمار ،فشكروه بلسان معتمدهم فى عمان فى تقرير رفعه الى لجنة الانتدابات الدائمة عام ١٩٣٩ . وقد اعتمد عبد الله فى تنفيذ هذا المنع على القوات البريطانية التى كانت تقيم فى شرق الأردن وعلى الجيش الأردنى وبعض قبائل البدو الموالية له ، وتعاون هؤلاء جميعهم فى اغلاق الحدود أمام قوافل المجاهدين ، ولم يتوانوا عن اطلاق الرصاص وقتل المجاهدين، وبنيت عشرات المخافر لتعقب المجاهدين ، واشتركت القوات البريطانية والأردنية واليهود فى حماية الصهيونيين الذين كانوا يترددون على الأردن. كما أسهمت تلك القوات فى نقل أسلحة من الجيش الأردنى الى المعسكرات اليهودية قرب الحدود فى سيارات ضباط الجيش البريطانى الخاصة .

لكن الشعب الأردنى لم يستسلم ، بل ثار على عبد الله فى أكثر من مكان ، خاصة فى جبال عجلون حيث هاجم الثائرون أنابيب النفط ودمروها ، ولغموا الطرقات التى استعملتها القوات لتعقب المجاهدين ، فارسل عبد الله جيشه فى ربيع ١٩٣٩ لاخضاع المتمردين ، وأرسل مع الجيش مسلحين من البدو ، وبنى مهندسو الجيش البريطانى مائة كيلومتر من الطرقات ليسهل على القوات الأردنية مطاردة المتمردين ، لكن هؤلاء المجاهدين لم يتركوا سلاحهم الا بعد توقف الثورة فى منتصف ١٩٣٩وبعد نشوب معارك ضارية أشهرها فى بيت عديس فى الرابع والعشرين من أبريل اتجه المجاهدون الأردنيون بعدها الى الحدود قرب نهر اليرموك ، فلحق بهم البدو والجنود الأردنيون ، وأغلقوا الحدود بين سورية والأردن وفلسطين، وحاصروهم وأفنوا قسما منهم،وتمكنت تلك القوات فى الوقت

نفسه من القبض على مجاهدين فلسطينيين لجئوا الى الأردن تجنبا لملاحقة السلطات البريطانية لهم، فسلمتهم الى تلك السلطات التىأعدمت بعضهم بعد محاكمات صورية ، وكان بينهم المجاهـد ذو الاسم الاسطورى يوسف أبو درة .

ورافق ذلك حركة تأديب قام بها الوطنيون فى الأردن ضد من خرج على الميثـاق ورفض مقاطعـة اليهود وروج لهم تجاريا وسياسيا ، وكان الأمير طلال ولى العهد آنذاك يقف الى جانب زعماء تلك الحركة ،فغضب أبوه عليه وسجنه فى بيتـه ، واشترك مع الوطنيين عـدد من ضـباط الجيش وقوة الحـدود ، وبينهم من خالف أوامر عبد الله ورفض ملاحقة المجاهدين ، ومنهم من أرسل الأسلحة الى ثوار فلسطين ، لـكن عبدالله أقصى تلك العنـاصر من الجيش ، ونفى من الأردن خلال الثورة سـبعة ضباط كبار .

وعندما ذهبت اللجنة الفنيـة الى فلسطين ، كان عبد الله يتصـل بأعضائها، ويتفق وأياهم علىالتقسيم من جديد، ويدعو لادخالالصهيونيين امارته ، بل انه كان يتصـل بالصهيونيين اتصـالا مبـاشرا ، ويدعوهم لاسـتئناف علاقاته القـديمة معهم ، ويعرض عليهم اسـتقلالا ذاتيـا فى ظل عرشه (٢٢٧) .

ونلمح هذه العلاقة مع الصهيونيين فى تصريح لعونى عبد الهادى فى ذلك الوقت حول اقتراح نسب الى الأمير « واذا صح مع ذلك صـدوره عن سموه ، فانه لا يعدو أن يكون اقتراحا زينـه له بعض المقربين منـه المتصلين باليهود اتصالا وثيقا » .

ونشرت بعض الصحف العربيـة واليهودية فى ذلك الوقت اقتراحا نسب الى الأمير بشأن تأييده مشروع التقسيم مع ضم القسم العربى من فلسطين مع شرقى الأردن الى مصر ، ولم يكد هـذا الاقتراح ينشر حتى بادر الأمير الى تكذيبه ثم نشر اقتراح آخر على لسـان الأمير لـكنه لم يكذبه ، وكان أهم بنوده كما يلى :

١ — تؤلف مملكة موحدة عربية من فلسطين وشرق الأردن تحت يد ملوكية عربية قادرة على القيام بمهمتها وتنفيذ تعهداتها .

٢ ــ يتمتع اليهود بالحكم الذاتى فى المناطق اليهودية التى تتعين خريطتها بواسطة لجنة تؤلف من بريطانيين وعرب ويهود .

٣ ــ يشارك اليهود فى برلمان الدولة العربية بنسبة عددهم ، ويؤخذ فى وزراء الدولة المتحدة وزراء منهم .

٤ ــ تنحصر الهجرة اليهودية بنسبة معقولة الى تلك الأراضى التى تتمتع بالحكم الذاتى .

ونشرت الصحيفة العربية فى نفس العدد خبرا مفاده أن بعض أهالى فلسطين ممن لا ينتمون الى أحزاب اقتنعوا بوجاهة هذا الاقتراح وأخذوا يفاوضون آخرين من اخوانهم لتأييده (٢٢٨) .

وأرسلت لجنة الدفاع عن فلسطين فى دمشق الى الأمير عبد الله تحتج فيه على تقديم هذا المشروع ، فرد الأمير ببرقية يوضح فيها وجهة نظره (٢٢٩) .

وقد علقت جريدة هآرتس اليهودية على مشروع الأمير بقولها « أما اليهود فيعارضون هذا المشروع أيضا لأنه يقوم على أساس ابقائهم أقلية دائمة فى البلاد . ان مشروع سمو الأمير هو فى نظرنا تقسيم فعلى للبلاد يحوى جميع نواقص التقسيم الرسمى دون مزاياه . ولذلك ليس فى امكان اليهود تأييده ، غير أن اليهود يقدرون لسمو الأمير رغبته فى ايجاد مخرج ما من المأزق الحالى حق قدرها ، آسفين لعدم استطاعتهم اتخاذ مشروعه أساسا للاخذ والرد بين الأمتين » . لكن « حقيقة الأمر » المجلة اليهودية التى تصدر فى فلسطين بالعربية علقت على المشروع بطريقة تحمل فى ثناياها تأييدا وترويجا له (٢٣٠)

ويعتقد أن الهدف من طرح موقفين مختلفين نسبيا لصحيفتين يهوديتين هو زيادة التناقض الموجود بين عرب فلسطين والأمير ، والايحاء لعرب فلسطين بأن المشروع فى صالحهم ، وطرح أكثر من موقف يهودى ــ وهو مازال مستمرا حتى يومنا هذا ــ مما يسبب بلبلة عند العرب ، وعدم قدرة على تحديد الموقف اليهودى تماما ، والاحتفاظ لليهود فى نفس الوقت بحق رفض أى مشروع لايتفق ومصلحتهم .

ويلاحظ من قراءة المذكرة التى قدمها الأمير الى اللجنة الفنية أنه لم يكن حريصـــا حتى على التظاهر بمراعاة مشاعر العرب فى فلسطين أو شرقى الأردن ، بل انه يسمح لنفسه بتعميم الولاء للامبراطورية البريطانية على العرب جميعهم ثم يقول فى فقرة من المذكرة « ... واذا ذكر العرب المصلحة الامبراطورية فانما يعنون فى ذلك أنفســـهم فى الوقت عينـــه لارتباطهم بها بعـــلائق متينـــة وانهم معها فى هـــذا العالم الزاخر بالقلق والاضطرابات وعلى صلة الموت والحياة » (٢٣١) .

وعلى العكس من ذلك تماما كان موقف عرب شرقى الأردن من اللجنة الفنيـــة ، فقد أضربوا عند زيارتها لمـــدن الأردن ، وأبرقوا الى اللجنـــة استنكارا للسياسة التى أرسلت من اجلها ، بل ان أهل الأردن استاءوا من اغفال الصحف الاشارة الى موقفهم من اللجنة ، وما قاموا به من اضراب واستنكار للسياسة الصهيونية والتقسيم (٢٣٢) .

وامتدت حالة التوتر من فلسطين الى شرقى الأردن فى شهر يوليو ١٩٣٨ بعد تفجير اليهود للقنـــابل فى أسواق بعض مدن فلسطين ، فأعلن اهل الأردن الاضراب احتجاجا على تلك الحوادث وعلى السياسة البريطانية فى فلسطين ، وقامت مظاهرات أمام قصرى الأمير والمنـــدوب الســـامى البريطـــانى وطـــالب المتظـــاهرون الأمير بعمل حاســـم من أجل انقـــاذ فلسطين (٢٣٣) . وارسل الأمير برقيـــة احتجاج الى المندوب السامى على تلك الحوادث ، فـــكتبت احدى المجـــلات اليهودية تعاتبـــه بما يشـــبه المـــدح (٢٣٤) .

لـــكن صفو العلاقة بين عبد الله والصهيونيين تعكر بعـــد أواسط ١٩٣٩ حينما أيد مشروع الـــكتاب الأبيض الذى عارضـــوه ، وقـــد تبنى عبد الله الـــكتاب قبل أن يسمع رأى عـــرب فلســـطين ، وكان لموقف عبد الله صـــدى سريع فى أوســـاط حزب الدفاع فى فلسطين ، اذ أصدر بعضهم بيـــانا بمهاجمة الحركة الوطنيـــة فى فلســـطين لأنهـــا لاترضى بالاستقلال التام بديلا (٢٣٥) .

ولم تتوقف مشروعات الأمير عبد الله ومحاولاته من أجـــل توســـيع رقعة مملكته ، فقـــد حدث أن اتصـــل بنورى السعيد الذى كان فى لبنان واستحثه على التوجـــه الى عمـــان ، وأكد له أن لديه شيئا ايجابيا ،

واتصل نورى السعيد بالمعتمد البريطانى فتلقى جوابا مشجعا ، فسافر الى عمان لـكنه لم يجد شيئا وانما عرض عليه الأمير أن يتولى رياسة وزارته ليتعاون معه فى ايجاد الحل المنـاسب ، لـكن نورى السعيد اعتذر عن ذلك ، وتوقفت الاتصـالات فى النهاية عندما دعت الحكومة البريطانيـة الى وجوب انتظار نتائج دراسات اللجنة الفنية وتوصياتها (٢٣٦) .

وخلال الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٨ كانت لجان جمع التبرعات لمنكوبى فلسطين بالأردن لاتزال قائمة بعملها وتلقى تأييدا كبيرا من الشعب الأردنى حتى أن موظفى الحكومة الأردنية دفعوا نسبة من مرتبـاتهم ، وجمعت عشائر وقرى وضواحى العاصمة كميات من الحبوب لأهـل فلسطين ، وشاركت لجنة السيدات بعمان فى عملية جمع التبرعات (٢٣٧) .

ونقرأ بين حين وآخر بالصحف العربيـة بيـانات عن نعى شهداء أردنيين ضمن مقـاتلى عرب فلسطين ، ففى أواخر أغسطس ١٩٣٨ ينعى المـكتب العربى القومى بدمشق الى الأمة العربية شابين أردنيين ألفـا مفرزة من شـباب الأردن ، والتحقا بالثورة الفلسطينيـة ، وكان لهمـا شرف الاستشهاد (٢٣٨) .

وعندما صـدر الـكتاب الأبيض لعـام ١٩٣٩ امتنعت الحكومات العربية عن قبـوله باسـتثناء حكومة شرقى الأردن ، فقـد صرح وزير خارجيتها أن هـذا الـكتاب الأبيض يوافق مصـالح العـرب وأن من الواجب قبوله (٢٣٩) .

وخلال الحرب العالمية الثانية كان اندماج الأمير عبد الله فى السياسة البريطانية أكثر منه قبلها ، وكانت تصريحاته باخلاصه لبريطانيـا وتضامنه معها تتوالى ، وكانت رغبتـه الملحـة فى ضم فلسطين الى مملكته تزداد قوة والحاحا (٢٤٠) .

المملـكة العربية السعودية

لقد تبين من مراجعة بعض المجلات التى كانت تصـدر فى المملـكة العربيـة السعودية خلال ثورة ١٩٣٦ أن أخبـار فلسطين لم تكن تأخذ اهتماما يذكر قبيل بداية الثورة . وحتى بعد أن بدأت الثورة لم تكن هناك متابعة حقيقيـة أو منتظمة لأحداثها ، وكاد تداول أخبـار تنشر فى هـذا

الشأن فى أوائل يونية ١٩٣٦ خاصة بتشكيل لجان « لمساعدة المنكوبين بتلك الحوادث » وتوجيه نداء الى الأمة لمد يد العون لهم ونشر أسماء المتبرعين وقيمة تبرعاتهم (٢٤١) .

وقد لجأ زعماء فلسطين الى ابن سعود طالبين تدخله لرفع الظلم عنهم ، فرأى أن يسبر غور الانجليز فى أمر قيامه بالوساطة ، وقد أجابته الحكومة البريطانية فى ٣ يوليو ١٩٣٦ بأنها توافق على توسط ملوك العرب وأن يقوم جلالته بالاتصال بالعراق واليمن والأردن لنصح اهل البلاد بالاخلاد للسكينة . واتفق الحكام المذكورون على أن افضل وسيلة لادخال الطمأنينة على قلب الشعب العربى فى فلسطين أن تقف الهجرة اليهودية وأن يصدر عفو عام عن المعتقلين ، وقررت الحكومة البريطانية بعد اتصالات عديدة اجراء تخفيض نسبى فى أعداد المهاجرين (٢٤٢) . لكنها لم تقيد نفسها بأى وعود ، ولم تبد أى استعداد للتفاهم قبل أن تهدأ الثورة ويتاح للجنة الملكية فرصة لاجراء تحقيقها .

وعلى عكس تلك الوساطة التى قام بها الأمير عبد الله وحكومة العراق بتوجيه من بريطانيا فان وساطة ابن سعود كانت بمبادرة شخصية منه فى بداية الأمر ، وتعثرت الوساطة بعد ذلك بعض الوقت ، ثم تجددت أخيرا بناء على طلب القيادة الوطنية فى فلسطين ، وانتهت بوقف الاضراب والثورة .

ويتابع الملك عبد العزيز جهوده مع بريطانيا من اجل قضية فلسطين . ففى ١٦ ديسمبر ١٩٣٦ استفهم الوزير السعودى فى لندن من أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية البريطانية عما اذا كانت أية رسالة من ابن سعود الى الحكومة البريطانية حول تقرير اللجنة الملكية لفلسطين قد يساء فهمها أو لا تقبل قبولا حسنا من الحكومة البريطانية ، فأجابه المسئول بأنه يأمل الا يكون الملك عازما على أن يرسل شيئا فى ذلك الوقت حول تقرير لن يصل الى لندن قبل عدة أسابيع وسيكون من غير المناسب أن يستبق ابن سعود النتائج ، ولكن اذا رغب الملك فيما بعد فى التعبير عن أية افكار فسيكون البريطانيون بطبيعة الحال —

بسبب موقفــه الودى الدائم — مسرورين لسماع أى شىء يكون راغبــا فى قوله (٢٤٣) .

وكان لعبد العزيز آل سعود دور فى اقتنــاع عرب فلسطين بالعدول عن مقاطعتهم للجنة الملـكية ، فقــد أرسل الى أمين الحسينى يدعوه الى عدم مقاطعة اللجنة (٢٤٤) فاستجابت اللجنة العربية العليا للنداء وقررت أداء شهادتها أمام اللجنة الملـكية .

ويكلف عبد العزيز آل سعود وزيره المفوض فى لندن بأن يبلغ وزارة الخارجية البريطانية أن الملك يشعر أن هــذا التغيير فى الموقف العربى سوف يوصل الى حل للقضية متسم بروح العــدل والانصــاف ، ولــكى تشعر الحكومة البريطانيــة بأنه صــديق مخلص لبريطانيــا وانه يتوقع منها اهتماما بوساطته فقد رفض الموافقــة على عقد مؤتمر اســلامى فى مكة فى موسم الحج فى ذلك العــام بحجة عــدم الرغبة فى أن تكون مكة مركزا للدعاية السياسية ، لـكن السبب الحقيقى لهذا الرفض — كمــا أخطر الوزير السعودى المفوض وزارة الخارجية البريطانية — هو رغبته فى أن يظهر كل اعتبــار للحكومة البريطانية وأن يحافظ على العــلاقات الودية معها (٢٤٥) .

وترد وزارة الخارجية البريطانية على الوزير المفوض السـعودى طالبة منه ابلاغ الملك أن تدخله لاقتنــاع اللجنــة العربيــة بالرجوع عن قرار المقاطعة ســوف يسهم بشكل واضح وعادل فى المســائل المختلف عليهــا (٢٤٦) .

لــكن المسئولين البريطانيين لم يكونوا صــادقين فى هذا القول ، بل انه يتضح من وثائق عــديدة أن البريطانيين لم يكونوا حريصين حقيقة على تحقيق أى مطلب لعرب فلسطين تأكيدا لوعدهم للملك وحرصــا على استمرار معاونتــه لهم ، بل كانت تعليقاتهم على هــذا الموقف تدور حول اهمية الدور الذى قام به الملك ســواء فى ايقاف الاضراب أو فى عدول اللجنة العربية العليا عن مقاطعة اللجنة الملـكية وضرورة التعبير له عن تقديرها الـكبير لموقفــه ، وفى حسن الاستفادة من هذا الموقف المعتدل فى المستقبل لمنع اية اضطرابات جديدة (٢٤٧) .

ولا يكتفى الملك عبد العزيز آل سعود بابلاغ بريطانيا بالأمل فى أن يسهم موقفه فى علاج المشكلة ، بل يأخذ موقفا أكثر ايجابية فيتقدم باقتراحات لحل هذه المشكلة ، فقد مر الوزير المفوض السعودى بلندن على وزارة الخارجية فى ٢ فبراير ١٩٣٧ وأخطرها أن الملك قد أعد مقترحات خاصة بالقضية الفلسطينية ، وانه صاغها بنفسه دون أية مساعدة أو نصيحة سواء من ممثلى عرب فلسطين أو من أى انسان آخر (٢٤٨) .

ويفهم من الرسالة المؤرخة ٦ فبراير ١٩٣٧ والتى أرسلها الملك فى هذا الشأن ثلاث نقاط هامة :

الأولى : أن الملك عبد العزيز آل سعود هو الذى توسط فى هذه القضية نتيجة لدوافعه الذاتية وحرصا منه على صداقة بريطانيا وليس نتيجة لاتصالات او ضغوط بريطانية .

والثانية : أن أحد العوامل التى دفعته الى الاهتمام بقضية فلسطين هو خشيته من احتلال اليهود للمدينة وخيبر فى المستقبل .

والثالثة : انه كان هناك ضغوط من الشعب العربى بالمملكة على المسئولين السعوديين للاهتمام بقضية فلسطين حتى أن الملك يقول فى رسالته « ولقد عانينا الشىء الكثير من الضغط على رعايانا كى لا يظهر اى أمر يزيد تعقيد المشكلة ، وكثير مما عملناه لم نخبر به الحكومة البريطانية » .

أما عن اقتراحات الملك وتوصياته فيما يلى خلاصة لها :

أولا : « اعلان عفو عام عن سائر الجرائم التى ارتكبت أثناء الاضراب والاضطرابات واطلاق سراح المسجونين ... لأن ذلك يساعد على جو جديد من الثقة والطمأنينة ويساعد على حل جميع المشاكل » .

ثانيا : « ايقاف هجرة اليهود ، لأن كل سماح بهجرة جديدة سيجدد المخاوف ويقضى على الطمأنينة ... »

ثالثا : « أن تسن الحكومة نظاما لحماية الملكية الصغيرة كما حدث فى مصر ، حتى تصان أملاك الضعفاء الجهلاء من الضياع » .

رابعا : أن تحل مشكلة شكل الحكومة بالتفاهم مع أهل فلسطين (٢٤٩) .

وقد حرص الملك عبد العزيز على متابعة موقف الحكومة البريطانية من هذه الاقتراحات . فقد مر الوزير السعودى المفوض على وزارة الخارجية البريطانية فى ١٩ فبراير ١٩٣٧ طالبا اعطاءه رسالة تمهيدية عن تسلم الوزارة للمذكرة وأن الوزارة تعطيها اهتماما خاصا. فتقترح وزارة الخارجية عليه أن يبلغ الملك أن حكومة جلالته تنظر بكل عطف الى تلك التوصيات ، لكنها لن تستطيع أن تعطى ردا محددا حولها قبل وصول تقرير اللجنة الملكية (٢٥٠) وكان كل ماتم بشأن اقتراحات الملك هو ابلاغها الى سكرتير اللجنة الملكية (٢٥١) .

ويبدو أن الملك عبد العزيز أدرك أن وزارة الخارجية لم تعط اقتراحاته اهتماما حقيقيا ، فانتهز فرصة وجود أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية البريطانية (المستر رندل) بالسعودية فى أواخر مارس ١٩٣٧ كى يقدم له تحذيرا هادئا — على حد تعبير الوزير المفوض البريطانى فى السعودية — بشأن فلسطين .

فقد ذكر الملك أن العرب منزعجون حقيقة من السياسة الصهيونية، وأن بريطانيا تستطيع سحق معارضة العرب لكنه يخشى المضاعفات الخطيرة لذلك فى أقطار اسلامية مثل مصر والعراق والهند ، وأن السياسة الصهيونية متعارضة مع المصالح البريطانية ، وأنه كمسلم وعربى فان عواطفه تتجه طبيعيا نحو فلسطين ، وانه استطاع حتى الآن أن يتحكم فى مشاعره لتكون متمشية مع المصالح السياسية ، لكنه يجب على حكومة جلالته أن تذكر أنه وقف وحده ، وأنه مالم يمكن ايجاد بعض الوسائل لارضاء عرب فلسطين فلن يستطيع أن يفعل أكثر من هذا من أجل بريطانيا (٢٥٢) .

وقد تابع الملك ابلاغ وزارة الخارجية البريطانية بأيةآراء أو اقتراحات متعلقة بقضية فلسطين . ففى ٢٥ مارس ١٩٣٧ طلب الملك من الوزير البريطانى المفوض فى جدة أن يبلغ الحكومة البريطانية تقديره البالغ لتفويض المندوب السامى فى فلسطين فى استبدال أحكام الاعدام التى صدرت على بعض العرب بأحكام أخف منها (٢٥٣) . وفى ٢٨ مارس ١٩٣٧ يرسل الملك اضافة الى مقترحاته السابقة أفكارا خلاصتها أن وعد

بالفور يقضى بمنح اليهود وطنــا قوميا فى فلسطين وليس بمنح فلسطين كلها لهم كوطن قومى ، كما أن هــذا الوعد نعهد بعــدم الاضرار بالعرب الأصليين ، كما أن اليهود الذين هاجروا الى فلســطين حتى الآن يمكن اعتبــارهم تحقيقــا للوعد ، وانه اذا عقدت حكومة وطنية معاهدة يمكن أن تتضمن حمــاية الأقليات بشرط الا يسمح ليهود آخرين بالهجرة اليها ، وألا يسمح بانتقــال الأرض العربيــة الى أيدى اليهود . وأن ابن سعود مستعد دائما للمساعدة فى اقنــاع عرب فلسطين بأن يكونوا راضين عن أى شىء لايهــدد بانقراضهم فى النهــاية أو بايجــاد أغلبيــة يهودية فى فلسطين تعرض للخطر مصــالح العرب والمسلمين وبريطانيــا ، وأنه يأمل أن يجد هــذا الموضــوع مايستحقه من الاهتمام وان يعامل عرب فلسطين بعدالة ورحمــة (٢٥٤) . وتبرق وزارة الخارجية البريطانيــة الى وزيرها المفوض فى السعودية طالبة منه أن يخبر الملك — بأفضل طريقة ممكنة — أن حكومة جلالته قــد تلقت اقتراحه الاضــافى ، وسوف تعطيــه نفس العناية والاعتبار الملائم مثلما حدث لاقتراحاته السابقة (٢٥٥) .

ويبدو أن الملك عبد العزيز لم يكن راضــيا عن تلك الردود الرسمية، فبدأ يعبر عن افــكاره لشخصيات بريطانيــة أخرى ، فقد ورد فى برقية مرسلة من الوزير البريطانى المفوض فى السعودية الى وزارة الخارجية البريطانية أن الملك قــد صرح لفيلبى بأن وجود اليهود فى فلسطين ليس فى مصلحة بريطانيــا ، وأنه فى وقت الحرب فسوف تحتاج بريطانيا الى قوات كبيرة جدا فى فلسطين كى تعــالج ثورة العرب المحتملة ، وأنه اذا سارت الأمور على ماهى عليه فان حدوث مذبحة لليهود على يد العرب هو أمر لا يمكن تجنبه ، وأن السياسة الصهيونية هى سياسة خاطئــة (٢٥٦) ويذكر الوزير المفوض فى برقيــة تالية مؤرخة فى ٢ ابريل ١٩٣٧ أن تلك التصريحات تمثل آراء ابن سعود ، وانه لم يعبر عنها علانية حتى الآن ، ولــكن يحتمل أن يأتى الوقت الذى يشعر فيه أنه يتحتم عليه أن يعلنهــا صراحة (٢٥٧) .

وبعد عودة المستر رندل الى لندن قدم مذكرة الى وزارة الخارجية البريطانية بشأن محادثاته مع الملك عبد العــزيز يومى ١٢ ، ١٨ مارس أوضح فيها أن الملك يعتبر المسألة الفلسطينية أعظم العوامل أهميــة فى

علاقاته السياسيه مع بريطانيا ، وانه تواق فى صدق الى التعاون مع البريطانيين وانه يعتبر أنه يتحمل مسئولية خاصة تجاه العالمين العربى والاسلامى وان هذه المسئولية نتطلب منه أن يدافع عن عرب فلسطين حتى لايصبحوا فى نهاية الأمر أقلية ضعيفة فى دولة يهودية مسيطرة ، وانه اذا توصل الى نتيجة أن حكومة جلالته تنوى أن تتبنى فى فلسطين سياسة توصل الى هذه النتيجة ، فسيكون من المستحيل بالنسبة له — مهما أوتى من عزم وتصميم — أن يظل على علاقات ودية مع بريطانيا ، ولن يكون لديه خيار سوى تأييد عرب فلسطين فى الثورة الجديدة التى ستنفجر لا محالة وسيضطر الى تغيير سياسته الكاملة نحو بريطانيا ، ويحتمل أن يصبح — والى حد بعيد — عدوا خطيرا لها « أن نفوذه وهيبته فى العالم العربى والاسلامى عظيمة للغاية ، وانى مقتنع أن كل هذا النفوذ والهيبة سوف تستخدمان بشكل حتمى ضدنا اذا اعتبر ابن‌سعود سياستنا بشأن فلسطين ظالمة لقضية العرب . انه يفهم بوضوح أن حكومة جلالته قد أعطت اليهود تعهدات معينة وهو لا ينوقع منها أن تتراجع عن سياسة وطن قومى يهودى فى فلسطين ، لكنه يتوقع منها أن توقف مؤقتا أو تبطىء من الهجرة اليهودية ، وان تقيم نظاما جديداً — يتيح للعرب الا يصبحوا أقلية ضعيفة ، فاذا لم تستطع حكومة جلالته أن تعطيه اقتناعا معقولا حول تلك النقاط فان اية محاولات للحفاظ على صداقته يكون محكوما عليها بالاخفاق ، وسيكون علينا فى هذه الحالة أن نواجه تحول العربية السعودية والدول التى‌تعمل بتوجيهها الى‌أقطار معادية لنا ، بل يحتمل أن يتحول الملك الى الايطاليين من أجل المساعدة أو الارشاد » (٢٥٨) .

وكان من نتائج هذه الانطباعات التى اشار اليها اكثر من مسئول بريطانى عن امكانية حدوث تغيير فى موقف الملك تجاه بريطانيا ، أن حاولت وزارة الخارجية البريطانية أن توحى للملك باستجابتها لنصائحه، وباعطاء قدر من الاهتمام الى توصياته ، ففى برقية مرسلة من وزارة الخارجية البريطانية الى الوزير البريطانى المفوض فى جدة ٢٩ يونية١٩٣٧ توجهه الوزارة الى محاولة الاستفادة الى أبعد حد ممكن بما جاء فى تقرير اللجنة الملكية من نقاط التقاء مع اقتراحات الملك خاصة بالنسبة

لبيع الأراضي لليهـود وتقييـد الهجـره اليهودية وان يقـوم بابلاغ ذلك للملك (٢٥٩) .

وبعد اقتراح مشروع التقسيم في أوائل يوليو ١٩٣٧ قامت في مدن الطائف ومكة والمدينة وجدة وينبع مظاهرات واضرابات ، وأرسلت برقيات الاستنكار والاحتجاج ثم سرى ذلك الى المـدن النجدية أيضا ، وكان لعلماء نجد موقف حماسي حيث كتبوا رسالة الى الملك كانت بمثابة فتوى دينية، فقـد ورد فيها ان جعل ولاية لليهود في بلاد الاسـلام أمر باطل ومحرم، وطلبوا من الملك أن يقوم بصـدد هذا الخطر (٢٦٠) كما أعلنوا هم وعلمـاء الحجاز أنهم سينادون بالجهاد المقدس اذا طبقت سياسة التقسيم (٢٦١) .

وأرسل الملك عبد العزيز رسالة الى اللجنة العربيـة العليـا جاء فيها « ان قضية عرب فلسطين كانت ولا تزال موضـع تأثرنا واهتمامنـا الشديد . تعلمون اننـا ما ادخرنا ولن ندخر وسعا في سبيل حلها بطريقة العدل والانصاف » (٢٦٢) . واستقبل عرب فلسطين هذه الرسالة بفتور وحيرة لأنهم كانوا ينتظرون أن تكون رسالة الملك أكثر قوة وحيوية (٢٦٣) ، لـكن الحقيقة أن الملك عبد العزيز كان حريصـا كل الحـرص على صـداقة بريطانيـا وتجنب اغضابها ، لـكنه في نفس الوقت كان يبـذل جهودا حقيقيـة وصامتة من أجل محاولة ايجاد حل مناسب لهـذه القضية وهو ما أكدته الوثائق المختلفة التي اشرت اليها .

وكان فلبي يتوقع أن يوافق الملك عبد العزيز على مشروع التقسيم، فقـد أعلن في أحـد الاجتماعات التي عقـدت في لندن في تلك الفترة وحضرها بعض أعضـاء البرلمـان البريطاني أن العرب سيقبلون التقسيم، وتصـور الحاضرون أن لدى فيلبي أخبـارا من الملك تفيد هـذا المعنى، لـكن الشيخ حافظ وهبة أخبرهم أن فيلبي مخطىء فميا زعمـه وأن ابن سعود كان أول من أبدى رأيه في الاعتراض على التقسيم .

وحاول فيلبي أن يجمع بين بن جوريون وبين الأمير سعود عنـدما سافر الأخير الى لندن في تلك الفترة ، كما حاول بن جوريون قبـل ذلك زيارة الملك عبد العزيز ، لـكن لم تتم أى من تلك المقابلات (٢٦٤) .

وقد أحدثت آراء فيلبي ومقالاته بشأن موقف السعودية من مشروع التقسيم أثرا سيئا في البـلاد العربية ، ووجهت تساؤلات الي الحكومة

السعودية حول الموضوع ، فأصــدرت المفوضية السعودية فى لندن بيانا اعلنت فيــه عــدم وجود علاقة سياسية بين فيلبى والملك عبــد العزيز وحكومته ، وان علاقتــه ببلاد العرب علاقة تجارية ، وأن آراءه بشــأن قضــية فلسطين لاتعبر الا عن وجهة نظره (٢٦٥) .

وقد ســئل الأمير سعود وهو فى لندن عن رأيه فى الموقف ، فأجاب احد رجال حاشــيته ان الأمير لايرى من المجــاملة أن يقول شــيئا فى سياسة حكومة هو فى ضــيافتها ، لــكن الأمير مالبث أن صرح فى باريس ثم فى القاهرة عن استنكاره (٢٦٦) .

وقد ورد فى رسالة شخصية مرسلة من عجاج نويهض الى عــونى عبد الهادى فى نهاية شهر أغسطس ١٩٣٧ أن الأخبــار تدل على أن ابن سعود « لا يدخر اقل وسع فى ســبيل درء التقسيم »، وليس ذلك كله حبا لسواد عيون من فى فلسطين ، بل يمثل شبح مملــكة الأمير عبد الله له شيئا مفزعا مرعبا للغــاية » (٢٦٧) وقد أشار طه الهاشمى الى شىء من هــذا المعنى فى مذكراته ، حيث أوضح أن الملك عبد العزيز أراد استغلال ثورة فلسطين للقضاء على الأمير عبد الله (٢٦٨) .

وسواء كانت هنــاك اعتبارات معينة جعلت ابن ســعود يعــارض مشروع التقسيم ، أم انه كان يعارض المشروع لاضراره بالمصلحة العربية، فقــد أبدى ابن ســعود خلال ثورة ١٩٣٩/٣٦ اهتمــاما كبيرا بقضــية فلسطين وقام باتصــالات عــديدة بشأنها مع الحكومة البريطانيــة ومع حكومات أخرى ، واستنكر سياسة التقسيم والتهويد ، وطــالب باقرار حقوق الشعب العربى فى فلسطين (٢٦٩) .

وكان من مظاهر هــذا الاهتمام ماجرى فى بغداد فى ٥ نوفمبر١٩٣٧ عنــدما أوضح الشيخ يوسف ياسين للمبعوث الألمــانى جروبا أن الملك عبد العزيز يترقع من المــانيا أن تقوم بخطوات للحيلولة دون قيــام دولة يهودية فى فلسطين (٢٧٠) .

ويلاحظ خلال النصف الثــانى من عام ١٩٣٧ أن المــكتب الرئيسى للدفاع عن فلسطين بمكة كان يتصــل باللجــان الماثلة فى مصر وســوريا والعراق لتنسيق التعــاون بينها ، كما كان يرسل احتجاجاته الى الصحف

العربيــة والى وزارة الخارجية البريطانيــة وعصــبة الأمم (٢٧١) . كما يتبين من مراجعة اعداد الصحف الحجازية خلال المرحلة الثانية من الثورة تضاعف قيمة التبرعات عما كان يجمع خلال المرحلة الأولى (٢٧٢) .

أما عن موقف ابن ســعود خلال تلك المرحلة فقــد قيل انه صرح لبعض الفلسطينيين ان استمرار الثورة فى فلسطين جعل من المستحيل عليه أن يجرى مباحثات مع بريطانيــا ، وأن مفتى فلسطين رفض اصدار نداء لايقــاف الثورة ، وان استمرار هــذا الوضع سيجعل من الصعب التدخل فى هذا الموضوع (٢٧٣) .

ويطلب بن جوريون من الشيخ حافظ وهبــة فى أواخر عام ١٩٣٨ مقابلة الملك عبد العزيز آل سعود ، فيعتذر الشيخ حافظ عن اتمام المقابلة اعتمادا على سبق رفض الملك عقد لقاء كان فلبى يحاول اتمامه بين الأمير فيصل ولى العهد وبين بن جوريون عام ١٩٣٧ ، وقــد أقر الملك الشيخ حافظ بعد ذلك على هذا التصرف .

أما بالنسبة للــكتاب الأبيض لعــام ١٩٣٩ فقد كان من رأى الملك قبوله لأنه رأى فيــه مزايا لا بأس بها وأنه من الخطأ رفض كل شىء يقدم الى عرب فلسطين ، لــكن الملك لم يعلن قبوله أو رفضه للــكتاب بل ترك البــاب مفتوحا ، وحاول ادخال تعديلات عليه ، لــكن الحكومة البريطانية لم تقبل ذلك (٢٧٤) .

مصادر الفصــل السابع

(١) الحكومة البريطانيــة : تاريخ فلســطين السياسى تحت الادارة البربطانية ص ٣٢ .

(٢) الشهادات العربية أمام اللجنة المـلكية : ص ١٥٦ ، ١٦٢ ، ٢٤٦ ، ٢٨٦ .

(3) F. O. 371/20018 : Periodical Appreciation Summary. No. 14/36.

(٤) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزءالثالث ص ١٢٧ .

F. O. 371/20018 ê P. A. S. 11/36.

(5) Hurewitz : The Struggle for Palestine. p. 71.

(٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦٣ .

(7) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.

(8) F. O. 371/20804.

(٩) الرابطة العربية : السنة الثانية — الجزء ٨١ — ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ ص ١٢ ، الجزء ٦٨ — ٢٢ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢٢ .

(١٠) نشرات المـكتب العربى : النشرة الثانية ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١١) محمد رفعت : قضية فلسطين ص ٨١ .

(١٢) نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١٣) لوكاز هيرزويز : المانيا الهتلرية والمشرق العربى ص ٤٠ .

(١٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

(١٥) ملف عونى عبد الهادى : رسالة من عجاج نويهض الى عونى عبد الهادى مؤرخة فى ١٩٣٧/٩/٢٣ .

(١٦) أميل الغورى : المؤامرة الـكبرى . اغتيــال فلسطين ومحق العرب ص ٩ .

(17) Report by His Majesty's Government . . . for the year 1937. p. 18.

(18) Report by His Majesty's Government . . . for the year 1938. p. 25.

(19) F. O. 371/20806 - E. 6836.

(٢٠) الصراط المستقيم : ٣ أيار ١٩٣٨ ص ٦ .

(٢١) الصراط المستقيم : ٣٠ تموز ١٩٣٨ ص ٥ .

(٢٢) الزمان : آب ١٩٣٨ ص ٤ .

(٢٣) حافظ وهبة : خمسون عاما فى جزيرة العرب ص ١٥٤ .

(٢٤) لوكازهيرزويز : المرجع السابق ص ٥٦ ، ٥٧ .

(25) Marlowe : The Rebellion in Palestine. p. 169.

(26) F. O. 371/20821 : E. 7076.

(٢٧) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ١٥٧ .

(28) Safran : The United States and Israel. p. 31.

(٢٩) هيرزويز : المرجع السابق ص ٨٧ .

(٣٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٢١) الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٣٢) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٣٣) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٤ ،

احمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ص١٩١ .

(٣٤) صوت الحجاز : ٧ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٣٥) الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٣٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٣٧) صوت الحجاز : ١٤ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٣٨) الزمان : ٨ شباط ١٩٣٨ ص ٨ رد من نبيه العظمة على النيوزكرونكل .

(٣٩) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٤٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٤١) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ١ .

(٤٢) صوت الحجاز : ١٤ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٤٣) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٤٤) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة . مقررات مؤتمر بلودان .

(٤٥) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٤٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨٠ .

(٤٧) عبد الوهاب الكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٣٥ .

(٤٨) الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٤٩) محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينيين ص ٤٦ .

(٥٠) عبد الرازق الحسنى : تاريخ الوزارات العراقية . الجزء الخامس ص ١٥ .

(٥١) الزمان : ٩ شباط ١٩٣٨ ص ١ مقال معمر الشابندر .

(٥٢) الزمان : ١٠ شباط ١٩٣٨ ص ١ ، ٢ .

(٥٣) الزمان : ١٦ شباط ١٩٣٨ ص ٤ .

(٥٤) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
الزمان ، ٦ آب ١٩٣٨ ص ٨ .

(٥٥) الزمان : ٤ أيلول ١٩٣٨ ص ٥ بقلم كاتب قومى معروف .

(٥٦) محمد على علوبة : فلسطين وجاراتها . اسباب ونتائج ص ٧ ، ٨ .

(٥٧) الصراط المستقيم : ١ آب ١٩٣٨ ص ٨ من بيان لمحمد على علوبة .

(٥٨) الزمان : ٢١ آب ١٩٣٨ ص ٥ .

(٥٩) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٦ .

(٦٠) احمد طربين : المرجع السابق ص ٢١٨ ،
عبد الرازق الحسنى : المرجع السابق ص ١٦ .

(٦١) محمد على علوبة : المرجع السابق ص ٨ ، ٩ ، ١١٥ ، ١١٨

(٦٢) المؤتمر النسائى الشرقى ١٩٣٨ : المراة العربية وقضية فلسطين ص ١١ — ١٣ .

(٦٣) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٦٤) ممدوح الروسان : العراق والسياسة العربية ١٩٢١ — ١٩٤١ ص ٤١٣ ، ٤١٥ .

(65) F. O. 371/20018 : Periodical Appreciation Summary. No. 5/36.

(٦٦) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية. الكتاب الثانى ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٦٧) صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ص ٢٢٣ .

(٦٨) الرابطة العربية : ٢٢يوليو ١٩٣٦ ص ١٥ رسالة من المجاهد سليم عبد الرحمن .

(69) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 12/36.

(70) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 13/36.

(٧١) الرابطة العربية : ١٤ اكتوبر ١٩٣٦ ص ٢٩ .

(٧٢) الرابطة العربية : ٢١ اكتوبر ١٩٣٦ ص ١٨ .
(٧٣) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجـــزء الثالث ص ١٣١ .
(٧٤) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية . ص ١٨ .
(75) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.
(٧٦) صلاح الدين الصباغ: فرسان العروبة فى العراق ص٥٩ ، ١١٩
(٧٧) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٣٧٠ — ٣٧٢ .
(٧٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٤٠ .
(٧٩) فلسطين فى مذكرات القـــاوقجى ٣٦ — ١٩٤٨ الجزء الثـــانى ص ٦٥ ، ٧٣ .
(80) F. O. 371/20804.
(٨١) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٣٧٥ — ٣٧٧ .
(82) F. O. 371/20804.
(83) F. O. 371/20804.
(84) F. O. 371/20804 : E. 1146.
(85) F. O. 371/20804.
(86) F. O. 371/20805. E 1z Mar 1937.
(87) F. O. 371/20804.
(88) F. O. 371/20804 : E. 1146.
(89) F. O. 371/20805.
(90) F. O. 371/20804 : E. 921.
(٩١) نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤
(٩٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦ .
(٩٣) الشباب : ١٤ يوليو ١٩٣٧ ص ٣ .
(٧٤) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٣٧٨ — ٣٨٠ .
(95) F. O. 371/20804 : E. 4566.
(٩٦) ممدوح الروسان : المرجع السابق .
(٩٧) لوكازهيرزويز : المانيا الهتلرية والمشرق العربى ص ٥٢ ، ٥٣
(٩٨) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٣٧٨ — ٣٨١ .
(٩٩) لوكازهيرزويز : المرجع السابق ص ٥٤ .
(١٠٠) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٨٨ .
(١٠١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦٠ .
(١٠٢) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(١٠٣) الشباب ١٤ يوليو ١٩٣٧ ص ٢ ،
٢٨ يوليو ١٩٣٧ ص ٤ .

(١٠٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦٨ ، ١٨١ .

(105) F. O. 371/20810 : E. 4414, 4415.

(106) F. O. 371/20820 : E. 6836.

(١٠٧) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢١٦ .

(١٠٨) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٤٠١ .

(١٠٩) ممدوح الروسان : المرجع السابق ،
الزمان : ٢٧ تموز ١٩٣٨ ص ٥ ، ٢ أليول ١٩٣٨ ص ٤ ،
٦ أيلول ١٩٣٨ ص٥، ١٠ أيلول ١٩٣٨ ص ٥ ،
٢٠ أيلول ١٩٣٨ ص ٤ ،
الصراط المستقيم : العدد ١٠٠٠ — ٣٠ تموز ١٩٣٨ ص ٧ .

(١١٠) الزمان : ١ آب ١٩٣٨ ص ٤ ، ١٦ أيلول ١٩٣٨ ص ٤ .

(١١١) الزمان : ١٢ آب ١٩٣٨ ص ٤ ، ٢ أيلول ١٩٣٨ ص ٤ .

(١١٢) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٤٠ .

(١١٣) الزمان : العدد ٢٩٤ — ١٤ آب ١٩٣٨ ص ١ .

(١١٤) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٩ .

(١١٥) الصراط المستقيم : ١٠ شباط ١٩٣٨ ص ١ .

(١١٦) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(١١٧) الزمان : ٢١ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٤ .

(١١٨) الزمان : ٢٥ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٤ .

(١١٩) مذكرات طه الهاشمى ١٩١٩ — ١٩٤٣ ص ٢٢٥ .

(١٢٠) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(١٢١) الزمان ٣ آب ١٩٣٨ ص ٤ .

(١٢٢) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(١٢٣) الزمان : ٢٦ آب ١٩٣٨ ص ٤ .

(١٢٤) طه الهاشمى : مذكرات طه الهاشمى ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(١٢٥) عبد الرازق الحسنى : المرجع السـابق ص ١٨ — ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(١٢٦) طه الهاشمى : مذكرات طه الهاشمى ص ٢٢٦ ، ٢٨٣ .

(١٢٧) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(١٢٨) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١٢٩) طه الهاشمى : المرجع السابق ص ٢٧٧ .

(١٣٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١٣١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، ٢٢١ .
(١٣٢) الملف الخاص بعونى عبد الهادى : رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى فى ١٩٣٨/٩/٤ .
(١٣٣) احمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(١٣٤) صلاح الدين الصباغ : فرسان العروبة فى العراق ص ٦٨ ، ٦٩ .
(١٣٥) ممدوح الروسان : المرجع السابق ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
(١٣٦) توفيق السويدى : مذكراتى ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ نقلا عن ممدوح الروسان ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .
(١٣٧) صلاح الدين الصباغ : المرجع السابق ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ .
(١٣٨) عبد الرازق الحسنى : المرجع السابق ص ١٥٠ .
(١٣٩) الشباب : ١٧ فبراير ١٩٣٦ ص ٢١ ، ٢ مارس ١٩٣٦ ص ١٥ ، ١٦ .
(140) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 2/36.
(141) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 3, 4/36.
(142) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 6/36.
(١٤٣) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ص ١٤ ، ١٥ .
(١٤٤) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٣٢ .
(١٤٥) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ٣٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، الشباب : ٣ يونية ١٩٣٦ ص ١٦ .
(١٤٦) عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .
(147) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 16/36.
(148) F. O. 371/20804 : E. 921.
(١٤٩) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٢٨ .
(١٥٠) الشباب : ١٦ يونيو ١٩٣٧ ص ٣ .
(١٥١) الرابطة العربية : ٢٨ يوليو ١٩٣٧ ص ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٤ ، الشباب : ٢١ يوليو ١٩٣٧ ص ٤ ، ٢٨ يوليو ١٩٣٧ ص ٢ ، ٤ اغسطس ١٩٣٧ ص ٤ ، ١١ اغسطس ١٩٣٧ ص ٢ .
محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦٢ .
(152) F. O. 371/20804 : E. 4416.
(١٥٣) مذكرات مفتى فلسطين : آخر ساعة — ١١ ابريل ١٩٧٣ ص ٢٦ .
(١٥٤) الرابطة العربية ٢٢ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢٣ .

(١٥٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢١٧ .
(١٥٦) هيرزويز : المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٤ .
(١٥٧) الصراط المستقيم : ٢٢ شباط ١٩٣٨ ص ٧ ،
صوت الحجاز : ٢٨ ديسمبر ١٩٣٧ ص ١ .
(١٥٨) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .
(١٥٩) صوت الحجاز : ٨ مارس ١٩٣٨ ص ٢ .
(١٦٠) حقيقة الأمر : ٢٥ أيار ١٩٣٨ ص ١ .
(١٦١) الزمان : ٣ آب ١٩٣٨ ص ١ ، ٢ .
(١٦٢) نجيب صدقة : المرجع السابق ٢٣٣ .
(١٦٣) الزمان : ١٠ آب ١٩٣٨ ص ٣ .
(١٦٤) مذكرات مفتى فلسطين : آخر ساعة — ١١ أبريل ١٩٧٣ ص ٢٧ .
(١٦٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٣٢ .
(١٦٦) صوت الحجاز : ١١ أغسطس ١٩٣٦ ص ٣ .
(١٦٧) الرابطة العربية : ١٩ أغسطس ١٩٣٦ ص ٤١ .
(١٦٨) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ٢٢٢ .
(169) F. O. 371/20804.
(١٧٠) اللجنة العربية العليا : بيان وذكرى من فلسطين المصابة الى لبنان المعافى ص ٢ ، ٣ .
(١٧١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦٢ .
(١٧٢) الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢ .
(١٧٣) محمد جميل بيهم : فلسطين أندلس الشرق ص ١٣٦ .
(١٧٤) الشباب : المرجع السابق ص ٤ .
(١٧٥) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ١ ، ٣ .
(١٧٦) مذكرات مفتى فلسطين : المرجع السابق ٧ فبراير ١٩٧٣ .
(١٧٧) الشباب : ٢٧ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ .
(١٧٨) الاخوان المسلمون : ٣ سبتمبر ١٩٣٧ ص ١ .
(١٧٩) الشباب : ١٧ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٤ .
(١٨٠) الصراط المستقيم : ١٣ تموز ١٩٣٨ ص ١ .
(١٨١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢١٧ .
(١٨٢) الزمان : ٤ شباط ١٩٣٨ ص ٦ ، السياسة : ٣١ يناير ١٩٣٨ ص ٥ .
(١٨٣) الزمان : ٢٦ شباط ١٩٣٨ ص ٢ ، صوت الحجاز : ٨ مارس ١٩٣٨ ص ٣ .

(١٨٤) السياسة : ١٨ ابريل ١٩٣٨ ص ٦ .

(١٨٥) الصراط المستقيم : ٣٠ تموز ١٩٣٨ ص ٥ ، ٨ .

(١٨٦) حقيقة الأمر : ١٥ حزيران ١٩٣٨ ص ٢ .

(١٨٧) الزمان : ٢٧ تموز ١٩٣٨ ص ٥ .

(١٨٨) مذكرات مفتى فلسطين : المرجع السـابق ١١ ابريل ١٩٧٣ ص ٢٧ .

(١٨٩) مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : منشور بالكراسةالثانية عنوانه هذا بلاغ للناس .

(١٩٠) ملتقى النهرين : ١٧ يوليو ١٩٣٩ ص ٤ .

(١٩١) جيفريز : فلسطين . اليكم الحقيقة . الجزء الرابع ص١٦٤ .

(١٩٢) وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص٤٠٦ .

(١٩٣) فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(١٩٤) صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ص٣٣

(١٩٥) جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ص ١٤ ، ١٥ .

(١٩٦) عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية الكتاب الثانى ص ٦٠ — ٦٣ .

(١٩٧) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ٢١٨ .

(١٩٨) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ص ١٠٢ .

(١٩٩) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢٠٠) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثـة . الجزء الثالث ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢٠١) صبحى ياسين : المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٢٠٢) فلسطين فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ الجزءالثانى ص ١٨ ، ٧٣ .

(203) F. O. 371/20018 : Periodical Appreciation Summary. No. 16/36.

(٢٠٤) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٨٣ .

(٢٠٥) اللجنـة الفلسطينيـة العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ١٩٣٦ ص ٤٤ .

(٢٠٦) اميل الغورى : المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢٠٧) الرابطة العربيـــة : ٢٢ يوليو ١٩٣٦ ص ١ . رســـالة من سليم عبد الرحمن .

(209) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 14/36.

(٢٠٨) مكتبة الهيئة العربية العليـــا : خطاب من اللجنة الى الأمير مؤرخ فى ١٥ أغسطس ١٩٣٦ .

(٢١٠) فلسطين فى مذكرات القاوقجى ص ٣٧ — ٣٩ .

(٢١١) محمـــد عزة دروزة : المرجع الســـابق ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢١٢) الشهادات العربية أمام اللجنة الملــكية : مذكرة الأمير الى اللجنة ص ٣٧٩ — ٣٩٣ .

(٢١٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٢١٤) غسان كنفانى : دراسة عنوانها ثورة ٣٦ — ١٩٣٩ مجـــلة شئون فلسطينية — يناير ١٩٧٢ ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢١٥) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢١٦) محمد أمين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين ص ٧٥ .

(٢١٧) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثـــة . الجزء الثالث ص ١٥٦ .

(٢١٨) نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢١٩) اميل الغورى : المؤامرة الــكبرى ص ٨٨ ،

انيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين : ص ١٣٩ .

(٢٢٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ .

(٢٢١) الشباب : ٧ يوليو ١٩٣٧ ص ٤ .

(222) F. O. 371/20811 - E. 4566.

(٢٢٣) الشباب : ٢١ يوليو ١٩٣٧ ص ٣ ، ٤ .

(٢٢٤) الشباب : ٢٨ يوليو ١٩٣٧ ص ٤ .

(٢٢٥) انيس صايغ : الهاشـــميون وقضـــية فلسطين ص ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢٢٦) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ٢١٦ .

(٢٢٧) انيس صـــايغ : الهاشميون وقضية فلســـطين ص ١٠٣ — ١٠٥ ، ١٤٨ .

(٢٢٨) الصراط المستقيم : ٣١ أيار ١٩٣٨ ص ٣ ، ٤ ، حقيقة الأمر : ١ حزيران ١٩٣٨ ص ١ ، ٤ .

(٢٢٩) حقيقة الأمر : ٨ حزيران ١٩٣٨ ص ٢ .

(٢٣٠) حقيقة الأمر : ٨ حزيران ١٩٣٨ ص ٢ ، ٣ .

(٢٣١) الزمان : ٩ تموز ١٩٣٨ ص ٢ . نص مذكرة الأمير عبد الله الى اللجنة الفنية .

(٢٣٢) الصراط المستقيم : ١٤ حزيران ١٩٣٨ ص ٣ ،

(٢٣٣) الصراط المستقيم : ١٢ تموز ١٩٣٨ ص ٤ ، الزمان ١ تموز ١٩٣٨ ص ٣ ، ١٣ تموز ١٩٣٨ ص ١ .

(٢٣٤) حقيقة الأمر : ٢٠ تموز ١٩٣٨ ص ١ .

(٢٣٥) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ص ١٤٨ .

(٢٣٦) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ٢١٦ ، ٢٢٢ .

(٢٣٧) الزمان : ١٤ آب ١٩٣٨ ص ٥ .

(٢٣٨) الزمان : ٢٤ آب ١٩٣٨ ص ٥ .

(٢٣٩) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(٢٤٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٢٤١) صوت الحجاز : ٩ يونيو ١٩٣٦ ص ٢ ، ١٤ يوليو ١٩٣٦، ص ٢ .

(٢٤٢) حافظ وهبه : خمسون عاما فى جزيرة العرب ص١٥٥ ، ١٥٦،

(243) F. O. 371/20804.

(٢٤٤) ملف عونى عبد الهادى : صورة البرقية المرسلة من الملك عبد العزيز آل سعود .

(245) F. O. 371/2084 - E. 38. 4 Jan. 1937.

(246) F. O. 371/20804 - E. 38/22/31.

(247) F. O. 371/20804 - C. P. 30 (37).

(248) F. O. 371/20804 - E. 774.

(249) F. O. 371/20804.

(250) F. O. 371/20804 - E. 1019.

(251) F. O. 371/20805 - E. 75528/44/36.

(252) F. O. 371/20805 - E. 1695/22/31.

(253) F. O. 371/20805 - E. 1696.

(254) F. O. 371/20805 - E. 1707.
(255) F. O. 371/20805 - E. 1707/22/31.
(256) F. O. 371/20805 - E. 1779.
(257) F. O. 371/20805.
(258) F. O. 371/20805 - E. 2012.
(259) F. O. 371/20804.

(٢٦٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦١ .
(٢٦١) نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢١٨ .
(٢٦٢) الشباب : ٢١ يوليو ١٩٣٧ ص ٣ .
(٢٦٣) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦١ .
(٢٦٤) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٢٦٥) الشباب : ٢٥ اغسطس ١٩٣٧ ص ١ .
(٢٦٦) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٦١ ،
الشباب : اغسطس ١٩٣٧ ص ٣ .
(٢٦٧) ملف عونى عبد الهادى : خطاب من عجاج نويهض الى عونى عبد الهادى فى ٢٥ اغسطس ١٩٣٧ .
(٢٦٨) طه الهاشمى : مذكرات طه الهاشمى ص ٢٢٩ .
(٢٦٩) أمين الحسينى : مذكرات مفتى فلسطين — آخر ساعة — ١١ ابريل ١٩٧٣ ص ٢٦ ، محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢١٧ .
(٢٧٠) هيرزويز : المانيا الهتلرية والمشرق العربى ص ٥٤ .
(٢٧١) صوت الحجاز : ٢٤ اغسطس ١٩٣٧ ص ٢ ، ١٢ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ .
(٢٧٢) صوت الحجاز : ٩ اغسطس ١٩٣٨ ص ١ ، ٢٢ نوفمبر ١٩٣٨ ص ١ .
(٢٧٣) الزمان : ٨ آذار ١٩٣٨ ص ٤ .
(٢٧٤) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ١٥٨ .

الفصل الثامن

المغرب العربي والثورة

المغرب العربى والثورة

تـونس

كان الزعيم التونسى عبد العزيز الثعالبى من أقرب الزعمـاء العرب الى نفوس عرب فلسـطين ، وكان له جهـود معروفة قبيل قيـام ثورة ١٩٣٩/٣٦ فى مجال الدعوة الى توحيد جهود الجماعات المختلفـة وازالة اسباب الخلاف بينها ، ويروى تقرير دورى بريطانى قبيل الثورة بعـدة اشهر عن اجتماع عام بحيفا تحدث فيه الثعالبى الى شباب فلسطين عن واجباتهم فى تلك المرحلة (١) .

وعندما قامت ثورة ١٩٣٩/٣٦ اثارت قدرا من اهتمام المسلمين فى تونس ، لـكن هـذا القدر لم يتجاوز تشكيل لجا ناغاثة أو جمع تبرعات بواسطة بعض الجمعيات أو الهيئات او ارسال برقيات التاييد أو الاحتجاج.

وبالنسبة للهيئـات المختلفـة كانت جمعيات الشبان المسلمين بمدن تونس ولجنة الدفاع عن فلسطين ولجنة اغاثة فلسطين أسبق الجمعيات التى عملت من أجل فلسطين وظلت طوال مرحلة الثورة تجمـع التبرعات للمصابين والمنكوبين (٢) .

أما بالنسبة لفئـات الشعب فقـد كان شباب تونس أنشط القوى التى تحركت من أجل فلسطين بعد الثورة ، فقد ناشدوا كل هيئة تونسية — سياسية أو اجتماعية أو ادبيـة — وكل نقابة تجارية وتروية ، وكل تونسى وتونسية أن يخففوا ويلات اخوانهم المصـابين فى فلسطين ، كما أرسلوا الى الحكومة البريطانية يحتجون على أعمالها فى فلسطين .

اما على المستوى الحزبى فقد أعطى الحزب الحر الدستورى شيئا من الاهتمام لقضية فلسطين خاصة بالنسبة لارسـال الاحتجـاجات الى الهيئات الرسمية والدولية (٤) .

وخلال الفترة التالية لاذاعة مشروع التقسيم اخذت حركة الجماهير شكل مظاهرات وطنيـة اتجهت الى مقر القنصلية البريطانيـة فى تونس .

وقدمت احتجاجها (٥) ونتيجة لحماس الجماهير فقد حدثت بعض صدامات بين المسلمين واليهود ، وكانت السلطة تقاوم فى سرية النشاط المؤيد لفلسطين تجنبا منها لاثارة مشاعر المسلمين ، لكنها كانت تخشى جانب اليهود ايضا (٦) .

ويفهم من مقال نشرته احدى المجلات الفلسطينية فى ٢٤ مايو ١٩٣٨ نقلا عن جريدة تونس المصورة ان الصهيونيين فى تونس بدءوا فى ذلك الحين يمارسون نشاطهم العلنى حيث أعلنوا عن شريط سينمائى تحت اسم « الأرض الموعودة » ثم أعلنوا عن محاضرة عن الصهيونية فى مكتب الاتحاد الاسرائيلى . وقد ثارت ثائرة الشبان التونسيين ، وارادوا ان يقوموا بمظاهرات ضد تلك المحاضرة ، وأعلموا الحكومة بما عزموا عليه (٧) .

ورغم ان مواقف تونس ازاء فلسطين فى تلك الفترة تعتبر محدودة، لكن اهميتها تبدو اذا علمنا ان أول اضراب عام اعلنته تونس من أجل المغرب والجزائر لم يحدث الا فى ٢٠ نوفمبر ١٩٣٧ (٨) .

الجزائر

يتبين من عدد من الشواهد ان قضية فلسطين لم تكن تشغل الشعب الجزائرى أو حتى تنال شيئا من اهتمامه قبل ثورة ١٩٣٩/٣٦ ، واما بعد الثورة مباشرة فقد كانت نظرة الجزائريين اليها نظرة اشفاق وعطف على مايحدث لاخوانهم المسلمين .

ولم يكن الراى العام فى الجزائر يعرف شيئا عن قضية فلسطين ، ففى اجتماع نظمته كتلة الجمعيات الاسلامية بالجزائر فى اغسطس ١٩٣٧ بمدينة وهران لمناقشة موضوع داخلى خاص بأهل وهران عرض رئيس تلك الجمعيات لقضية فلسطين بطريقة يفهم منها أن نظرة بعض الزعماء الجزائريين الى القضية كانت نظرة دينية ضيقة ، ومع ذلك فقد تبين له ان الحاضرين يجهلون قضية فلسطين جهلا تاما ، فدعا الخطيب الى تخصيص اجتماع كبير تشرح فيه ظلامة فلسطين ، فوافق الحاضرون على ذلك .

وحتى بالنسبة للاحزاب والجمعيات الرئيسية فى البـلاد فانها لم تعط اهتماما لقضية فلسطين الا بعد اذاعـة مشروع التقسيم ، ففى ١٤ اغسطس ١٩٣٧ قرر حزب الشعب أن يشتغل رسميا بالقضية الفلسطينية وأن يقوم بواجبه كحزب عربى وطنى ، لـكن الحزب أعطى بعـد ذلك اهتماما بالنسبة للجانب الاعلامى للقضـية ، فقـد عقد خلال اسـبوع ست اجتماعات كبيرة فى ست مدن جزائرية حضرها الوف من عرب الجزائر حيث القيت الكلمات منددة بالسياسة البريطانية فى فلسطين ، وأرسلت برقيات الاحتجاج الى الجهات المختصة ، وافتتح اكتتاب عام لجمع التبرعات لمجاهدى فلسطين (٩) . ونتيجة لنشاط الحزب فى مقاومة التقسيم فقـد اعتقلت السلطة مصالى الحاج وخمسة من رفاقه ، متهمة اياهم بمحاولة تعكير الجو فى الجزائر ضد السلطة البريطانية (١٠) .

لـكننا نجد فى بيـانات بعض الهيئـات الجزائرية ادراكا واعيـا للمخطط الاستعمارى الصهيونى ، فقد اشار بيـان لجمـاعة العلماء فى الجزائر — التى كان يرأسها عبد الحميد بن باديس — الى أن « نقطـة الاحساس فى العـالم العربى اليوم انما هى نقطة فلسـطين ، والخطر الداهم الذى يهـدد العرب فى كيانهم وفى حياتهم انما هو خطر فلسطين ، وأن الواجب المحتم على كل عربى مسلم فى أى قطر من أقطار الأرض هو أن يقف الى جانب أخيه العربى فى فلسطين ينصره ويؤازره ويضحى الى جانبـه باغلى واعز ما يملك ، فالمسألة ليست مسألة بلاد نائية ، وليست مسألة محلية لاتهم الا أهل فلسطين وحدهم ، انما هى مسـألة العـالم العربى بأسره ، بل العالم الاسلامى برمته ، وكل اقتطاع من أرض فلسطين انما هو حز فى رقبة العرب ونحر للعالم الاسلامى من وريده » (١١) .

المغـــرب

كان عرب المغرب متعاطفين مع عرب فلسطين منذ بداية ثورة ١٩٣٦ وقد شهدنا مظاهر ذلك فيما حدث من اشتباكات بينهم وبين اليهود فى مدينة الرباط (١٢) . ، ثم فى تلك الاحتجاجات التى أرسلتها الهيئات المختلفة الى الجهات البريطانية والرسمية خاصة كتلة العمل الوطنى (١٣) .

وعندما التحق المجاهد السورى سعيد العاص بالثورة الفلسطينية فى الأسبوع الأول من سبتمبر كان معه بعض المغاربة من سكان مدينة دمشق الذين سبق اشتراكهم فى الثورة السورية (١٤) .

وقد تبين من متابعة أحدى المجلات المغربية الهامة « الوحدة المغربية » لفترة تزيد على ستة اشهر انها لم تنشر عن فلسطين سوى أخبار محدودة فى بعض أعدادها ودون تعليقات ، وأوضحت المجلة فى مقال لها فى ٢٠ اغسطس ١٩٣٧ أنه عندما صدر مشروع التقسيم كانت المجلة محتجبة بطبعتيها العربية والأسبانية ، فلم تستطع أن تبدى رأيها فى القضية لقرائها المغاربة وانها عندما تمكنت من اصدار طبعتها الأسبانية خصصت عددين من أعدادها للدفاع عن قضية فلسطين ووصف الصدى الذى احدثه مشروع التقسيم ، وأوضح المقال أن عرب المغرب حلفاء لاخوانهم العرب الى النهاية فى الدفاع عن شقيقتهم فلسطين ، ونصح المقال الحكومة البريطانية أن تسير فى فلسطين على السياسة التى اتبعتها فى مصر والعراق ، وانذرت الصهيونيين اذا استمروا فى خطتهم « فسيجلبون اكبر خطر على سلالتهم الموزعة فى بلدان المسلمين » (١٥) .

وقد كان لمشروع التقسيم رد فعل كبير فى مدن المغرب وجماهيره فقد عقدت الاجتماعات ونظمت المظاهرات وارسلت الاحتجاجات وجمعت التبرعات وهوجمت السياسة البريطانية ، وكان اكثر الهيئات المغربية اهتماما هى اللجنة الوطنية لمناصرة فلسطين والبلاد المقدسة فى مراكش واللجنة القومية للدفاع عن فلسطين العربية بالمغرب الأقصى . وتوضح برقيات الاحتجاج المرسلة أن نظرة المغاربة الى القضية كانت نظرة اسلامية لكن دون تجاهل لفكرة الوحدة العربية (١٦) ، ودعت حركة الوحدة المغربية وحزب الاصلاح الوطنى الذى كان يرأسه عبد الخالق الطريسى الشعب العربى فى المغرب لجعل يوم السابع والعشرين من رجب (٤ أكتوبر ١٩٣٧) يوما خاصا لفلسطين والى الاكتتاب لمساعدة فلسطين كما دعت مجلة « الوحدة المغربية » ملك المغرب وولى عهده الى الانضمام لملوك العرب وأمرائهم فى الاحتجاج على مشروع التقسيم (١٧) .

وتعتبر برقية مرسلة من حركة الوحدة المغربية الى القنصل البريطانى بالمملكة المغربية الحكومة البريطانية المسئولة الوحيدة عما حدث لعرب

فلسطين ، وتعلن عدم قبولها لأى حل للقضية « الا على اساس عروبة فلسطين الموحدة ، واستقلالها استقلالا تاما مطلقا ، واعتبار اليهود اقلية » ، وأنذروا الحكومة البريطانية أن أصرت على خططها بسخط العالم الاسلامى عليها ومقاطعة تجارتها ، ويتضح من البرقية المذكورة أن الشعب المغربى احتج على الحكومة البريطانية من أجل فلسطين اعتبارا من شهر يناير ١٩٣٤ .

وفى ٥ أكتوبر ١٩٣٧ قابل بعض مندوبى حركة الوحدة المغربية المقيم العام الاسبانى وقدموا اليه احتجاجهم الى الدولة البريطانية كما استقبل ولى عهد المغرب فى نفس اليوم محمد المكى الناصرى وعبدالسلام التمسمانى حيث ابلغاه ماتم فى اجتماع الحركة يوم ٤ اكتوبر ، وقدما اليه نسخة من عريضة الاحتجاج على مشروع التقسيم « فأعلن أله الشديد من مصاب العروبة فى ذلك القطر الشقيق ، وشكر الوحدة المغربية على اهتمامها بشئون الاسلام العامة وشئون المغرب خاصة » (١٨) .

وتفسح مجلة الوحدة المغربية صفحاتها بين وقت وآخر لمقالات أو بيانات عن فلسطين ، فمن مقال عنوانه « بمناسبة تألب اليهودية العالمية الى فلسطين . اليهودية الأولى والاسلام » (١٩) الى مقال عنوانه « البارومتر الحقيقى بين العرب والمسلمين » (٢٠) . الى بداية نشر بيانات اللجنة العربية العليا الى عرب فلسطين (٢١) .

وتنشر « الوحدة المغربية » فى ١٢ اغسطس ١٩٣٨ نص نداء عام بشأن فلسطين موجه الى العالم الاسلامى من اللجنة العليا لاعانة منكوبى فلسطين بمصر وتعلق عليه الجريدة بقولها « والوحدة المغربية تنشره متضامنة معه كل التضامن ، داعية جميع المسلمين المغاربة الى البذل والانفاق فى سبيل فلسطين مااستطاعوا الى ذلك سبيلا » ، وتشير الجريدة فى نفس العدد الى جهود حركة الوحدة المغربية من أجل فلسطين ،فتذكر انها طالما نظمت من أجلها المهرجانات ، ولفتت نظر المواطنين الى خطورة القضية ووجوب الدفاع عنها ، وعقدت الفصول الطوال عنها فى طبعتها العربية التى يقرأها المسلمون وكذلك فى طبعتها الأسبانية التى يقرأها الأوربيون والاسرائيليون ، ونظمت اكتتابا بين أنصارها قبيل موسم الحج عام ١٩٣٧ وأرسلت قيمة ماجمع (ستون جنيها انجليزيا) الى فلسطين ثم

تختتم الجريدة تعليقها قائلة « ولابد من ان يواصل المغاربة مساعدتهم لمنكوبى فلسطين بكل ما يستطيعون ، فقضية فلسطين هى قضية المسلمين اجمعين » (٢٢) .

وفى مقال لأحد الكتاب المغاربة فى ٢ سبتمبر ١٩٣٨ يوضح فيها لعرب المغرب ان مشكلة بيت المقدس ليست خاصة بعرب فلسطين فحسب « بل هى مشكلة العالمين الاسلامى والعربى » ويدعو عرب المغرب الى أن ينفضوا عنهم غبار الخمول ويساهموا بنصيبهم فى جهاد فلسطين (٢٣) .

وتنشر الوحدة المغربية فى بعض اعدادها نداءات من هذا النوع « فلسطين أرض الاسلام المقدسة فلا يمكن أن يتنازل عنها المسلمون » (٢٤) .
وتحت عنوان « أيها المغاربة » كتبت المجلة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٣٨ تقول « ارفعوا رأس المغرب فى الداخل والخارج ، ساعدوا فلسطين بالمال ، صلوا على أرواح الشهداء ، احضروا الاجتماعات بالأندية والمساجد ، ارفعوا الاحتجاجات للدوائر المسئولة كى تؤدوا واجب فلسطين الشقيقة » (٢٥) .

ويوضح مقال لأحد الكتاب المغاربة فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٨ سبب قلة التبرعات المالية التى قدمها المغرب لفلسطين فى العام السابق « السبب هو عدم سماح المستعمرين وتتبعهم لخطوات العاملين فى هذا السبيل والحيلولة بينهم وبين الوصول لاخوانهم ليمدوا يد الاعانة والمساعدة ، تارة بعقوبة المتبرعين ، وتارة بالضرب على يد العاملين والزامهم بدفع ماجمعوا للسلطة » . ويوضح الكاتب فى نفس المقال حقيقة الأوضاع فى المغرب فى سبتمبر ١٩٣٨ وامكانية تقديم المساعدة لعرب فلسطين من مناطق المغرب الثلاث « ونحن بالمنطقة الخليفية السعيدة والجو السياسى ملائم ... أما المنطقة السلطانية وحالها كما يعلم القاصى والدانى كل رجالها الأبرار فى المنافى والسجون وكل الرءوس المفكرة تتلقى أنواع العذاب والمكر صباح ومساء ... والضغط بالغ أقصى حدوده ، والعقاب جارز الحد المحدود ... مع هذا كله نحن على يقين تام أن المسلمين المغاربة بالمنطقة السلطانية سيقومون بنصيبهم فى هذه القضية الاسلامية الهامة ... أما المنطقة الطنجية فرغم شدة حالها فى الظروف الحاضرة ستقوم بنصيبها لعلو همة رجالها البررة » .

وكان يوم ٢٧ رجب « ٢٢ سبتمبر ١٩٣٨ » يوم فلسطين فى المغرب. فقد تبرع المغاربة ببعض الأموال من أجل فلسطين فى هـذا اليوم ، كما أرسلت الاحتجاجات الى السلطات البريطانيـة (٢٦) ، وأصـدرت مجلة « الوحدة المغربية » ملحقا فى ذلك اليوم خصصت ثمنه لمنكوبى فلسطين(٢٧) وصدر بعد ذلك اعداد أخرى خصصت لقضية فلسطين (٢٨) .

وعندما عقد المؤتمر البرلمانى العربى بالقاهرة من أجل قضية فلسطين (٧ أكتوبر ١٩٣٨) حضره اثنان من رجال الحركة الوطنية فى المغرب هما محمد المكى الناصرى وابراهيم الوزانى ، وقد انتخب الأول ممثلا للمغرب فى لجنة الاقتراحات ، وهى اللجنة التى وضعت مشروع قرارات المؤتمر(٢٩).

ويتضح من مقال نشرته مجلة « الوحدة المغربيـة » فى ١٨ نوفمبر ١٩٣٨ عنوانه « طنجة بين مخالب الصهيونية » ان اليهود يسيطرون على موارد الرزق فى المغرب ، وأن نشاطهم قوى فى الشهور الأخيرة فى مجال شراء الأراضى خاصـة فى مدينـة طنجة ، ونبهت المجلة سائر المغاربة الى الخطر المحدق بهم ، ودعت الى منع تسرب الأراضى المغربية اليهم حتى لايتكرر ماحدث فى فلسطين (٣٠) .

ويتبين من بيان نشر فى يوليو ١٩٣٩ أن مجموع الأموال التى جمعت لعرب فلسطين عن طريق اللجنة المركزية فى تطوان فى المدة من ١٥ الى ١٩ يوليو ١٩٣٩ (٧٣٫٨٨٤) بزيتا اسبانية ، وبدأت قائمة التبرعات بتبرع لولى عهد المغرب بلغت قيمته (٢٠٫٠٠٠) بزيتا ، وتبرع المقيم العام بمبلغ (١٥٫٠٠٠) بزيتا ثم تبرعات للجمـاهير تتراوح بين خمسـة وخمسمائة بزيتا . ويلاحظ أن القائمة الخامسة للتبرعات تضمنت العـاملين بالتجارة والجزارة والأفران والطهى وبائعى الحلوى (٣١) . بينما كانت تبرعات القضاة والقواد ضئيلة للغاية (٣٢) .

ومع تطور أحـداث فلسـطين تتطور نظرة عرب المغرب الى اليهود المحليين ، فقد اشارت الصحف المغربية فى منتصف عام ١٩٣٩ الى عدد من الأحداث المتعلقة بهذه النقطة مثل اعتداء المسلمين بأحد المقاهى العربية على ثلاثة من اليهود تحدثوا بما يجرح عواطف المسلمين بشأن فلسطين ، وانتقاد العرب الذين يسيرون مع اليهود فى الطريق واعتبار ذلك تقليلا من

قيمة المسلمين واستهزاء بروح التضامن مع مجاهدى فلســطين ، وتنبيها لليهود الى عدم مناصبة المسلمين العداء (٣٣) .

وتلفت احدى الصحف نظر باشا العاصمة الى اصــدار أوامره بمنع البــاعة اليهود من التجول بالبضــائع بين دور المسلمين « لمــا فى ذلك من الضرر علينا من الناحيتين الدينية والاقتصادية » (٣٤) .

وحتى بعد بداية الحرب العالمية الثانية كانت الصحف المغربيةماتزال تصــدر ملاحق لمساعدة فلسطين ، وتحث المغــاربة على القيام بواجبهم الدينى تجاهها (٣٥) .

مصادر الفصل الثامن

(1) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 1/36.

(٢) الاهـــرام : ١٩٣٦/٧/٢٦ ص ١١ ، ١٩٣٦/٧/٣١ ص ٩ ، ١٩٣٦/٨/١٨ ص ٨ ، ١٩٣٦/٨/٢٥ ص ١٠ ، ٤ أكتوبر ١٩٣٦ ص ٨ ، الاخوان المسلمون : ٣١ سبتمبر ١٩٣٧ .

(٣) الرابطة العربية : ١٥ يوليو ١٩٣٦ ص ٣٧ .

(٤) الشباب : ١١ اغسطس ١٩٣٧ ص ١ .

(٥) الشباب ٢٠ اكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٦) الشباب ٨ سبتمبر ١٩٣٧ ص ١ .

(٧) الصراط المستقيم : العدد ٩٨٨ — ٢٤ أيار ١٩٣٨ ص ٦ .

(٨) الوحدة المغربية : ٢٠ نونبر ١٩٣٧ ص ١ .

(٩) الشباب : ٢٥ اغسطس ١٩٣٧ ص ٢ — ٤ .

(١٠) الشباب : ٦ اكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(١١) الاخوان المسلمون : ٢ سبتمبر ١٩٣٧ ص ١٠ .

(١٢) الاهرام : ١٩٣٦/٧/١٩ ص ٤ .

(١٣) الاهرام ١٩٣٦/٧/٢٣ ص ٥ .

(١٤) صبحى ياسين : الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ص١٨٠ .

(١٥) الوحدة المغربية : ٢٠ غشت ١٩٣٧ ص ١ ، ٢ .

(١٦) الشباب : ١٨ اغسطس ١٩٣٧ ، ٢٥ اغسطس ١٩٣٧ ، ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ١ ، ٤ .

(١٧) الوحدة المغربية : ١ اكتوبر ١٩٣٧ ص ٤ ،
الشباب : ٣ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٣ ، ٤ ، ١٧ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(١٨) الوحدة المغربية : ٨ اكتوبر ١٩٣٧ ص ١ — ٣ .

(١٩) الوحدة المغربية ٢٦ نونبر ١٩٣٧ ص ١ .

(٢٠) الوحدة المغربية ٣ دجنبر ١٩٣٧ ص ٣ .

(٢١) الوحدة المغربية : ٢١ يناير ١٩٣٨ ص ٤ .

(٢٢) الوحدة المغربية : ١٢ غشت ١٩٣٨ ص ٢، ٥ .

(٢٣) الوحدة المغربية : ٢ شتنبر ١٩٣٨ ص ٢ مقـــال لمحمد العربي الزكاري .

(٢٤) الوحـــدة المغربيـــة : ٢٦ غشت ١٩٣٨ ص ٢ ، ١٦ شتنبر ١٩٣٨ ص ٥ .

(٢٥) الوحدة المغربية : ملحق بالعدد ٥٨ لمساعدة فلسطين ـــ ٢٠ شتنبر ١٩٣٨ ص ١ .

(٢٦) الوحدة المغربية : ٢٣ شتنبر ١٩٣٨ ص ٣ ، ٦ .

(٢٧) الوحدة العربية : ٣٠ شتنبر ١٩٣٨ ص ٢ .

(٢٨) « « : ٤ نونبر ١٩٣٨ ص ١ .

(٢٩) « « : ٤ نونبر ١٩٣٨ ص ٣ .

(٣٠) « « : ١٨ نونبر ١٩٣٨ ص ٥ .

(٣١) « « : ٢١ يوليو ١٩٣٩ ص ١ ، ٦ ، ٢٥ غشت ١٩٣٩ ص ٦ .

(٣٢) « « : ١٨ غشت ١٩٣٩ ص ٦ .

(٣٣) « « : ٢١ يوليو ١٩٣٩ ص ٣ ، ٤ .

(٣٤) « « : ١١ غشت ١٩٣٩ ص ٤ .

(٣٥) « « ١١ سبتمبر ١٩٣٩ ص ١ .

الفصل التاسع

مصر الثورة

مصر وثورة ١٩٣٩/٣٦

كان عرب فلسطين يرون فى مصر قـدوة لهم فى نضالهم ، فتشير التقارير البريطانية الدورية قبيل الثورة الى أن التطورات السياسية فى مصر فى تلك الفترة ـ خاصـة حركة الطـلاب ـ كان لها تأثيرها على الأوضـاع فى فلسطين ، وكان من مظاهر ذلك تلك المجموعات الـكشفية التى كان الحزب العربى الفلسطينى يحـاول تشـكيلها باسم « الفتوة » متشبها بالتنظيمات الشبابية التى تكونت فى مصر خلال الثلاثينيات (١) .

وقد انتهز الفلسطينيون الذين زاروا المعرض الصناعى فى القـاهرة فى مارس ١٩٣٦ تلك الفرصة ، فأجروا مناقشات مع الوطنيين المصريين حول الوحدة العربية والأمانى القومية (٢) ، كما أن الكشافة الفلسطينيين الذين زاروا القاهرة فى ذلك الوقت نظمت لهم اسـتقبالات واجتماعات مختلفة ألقيت فيها الـكلمات حول الوحدة العربية والعلاقات التى تربط فلسطين بمصر ، واقترح الصحفى المصرى توفيق دياب ضرورة تبنى طلاب فلسطين لاجراءات مماثلة مثل اخوانهم فى مصر (٣) .

واذا كان اهل مصر لم يقدر لهم فى فترة ماقبل الثورة بسبب انشغالهم بالنضـال الوطنى من اجل تحقيق الاستقلال أن يضعوا امكاناتهم وخبراتهم فى خدمة الشعب العربى فى فلسطين ، فقد استطاعوا أن يساهموا فى ذلك بطريقة فعالة وثورية ـ وان كانت بشكل فردى ـ فى مجال آخر من مجالات الـكفاح المسلح ضد الاستعمار ، فلقد تكونت خلال النصف الأول من الثلاثينيات عصبة الشيخ عز الدين القسام التى رفعت راية المقـاومة المسلحة فى وجه البريطانيين ، وقـدر لأحد المصريين وهو حنفى عطيـة احمد ان يشارك فى تلك العصبة وأن يكون أحد رجالها البارزين ، وأن يستشهد مع الشيخ القسام فى أول معركة مع القوات البريطانية فى جبال يعبد من قضاء جنين ، وكان حنفى عطية احمد أحد المصريين الذين كانوا يعملون فى سكة حديد حيفا (٤) .

وهناك اختلاف بين الصحف المصرية فى تحديد اسم هذا المصرى ،

فتروى جريدة المقطم ان اسمه هو « السيد قاسم المصرى » (٥) بينما تذكر الأهرام ان اسمه هو « السيد أحمد عطية » من سكان القاهرة ، وانه كان يقيم فى حيفا قبل ذلك باثنين وعشرين عاما ، ويشغل وظيفة « ورديان » فى جمرك حيفا ، وانه كان زوجا وابا لثلاث بنات صغيرات (٦).

بل ان الاضراب العربى الكبير الذى حدث فى فلسطين فى ابريل ١٩٣٦ بدأ بمقتل عربيين كان احدهما مصريا استضافه صديق فلسطينى له .

وكان لهذا الاضراب وما تخلله من اعمال ثورية آثار على مصر الشعبية والرسمية ، فبالنسبة لمصر الشعبية كانت الجمعيات الاسلامية — مثل الشبان المسلمين والاخوان المسلمين — ورجال الدين وطلبة الجامعات والاتحاد النسائى المصرى اكثر الهيئات التى تجاوبت مع ثورة فلسطين واعطت اهتماما كبيرا لقضية فلسطين .

فبالنسبة للشبان المسلمين فقد شكلوا لجنة عليا لاغاثة منكوبى فلسطين ، وكانوا يصدرون البيانات وينظمون المحاضرات ، وكان لرئيسهم الدكتور عبد الحميد سعيد دور كبير فى تعبئة الراى العام العربى والاسلامى وزيادة اهتمامه بقضية فلسطين بما كان يرسله الى الهيئات المختلفة والمسئولين من بيانات ، وقد بلغ من اهتمامه بتلك القضية ان استقال من الحزب الوطنى فى يوليو ١٩٣٦ ليتفرغ لخدمة الشئون الاسلامية التى كانت قضية فلسطين فى مقدمة قضاياها فى تلك المرحلة(٧).

واما الاخوان المسلمون فقد قاموا بتعبئة الجماهير وساهمت شعبهم المختلفة فى انحاء البلاد فى جمع الأموال من اجل فلسطين (٨) .

واما رجال الدين والجمعيات الاسلامية الأخرى ، فقد اهتمت جمعية تضامن العلماء وجمعية الهداية الاسلامية بعقد الاجتماعات فى المدن المختلفة واذاعة البيانات ودعوة اعضائها الى التبرع لمجاهدى فلسطين(٩).

واما طلبة الجامعات ، فقد اجتمع فريق كبير من طلبة الجامعتين المصرية والأزهرية يوم ١٣ يونية ١٩٣٦ حيث تدارسوا الموقف وقرروا مناشدة

اللجان التى تألفت لمساعدة الحبشة ان تستأنف عملها لمساعدة فلسطين ، وتألفت لجان منهم لبث الدعاية لهذه الغاية فى جميع احياء القاهرة ومديريات البلاد المختلفة (١٠) وظل طلبة الجامعتين يعبرون عن مشاعرهم بالنسبة لفلسطين فى مناسبات عديدة .

واما الاتحاد النسائى المصرى فقد اجتمع فى ٩ يونية ١٩٣٦ لبحث الحالة فى فلسطين ، وقرر افتتاح اكتتاب عام وتشكيل لجنة لجمع التبرعات ، وارسل برقيات الاحتجاج الى الجهات المختصة ، وناشد نساء العالم تأييد قضية فلسطين والدعوة الى وقف الهجرة اليهودية . وكانت هدى شعراوى تعتزم — بناء على تفويض لجنة السيدات العربيات بالقدس — عرض قضية فلسطين على مؤتمر السلم العالمى الذى عقد فى بروكسل فى الفترة من ٣ الى ٦ سبتمبر ١٩٣٦ ، لكنها اضطرت الى العودة من أوروبا قبل عقد المؤتمر فقامت بهذه المهمة عن طريق مراسلة المؤتمر (١١) .

لكن هذه المواقف تجاه ثورة الشعب العربى فى فلسطين لم تكن مقتصرة على ذلك ، فقد كانت هناك محاولات فردية عبر بها افراد الشعب المصرى عن مشاعرهم تجاه احداث فلسطين . فقد وزع مواطن بالاسكندرية يدعى ابراهيم بايزيد — منشورا فى المدينة تحت عنوان « دقى يا طبول الجهاد الثائرة » دعا فيه ابناء الاسكندرية الى مساعدة أهل فلسطين ، فاستدعته الشرطة وطلبت منه الكف عن نشر مثل هذا المنشور (١٢) .

وعبر بعض الشعراء المصريين عن تعاطفهم مع عرب فلسطين خلال تلك المرحلة ، فالشاعر محمد الأسمر يفخر بثورة فلسطين ونضال ابنائها :

الشرق منهـا آخـذ بنصيبه
فى مصره جرح وفى بغداده
هـذا الجهـاد الحق فاستمعوا له
وخذوه كل الاخذ عن أستاذه (١٣)

وهذا هو الشاعر احمد محرم يدعو المسلمين الى مساندة عرب فلسطين :

لا تخذلوهم والملائك شهد
بالمستجدين . كفى جنذلك نائما

انى وفيت لهم ولست بمسلم
ان خنت فى دنياى شعبا مسلما

ابيت اولى القبلتين حزينة
وابيت وسنان الجفون منعما ؟ (١٤)

وارسل الأمير عمر طوسون خطابا الى المندوب السامى البريطانى فى فلسطين فى ١٥ يوليو ١٩٣٦ ينبهه الى الآثار البعيدة لاستمرار مايجرى فى فلسطين ويناشده سرعة حسم الموقف (١٥) . لكن يبدو أن عمر طوسون لم يكن يفهم فى بداية الثورة حقيقة الصراع الدائر فى فلسطين ، وان عرب فلسطين متضامنون فى الدفاع عن قضيتهم، فعندما طلبت منه اللجنة المركزية لمساعدة فلسطين أن يرسل باقى التبرعات الخاصة بالحبشة الى فلسطين ، ارسل سكرتيره الى اللجنة خطابا يفيد أن التبرعات السابق جمعها هى من مسلمين ومسيحيين وانجليز وفرنسيين وغيرهم ، وانه لهذا لا يمكن ارسال مساعدة منها لفقراء فلسطين لأن الحركة القائمة فى فلسطين خاصة بالمسلمين وحدهم (١٦) .

واما الصحف المصرية فكان بعضها يكتفى بنشر البلاغات الرسمية البريطانية عن أحداث فلسطين أو نشر برقيات الشركات الأجنبية والصهيونية ، وبعضها مثل جريدة البلاغ والمقطم لم يكن ينشر شيئا من بيانات اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة ، وبعضها كان يقف موقفا محايدا ، وبعضها كان ينشر الأنباء اليهودية الملفقة التى كان يذيعها اليهود باسم وكالة (و.ش) أو وكالة الشرق .

ويرجع موقف الصحف التى وقفت موقفا سلبيا او حياديا من احداث فلسطين الى عدة عوامل مثل تجنب اغضاب الانجليز بسبب المفاوضات الجارية فى ذلك الوقت ، أو لارتباطها مع شركة الاعلانات اليهودية لنشر اعلاناتها أو خشيتها من منع دخولها فلسطين (١٧) .

وهذا عبد القادر المازنى يعبر فى مقال له عن مشاعره تجاه تجنب بعض الصحف المصرية الحديث عن فلسطين « فليس أوجع ولا آلم من أن يضطر المرء الى خنق مايدور فى نفسه ويضطرب به جنانه ، ولا سيما اذا كان يعتقد أن مايهجس به خاطره صواب ناصع ، والم آخر ممض مبعثه

العلم بأن انتقاء الصحف لموضوع معين ليس مرجعه الى مصلحة ترعى بل الى دسائس خفية تخدم اغراضا خاصة لفريق يكره أن يثار الموضوع، ولست اكره أن يخدم احد مصلحته ولكنى اكره أن تكون خدمة هذه المصلحة على حساب مصلحة كبرى لأمة بأسرها بل لأمم عديدة » (١٨).
كما يلمس الدكتور محمد حسين هيكل شيئا من تلك المعانى فى مقال عن فلسطين يقول فيه « انني اعلم ان قوما من بنى وطنى سينكرون هذا الذى اكتب ويرون فيه ستوء سياسة ازاء انجلترا الحليفة وقد يكونون فى هذا على حق، وقد يرون من المصلحة أن نحطم الاقلام التى تكتب دفاعا عن فلسطين أو غير فلسطين ضد انكلترا ، فليفعلوا ان شاءوا ، أما انا فاعتقد أن الرجل الذى يرى الظلم ولا ينكره لا يمكن أن يكون جديرا بهذا الاسم » (١٩) .

وكانت بعض الصحف المصرية مثل جريدة الأهرام تنظر الى قضية فلسطين باعتبارها قضية انسانية وتعتبر حربها « حرب الانسانية » كما اعتبرها عزيزة « على كل قلب من عباد الله » (٢٠) .

وأما الاذاعة المصرية فكانت تقف من الثورة الفلسطينية موقفا غير ودى ، فكانت تصف المجاهدين بالاشقياء وقطاع الطرق ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى ان الاذاعة فى تلك الفترة كانت تابعة من الناحية العملية للادارة البريطانية ممثلة فى شركة ماركونى (٢١) .

ويبدو ان اذاعة فلسطين كانت محل اهتمام المصريين فى ذلك الوقت حيث كانت الاهرام تنشر يوميا برنامج الاذاعة الخارجية لفلسطين (٢٢).
كما كان من المسائل العادية أن تنشر الصحف اليومية فى تلك الفترة أخبارا عن حفلة تقيمها جمعية مدارس الطائفة الاسرائيلية بالاسكندرية تحت رعاية الأمير عمر طوسون مثلا (٢٣) . أو خبرا عن اجتماع الجمعية العمومية لنادي الاتحاد للاسرائيليين القرائين بالعباسية(٢٤) . أو خبرا عن اجتماع الجمعية الخيرية الاسرائيلية فى الاسكندرية (٢٥) .

وأما الوفد المصرى الذى كان رئيسه مصطفى النحاس باشا هو رئيس مجلس الوزراء خلال المرحلة الأولى من الثورة ، فلم يزد موقفه الشعبى عن تبرع رئيسه بأربعين جنيها لعرب فلسطين (٢٦)

وأما الحزب الوطني فلم يكن يهتم بقضية فلسطين في هذه المرحلة . فقد تبين من مراجعة خطاب سياسي لحافظ رمضان رئيس الحزب القاه في ١٤ اغسطس ١٩٣٦ واستغرق القاؤه اكثر من ساعتين انه لم ترد في الخطبة كلمة واحدة عن قضية فلسطين ، وانما كانت الكلمة كلها تدور حول موقف الحزب من المعاهدة المنتظرة ، وهتف الحاضرون في نهاية الاجتماع بسقوط الاحتلال كما نادوا « مصر فوق الجميع » (٢٧) .

اما عن موقف مصر الرسمي خلال الاضراب والمرحلة الأولى من الثورة التي دامت حوالي ستة اشهر ، فلم يصدر خلال تلك الفترة اي تصريح لسياسي مسئول ، وكل ماحدث أن حمد الباسل باشا تقدم اقتراحا بمجلس النواب المصري يوم ٢٠ يوليو ١٩٣٦ هذا نصه « اقترح على هيئة المجلس الموقر أن يبدي مزيد أسفه للحوادث المحزنة التي عمت انحاء فلسطين وأن يتوجه بالعطف الى الأمة الفلسطينية التي ضحت بأعز ابنائها لتفوز بالحياة السكريمة الحرة ، ويرجو المجلس أن تنتهي هذه الحالة وفقا لمبادئ العدل والانصاف حتى تعود الى تلك الديار أسباب الرخاء والطمأنينة » . وقد وافق المجلس بالاجماع على هذا الاقتراح (٢٨) . كما وافق مجلس الشيوخ على اقتراح مماثل قدمه الشيخ عباس الجمل بعد ذلك بأسبوع واحد (٢٩) .

وقد اشارت احدى الوثائق البريطانية ان مصطفى النحاس ابدى رغبته للمسئولين البريطانيين خلال وجوده بلندن للمفاوضة في صيف١٩٣٦ في التوسط لتسوية المسألة الفلسطينية ، ولكن رغبته ثبطت (٣٠) .

وقد أوضح النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية في العام التالي بمجلس الشيوخ موقفه اثناء الاضراب في فلسطين . فلقد قدم الدكتور محمد حسين هيكل استجوابا الى رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية عن سياسة الحكومة ازاء الوضع الجديد في فلسطين ، واجابه النحاس باشا في ٢٠ يولية ١٩٣٧ بما يأتي :

« تحرص الحكومة المصرية كل الحرص على توطيد صلات الود والاخاء وتبادل المنافع التي تربط بين مصر وبين الشعوب العربية والشعوب الشرقية الاسلامية ، وتعمل دائما على اعلاء ذكر مصر مستندة

ومكانتها بينها ، وهى تتابع باهتمام كل مايدور على مسرح السياسةالدولية من معاهدات ومحالفات واتجاهات وغيرها لتكون اذا اقتضى الحال على استعداد لاجراء ماتستلزمه مصلحة البلاد فى الوقت المناسب ، ولكنها قبل ان تجرى اى عمل ايجابى معين لاترى من حسن السياسة ولا من المصلحة الاعراب عن مقاصدها فى شأنه . أما من حيث شعور الحكومة المصرية نحو القضية الفلسطينية فيسرنى أن أعلن ان اهتمامى بهذه القضية لا يرجع الى الوقت الحاضر بل كان لى فى هذا الصدد أبحاث ومناقشات مع الحكومة البريطانية الصديقة بواسطة ممثلها فى مصر أولا ثم بطريق الاتصال المباشر مع أعضاء الحكومة البريطانية أثناء اقامتى بلندن فى صيف سنة ١٩٣٦ ، ولم ينقطع اتصالى بالحكومة البريطانية بعد مغادرتى لندرا بالوسائل الدبلومسية المختلفة ، وبعد ظهور تقرير اللجنة الملكية البريطانية بادرت الى استئناف الاتصال بالحكومة البريطانية فى هذا الشأن بالوسائل الدبلوماسية ، ويهمنى أن يثق المجلس الموقر بشديد عنايتى بالعمل على صيانة حقوق العرب ومصالحهم فى هذه البلاد التى تشمل الأماكن المقدسة التى تربطنا بها ذكريات دينية وتاريخية مجيدة ، وفى رأيى أن هذا هو السبيل السوى الجدى لخدمة قضية العرب فى فلسطين ومن اجل ذلك كله لاترى الحكومة مصلحة وطنية او مصلحة لفلسطين نفسها فى جعل هذه الموضوعات محلا للمناقشة » (٣١) .

وهذه الاجابة تؤكد ما أشارت اليه الوثيقة البريطانية السابق الاشارة اليها من ان مصطفى النحاس قد تحدث مع المسئولين البريطانيين أثناء الاضراب الفلسطينى عام ١٩٣٦ بشأن فلسطين ، وانه يفضل أن يتم أى سعى فى هذا الصدد بالوسائل الدبلوماسية وحدها ، فلم تكن اذن المفاوضات الجارية بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية عام ١٩٣٦ هى التى منعت حكومة مصر من الاعراب عن موقفها من أحداث فلسطين صراحة بدليل ان النحاس باشا يؤكد فى مجلس شيوخ المصرى فى ٢٠ يوليو ١٩٣٧ وبعد مايقرب من عام من توقيع المعاهدة ان الوسائل الدبلوماسية هى السبيل السوى لخدمة قضية العرب فى فلسطين ، وانما كان موقف الحكومة المصرية فى هذا الصدد سواء فى فترة الاضراب او بعدها تعبيرا عن حرص الحكومة على المحافظة على العلاقات الطيبة مع بريطانيا ، وعدم

احداث مشاكل لحليفتها الكبرى حتى بعد توقيع معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا فى اغسطس ١٩٣٦ . وقد عبر عن هذا الاتجاه احمد حافظ عوض عضو مجلس النواب فى ذلك الحين وصاحب كوكب الشرق فقد كتب يقول : « اننا اصبحنا حلفاء الانجليز فلا نحب أن تكون فى فلسطين ثورة ضد الانجليز ولا نحب أن يفتك الانجليز باخواننا العرب فى فلسطين ، كذلك لا نحب أن يكون بيننا وبين الفرنسيين عداء بسبب مواقفهم فى سورية وهكذا ، لذلك أرى أن من الحكمة أن تكون العلاقات والمساعى المختلفة كلها لجمع الكلمة العربية فى بلاد العرب بعيدة عن السياسة بقدر مايستطاع فى الوقت الحاضر » (٣٢) ٥

وتتبين هذا الموقف بشكل أكثر وضوحا فى تصريح لرئيس مجلس الشيوخ المصرى فى ذلك الوقت ، ففى الحفل الذى أقامته جمعية الهداية الاسلامية بمصر لمحمود البسيونى يوم ١٨ سبتمبر ١٩٣٦ بمناسبة تعيينه رئيسا لمجلس الشيوخ ، وبعد أن انتهى من القاء كلمته انبرى شاب فقال اننا نشرب الشاى هنا ونسر ونبتهج واخواننا فى فلسطين يتساقون كئوس المنايا وتراق دماؤهم وتهدم دورهم . فعاد رئيس المجلس الى الخطابة قائلا : « اى والله هم اخواننا واعزاؤنا ، واعترف اننا نحن المصريين مقصرون نحوهم ، لم نقم بالواجب ولم نساعدهم المساعدة اللازمة ولم نقل عثارهم ، وليس معنى ذلك انى احض على مساعدتهم ليثوروا وينتفضوا . كلا فانا ادعو الى انصافهم والعطف على منكوبيهم وذوى الحاجات منهم » (٣٣) .

وقد استغل هذا الموقف بعض العرب الداعين الى فصم عرى الأخوة بين الأقطار العربية ، فأخذوا ينادون بأن مصر انما تريد أن تصبح فرعونية لا تربطها بشقيقاتها رابطة ، وانها تريد أن تنفض يدها من هذه الأمم مقتفية فى ذلك اثر تركيا الكمالية ، وأن على هذه الأمم وفى مقدمتها فلسطين أن تضع حدا (لغرامها) بمصر وولائها لها ، وأن تخلع من عنقها ربقة البيعة لها بالزعامة . وعبر عدد من المصريين عن هذه المعانى فى رسالة منهم فى ١٨ يوليو ١٩٣٧ الى مصطفى النحاس ورئيس مجلس الوزراء ، موضحين حراجة موقفهم فى فلسطين بعد هذا الموقف من حكومتهم (٣٤) .

ويبدو أن هذا الموقف الرسمى الظاهرى للحكومة قد شجع الصهاينة على أن يستفيدوا منه، فأرسلوا وفدا الى مصر للاتصال ببعض الشخصيات البـــارزة لحملها على التدخل فى القضية الفلسطينية على اساس ايجاد تفاهم بين العرب واليهود (٣٥) .

وكان لتوقيع المعاهدة المصرية البريطانية عام ١٩٣٦ وقع طيب فى نفوس عرب فلسطين ، فقد زار عدد كبير من رجالات القـــدس وأعيانها قنصـــل مصر بالقـــدس يوم ٢٧ أغسطس ١٩٣٦ ، واعربوا له عن تهانيهم بتوقيع المعاهدة (٣٦) .

وكان المثقفون الفلسطينيون بالذات يقدرون دور مصر الحضـــارى ويؤمنون أنها حلقـــة الاتصـــال بينهم وبين الحركة العلمية الغربية ، فقد ألقى عبد الرحمن السكيالى أستاذ اللغة العربية كلمة فى روضة المعارف بالقدس قال فيها « فاذا أردنا التزود من ثقافتنـــا العربية ، فعلينـــا أن نولى وجهنا شطر مصر ونكثر من ارسال البعثـــات العلمية اليهـــا ، وهى البـــلاد التى فتحت صـــدرها لهذه المهمـــة ، واستقبلت طلابنا وما تزال استقبال الأم تحنو على أبنائها » (٣٧) .

وكان عرب فلسطين يقدرون كثيرا أدباء مصر وكتابها ، وقد ظهر ذلك فى تلك السنوات فى مناسبات عديدة ، فعنـــدما توفى مصطفى صـــادق الرافعى كان لذلك رنة أسى فى فلسطين ، وأبنته جميع الصحف العربية تأبينا يدل على فداحة الخطب بفقيد الأمة العربية (٣٨) وعندما توجه الدكتور محمد حسين هيكل لزيارة فلسطين خلال شهر يونيـــة ١٩٣٧ احتفلت به الأوساط الأدبية والسياسية وكرمته تكريما كبيرا (٣٩) .

وفى ١٧ يونية ١٩٣٦ احتفلت مصر بيوم فلسطين وقد اختارته اللجنة العليا لاغاثة منكوبى فلسطين بمناســبة مرور ســـتين يوما على اضراب فلسطين ، فلم يكد يطلع الصباح حتى كانت لجـــان الاعانات قـــد بدأت طوافها بالقاهرة وسائر المدن لجمع التبرعات (٤٠) .

واحتفلت اللجنة العليـــا لاغاثة فلسطين يوم ٢٩ يوليو ١٩٣٦ باليوم المـــائة للاضراب بمقر جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وكان ممن حضر الاجتماع محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ وبعض أساتذة الأزهـــر

وطلبتـــه ، وتكلم الدكتور عبد الحميد سعيد حيث اهاب بالمصريين والعرب والمسلمين أن يمدوا يد المساعـــدة لفلسطين ، ثم القيت بعض الـــكلمات والقصائد ، والقى المنولوجست عبد الحميد زكى مقطوعة منظومة على انغام البيـــانو موضوعها « فلسطين » ، ثم انتهى الحفل بعزف مقطوعة لأمير الـــكمان سامى الشوا عنوانها « سجين يتألم » (٤١) .

كما احتفل محمد على الطاهر بنفس المنـــاسبة ، وكان فى طليعـــة الذين حضروا الاحتفال احمد شفيق باشا وعزيز المصرى باشا وعبدالعزيز البشرى وعلى عبد الرازق وخليل مطران ومحمد الخضر حسين ومحمـــد عبد اللطيف دراز ومحمود عزمى ووجوه الجاليات الشرقية من الفلسطينيين والسوريين والحضارمة والجاويين والتونسيين والصينيين ، وكان من بين من تكلموا دكتور زكى مبارك وعلى الجندى وعمر باوزير احـــد شـــباب جاوة . وتألفت عقب الحفل لجنـــة للدعاية لفلسطين ضمت احمد شـــفيق باشا وخليل مطران وعلى عبد الرازق وميرزا بك مهدى (٤٢) .

ووجه الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس اللجنة العليا لاغاثة منكوبى فلسطين كتابا الى ملوك المسلمين وأمرائهم أوضـــح فيها ان كل ما قامت وتقوم به اللجنة لايعد شيئا مذكورا بدون تأييدهم ومعـــاونتهم ، والتمس منهم العنـــاية بقضـــية المسلمين والعرب فى فلسطين والعمل على حماية الأماكن المقدسة (٤٣) .

وردت فى أوائل ١٩٣٧ برقيـــة من لجنـــة سيدات عكا الى هـــدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى المصرى تعبر عن ايمان اهـــل فلسطين باهمية دور مصر بالنســـبة لقضيتهم ولهفتهم على قيـــــام مصر بدورهـــا « أتتركونا وحدنا وفيكم لسان يتكلم وقلب ينبض ؟... اتتهـــود الأرض المقدسة وفى مصر خمسة عشر مليونا من المسلمين ؟ اللهم أيقظ مصر من سباتها لترى هول الفاجعة » (٤٤) .

وتحاول قيـــادة الحركة الصهيونية ممثلة فى الدكتور وايزمان ايجاد صلة مع الزعامة الشعبية فى مصر ممثلة فى مصطفى النحاس ، فقـــد استفسر الدكتور وايزمان الذى كان فى القاهرة فى منتصف ينـــاير ١٩٣٧ من السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية فى القاهرة فى ١٩ يناير ١٩٣٧

عن رأيه فى قيـام الدكتور وايزمان بزيارة النحاس زيارة مجاملة ، نظرا لأن الدكتور وايزمان يعتقد أن مصطفى النحاس والمصريين لديهم معلومات قليلة عن الصهيونية ، ويأمل أن يحقق هذا اللقاء نتائج طيبـة ، واجاب السكرتير الشرقى للسفارة الدكتور وايزمان بأنه يعتقد أن مثل هذه الزيارة ستكون غير مستحسنة لأنها سوف تعيد حتما الى ذهن مصطفى النحاس — وبشكل قوى — قضية يحتمل ألا يكون لها أولوية فى ذهنـه فى ذلك الوقت وسط انشغاله بالمسائل الداخلية فى مصر ، لكن السكرتير الشرقى للسفارة فضل الرجوع الى السفير البريطـانى لمعرفـة رايه فى هـذا الموضوع ، وكانت تعليمات السفير للمستشار الشرقى أن يخطر الدكتـور وايزمان بأنه يحتمل أن تـكون للزيارة المقترحـة آثار سـيئة أكثر منها طيبـة (٤٥) .

ويعتقد أن بريطانيا كانت حريصة على ابعاد مصر بالذات عن الدخول أو الاندماج فى قضية فلسطين خاصة فى وجود الوفد فى الحكم على أساس أن اهتمام الزعامة الشعبية فى مصر بقضية فلسطين سـوف يترتب عليه منطقيا زيادة اهتمام الشعب المصرى بالقضية وزيادة ثقل الجانب العربى المؤيد لقضـية فلسطين . وقـد رأينـا قبل ذلك عدم موافقة بريطانيا على توسط مصطفى النحاس فى القضـية عندما أبدى لهم هذه الرغبة أثنـاء وجوده فى لندن فى صيف ١٩٣٦ ، ثم نراها الآن تنصـح الدكتور وايزمان بصرف النظر عن مقابلة مصطفى النحـاس حتى لايزداد اهتمام النحاس بقضـية فلسطين ، ولعل هـذه هى الآثار السيئة التى اشار اليها السفير البريطانى الذى كان يعبر بطبيعة الحال عن مصالح السياسة البريطانيـة واتجاهاتها .

وتنظم كلية الآداب بجامعـة القـاهرة فى فبراير ١٩٣٧ رحلة الى فلسطين تتكون من ستين طالبا وعدد من الأساتذة منهم عبدالحميد العبادى وشفيق غربال فترحب احدى المجلات المصرية بهذه الرحلة ، وتذكر أن كلية الآداب كانت تتزعم فى ذلك الوقت حركة ترمى الى وصل مصر المفكرة بالبلاد العربية المختلفة (٤٦) .

وعندما انتهت اللجنة الملكية من أداء مهمتها فى فلسطين ، وكانت فى طريقها الى انجلترا لاعداد تقريرها سافرت عن طريق بورسعيد ، وما كاد

أعضـــاؤها يصلون الى المـــدينة حتى اتجه لمقابلتهم بعض أهالى بورسعيد والاسماعيلية والتقوا باللورد بيل رئيسها وتحدثوا اليه عن معاضدة الأمة المصرية لمطالب عرب فلسطين ، وأوضحوا أن القضية تهم مصر والعـــالم الاســـلامى كله مثلما تهم أهل فلسطين أنفسهم ، كما قدموا الى اللجنـــة مذكرة مكتوبة باللغتين العربية والانجليزية وموقع عليها من اهل بورسعيد تتضمن مشاعر الشعب العربى فى مصر تجاه شقيقتهم « فى الدين واللغة والقومية » كما وصلت الى اللجنة برقيات كثيرة من انحـــاء البـــلاد مؤيدة لعرب فلسطين (٤٧) .

وقد أثار صدور تقرير اللجنة الملكية فى الثامن من يوليو ١٩٣٧ نقمة عربية عامة ، وأرسلت اللجنة العربية العليا برقيات الى ملوك العرب ورؤسائهم تطالبهم فيـــه بالسعى بالانقاذ فلسطين ، وكان تصريح مصطفى النحاس فى مجلس الشيوخ أول بيان رسمى يؤيد عرب فلسطين ويتعهد بالعمل من أجل تحقيق مطالبهم (٤٨) .

ويتطلع عـــرب فلســـطين الى مصر ينبهونها الى خطورة الموقف ، ويوفدون بشير السعداوى الى مصطفى النحاس ليحادثه فى هـــذا الأمر الخطير « الذى نرجو أن تكون مصر فى المـــكان التى هى أهل منه ، فتأخذ بقيادة البلاد العربية لانتهاج خطة مشتركة ... » (٤٩) .

وأرسل النحاس مذكرة الى الحكومة البريطانية بصفته زعيما لحزب الوفد طالب فيـــه بايجاد حل عادل لقضية فلسطين ، مؤكـــدا « أن مصر التى لاتستطيع أن تقف مكتوفة الأيدى تجاه مايجرى فى فلسطين تعتبر أن الحكومة البريطانية التى تتخذ من وعد بالفور وسيلة تبرر به ســـياستها قـــد نفذت هذا الوعد الجائر وبرت به وذلك بادخالهـــا المهـــاجرين الى فلسطين » (٥٠) .

وتشير احدى الوثائق البريطانية الى أن مصطفى النحاس تحدث فى ٢٥ يوليو ١٩٣٧ مع السر مايلز لامبسون بشأن مشروع التقسيم ، وقد بدأ النحـــاس القـــول ان مســـئولا ســـعوديا قـــد اقترح عليـــه ـــ بنـــاء على تعليمات من ابن سعود ـــ أن يشترك النحاس مع العربية السعودية واليمن والعراق وسوريا فى اعداد خطة مشتركة للاحتجاج لدى حكومة

بريطانيا ضد مشروع التقسيم وأن النحاس أجابه أنه يعتبر من الحكمة بشكل كبير أن تبقى يده حرة ولا تقيد بالتالى الفائدة المحتملة التى يمكنه تقديمها باعتباره حليفا لبريطانيا سواء بمبادرة شخصية منه أو كوسيط بين بريطانيا والدول العربية ، واخبر النحاس السفير البريطانى أنه يأسف بشدة لمشروع التقسيم ، وأن مصر لاتستطيع أن تنظر برباطة جأش الى دولة يهودية مستقلة مجاورة لها ، وانه بعيدا عن مسائل الدفاع فمن الذى يستطيع أن يقول أن اليهود ـ الذين يتصفون بالشراهة ـ لن يطالبوا بسيناء فيما بعد أو يثيرون الاضطراب بين الجماعة اليهودية فى مصر ، ونبه النحاس الى أن الحل الوحيد هو ايجاد دولة عربية مستقلة متحالفة مع بريطانيا ، وأنه ينبغى أن يكون هناك هجرة يهودية لكنها مقيدة بشكل صارم بمقدرة البلاد الطبيعية على الاستيعاب ، ولا ينبغى أن يقتلع العرب من جذورهم لافساح الطريق للغرباء فى أرضهم الأصلية .

ولما لفت السير لامبسون نظر النحاس الى انه يسقط من اعتباره عاملا اساسيا وهو الوعد بانشاء وطن قومى لليهود اظهر النحاس استخفافه بهذا الأمر ، وتساءل عن سبب ابعاد بريطانيا العالم العربى عن التدخل فى موضوع فلسطين ، وأضاف أن ايطاليا تنتظر أن تستفيد من هذا الموقف ، وأنه كصديق مخلص ومؤيد وحليف لبريطانيا فانه يتوسل بأن تتأنى الحكومة البريطانية قبل شروعها فى موضوع التقسيم الذى يعتبره سياسة مشئومة .

واقترح السفير البريطانى على النحاس الانتظار حتى تتبين نتيجة المناقشة فى البرلمان البريطانى ، ثم كتب السفير الى وزارة الخارجية البريطانية يخبرها أنه سيلتقى بالنحاس بعد أيام ويتوقع منه أن يعاود الحديث فى الموضوع ، ويستفسر عما اذا كان لدى لندن شىء يقوله له ، كما يؤكد السفير أن النحاس مخلص للغاية فى رغبته فى المساعدة والقيام بدور بارز وبشكل متساو مع غيره من الدول العربية المجاورة (٥١) .

ويحدث لقاء آخر بعد عدة أيام (٢٧ يوليو ١٩٣٧) بين مصطفى النحاس ولامبسون ، حيث يخبره لامبسون أن موضوع التقسيم سيعرض على لجنة الانتدابات ، وانه من الخير أن يتمهل فى الحديث عن الموضوع . ويذكر لامبسون فى رسالته الى وزارة الخارجية أن النحاس عندما علم

أن لامبسون أرسل الى لندن تقريره عن حديث النحاس السابق لم يطلب استئناف المناقشة ـ كما كان لامبسون متخوفا ـ أو اضفاء الصفة الرسمية على أفكاره (٥٢) .

ويبدو ان وزارة الخارجية البريطانية تلقت بارتياح كبير رفض النحاس مشاركة الدول العربية فى عمل جماعى بشأن مشروع التقسيم . ففى برقية مرسلة من وزارةالخارجية الى لامبسون ورد أن حكومةجلالته تقدر كثيرا هذا الموقف ، وانه يمكن للسفير ان يخبره بهذا المعنى اذا وجد فى ذلك فائدة (٥٣) .

وتحدث موجة من الاستياء فى مصر الشعبية ، وتعقد الاجتماعات لتأييد فلسطين (٥٤) ، وترسل برقيات كثيرة الى فلسطين من بعض الشخصيات والهيئات المختلفة ـ باستثناء حزب الوفد ـ تستنكر مشروع التقسيم (٥٥) . وعقدت اللجنة التنفيذية للدفاع عن فلسطين اجتماعا مساء ١٠ يوليو ١٩٣٧اتخذت فيه عدة قرارات منها رفض مقترحات اللجنة الملكية والنظر الى مسألة فلسطين باعتبارها مسألة خطيرة يفرض الدفاع عنها على كل مسلم ، واعتبار انشاء دولة يهودية فى فلسطين شوكة فى قلب الدول العربية (٥٦) .

وكانت هدى شعراوى من أبرز الشخصيات التى اهتمت بالموضوع، فقد أرسلت فى ١٤ يوليو ١٩٣٧ رسالة الى مصطفى النحاس تطالبه بالتصريح عن موقف الحكومة أسوة بما فعله رؤساء الحكومات العربية الأخرى ، وتستفسر منه عما اذا كان سيلزم سياسة الحياد والصمت ازاء تعسف بريطانيا فى فلسطين أم سيسعى لانصاف عرب فلسطين لدى حليفته (٥٧) .

وأرسل محمد محمود باشا زعيم المعارضة البرلمانية ورئيس حزب الأحرار الدستوريين برقية الى عرب فلسطين يؤكد فيها تضامن المصريين معهم ورفضهم لمشروع تقسيم فلسطين (٥٨) . ويختلف هذا الموقف عن موقف الأحرار الدستوريين أثناء اضطرابات ١٩٢٩ ، فقد كانوا يتصورون فى ذلك الوقت أن القضية قضية دينية وليست سياسية .

وكان بيان مصر الفتاة من أهم البيانات التى استنكرت التقسيم ، فقد كتب زعيمها أحمد حسين الى اللجنة العربية العليا يقول « ان مصر الفتاة ترى ان الخطر اعظم من ان يقابل فى مصر بالاستخفاف وبقلة الاكتراث . فان مايحدث الآن فى فلسطين قد يكون تكييفا جديدا للقضية المصرية وتحديداً لمستقبلها . وهو لغم هائل وضع فى جانب الوحدة العربية ان اغفلته انفجرت ولذلك يستحيل على مصر الفتاة التى وضعت نصب عينيها منذ تأسست أن تكون غاية كفاحها هى استقلال مصر والسودان وتأليف دولة شامخة تحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام . ما كان لمصر الفتاة وهذا شأنها أن تقف مكتوفة الأيدى بينما تعمل السياسة البريطانية على تأليف دولة يهودية على تخومها ... » (٥٩) .

وأما الاخوان المسلمون فقد عبرت جريدتهم عن موقفهم من التقسيم، ففى مقال عنوانه « شوكة فى حلق العرب تضعها بريطانيا عن سوء قصد » كتبت الجريدة تقول « أما عن موقفنا نحن الاخوان المسلمون فى مصر فسيكون عمليا ان شاء الله كما هو الحال فى كل مواقفنا منذ أن ظهر اخواننا المجاهدون فى الميدان للدفاع عن حقوقهم وحقوق المسلمين فى الأرض المقدسة ... » (٦٠) .

أما الهيئات الأخرى التى استنكرت التقسيم فكان أهمها لجنة مؤتمر الطلبة العرب بمصر ، ولجنة السيدات المسلمات ، وجمعية الرواد المسلمين ، واتحاد طلاب الجامعة ، واتحاد الأزهر ، وسار الآلاف من اعضاء الجمعيات والهيئات التى استنكرت التقسيم فى مظاهرات سلمية شعبية من أجل فلسطين (٦١) .

واثيرت مناقشات عديدة فى الصحف المصرية حول مشروع التقسيم وادلى عدد كبير من قادة الفكر فى مصر برأيهم فى المشروع ، وكان من الآراء التى اثيرت ما اقترحه احمد شفيق باشا من اسناد ادارة فلسطين الى مصر انقاذاً للادارة البريطانية مما تعانيه من متاعب (٦٢) . وما اقترحه احد اعضاء مجلس الشيوخ (العبد) بدعوة بريطانيا الى تلافى خطئها فى مشروع التقسيم وضم القسم العربى فى فلسطين الى حكومة اقوى من شرق الأردن كمصر مثلا لتنظيم الدفاع عن قناة السويس وليقف هذا القسم « حاجزا قويا ضد الغزو السياسى والاقتصادى الذى سيحاوله اليهود فى مصر والبلاد العربية » (٦٣) .

أما عن موقف مصر الرسمى من مشروع التقسيم فهو مماثل لموقفها أثناء الاضراب الفلسطينى عام ١٩٣٦ ، فليست هناك تصريحات رسمية تستنكر التقسيم وتعلن تأييدها لموقف عرب فلسطين من رفضه ، لكن النحاس يعلن فى مجلس الشيوخ بعد استجواب للدكتور هيكل عمله بالوسائل الدبلوماسية على خدمة القضية الفلسطينية ، ويؤكد فى حديث نشر له مع سياسى عربى أنه يواصل البحث مع ممثلى الحكومة البريطانية مدافعا من وجهة نظر العرب ومؤيدا لها وانه سيعلن نتيجة المباحثات عند انتهائها (٦٤) . لكن يبدو أن النحاس لم يصل فى مباحثاته الى أمر محدد ، لأنه لم يعلن بعد ذلك شيئا من نتائج مباحثاته .

ولقد كان لهذا الموقف غير المعلن من الحكومة المصرية أثر سيء فى نفوس ابناء الجالية المصرية بفلسطين ، فقد تحرج موقفهم بسبب صمت الحكومة المصرية بعد مشروع التقسيم وعدم اعلان استنكارها له ، وخشوا ان يخسروا مركزهم الممتاز فى تلك البلاد بسبب موقف حكومتهم خاصة بعد أن وقفت حكومة العراق ـ التى تتشابه علاقاتها السياسية بالحكومة البريطانية بعلاقات مصر ـ موقفا مشرفا من هذا المشروع ، وعبروا عن ذلك فى رسالة منهم الى القنصل المصرى بالقدس (٦٥) .

ولقد اثار هذا الموقف صحفى فلسطينى هو محمد على الطاهر « فانبرى ينبه الى خطورة وجود دولة يهودية فى فلسطين تكون مجاورة لمصر ، فكتب يقول « ان الخطر على مصر من قيام الدولة اليهودية بجوارها لهو اعظم بكثير مما يبدو ، وستكشف الأيام حقيقته تدريجيا ، وسيندم أبناء هذا الجيل على مافرطوا » (٦٦) .

وعندما عقد المؤتمر العربى العام فى بلودان بسورية فى اليوم الثامن من سبتمبر ١٩٣٧ بدعوة من لجنة الدفاع عن فلسطين بسورية للنظر فى تقرير اللجنة الملكية وتحديد موقف العرب من قرار التقسيم « اشترك بعض المصريين فى المؤتمر ، وانتخب محمد على علوبة أحد أعضاء الوفد المصرى فى المؤتمر رئيسا للمؤتمر ، كما انتخب الدكتور عبد الحميد سعيد عضوا فى اللجنة التنفيذية للمؤتمر (٦٧) وعندما أشار محمد على علوبة فى كلمته الى دور مصر « أنه اذا وجب الدفاع عن فلسطين فان

أولى البلاد بالمدافعة عنهما هى مصر » ارتفعت أصوات أعضاء المؤتمر هاتفة بحياة مصر (٦٨) .

وبعد عقد مؤتمر بلودان بأيام نظرت لجنة الانتدابات فى عصبة الأمم القضية الفلسطينية ، وأرسل الفلسطينيون وفدا منهم الى جنيف للدعاية للقضية ، فآزرهم الوفدان المصرى والعراقى لدى العصبة . وكانت مصر والعراق هما البلدين العربيين الوحيدين المنضمين للعصبة فى ذلك الوقت (٦٩) .

ولم تلبث الحكومة المصرية أن أعلنت عن رفضها لمشروع التقسيم ، ففى اجتماع عصبة الأمم فى ١٨ سبتمبر ١٩٣٧ — وكانت مصر قد دخلت العصبة فى ٢٦ مايو — ألقى واصف غالى وزير خارجية مصر خطابا قويا مستفيضا عن قضية فلسطين دافع فيه عن حقوق العرب وأكد اهتمام مصر الشديد بهذه القضية لما يربطها بفلسطين وأهلها من روابط الجوار والتاريخ واللغة والدين ، وبين الاجحاف الواقع بها بسبب الاصرار على انشاء دولة يهودية فيها ، وقال ان من الظلم ان يتحمل العرب تبعة اضطهاد أوربا لليهود ، وطالب بحل مشكلة فلسطين على أساس قيام دولة مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة وحفظ حقوق اليهود الموجودين بها (٧٠) . وكان لهذا الموقف من حكومة مصر أثر طيب فى نفوس عرب فلسطين .

وحدثت تساؤلات فى تلك الفترة من بعض الجهات العربية عما اذا كانت مصر قد تنبهت الى عروبتها فى الفترة الأخيرة ، وقد أجاب الدكتور عبد الوهاب عزام على هذا التساؤل بقوله « يقول بعض اخواننا عاتبين أن مصر لم تكن تؤمن بعروبتها من قبل ، وانما تنبهت الى العروبة فى المدة الأخيرة ، فأنا أرد عليهم بأن مصر كانت دائما تقدس العرب ، وتقديسها اياهم لم يضعف فى يوم من الأيام ، ولكن اتجاهات السياسة التركية قبل الحرب هى التى جعلت عرب سوريا والجزيرة ينادون بعروبتهم قبل غيرهم ، وكانت هذه الاتجاهات غيرها فى مصر ، فتأخر نداؤها ، ولكنه كان فى دمها تغذية الثقافة العربية التى ترفع مصر علما خفاقا من أعلامها » (٧١) .

وعندما قامت حكومة فلسطين بحل اللجنة العربية العليا واللجان القومية فى سبتمبر ١٩٣٧ فتحت مصر — كعادتها — ذراعيها مرحبة بعدد

من الشخصيات الهامة. ففي أواخر ١٩٣٧ كان فى مصر عونى عبدالهادى، وعبد اللطيف صلاح ومنيف الحسينى واميل الغورى وراغب ابو السعود ، وكان مكتب الصحفى الفلسطينى محمد على الطاهر بالقاهرة مركزا من مراكز الحركة العربية فى مصر (٧٢) .

وعندما استؤنفت الثورة فى فلسطين فى منتصف أكتوبر ١٩٣٧ ازداد اهتمام مصر وحماسها للثورة ولقضية فلسطين ، ومن يتابع الصحافة المصرية فى ذلك الوقت يراها زاخرة بأخبار الاجتماعات والمظاهرات والاحتجاجات وتنظيم عمليات التبرع من اجل مساعدة عرب فلسطين (٧٣). لكن عرب فلسطين كانوا رغم فرحتهم بذلك يتوقعون أن تسهم مصر بكل امكاناتها معهم ، وهذا شاعر فلسطين الكبير عبد الرحيم محمود يعاتب مصر فى تلك الفترة على عدم قيامها حتى ذلك الوقت بما كانت تنتظره فلسطين منها :

ان فى القدس لقلبا مخلصا
لك يا مصر العلا لو تعلمين
كم حسا من هجر مصر عصصا
فمتى قلبك يا مصر يلين (٧٤)

لكن اهتمام مصر كان يتصاعد يوما بعد يوم . ففى أول فبراير ١٩٣٨ تحرك نواب مصر تحركا جماعيا من أجل فلسطين ، فقد أرسل فريق كبير من نواب مصر وشيوخها احتجاجا الى السفير البريطانى فى مصر استنكروا فيه اعمال بريطانيا فى فلسطين وما تركته من أثر سيء فى نفس كل مصرى ، وطالبوا بحل المشكلة حلا عادلا على اساس الاعتراف بحقوق الشعب العربى فى فلسطين (٧٥) .

وبلغ من اهتمام المصريين بالقضية الفلسطينية فى تلك المرحلة أن جمعية انصار فلسطين من المصريين نشرت بيانا على المصريين فى مارس ١٩٣٨ بمناسبة الانتخابات البرلمانية دعت فيه الجماهير الى اخذ العهود والمواثيق على النواب والشيوخ بنصرة فلسطين وابرازها فى برامجهم السياسية ، وحذر البيان المصريين من خطر الصهيونية الذى سيهددهم دائما (٧٦) .

ودعا حزب الوفـد المصرى فى يونيـة ١٩٣٨ الى مؤتمر ليبحث فى شئون الأقطار العربية وطرق خلاصها من براثن الاستعمار ، وعقد المؤتمر فى أوائل يوليو ، لـكنه لم يكن مؤتمرا عاما بل كان وفديا صرفا ، وتناول مسالة فلسطين وانتصـار الوفديين لها ، وجمع الوفد تبرعات من اعضائه لمنكوبى فلسطين . وقـد دعا ذلك مجلة فلسطينيـة الى الترحيب بوجود الوفد خارج الحكم حتى يهتم بقضايا العالم العربى « اذا كان خروج الوفد من الحكم يؤدى به الى مكافحة الاستعمار ومد يده الى الأقطار العربيـة للتعاون على خلاصها ، فما أحسن بقاءه خارج الحكم » (٧٧) .

وكان لبعض الـكتاب والصحفيين المصريين دور هام فى زيادةاهتمام المصريين بالقضية وفى تعبئة الشعور الوطنى لتأييد فلسـطين وفى ابراز حقائق القضية والدفاع عن عرب فلسطين ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء محمود عزمى ومحمد توفيق دياب وابراهيم عبد القادر المـازنى والدكتور محمـد حسين هيكل ، وقد كان لمحمود عـزمى موقف وطنى من قضـية فلسطين يستحق ان يسجل له ، فقد تنازل للصحفى الفلسطينى محمد على الطاهر عن مجلة « الشباب » التى كان يصدرها عندما حيل بين محمد على الطاهر وبين التصريح له باعادة اصـدار مجلة « الشـورى » ، وترك لهمطلق الحرية فيما يتصل بايراداتها ومصروفاتها ، مساهمةمنه « فىنصرةالقضية العربية الـكبرى » (٧٨) .

وحدث فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ عندمناقشة مشروع الرد على خطاب العرش بمجلس النواب أن اشار الدكتور عبد الحميد سعيد فى كلمته الى قضـية فلسطين موضحا ان تنفيـذ السياسة القائمة فى ذلك الوقت فى فلسطين يشكل خطرا كبيرا على مصر ، وطالب بأن تؤكد الحكومـة أن معاهدة ١٩٣٦ لن تكون عقبة تحول بين المصريين وبين أخوانهم اذا مانزلت بهم نازلة ، وان تلبى مصر نداء عرب فلسطين بانقاذهم مما يعانونه ، وأن يخاطب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الحكومة الانجليزية بشـأن وقف المجازر التى تحدث فى فلسطين « لايكفينى ماقامت به الحكومة الى الآن وما تبديه من عطف على اهل فلسطين لأن قضيتهم قضية كبيرة ، ويجب أن يكون اهتمام الحكومة المصرية بها اكثر مما هو الآن ، ويجب أن تعمل بحزم مع الحكومة الانجليزية حتى يستقر الحق فى نصابه » (٧٩) .

وقد اجاب وزير المالية بجلسة ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ على الدكتور عبد الحميد سعيد موضحا موقف الحكومة من القضية « اجد من دواعى الغبطة والسرور ان اقول لحضراتكم ان هذه المسألة لم تفت رفعة محمد محمود باشا فعندما مر بباريس فى طريقه الى انجلترا سئل رفعته عما اذا كان سيتحدث مع الانجليز عن مسألة فلسطين ؟ فأجاب رفعته بانه ليس مندوبا عن فلسطين ولا رئيسا لحكومتها ، فاخذوا عليه ذلك ، ولكن اذا كان رفعته قد فاه بهذه العبارة لصرف النظر عن غرض من اغراضه ، فانه عندما ذهب الى لندن تحدث مع الانجليز ، وبين لهم الاخطار التى تنجم عن عدم احترام حقوق العرب والامعان فى الاضرار بهذه الحقوق ، فقبلوا وساطته ، ووعدوا أن يعملوا على تحقيق رجائه . حقا أن الظروف التى مرت بهذه البلاد الشقيقة والثورة الكبيرة التى قامت فيها جعلت الانجليز يشتدون فى معاملة اخواننا ، ولكنهم عندما ادركوا ان الشدة لا تفلح ، وان من الواجب سلوك سبيل التفاهم للوصول الى حل لا يكون فيه غبن على العرب ، عمدوا الى الدعوة الى المؤتمر الذى سيعقد قريبا فى لندن لبحث قضية فلسطين ، وكان لرفعة محمد محمود باشا فضل كبير فى الافراج عن المعتقلين من اخواننا زعماء عرب فلسطين ، كما كان لرفعته فضل كبير ايضا فى قبول الحكومة الانجليزية أن يحضر المؤتمر كل من يمثلون الراى العربى بما فيهم فضيلة المفتى » (٨٠) .

وتؤكد مذكرة اعدها وزير المستعمرات للعرض على مجلس الوزراء البريطانى صحة ما جاء فى رد وزير المالية على الدكتور عبد الحميد سعيد ، فيذكر وزير المستعمرات أن رئيس الوزراء المصرى زاره يوم ٢٩ يوليو ١٩٣٨ للتحدث معه بشأن فلسطين ، وانه اخبر وزير المستعمرات أن الشعور فى مصر يتزايد ضد السياسة البريطانية شيئا فشيئا ويفسد المشاعر الودية تجاه بريطانيا ، وان هذا الموقف لايقتصر على الراى العام فى مصر بل يمتد الى العراق وسوريا واماكن اخرى من الشرق الأوسط .

وعندما سأل وزير المستعمرات محمد محمود عما يقترحه لتحسين الموقف اقترح رئيس الوزراء المصرى جمع العرب واليهود معا فى مؤتمر والتوصل الى تسوية يتفق عليها ، وابدى اسفه لنفى بريطانيا لبعض القادة العرب الى جزر سيشل واضطرارها لآخرين الى مغادرة البلاد مما

اعتبره خطأ كبيرا ، ولذلك فان محمد محمود يعتقد فى ضرورة عقد مؤتمر يحضره هؤلاء القادة العرب والقادة اليهود على أن توقف الهجرة اليهودية خلال انعقاد المؤتمر ، لكن وزير المستعمرات لم يشاركه ثقته فى امكان نجاح مثل هذا المؤتمر .

وعندما تحدث وزير المستعمرات عن أن التقسيم يحسم الموقف فى فلسطين كرر رئيس الوزراء المصرى ان التقسيم لن يجلب السلام الى البلاد ، بل على العكس من ذلك فسوف يخلق استياء دائما وقلقا مستمرا (٨١) .

وقد شاركت مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن فى ٩ فبراير ١٩٣٩ ، وكان اول مؤتمر رسمى تشترك فيه الحكومة المصرية من أجل فلسطين ، وقد قام الوفد المصرى فى المؤتمر بدور ونشاط كبيرين وكان على ماهر المتحدث الرسمى للوفود العربية كلها (٨٢) .

وعندما اصدرت بريطانيا كتابها الأبيض لعام ١٩٣٩ كان من راى محمد محمود قبول هذا الكتاب ، وحاول اقناع زعماء فلسطين بقبوله فلم يوفق ، واخيرا رفض المشروع على مضض (٨٣) .

السـودان

بمراجعة جريدتين سودانيتين تغطيان معا الفترة بين اول يناير ١٩٣٨ حتى اواخر سبتمبر ١٩٣٩ أى الى مابعد قيام الحرب العالمية الثانية وهما حضارة السودان ، وملتقى النهرين تبين أن القضية الفلسطينية لم تكن تستأثر باى اهتمام حقيقى من الحكومة أو الأحزاب أو الصحف أو الشعب السودانى ، فلم ينشر فى الصفحتين طوال مايقرب من عامين بيان واحد لأحد الأحزاب أو الجمعيات السودانية عن احداث فلسطين ، ولم يرد فى الصحف مايشير الى تشكيل جمعيات للدفاع عن فلسطين مثلما حدث فى باقى البلاد العربية ، وليس هناك تعليق واحد فى أى من الصحيفتين عن رأيها أو راى الشعب السودانى فى أحداث الثورة أو مشروع التقسيم أو غيرها ، والتعليق الوحيد الذى نشر متعلقا بقضية

فلسطين كان خاصــا بشأن الاشـــارة الى خطاب توفيق الســـويدى فى جمعية الأمم بشأن فلسطين وكان تعليق صحيفة « ملتقى النهرين » عليه « واخيرا وفق الله العراق الشقيق لمـا فيه صلاح الأمة العراقية خاصة والعروبة عامة » (٨٤) . لـــكن اخبار فلسطين كانت تنشر بالصحيفتين دون تعليق ضمن اخبــار الشرق العربى أو ضمن الأخبار الواردة فى الرسالة المرسلة من مصر . وكانت الموضوعات التى تستأثر باهتمـــام الصحيفتين متعلقة بأحداث مصر والموقف الدولى واحداث السودان المحلية .

مصـــادر الفصـــل التـــاسع

(1) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 1/36.

(2) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 5/36.

(3) F. O. 371/20018 : P. A. S. No. 6/36.

(٤) الرابطة العربية : ٤ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٦٢ مقال لعبد الله مخلص أحد أعضاء المجمع العلمى العربى .

(٥) المقطم : ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٥

(٦) الاهرام : ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ ص ٦ .

(٧) الاهرام : ١٥ يوليو ١٩٣٦ ص ٦ ، ٢٣ يوليو ١٩٣٦ ص ١ .

(٨) الاخوان المسلمون : ٢٨ أبريل ٣٦ ص ١٧ ، ٢٠ ، ٢٩ مايو ١٩٣٦ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢ يونية ١٩٣٦ ص ٧ ، ١٦ يونية ١٩٣٦ ص ٢١ .

(٩) الاهرام : ٢٢ مايو ١٩٣٦ ص ١٠ ، ٢٧ مايو ١٩٣٦ ص ١ ، ٥ ، ٨ أكتوبر ١٩٣٦ ص ٧ .

(١٠)الاهرام : ١٤ يونية ١٩٣٦ .

(١١) المؤتمر النسائى الشرقى : المرأة العربية وقضية فلسطين ص ١٣ ، ١٤ .

(١٢) الاهرام : ١٨ يونية ١٩٣٦ ص ٥ .

(١٣) الاهرام : ٢٥ يوليو ١٩٣٦ .

(١٤) الاخوان المسلمون : ١٠ ديسبمر ١٩٣٧ ص ١٩ .

(١٥) الرابطة العربية : ٢٩ يوليو ١٩٣٦ ص ٧ .

(١٦) الاخوان المسلمون : ٢ يونية ١٩٣٦ ص ٨ .

(١٧) اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ١٩٣٦ ص ٤٠ ، ٤٩ ، ٧٣ ،

الشباب : ٢٤ مارس ١٩٣٧ ص ٣ .

(١٨) الشباب : ١٦ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٣ .

(١٩) الاخوان المسلمون : ١٢ اكتوبر ١٩٣٦ ص ١٢ .

(٢٠) الاهرام : ١٩٣٦/٨/٢ ص ٤ .

(٢١) الشباب : ٧ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٤ .

(٢٢) الاهرام : ٤ يوليو ١٩٣٦ ص ١٤ .

(٢٣) الاهرام : ٢ يوليو ١٩٣٦ ص ١٢ .

(٢٤) الاهرام : ١٤ يوليو ١٩٣٦ ص ١٢ .

(٢٥) الاهرام : ٢٢ يوليو ١٩٣٦ ص ١٢ .

(٢٦) الاخوان المسلمون : ٩ يونية ١٩٣٦ ص ٢١ .

(٢٧) الاهرام : ١٥ اغسطس ١٩٣٦ ص ١ ، ٢ .

(٢٨) مضبطة الجلسة الثانية عشرة لمجلس النواب يوم الاثنين غرة جمادى الأولى ١٣٥٥ الموافق ٢٠ يوليو ١٩٣٦ ص ٣٥٨ .

(٢٩) مضبطة الجلسة الحادية عشرة لمجلس الشيوخ يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى ١٣٥٥ الموافق ٢٧ يولية ١٩٣٦ ص ١٦٢ .

(30) F. O. 371/20804 : No. 91 - 259/11371.

(٣١) مضبطة الجلسة السادسة والثلاثين لمجلس الشيوخ يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الأولى ١٣٥٦ الموافق ٢٠ يولية ١٩٣٧ ص ٧٠٣ ، ٧٠٤ .

(٣٢) الرابطة العربية : ٦ يناير ١٩٣٧ ص ٢٧٥ .

(٣٣) الرابطة العربية : ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣٤) جمعية انصار فلسطين من المصريين : على اي محور ينبغى أن تدور الانتخابات البرلمانية فى المملكة المصرية . رسالة من مصريين فى فلسطين الى مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ص ١٢ .

(٣٥) الرابطة العربية : ٣٠ سبتمبر ١٩٣٦ ص ٤ .

(٣٦) الاهرام : ٢٨ اغسطس ١٩٣٦ ص ١٠ .

(٣٧) الرابطة العربية : ٣٠ ديسمبر ١٩٣٦ ص ٢٣٤ .

(٣٨) الشباب : ١٩ مايو ١٩٣٧ ص ٢ .

(٣٩) الشباب : ٢٨ آذار ١٩٣٦ ص ٢ ، ١٦ يونيو ١٩٣٧ ص ٣ .

(٤٠) الاهرام : ١٨ يونية ١٩٣٦ ص ٦ .

(٤١) الاهرام : ٢٩ يوليو ١٩٣٦ ص ٦ .

(٤٢) الاهرام : ٣٠ يوليو ١٩٣٦ ص ١١ .

(٤٣) الاهرام : ٧ اغسطس ١٩٣٦ ص ١ .

(٤٤) المؤتمر النسائى الشرقى : المرجع السابق ص ١٤ ، ١٥ .

(45) F. O. 371/20804.

(٤٦) الرابطة العربية : ١٧ فبراير ١٩٣٧ ص ٥٧٤ .

(٤٧) الاخوان المسلمون : ٩ فبراير ١٩٣٧ ص ٩ ، ١٠ ، ١٦ .

(٤٨) أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ص ٢٤١ .

(٤٩) ملف عونى عبد الهادى ، برقية الى مصطفى النحاس مؤرخة فى ١٩ تموز ١٩٣٧ .

(٥٠) انيس صايغ : المرجع السابق ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(51) F. O. 371/20810 : E. 4320.

(52) F. O. 371/20810 : E. 4370.

(53) F. O. 371/20811 : E. 4668.

(٥٤) الشباب : ٨ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٢ .

(٥٥) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٥٦) الشباب : ١٤ يولية ١٩٣٧ ص ٢ .

(٥٧) المؤتمر النسائى الشرقى : المراة المصرية وقضية فلسطين ص ١٥ ، ١٦ .

(٥٨) الرابطة العربية : السنة الثانية — الجزء ٥٩ — ٢١ يولية ١٩٣٧ ص ٦ .
(٥٩) أنيس الصايغ : الفكرة العربية فى مصر ص ٢٤٢ .
(٦٠) الاخوان المسلمون : ١٦ يولية ١٩٣٧ ص ٦ .
(٦١) أنيس صايغ : المرجع السابق ص ٢٤٢ .
(٦٢) الرابطة العربية : السنة الثانية — الجزء ٥٨ — ١٤ يولية ١٩٣٧ ص ٧ .
(٦٣) الشباب : ٢١ يولية ١٩٣٧ ص ٢ .
(٦٤) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ١٦١ .
(٦٥) جمعية أنصار فلسطين من المصريين : المرجع السابق . رسالة من المصريين فى فلسطين الى قنصلهم فى القدس فى ١٨ يوليو ١٩٣٧ ص ١٨ .
(٦٦) الشباب : ٢١ يولة ١٩٣٧ ص ٢ .
(٦٧) انيس صايغ : المرجع السابق ص ٢٤٣ .
(٦٨) الشباب : ١٥ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .
(٦٩) انيس صايغ : المرجع السابق ص ٢٤٣ .
(٧٠) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٨١ .
(٧١) الرابطة العربية : ١٩ أغسطس ١٩٣٦ ص ٨ . مقال لفريد عز الدين .
(٧٢) الصراط المستقيم : ٤ كانون الثانى ١٩٣٨ ص ٣ ، ٤ .
(٧٣) الشباب : ٦ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٤ ، ١٣ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ ، ٢٧ أكتوبر ١٩٣٧ ص ٢ ،
السياسة : ١ مايو ١٩٣٨ ص ٧ ، ٢ مايو ١٩٣٨ ص ٧ .
(٧٤) الشباب : ٢٦ يناير ١٩٣٨ .
(٧٥) السياسة : ٢ فبراير ١٩٣٨ ص ٢ .
(٧٦) جمعية أنصار فلسطين من المصريين : المرجع السابق ص ١ ، ٦ — ٩ .
(٧٧) الصراط المستقيم : ٢٨ حزيران ١٩٣٨ ص ٦ ، ٥ تموز ١٩٣٨ ص ٤ ، ١ آب ١٩٣٨ ص ٧ .
(٧٨) الشباب : ١٧ شباط ١٩٣٧ ص ١ .
(٧٩) مجلس النواب : مضبطة الجلسة التاسعة يوم الأربعاء ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
(٨٠) مجلس النواب : مضبطة الجلسة الثانية عشرة يوم الاثنين ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ ص ٤٠٥ .
(81) F. O. 371/21863.
(٨٢) أنيس صايغ : المرجع السابق ص ٢٤٣ .
(٨٣) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ١٥٨ .
(٨٤) ملتقى النهرين : ١٠ أكتوبر ١٩٣٨ ص ٢ .

خاتمة

تلك هى ثورة الشعب العربى فى فلسطين والتى امتدت على مدى يقرب من ثلاث سنوات ونصف ، وتوقفت قبيل الحرب العالمية الثانية لعديد من الأسباب . اهمها الارهاق الكبير الذى تحمله عرب فلسطين على مدى تلك السنوات ، والحاجة الى فترة راحة يفكر فيها السياسيون فى الخطوات القادمة وتعيد القيادات العسكرية العربية حساباتها وتقييمها للموقف وتلتقط الجماهير انفاسها بعد تلك السنوات العجاف .

ولعل من المفيد ان أبلور على ضوء دراستى اهم الملامح التى ميزت هذه المرحلة : ــ

اولا : ان ثورة ١٩٣٩/٣٦ هى ثورة تحرر وطنى ، لكنها من ناحيةأخرى كانت دفاعا عن البقاء ومقاومة لعمليات التصفية البطيئة المستمرة .

ثانيا : ان اهم مايميز هذه الثورة هو مساهمة كل القوى الشعبية فيها، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة ، لكنها جميعا أعطت ولو حدا ادنى من المقاومة السلبية .

ثالثا : ان المثقفين فى المدن هم الذين أطلقوا نار الثورة وكانوا فكرها ونبضها خاصة فى المرحلة الأولى ، كما أن الفلاحين فى القرى كانوا اداة الثورة ومنفذيها وثوارها ، وهم الذين تحملوا العبء الأكبر فيها كما تحملوا المسئولية خلال المرحلة الثانية للثورة .

رابعا : ان القيادة السياسية لهذه الثورة ممثلة فى امين الحسينى بالذات قيادة وطنية دافعت عن حقوق الشعب وتمسكت بمطالب الأمة ولم تفرط فى حقوق الوطن ، لكن مايؤخذ عليها هو انها لم تحسن تعبئة الجماهير ، ولم تعط اهتماما حقيقيا لعملية تنظيم

ألقواعد الجماهيرية ممثلة فى اللجان القوميــة أو اقامة بنـــاء سياسى للثورة ، ولم تدرك خطورة التحالف الاستعمارى الصهيونى بل كانت تعتقد أن البريطانيين فى النهاية سيستجيبون لمطــالب العرب فى فلسطين .

خامسا : ان أهم ماانجزته الثورة هو ايقاف تنفيذ مشروع تقسيم١٩٣٧ ، كما أن من ايجابياتها انها عزلت القوى المتعــاونة مع البريطانيين أو الصهيونيين ، وأرغمت العناصر المشبوهة على مغادرة البلاد .

سادسا : ان العالم العربى قد بدأ يعطى اهتماما حقيقيا لقضـــية فلسطين وان كانت معاهدات التحالف وعلاقات الصــداقة مع بريطانيــا وغيرها قد قيدت حركة الدول العربية ، وأعطت الفرصة لبريطانيا للاستفادة من جهود هذه البلدان لتهــدئة عرب فلسطين دون أن يترتب على ذلك تحقيق مكاسب أو الاستجابة لأية مطالب .

سابعا : ان الوطن القومى اليهودى قد استفاد من عملية تحول النضــال العربى ضد البريطانيين ، فتفرغ لعمليات البنــاء ، وحقق خلال الثورة انجازات كبيرة ، كما اســتكمل بعض نواحى النقص فى مقوماته خاصة بالنسبة للجانب العسكرى .

ثامنا : انه كان هناك اصرار كبير من بريطانيا على ضرورة بنــاء الوطن القــومى اليهودى مهما كانت الصــعوبات ، وعـــدم اتاحة أية فرصـــة للاغلبية العربية كى تمارس حقوقها التشريعية، واسباغ الحمـــاية الـكافية على مؤسسات الوطــن القومى اليهودى ومشروعاته ، وتوفير كل الظروف المناسبة لانطلاقه ، وان كان ذلك لا يمنع بطبيعة الحال أن تبذل محاولات وقتية أو مفتعلة من بريطانيا لتهدئة العرب أو خداعهم أو التظاهر باحــداث نوع من التوازن بين العــرب واليهــود يمتص الغضب العربى فترة من الوقت ، يمكن خلالهــا اكتشــاف وســائل جديدة لمواصلة تنفيذ السياسة المرسومة والمتفق عليها من جميع الحكومات البريطانية المتعاقبة بلا استثناء .

وأخيرا فان ثورة ١٩٣٩/٣٦ تعتبر مثلا رائدا ــ بصمودها وتضحياتها وشهدائها ــ على كفاح الأمة العربيـــة فيما بين الحربين العــالميتين من أجل التحرر الوطنى ومقاومة الاستعمار والصهيونية .

قائمـــة المصـــــادر

الوثائق العربيـــة

١ — بلاغات القائد العام للثورة العربية فى فلسطين أرقام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

٢ — جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضـــية فلسطين ، المجموعة الأولى ١٩١٥ — ١٩٤٦ ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٣ — حكومة فلسطين : تقرير اللجنة التى عينها فخامة المندوب السامى لفلسطين للتحقيق عن الاضطرابات التى وقعت فى يافا وجوارها ١٩٢١ ، القدس ، ترجمة رسمية .

٤ — حكومة فلسطين : تقرير فخامة المندوب السامى ، تموز ١٩٢٠الى تموز ١٩٢١ ، القدس ١٩٢١ ، ترجمة رسمية .

٥ — حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضـــطرابات فلسطين التى وقعت فى شهر آب ١٩٢٩ ، القـــدس ، ١٩٣٠ ، ترجمـــة رسمية .

٦ — حكومة فلسطين : تقرير اللجنة التى عينت لدرس حالة المزارعين الاقتصادية فى فلسطين والتدابير التى تتخذها الحكومة بشـــأن الضرائب بالنسبة لتلك الحالة .

٧ — حكومة فلسطين : تقرير فى ادخال نظام التعـــاون الزراعى فى فلسطين ، ١٩٣٠ .

٨ — الحكومة البريطانيـــة : تاريخ فلســـطين الســـياسى تحت الادارة البريطانية ، المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانيـــة ١٩٤٧ الى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ، ترجمة فاضـــل حسين ، بغداد ، ٥٦ .

٩ — رياسة مجلس وزراء المصرى : صورة من تقرير القنصلية الملـــكية المصرية بالقدس بشـــأن اثر الـــكتاب الأبيض فى فلســـطين — يونية ١٩٣٩ .

١٠ — مضبطة الجلسة الثانية عشرة لمجلس النواب المصرى يوم الاثنين ٢٠ يولية ١٩٣٦ ص ٣٥٨ .

١١ — مضبطة الجلسة الحادية عشرة لمجلس الشيوخ المصرى يوم الاثنين ٢٧ يولية ١٩٣٦ ص ١٦٢ .

١٢ — مضبطة الجلسة السادسة والثلاثين لمجلس الشيوخ المصرى يوم الثلاثاء ٢٠ يولية ١٩٣٧ ص ٧٠٣ ، ٧٠٤ .

١٣ — مضبطة الجلسة التاسعة لمجلس النواب المصرى يوم الأربعاء ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ .

١٤ — مضبطة الجلسة الثانية عشرة لمجلس النواب المصرى يوم الاثنين ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ .

١٥ — وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (الكتاب الأبيض ٥٤٧٩) القدس ، ١٩٣٧ .

رسائل علمية

١ — عبد الرحمن عبد الوهاب ياغى : حياة الأدب الفلسطينى الحديث النكبة ، رسالة دكتوراه أجيزت بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

٢ — ممدوح عارف الروسان : العراق والسياسة العربية ١٩٢١ — ١٩٤١ ، رسالة ماجستير اجيزت بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧٢ .

مذكرات

١ — فلسطين فى مذكرات القاوقجى ١٩٣٦ — ١٩٤٨ ، الجزء الثانى، اعداد الدكتورة خيرية قاسيمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢ — مذكرات حسنى صالح الخفش حول تاريخ الحركة العمالية العربية فى فلسطين ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٣ — مذكرات طه الهاشمى ١٩١٩ — ١٩٤٣ ، بيروت ، ١٩٦٧ ، الطبعة الأولى .

٤ — مذكرات مفتى فلسطين ، آخر ساعة ، ١٩٧٣ .

رسائل شخصية لم يسبق نشرها

١ — رسالة من عجاج نويهض الى عونى عبد الهادى مؤرخة فى ٢١ يولية ١٩٣٧ .

٢ — رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى مؤرخة فى ٢٣ اغسطس ١٩٣٧ .

٣ — رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى مؤرخة فى ٤ سبتمبر ١٩٣٧ .

٤ — رسالة من الأمير عادل أرسلان الى عونى عبد الهادى مؤرخة فى ٧ أكتوبر ١٩٣٧ .

٥ — رسالة من محمد عزة دروزة الى عونى عبد الهادى مؤرخة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ .

ذكريات

١ — عونى عبد الهادى .

٢ — محمد اسحق درويش .

مراسلات

١ — كامل الدجانى .

٢ — محمد أمين الحسينى .

٣ — محمد عزة دروزة .

الكتب العربية

١ — احمد طربين : فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ١٩٢٢ — ١٩٣٩ .

٢ — اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٣ — اميل الغورى : المؤامرة الكبرى . اغتيال فلسطين ومحق العرب ، ١٩٥٥ ، الطبعة الأولى .

٤ — اميل توما ، جذور القضية الفلسطينيه ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٥ — أمين سعيد : ثورات العرب فى القرن العشرين ، القاهرة .

٦ — انطون سعادة : مراحل المسالة الفلسطينية .

٧ — أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ، بيروت ، ١٩٥٩ .

٨ — انيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .

٩ — جامعة الدول العربية : العالم العربى ، مقالات وبحوث فى بعض شئونه السياسية والعلمية ، الكتاب الأول ، القاهرة ، ١٩٤٩

١٠ — جريدة الجزيرة : فلسطين الدامية ، دمشق ، ١٩٣٧ .

١١ — جفريز : فلسطين . اليكم الحقيقة ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ترجمة أحمد خليل الحاج ، مراجعة الدكتور محمد أحمد أنيس .

١٢ ـ جميل الشقيرى : مجموعة الشهادات والمذكرات المقدمة الى لجنة التحقيق الانكلواميركيه المشتركه حول قضية فلسطين .

١٣ ـ حافظ وهبـة : خمسون عاما فى جزيرة العـرب ، القـاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الأولى .

١٤ ـ زكى صـالح : فلسطين والتقرير الانجليزى الأمريكى لعام ١٩٤٦ نقد وتعريف ، ١٩٤٧ .

١٥ ـ سعيد حمادة : النظام الاقتصادى فى فلسطين ، بيروت، ١٩٣٩ .

١٦ ـ شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخيا وعبرة ومصيرا ، بيروت .

١٧ ـ صادق سعد : فلسطين بين مخالب الاستعمار ، القاهرة .

١٨ ـ صبحى ياسين : الثوره العربيةالكبرى فىفلسطين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ .

١٩ ـ صلاح الدين الصباغ : فرسان العروبه فى العراق ، ١٩٥٦ .

٢٠ ـ عبد الرازق الحسنى : تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الخامس صيدا ، ١٩٥٣ .

٢١ ـ عبد الوهاب الـكيالى : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ، ١٩٧٠ الطبعة الأولى .

٢٢ ـ عبد القادر يوسف : مستقبل التربية فى العالم العربى فى ضـوء التجربة الفلسطينية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٢٣ ـ عمر أبو النصر وآخران : جهاد فلسطين العربية ، بيروت ، ١٩٣٦ .

٢٤ ـ عنان العامرى : التطور الزراعى والصناعى فىفلسطين، بيروت، ١٩٧٤ .

٢٥ ـ عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتـداب والصهيونية ، الـكتابان الأول والثانى ، يافا ، ١٩٣٧ .

٢٦ ـ عيسى الناعورى وآخر : بطولات عربية من فلسطين ، ١٩٥٦ .

٢٧ ـ اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة : عن ثورة فلسطين ١٩٣٦ ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

٢٨ ـ لوكازهيرزويز : المـانيا الهتلرية والمشرق العربى ، القـاهرة ، ١٩٦٨ ، ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى .

٢٩ ـ المؤتمر النسائى الشرقى : المراة العربيـة وقضـية فلسطين ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

٣٠ ـ محمد أمين الحسينى : حقائق من قضية فلسطين ، القـاهرة ، ١٩٥٧ ، الطبعـة الثالثة .

٣١ ـ محمد توفيق جانا : الشهادات العربية أمام اللجنـة الملـكية فى فلسطين وخلاصة قرار اللجنة ، ١٩٣٨ ، الطبعة الثانية .

٣٢ ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث، صيدا ، ١٩٥١ .

٣٣ ـ محمد يونس الحسينى : التطور الاجتماعى والاقتصادى فىفلسطين العربية ، القدس ، ١٩٣٦ .

٣٤ — ناجى علوش : المقاومة العربية فى فلسطين (١٩١٧ — ١٩٤٨) ،
بيروت ، ١٩٦٧ .
٣٥ — نجلاء عز الدين : العالم العربى . ترجمة محمـد عوض ابراهيم
وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
٣٦ — نجيب صدقة : قضية فلسطين ، بيروت ، ١٩٤٦ ، الطبعة الأولى .
٣٧ — وديع البستانى : ديوان الفلسطينيات ، بيروت ، ١٩٤٦ .
٣٨ — يوسف هيكل : القضية الفلسطينية ، تحليل ونقد ، يافا ، ١٩٣٧ .

الدوريات العربيـــة

١ — الأهرام ، القـاهرة ، يومية ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ .
٢ — الاخوان المسلمون ، القاهرة ، اسبوعية ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ .
٣ — الاستقلال ، القاهرة ، يومية ، ١٩٢٢ .
٤ — الثقافة العربية ، بيروت ، ربع سنوية ، ١٩٥٨ .
٥ — الجامعة الاسلامية : يافا ، يومية ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ .
٦ — الجزيرة ، يافا ، يومية ، ١٩٢٤ .
٧ — الرابطة العربية ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ .
٨ — الزمان ، بغـداد ، يومية ، ينـاير — مارس ، يوليـو —
سبتمبر ١٩٣٨ .
٩ — السياسة ، القاهرة ، يومية ، ١٩٣٨ .
١٠ — الشورى : القاهرة ، اسـبوعية ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ،
١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ .
١١ — الشباب ، القاهرة ، اسبوعية ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ .
١٢ — الصراط المستقيم ، يافا ، اسبوعية ، ١٩٣٨ .
١٣ — الطليعة : دمشق ، شهرية ، ١٩٣٨ .
١٤ — الفتح ، القاهرة ، اسبوعية ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ هـ .
١٥ — الاقتصاديات العربية ، القدس ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ .
١٦ — الكاتب ، القاهرة ، شهرية ، ١٩٦٧ .
١٧ — الكرمل ، حيفا ، يومية ، ١٩٣٣ .
١٨ — المقطم ، القاهرة ، يومية ، ١٩٢٥ ، ١٩٣٥ .

١٩ ــ الوحدة المغربية ، تطوان ، أسبوعية ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ .
٢٠ ــ اليرموك ، حيفا ، يومية ، ١٩٢٥ .
٢١ ــ جريدة فلسطين ، القاهرة ، أسبوعية (النسخة العربية للجريدة التى أصدرها الجيش البريطانى فى فلسطين ، ١٩١٨) .
٢٢ ــ حضارة السودان ، الخرطوم ، نصف أسبوعية ، ١٩٣٨ .
٢٣ ــ حقيقة الأمر ، تل أبيب ، أسبوعية ، ١٩٣٨ ، جريدة النقابة العامة للعمال اليهود فى فلسطين (الهستدروت) .
٢٤ ــ شئون فلسطينية ، بيروت ، شهرية ، ١٩٧٢ .
٢٥ ــ صوت الحجاز ، سعودية ، أسبوعية ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ .
٢٦ ــ صوت الشعب ، بيت لحم ، أسبوعية ، ١٩٣٣ .
٢٧ ــ فلسطين ، بيروت ، شهرية ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، (الهيئة العربية العليا) .
٢٨ ــ فلسطين ، يافا ، أسبوعية ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ .
٢٩ ــ لسان العرب ، القدس ، يومية ، ١٩٢٢ .
٣٠ ــ مرآة الشرق ، القدس ، نصف أسبوعية ، ١٩٢١ .
٣١ ــ مصر الفتاة ، القاهرة ، أسبوعية ، ١٩٣٩ .
٣٢ ــ ملتقى النهرين ، الخرطوم ، أسبوعية ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ .

محاضرات

ــ احمد الشقيرى : محاضرات عن قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى ١٩١٩ ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤ .

تقارير :

١ ــ اللجنة المركزية للمؤتمر العربى الفلسطينى الثالث : تقرير فى حالة فلسطين مقدم الى جنساب المستر ونستون تشرشل ، القدس ، ١٩٢١ .

٢ — تقرير ألوفد ألفلسطينى الاسلامى للحجاز عن حالة فلسطين الحاضرة . مرفوع الى العالم الاسلامى بواسطة حجاج بيت الله الحرام فى موسم ١٣٤٠ هـ .

٣ — جفرى بطرس غالى : فلسطين . تقرير مقدم الى الاتحاد البرلمانى الدولى عن هجرة الجماعات ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٤ — صندوق الأمة العربى : تقرير مجلس الادارة (١٩٤٦) .

نشرات وبيانات

١ — البنك العربى : ٢٥ سنة فى خدمة الاقتصاد العربى ١٩٣٠ — ١٩٥٥ ، عمان .

٢ — اللجنة الفلسطينية العربية بمصر : بيان الى العالم الانسانى عن حالة المعتقلين الفلسطينيين فى مخيم المزرعة بجوار عكاء . مصر ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٣ — اللجنة العربية العليا : بيان وذكرى من فلسطين المصابة الى لبنان المعافى ، بيروت ، ١٩٣٧ .

٤ — الهيئة العربية العليا : أربعون عاما من الجهاد ، بيروت ، ١٩٥٩ .

٥ — اللجنة القومية بالقدس : المكتب الاقتصادى ، القدس ، بدون تاريخ .

٦ — النشرة التجارية لغرفة تجارة يافا الوطنية ، ١٩٢٤ .

٧ — النشرة الشهرية لجمعية اصلاح القرية العربية فى نابلس ، نابلس ، ١٩٤٧ .

٨ — بيان للجنة القومية فى حيفا الى الشعب العربى الكريم فى ٢١ ابريل ١٩٣٦ .

٩ — بيان للعالم الاسلامى وكل ذى ضمير انسانى حى عن فظائع الاستعمار البريطانى فى فلسطين الشهيدة . (يفهم من قراءة البيان انه كتب عام ١٩٣٧) .

١٠ — جمعية انصار فلسطين من المصريين : على اى محور ينبغى ان تدور الانتخابات البرلمانية فى المملكة المصرية ، ١٩٣٨ .

١١ — خطب حفلة الافتتاح الـكبرى للمؤتمر البرلمـانى العـالمى للبلاد العربية والاسلامية للدفاع عن فلسطين المنعقد فى القاهرة فى ١٣ من شعبان ١٣٥٧ هـ — ٧ من اكتوبر ١٩٣٨ وقرارات المؤتمر واعضـاء الوفود .

١٢ — خطبتان لسماحة المفتى الاكبر ورئيس المجلس الاسـلامى الأعلى السيد / محمد أمين الحسينى فى مؤتمر العلماء وفى اجتمـاع وفود القرى بشأن بيع الأراضى بفلسطين للصهيونيين والحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . القدس .

١٣ — صـندوق الأمة العربى : نظام صندوق الأمة العربى ، القدس ، ١٩٣٥ .

١٤ — عصبة التحرر الوطنى بفلسطين : طريق فلسـطين الى الحرية ، المذكرة التى قدمتها عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين الى منظمة الأمم المتحدة فى آب ١٩٤٧ .

١٥ — عصبة العمل القومى (مركز بيروت) ، مذكرة العصبة رداً على تقرير اللجنة المـلكية الانكليزية بشأن الجزء الجنـوبى من ديار الشام « فلسطين » ، بيروت .

١٦ — عونى عبد الهادى : بيان على الـكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ .

١٧ — فلسطين الشهيدة : بيـان للعالم الاسلامى والعالم العربى وكل ذى ضمير انسانى حى عن فظائع الاستعمار البريطانى فى فلسطين الشهيدة ، ١٩٣٧ .

١٨ — محمد عزة دروزة : كتاب مفتوح الى اللجنة المـالية الانكليزية ، القدس ، ١٩٣١ .

١٩ — مذكرة الحزب العربى الفلسطينى الى الحكومة البريطانية ورجال البرلمان ، ١٩٤٤ .

٢٠ — مكتبة الهيئـة العربيـة : القـانون الداخلى للمؤتمر العـربى الفلسطينى .

٢١ — نشرات الوكالة اليهودية : اقتصـاديات فلسـطين مابين اليهود والعرب ، نشرة رقم ٣ ، القدس ، أيار ، ١٩٣٧ .

الوثائق الاجنبيــــة

1 — House of Commons : Fifth Series, Vol. 311 - 6 May, 1936, 26 May 1936.

— Fifth Series. Vol. 312 - 13 May, 18 May, 29 May 1936.

— Fifth Series. Vol. 313 - 18 June 1936.

2 — Report by His Majesty's Government inthe United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the league of Nations on the adminstration of paestine and Trans-Jordan for the Year 1930. London 1931.

3 — Report by His Majesty's Government ... for the year 1933. London 1934.

4 — Report by His Majesty's Government ... for the year 1935. London 1936.

5 — Report by His Majesty's Government ... for the year 1936. London 1937.

6 — Report by His Majesty's Government ... for the year 1937. London 1938.

7 — Report by His Majesty's Government ... for the year 1938. London 1939.

8 — The Secretary of State for the Colonies : Palestine Royal Commission, Report. London, 1937 Cmd. 5479.

9 — Palestine Government : A Survey of Palestine. Vol 1 & 2.

10 — Simpson (John) : Palestine. Report on Immigration, Land Settlement and Deverlopment. London, 1930.

الـكتب الاجنبيــة

1 — Antonius, G., : The Arab Awakening. Beirut. 1969.

2 — Barbour, Nevill : Nisi Dominus. A. Survey of the Palestine Controversy. Beirut 1969.

3 — Bentwich, Norman : England in Palestine. London, Kegan Paul. 1932.

4 — Cattan, Henry : Palestine, The Arabs & Israel. The Search for Justice. Second impression. London, 1970.

5 — Esoo Foundation for Palestine : Palestine. A. Study of Jewish, Arab and British Policies. 2 nd ed. U. S. A., Yale University Press, 1949, Vol, 1.

6 — Esco Foundation. for Palestime : Palestime. A. Study of Jewish, Arab and British Policies. Vol, 11.

7 — Friedrich, C. J. : American Policy Toward Palestine. U.S.A., 1971.

8 — Granott, A, : The Land System in Palestine. History and Structure. London, 1952.

9 — Hadawi, Sami : Bitter Harvest. Palestine between 1914 - 1967. New York, 1967.

10 — Hadawi, Sami : Village Statistics 1945 - A., Classification of Land and Area Ounership in Palestine. Beirut. 1970.

11 — Hocking, William Ernest : The Spirit of World Politics. New York, 1932.

12 — Hurewtiz, J. C. The Struggle for Palestine. New York, Norton, 1950.

13 — Jeffries : Palestine. The Reality. Bristol. 1939.

14 — John, Robert & Hedawi, Sami : The Palestine Diary. Volume one 1914 - 1945. Beirut, 1970.

15 — Marlowe, John : Rebellion In Palestine. London, 1946.

16 — Safran, Nadav : The United States and Israel. U.S.A. 1963.

17 — Weizmann, Chaim : Trial and Error 4 th ed. London, Hamilton.

دوريات ا... ـــة

Middle Eastern Studies. Volume II. No. 2 May 1975.

مطبعة الجبلاوي
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية - شبرا

رقم الايداع بدار الكتب ٤٣٣٩/١٩٨٠

تصـــويبات

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
١٧	١٥	(٤٢)	(٤٧)
١٩	٢٧	وحندى	وحمدى
٢٩	١١	١٤	٢٤
٣٦	١٨	بالثآرات	يالثارات
٤٠	٢٥	٢ أبريل	٢١ أبريل
٤٣	٩	أكثر ما أنت	أكثر منها
٤٤	٧	فاغلت	فاغلقت
٥٥	١٠	مستقة	مستقلة
٥٥	١٠	عمياتها	عملياتها
٥٦	١٤	ازيا	ازديادا
٥٦	٢٥	الثرة	الثورة
٦٦	٣	وقف	ووقف
٨٠	١٢	واستمداد	واستعدادا
٨٠	١٨	كنت	كانت
٨٨	١٨	مع الحسينى قد طولب باعلان الجهاد المقدس لكن ليس من المحتمل أن	مع الانجليز (٢٢٣)
٩٨	٩	ربما	وبما
١٠٥	٢	تنقص	تنتص فى
١١٩	٦	(70) Report	Report
١٤٣	١٩	ترز	تركز
١٤٤	٤	حياذ	حينا
١٧١	١ــ٢	من ... فى الظروف	من فلسطين فى الظروف
١٩٠	١٣	موقف	مواقف
١٩١	١	تك	تلك
١٩١	٣،١	سلطة	السلطة
٢١٧	٤	الاضطواع	الاضطلاع
٢٢٠	١٣	قضية	القضية
٢٢٣	١٩	الفلسطينن	الفلسطينى
٢٣٦	١٣	ميان	ميدان
٢٤٠	١٦	البطاطا	البطاط

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٣١٢	١٧	الحيرية	الحيوية
٣٢٣	٢٧	وجهة	وجبهة
٣٢٣	٢٧	الاصلاحين	الاصـــلاحيين
٣٢٤	١٤	واستطات	واستطاعت
٣٢٩	٢١	أسبيع	أسابيع
٣٣٢	٢٤	المحلى	الملى
٣٣٦	٤	اللراعية	الزراعية
٣٣٦	١٥	٦٦	٦
٣٣٦	١٧	الأحواء	الأحوال
٣٣٨	١١	دارفار	دافار
٣٣٩	١١	الخليل	الجليل
٣٤٠	٧	٥١٥٢	٥٦٥٢
٣٤٤	٥	التاية	التابعة
٣٥٦	٢٠	بريانيا	بريطانيـــا
٣٥٨	١٥	القومة	القومية
٤١٥	٢٤	يترقع	يتوقع
٤١٧	١	مصادر الفصل السابع	مصادر الفصلين السادس والسابع
٤٣١	١٩	الحزنى	الحزبى
٤٣٣	٢٥	المختفلة	المختلفة
٤٣٥	١٦	مقائل	مقال
٤٥٣	٢٧	المختفلة	المختلفة
٤٥٧	٦	يسحيل	يستحيل